تاريخ آسيا الحديث والمعاصر

تأليف

أ.د. رأفت غنيمى الشيخ

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة الزقازيق

د. محمد رفعت عبد العزيز

قسم التاريخ كلية التربية

جامعة عين شمس

د. ناجى هدهود

معهد الدراسات الآسيوية

جامعة الزقازيق

طبعة عام

٢٠٠٤م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تأتى الطبعة الثانية من هذا الكتاب معدلة ومنقحة ومزيدة مواكبة للفكر التاريخى المتجدد، خاصة بعد أن استنفدت أعداد الطبعة الأولى أغراضها فى التعريف بالقارة الآسيوية جغرافيا وبشريا وتاريخيا ، وبعد أن وجد الكتاب تجاوبا من الدارسين والمهتمين بالدراسات الآسيوية ، وأكاد أزعم أنه الكتاب الشامل الجامع لتاريخ كل الأقطار الآسيوية.

وتأتى الطبعة الثانية من هذا الكتاب فى خمسة أبواب ، الباب الأول يعالج تاريخ أقطار الشرق الأقصى وهى الصين واليابان وكوريا والفلبين وشبه جزيرة الهند الصينية، والباب الثانى يتناول أقطار جنوب آسيا وهى الهند والباكستان وأفغانستان واندونيسيا وماليزيا وسنغافورة.

أما الباب الثالث فيتناول أقطار شمال آسيا وهى روسيا وأقطار القوقاز ، والباب الرابع يعالج أقطار العالم التركى الإيرانى ، وهى تركيا وإيران وأقطار وسط آسيا ، ويتناول الباب الخامس والأخير الأقطار العربية فى آسيا ، وهى أقطار الهلال الخصيب (بلاد الشام، العراق ، الأردن وفلسطين) وأقطار المربع العربى (السعودية ، اليمن، أقطار الخليج) .

واننا على ثقة من أن هذه الطبعة ستجد استحسانا من الدارسين والمهتمين بالدراسات الآسيوية بما اشتملت عليه من إضافات وتعديلات، خاصة أن عرض الكتاب باخراج متميز يزيد من استحسان القراء.

والله اسأل أن يوفقنا لما فيه الخير وعلى الله قصد السبيل،

المؤلفون

الباب الأول

أقطار الشرق الأقصى

- مقدمة .
- الفصل الأول : جمهورية الصين الشعبية .
- الفصل الثانى : اليابان وكوريا.
- الفصل الثالث : الفلبين والهند الصينية .

مقدمة

يطلق تعبير الشرق الأقصى على أقطار شرق آسيا المطلة علي المحيط الهادي ، ولكون تلك الأقطار أبعد الأقطار الشرقية عن أوروبا سميت بأقطار الشرق الأقصى تمييزا لها عن أقطار الشرق الأوسط ، وأقطار الشرق الأدنى .

وتشمل أقطار الشرق الأقصى كل من جمهورية الصين الشعبية ، واليابان وكوريا (كوريا الديموقراطية أو الشمالية ، والجمهورية الكورية (أو الجنوبية) إلى جانب أقطار الهند الصينية وهى فيتنام وكمبوديا ولاوس وتايلاند وبورما أو ميانمار ، كما تشمل الفلبين ..

وتوجد ملامح متشابهة بين هذه الأقطار من الناحية الجنسية (الجنس البشرى الأصفر)، ومن الناحية الثقافية ، وخاصة انتشار عقائد البوذية والكونفوشية بين شعوبها ، إلى جانب تعرضها جميعا لأطماع الدول الاستعمارية الأوروبية والأمريكية.

وتتميز أقطار الشرق الأقصى بوجود أكبر تجمع بشرى فى إحداها وهى الصين التى يقترب عدد سكانها من المليار والنصف من البشر ، كما تتميز بوجود أكثر أقطار النمور الاقتصادية ، مثل اليابان ، الصين، تايوان، تايلاند وغيرها ..

ولوقوع أقطار الشرق الأقصى فى أقصى شرق آسيا ، كان لابد أن نبدأ دراستنا عن تاريخ آسيا بدراسة تاريخ هذه الأقطار ، وهو ما نسجله فى الصفحات التالية، فى الباب الأول من أبواب هذه الكتاب.

الفصل الأول

جمهورية الصين الشعبية

- نظرة جغرافية - تاريخ الصين - الإسلام فى الصين - الصين والدول الاستعمارية - الصين فى القرن العشرين .

نظرة جغرافيــة

تقع الصين فى أقصى شرق آسيا تطل على البحر الأصفر وبحر الصين الجنوبى المفتوحين على المحيط الهادى (الباسفيكى) ، ومساحتها ٩.٦ مليون كيلو متر مربع ، وتعتبر ثانى أكبر دولة فى العالم من حيث المساحة (بعد كندا) ، وعدد سكانها - طبقا لاحصاء عام ١٩٩٢- نحو ١.٢ مليار نسمة يمثلون أكثر من ٢١.٥٪ من سكان الأرض ، فهى أول دول العالم سكانا .

والصين ذات المساحة الضخمة تتمتع بطبوغرافية متنوعة بين حقول خصبة وجبال مرتفعة ، وأنهار كبرى ، وهى موطن الصينيين (الشعب الصينى) منذ عصر ما قبل التاريخ [١].

وحدود الصين كدولة أسيوية من الشرق والجنوب الشرقى المحيط الهادى (الباسفيكى) ، ومن الجنوب والجنوب الشرقى شبه جزيرة الهند الصينية وشبه القارة الهندية الباكستانية، ومن الغرب ومن الشمال تركستان الغربية (الروسية السابقة أو دول آسيا الإسلامية الحالية) وسيبيريا الروسية [٢]. وكانت امبراطورية الصين القديمة تضم عدا ولاياتها الحالية التبت وكوريا وفيتنام وبورما .

وتضم الصين المقاطعات التالية :

1- China Yearbook , 1966-1967 , Taibi , Taiwan , 1967 , p. 1 .

2- Op . Cit ., p. 28 .

١- ولاية «كانسو» : وتتألف من هضبة التبت العالية وتقع على السفوح الشرقية لجبال تيان شان ، وبها سور الصين العظيم ، وعدد سكانها من المسلمين حوالى ٧ ملايين ، ومركز المقاطعة مدينة «لان تشو» .

٢- مقاطعة «نينج هسيا» : وأكثر سكانها من المسلمين وهى فى الأصل جزء من كانسو ومركزها مدينة «نينج هسيا» .

٣- مقاطعة «يونان» : وتقع بين منطقة التبت ومقاطعة ستشوان فى الشمال وبين دولة بورما من الغرب وفيتنام ولاوس من الجنوب ومقاطعتى «كوانج سى» و «كيوتشو» من الشرق . وكان ظهور الإسلام فيها على يد رجل يدعى السيد الأجل فى القرن الثالث عشر الميلادى، ويزيد عدد سكانها عن المليون نسمة وعاصمة المقاطعة مدينة «يونان» .

٤- مقاطعة «شنس» : وعاصمتها مدينة «سنفان» وعدد المسلمين فيها يقدر بحوالى المليون .

٥- مقاطعة «شانس» : وعدد المسلمين فيها حوالى ١٥ ألف مسلم .

٦- مقاطعة «تشيهلى» : وقد قسمت إلى عدة مقاطعات أصغر وعدد سكانها حوالى المليونين وعاصمتها مدينة بكين عاصمة الجمهورية .

٧- مقاطعة «شانتونج» : ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ٢٠٠ ألف نسمة وهى مقاطعة ساحلية .

٨- مقاطعة «منشوريا» : وعاصمتها مدينة «شن يانج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

٩- مقاطعة «منغوليا الداخلية» : عدد المسلمين فيها قليل وغير معروف على وجه الدقة.

١٠- مقاطعة «سشوان» : ومركزها مدينة «سونج بان تينج» ويزيد عدد المسلمين فيها عن ربع المليون .

١١- مقاطعة «هونان» : ومركزها مدينة «هوى شينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

١٢- مقاطعة «هوبة» : ومركزها مدينة «فوشانج» وعدد المسلمين فيها حوالى عشرة آلاف مسلم .

١٣- مقاطعة «آن هوى» : وعاصمتها مدينة «انكينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ٥٠ ألف مسلم .

١٤- مقاطعة «كيانج سو» : ومركزها مدينة «نانج كينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

١٥- مقاطعة «تشيكيانج» : ومركزها مدينة «هانج تشوفو» وعدد سكانها من المسلمين يقرب من المليون مسلم .

١٦- مقاطعة «كوى شوى» : وبها حوالى عشرة آلاف مسلم .

١٧- مقاطعة «كوانج سى» ومركزها مدينة «كوى لين» وعدد المسلمين فيها حوالى ٢٠ ألف مسلم .

١٨- مقاطعة «كوانج تونج» : وعاصمتها مدينة «كانتون» وعدد المسلمين فيها حوالى ٢٥ ألف مسلم .

١٩- مقاطعة «كيانج سى» وبها حوالى ثلاثة آلاف مسلم .

٢٠- مقاطعة «توكين» : ومركزها مدينة «آموى» وعدد السكان فى المقاطعة آلاف قليلة .

تاريخ الصين

يرجع المؤرخون تاريخ الإمبراطورية الصينية المكتوب إلى عام ٢٥٩٣ قبل الميلاد حين استقرت قبائل التتار من الجنس المغولى فى أرض الصين ، وأصبحت لهم حضارة راقية ونظام حكم ملكى إقطاعى عاصمته مدينة «نانكين» . وعندما تعرضت لغارات قبائل الهون البدائية قادمين من منغوليا ، وأقام الصينيون فى عهد امبراطورهم المشهور «شى هوانج تاى» الذى حكم الصين فى الفترة من ٢٢٤٦-٢٢١٠ قبل الميلاد ، سور الصين العظيم الممتد فى شمال الصين بطول يزيد على ثلاثة آلاف كيلومتر ، لكن هذا السد لم يمنع المغول من غزو الصين أوائل القرن الثالث عشر الميلادى بقيادة جنكيزخان ، ثم فى عهد حفيده «قبلاى خان» ومنذ ذلك الوقت سيطر المغول على الأراضى الصينية واتخذوا من مدينة بكين عاصمة للصين .

وهكذا يمكن القول أنه كان للصين تاريخ قديم وحضارة عظيمة قامت على ضفاف نهر «هوانج هو» أو النهر الأصفر الذى ينبع من سفوح جبل «كونلون» فى الغرب ويسير باتجاه الشرق لعدة آلاف من الأميال ليصب فى المحيط الهادى. وخلال ستة أو خمسة آلاف سنة شهد هذا الوادى الخصيب بدايات الإنسان الصينى فى بناء الحضارة .

وقد شهدت الصين فى تاريخها القديم عصرا من الحكم الإمبراطورى المركزى - كما ذكرنا- حين ظهر قائد ماهر هو «هوانج تاى»الذى أشرنا إليه وبسط سيطرته على الصين . وقد سجل عهده بداية تاريخ الصين المكتوب . وفى هذا الزمن استخدم أفراد الشعب الصينى شكلا مميزا للكتابة وطوروا نظم المقاييس وأعداد الحساب، وغير ذلك من أدوات الحياة اليومية كالمساكن والملابس والأسلحة وصناعة الحرير .

وكانت بلاد الصين فى تاريخها القديم ذات تركيب مزدوج سياسى واجتماعى ولكنهما منفصلان بتأثير «كونج فوتسى» - كونفوشيوس- حكيم الحكماء الذى أسس منذ القرن الخامس قبل الميلاد الديانة الصينية ، وحدد الأخلاق الفاضلة أساس لحياة الإنسان حياة مطمئنة آمنة . أما النظام السياسى فهو نظام امبراطور مطلق ، فالامبراطور «ابن السماء» والد رعيته، فهو يحتكر السلطات السياسية والحرية الدينية المطلقة ، فهو سيد كل شئ ، ويعيش فى بكين منعزلا لاتراه الرعية فى قصور كأنها مدينة منعزلة .

والنظام الاجتماعى فى الصين القديمة يستند على حضارة زراعيةأسرية مسالمة حيث يعيش ٨٥٪ من السكان فى المقاطعات ويعملون بالزراعة ، وتجمع الأسر على عبادة الأجداد التى توجد مع العادات الخلقية بين أبناء البلاد . وحضارة الصين لم يكن لها نظير فى البلاد المجاورة مما جعلهم يعتقدون أنهم أرقى الناس وأنهم حقا أبناء السماء والأجانب شياطين ولذلك كرهوا الأوروبيين القادمين إلى الصين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر [١].

ولسنا بصدد الحديث طويلا عن التاريخ القديم للصين ، الذى شهد عصورا من الحكم الإمبراطورى، ومع القرون الأولى للميلاد انقسمت البلاد إلى عدة مملكات ، استقرت ثلاثة منها حوالى عام ٢٢١م فى شمال الصين وفى الغرب وفى الشرق . وقد شهدت فترة حكم «شين هان» أصل المؤسسات الصينية . كما شهدت انتفضات شعبية أفرزت عدة قيادات .

١- شاكر مصطفى وأنور الرفاعى : التاريخ الحديث ص٤٠٠ ، ٤٠١ .

كما شهدت عصور «سوى وتانج Sui and Tang » التى امتدت عبر التاريخ الوسيط اضطرابات وثورات محلية حتى عرفت تلك الفترة الممتدة من عام ٩٠٧م إلى عام ٩٦٠م عند مؤرخى تاريخ الشعب الصينى بأنها فترة الخمس عهود وفترة العشرممالك . وانتهت باعادة توحيد الصين وتأسيس عهد الـ سونج على يد «شاو كوانجين» ، وكان هذا العهد ضعيفا من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية مما أدى إلى قيام ثورات استمرت فترة التاريخ الوسيط حتى مجئ الاستعمار الأوروبى نحو الشرق فى القرن السادس عشر الميلادى .

كيف دخل الإسلام إلى الصين ؟

قبل الحديث عن تاريخ الصين فى العصر الحديث وخاصة منذ ظهور الأطماع الاستعمارية الأوروبية ، لابد لنا من وقفة نقف فيها على كيفية وصول الإسلام إلى أرض الصين .

ينتشر المسلمون فى كل مقاطعات الصين وإن كانت نسبتهم تختلف بين مقاطعة وأخرى ، ويرجع هذا الاختلاف إلى الطرق التى دخل بها الإسلام وانتشر فى الصين وإلى سياسة الحكومات الصينية المتعاقبة نحو رغبة المسلمين فى إقامة حكومة إسلامية تجمعهم تحت ظلها. وقد دخل الإسلام إلى الصين منذ أيام الإسلام الأولى خاصة فى عهد الخلفاء الراشدين . وأن أول وافد من الدولة الإسلامية إلى الدولة الصينية أوفد عام ٦٥١ م فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . ثم ذهبت الوفود الإسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس متعاقبين إلى الصين فى عهد الخلفاء الراشدين أيضا [١].

وكان للتجار المسلمين دور كبير فى انتشار الإسلام بالصين ، فالتجار الذين نزلوا بالمناطق الساحلية وخاصة فى المراكز الكبرى مثل «كانتون» و«شانغهاى» ومدن «شانتونج» حملوا معهم الدعوة الإسلامية والتجار الذين دخلوا إلى الأجزاء الغربية من الصين بطريق البر عبر وسط آسيا قاموا هم أيضا بدور هام فى هذا السبيل وتنقلوا فى فيافى الصين ولم يقتصروا على جهة واحدة وإنما فى جميع الجهات ، فكان انتشار الإسلام يماشى سير الدعاة ويختلف حسب كثرتهم وقوة شخصيتهم ومدة إقامتهم ومدى إيمانهم وعمق فكرتهم[٢] ودخل الإسلام

١- لوثروب ستودارد : ص٢٨٨ .

٢- محمود شاكر : تركستان الصينية ، ص٥٢ .

إلى شمال الصين بواسطة الترك فى عهد جنكيزخان وخلفائه ، حيث لم يعبأ جنكيزخان بالدين وكان يجمع حوله من جميع الملل ودخل فى جنده كثير من الترك والأفغان والباتان والفرس ، وكل هؤلاء مسلمون فنشروا الإسلام فى الصين [١].

وحتى اليوم نجد أن المسلمين يكثرون فى مقاطعات «كانسو» و«يونان» و«هونان» و«شانتونج» و«هابى» ، إضافة إلى تركستان التى معظم سكانها من المسلمين [٢]، وقد انتشر الإسلام فى الصين انتشارا سريعا وسهلا نتيجة توفر عدة عوامل هى :

١- تجارة المسلمين وهى سبب دخول الإسلام فى الصين الأصلية فى عهد أسرة «تان» (٦١٨-٩٠٥م) وازدهار الإسلام فى عهد أسرة «سون» (٩٦٠-١٢٧٦م) وأسرة «مين» (١٣٦٨-١٦٤٣م) .

٢- الفتوح الإسلامية وهى سبب إسلام سكان مقاطعة سنكيانج أو التركستان الصينية فى عهد أسرتى «سون» و«مين» ، فضلا عن أنها كانت سببا فى إسلام التركستان الروسية فى عهد أسرة «تان» .

٣- تناسل المسلمين ، وهو سبب ازدهار الإسلام وازدياد المسلمين فى الصين الأصلية بعد أسرة «يون» (١٢٧٧-١٣٦٧م) وأسرة «مين» التى تلتها .

٤- اختلاط الكافرين - الوثنين - بالمسلمين وتأثرهم بآدابهم وهو سبب آخرلإسلام أبناء التتار فى التركستان الصينية، والروسية [٣].

٥- شراء المسلمين لأولاد الصينيين الوثنيين ويربونهم على الإسلام فيصيروا متمسكين بالدين الإسلامى، ومما يدل على ذلك أنه فى ثورة البوكر التى جرت عام ١٩٠٠م والتى قتل فيها ألوف من المسيحين ، ونهبت أموالهم ، وبيعت نساؤهم . فاشترى مسلمو نينغ هسيا عددا كبيرا منهم، وبعدها صار يسعى مطران منغوليا لاستردادهم ، ولكن رفض أغلبهم الردة بعد أن عرفوا الإسلام وذاقوا حلاوة الإيمان .

١- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص٢٧١ .

٢- محمود شاكر : المرجع السابق، ص٥٦ .

٣- لوثروب سترارد : المرجع السابق ، ص٢٧٤ .

٦- لجوء مسلمى الصين إلى الزواج بالصينيات والوثنيات ، وهم يرغبون من ذلك نشر الإسلام فلعل الله يشرح صدور زوجاتهم للإسلام [١].

ويبلغ نسبة عدد المسلمين فى الصين إلى عدد سكان الصين حوالى ١٠٪ أو $\frac{١}{٨}$ على أكثر المصادر دقة ، فإذا كان عدد سكان الصين ١٢٠٠ مليون نسمة الآن فإننا يمكن أن نذكر دون مبالغة أن عدد المسلمين فى الصين ١٢٠ مليون، يتكلمون اللغات الصينية والتركية والفارسية والعربية بالترتيب وحسب المناطق التى يعيشون فيها، ومعظم الكتب الدينية تكتب باللغتين العربية والفارسية ، ويعمل المسلمون هناك بالتجارة والزراعة ، وهم غير مكروهين من قبل بقية الطوائف الصينية ، وذلك لعدم نقدهم مبادئ الفيلسوف «كنفوشيوس» ولعدم إذاعة الدعوة الإسلامية أى عدم التبشير بها، ومن ثم كان مسلمو الصين وطنيون بكل معنى الكلمة وهم أهل نجدة وشجاعة وهم رجال حرب وقتال وكثير منهم جنود فى الجيش وفيهم قواد ، وفيهم علماء وإن لم تكن لهم رئاسة دينية وإنما تقوم الجمعيات المحلية بالإشراف على التقاليد الإسلامية[٢].

ورغم استمرار انتشار الإسلام وحسن العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فى الصين ، إلا أنه عندما سيطرت الأسرة «المانشورية» على الحكم فى الصين خلال ثلاثة قرون (١٦٤٤-١٩١١) اضطهدت هذه الأسرة المسلمين وسامتهم سوء العذاب فصادرت أملاكهم ، وأخذت أموالهم ، وانتهكت حرماتهم ، مما جعل الثورات تندلع فى كل مكان من قبل المسلمين والتى بدأت عام ١٨٥٦م فى بلاد «يونان» بسبب عمال من المسلمين والوثنيين يعملون فى أحد المعادن فأسفر القتال عن الغلب للمسلمين وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الحنق من ولاة الصين مبلغه فاستنفروا إليهم الوثنيين قاطبة وتكررت الوقائع وصمد الفريقان بعضهم لبعض ، فلجأت الحكومة إلى الحيلة والدسائس وجاذبت زعماء المسلمين حبال الرشوة بالأموال والأعمال الخطيرة حتى فصمت عرى اتحادهم ومن ثم ينتقم منهم الصينيون شر انتقام [٣].

١- محمود شاكر : المرجع السبق ، ص٥٦-٥٧ .

٢- محمود شاكر : المرجع السابق ، ص٩٠ .

٣- لوثروب ستوارد : المرجع السابق، ص٢٢٨ . ويحب المسلمون أن يقال لهم لفظة «باى شان» أى أصحاب العمائم البيضاء .

وعندما قامت الثورة الشيوعية فى الصين عام ١٩٤٩م، وأعلنت جمهورية الصين الشعبية. التى أنهت حكم جمهورية الصين الذى امتد من عام ١٩١١ كبداية للحكم الجمهورى - أعلنت حكومة بكين أن تركستان الصينية «الشرقية» دولة تتمتع باستقلال ذاتى، وأصبح السيد سيف الدين هو رئيس الدولة وذلك عام ١٩٥٣م، وعرفت هذه البلاد منذ تلك الفترة باسم «سينكيانج» ووصلت مع الصين بخط حديدى عام ١٩٥٨م [١].

وقبل أن نختتم حديثنا عن المسلمين فى الصين لنا سؤال ما هى أحوال المسلمين فى الصين وما هو واجب المسلمين فى الأقطار الإسلامية نحوهم ؟ لاشك أن الشيوعية لاتعترف بالدين بل وتحاربه ولاتدين إلا بالدنيا ، ولهذا لاتجد مجالا للتفرقة بين الناس فى غيرها فتضيق بغير الشيوعية ولاتقبله فى دولتها، وتفرق بها فى الدنيا بين الناس فتثيب فى الدنيا من ينتحلها وتعاقب فيها من لايتخذها عقيدة [٢].

وتبعا لسياسة الشيوعية تغيرت عقيدة بعض مسلمى الصين تحت تأثير الضغط أحيانا والتوجيه أحيانا أخرى وخاصة بالنسبة إلى النشئ الجديد، وتارة من أجل الوظائف والمناصب ، وتارة بسبب ضعف الإيمان حيث يظن بعض الناس أن الأرزاق والأعمار بيد الحكام ، ورغم ذلك نجد أن بعض المسلمين تمسكوا بعقيدتهم واحتفظوا بدينهم أشد الأحتفاظ وإن كانوا قد تواروا فى عبادتهم عن الأنظار ، وابتعدوا فى صلواتهم عن العيون ، تجنبا لما اتبعه النظام الشيوعى من سياسة اقتصادية تقوم على اغتصاب أموال الناس باسم القانون، وسياسة اجتماعية حطمت الروابط بين الأفراد والأسر وخرقت العادات والتقاليد الخلقية . وما إلى ذلك من سياسات أوجدت رد فعل عند المسلمين فيتطلعون إلى قوة إسلامية كبرى تمد لهم يد المعونة ، وينتظرون دعوات للدين حتى ينضووا تحت لوائها ويسيروا فى ركبها [٣].

١- محمود شاكر : المرجع السابق ، ص٥٩-٨٨ .

٢- عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام ، ص٥٨٤ .

٣- محمود شاكر : المرجع السابق ، ص٨٩-٩١ .

الصين والدول الإستعمارية :

كانت البرتغال أول قوة أوروبية وصلت إلى الشرق الأقصى وذلك خلال القرن السادس عشر الميلادى ، وكان أول اتصال بين البرتغاليين والصين فى عام ١٥١٦م عن طريق المكتشفين البرتغاليين ، والذين حاولوا ومن جاء بعدهم وضع قدمهم فى الأرض الصينية بإقامة مراكز أو قلاع ولكنهم فشلوا أمام حرص الصين على عدم السماح للأجانب بامتلاك أراض فى بلادها خاصة بعد أن علم الصينيون بالفظائع التى ارتكبها البرتغاليون فى الملايو وغيرها ، ومن ثم لم يكن يسمح للبرتغاليين إلا بالتجارة مع الموانى الجنوبية للصين .

وفى نفس الوقت فإن الأسبان بعد أن استقروا فى جزر الفلبين وأنشأوا مدينة «مانيلا» عام ١٥٧٣م، حاولوا التجارة مع بعض الموانى الصينية خاصة فى سلع كانت ترد إلى مانيلا من أمريكا الوسطى أو اللاتينية مثل الفضة مقابل المنسوجات الآسيوية المصنوعة من القطن والحرير ، فى مقابل التوابل والخزف الصينى [١].

وحاولت هولندا بعد استقرارها فى جزر الهند الشرقية فى القرن السابع عشر أن تمد نفوذها إلى أراضى الصين ، وقد نجحت قواتها فى احتلال جزيرة فورموزا وبنت قلعة فيها ، حيث عرفت فيما بعد باسم «تايوان» وأصبحت لها أهمية كبيرة [٢]. وقد دخل البريطانيون بحار الصين ابتداء من عام ١٦١٩م بناء على اتفاق مع الهولنديين ، حيث عقدت معاهدة بين شركة الهند الشرقية البريطانية وشركة الهند الشرقية الهولندية . وقد فتحت أبواب مدينة كانتون الصينية للتجارة البريطانية عام ١٦٨٥م، وحصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على حق إنشاء مصنع فى «كانتون» تحت الرقابة الصينية ، وتبعتها بقية الدول الغربية : بريطانيا ، فرنسا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وقد واكب وصول هذه القوى الاستعمارية إلى شرق اسيا حدوث حالة من الضعف والتفكك فى الصين تحت حكم أسرة «منج» التى سعت إلى اعادة بعث روح الثقافة الصينية ، وبدأت بكين- فى عهد حكام هذه الأسرة- تدعى لنفسها لأول مرة حقوق الدول العظمى على سيام «تايلاند» وجاوة وسومطرة والملايو[٣].

١- سرداربانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص٧٤ .

٢- نفس المصدر ، ص٧٥ .

٣- بانيكار : المرجع السابق ، ص٦٩ .

ولم يكن الصينيون فى عهد أسرة «منج» يكرهون الأجانب ، رغم أن هذه الأسرة الحاكمة كانت ذات نزعة قومية ، وتمثل نهضة الثقافة الصينية ، بل كانوا على استعداد للترحيب بكل علاقة مع الأجانب لصالح الطرفين ولذلك وفد على الصين الهولنديون والإنجليز والفرنسيون والأسبان كبعثات تبشيرية وشركات تجارية ، كما ذكرنا .

وفى عام ١٦٤٥م استولت أسرة المانشو على السلطة فى الصين وطردت أسرة «منج» وظلت أسرة «مانشو» تحكم حتى عام ١٩١١م أى حوالى مائتين وخمسين سنة شهدت تطورات العلاقة بين الصين والدول الاستعمارية كما شهدت محاولة الحكم فى بكين إعادة توحيد البلاد والقضاء على المحاولات الانفصالية .

وفى عهد أسرة المانشو أيضا تدفقت البعثات التبشيرية البروتستانتية الهولندية والإنجليزية، والكاثوليكية الأسبانية والبرتغالية ، والتى كانت مقدمات للاستعمار الاحتلالى للصين .

ومن أبرز أحداث الصين فى عهد تلك الأسرة ما عرف بحرب الأفيون التى فرضتها بريطانيا على الصين . وكانت تجارة الأفيون قد راجت فى الصين المستورد من الهند فى القرن الخامس عشر ، ولكن نطاق هذه التجارة لم يتسع إلا على يد التجار الأوروبيين وخصوصا شركة الهند الشرقية التى كانت تحتكر التجارة البريطانية ، ونتيجة لقرار حكومة الصين فى عام ١٨٠٠م بحظر استيراد الأفيون نشط التجار الأوربيون فى الاتجار بالأفيون وخاصة التجار البريطانيين[١].

ونظرا لأن الإجراءات التى اتخذتها حكومة الصين ضد تجار الأفيون من الأوروبيين ، وضد المواطنين المتعاملين مع هؤلاء التجار ، فقد شنت بريطانيا الحرب ضد الصين عام ١٨٤٠م التى سلمت فى عام ١٨٤٢ م ووقعت معاهدة نانكنج التى أرغمت الصين على فتح موانى : كانتون، وشنغهاى ، وآموى ، وننغبو، وفوشوى . فى وجه التجارة الأجنبية وخاصة تجارة الأفيون واستولت بريطانيا على جزيرة هونج كونج القريبة من كانتون[٢] .

١- نهرو : لمحات من تاريخ العالم ، ص١٢٦ .

٢- نهرو : المرجع السابق، ص١٢٨-١٣٠ .

ونتيجة لهذه المعاهدة فتحت الصين أمام سطوة وغطرسة المبشرين والتجار الأوروبيين مما أدى إلى ثورة عام ١٨٥٠م عرفت بثورة «تايبنج» تنادى بقتل «الكفار» أى الأجانب ، وقد راح ضحية هذه الثورة حوالى ٢٠ مليون نسمة، وهذا يعطينا مؤشرا عن مدى كراهية أهل الصين للمبشرين .

وإذا كانت معاهدة «نانكنج» قد فتحت أبواب الصين أمام الاستغلال البريطانى، فقد دخلت كل من فرنسا والولايات المتحدة باب المنافسة مع بريطانيا تحت ماعرف باسم سياسة الباب المفتوح فى الصين، ومن ثم عقدت كل من فرنسا والولايات المتحدة معاهدات تجارية مع حكومة بكين ، واستغلت كل من بريطانيا وفرنسا انشغال الحكومة الصينية بثورة «تايبنج» ، وزحفت قواتها على بكين عام ١٨٦٠م ، التى أحرقت القصر الإمبراطورى بالتحف النادرة التى احتواها القصر .

وكانت معاهدة نانكنج هى حجر الزاوية فى صرح العلاقات الدولية ، تلك العلاقات التى تحكمت فى الصين مدة مائة عام ، وكان الغرض الرئيسى منها هو القضاء على انعزال الصين قهرا ، واجبارها على تبادل التجارة مع الأمم الأوروبية . وكانت تحكم الصين آنذاك امرأة مستبدة تدعى «يهونالا» التى اشتهرت باسم الإمبراطورة الأرملة تزوهسى أو بالاسم الدارج «البوذا العجوز» وقد ظلت تحكم الصين من عام ١٨٦٠ يوم أصبحت أحد الأوصياء على العرش إلى موتها فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٠٨م حكما مستبدا لاينازعه منازع [١].

وقد استطاعت الإمبراطورة الضرب على أيدى الثوار والانفصاليين فى أقاليم الصين، على الرغم من أطماع القوى الاستعمارية ، اعتمادا على بعض الرجال الأقوياء الذين نجحوا فى القضاء على عصيان كل من اليايبنج وثورة نيافاى والقضاء كذلك على ثورة المسلمين التى استمرت أربعة عشر عاما امتدت من عام ١٨٦٤ حتى عام ١٨٧٨م بمقاطعتى «شنسى» و «كانسو» ، كما استقلت فعلا مقاطعة «سينكيانج» تحت لواء زعيم قوى يدعى «يعقوب بك» عام ١٨٦٤-١٨٧٨م وشرع فى انشاء العلاقات مع الدول الأجنبية ، وكانت ثورة المسلمين تمثل تمردا على الحكم الصينى وقد لفتت أنظار بريطانيا فى الهند وروسيا فى وسط آسياخشية إثارة مشاعر المسلمين فى تلك البلاد وقيام ثورات مماثلة وقد أقترحت بريطانيا إقامة مملكة إسلامية

١- بانيكار : المرجع السابق ، ص١٣٦ ، ١٧٦ .

فى الصين بزعامة يعقوب بك إلا أن الصينيين رفضوا ذلك ، وكل ذلك انتهى لصالح وحدة الصين [١].

ونشطت الدول الأوروبية فى تحقيق الامتيازات لها فى موانى ومدن الصين ، حيث كان الإنجليز والفرنسيون والأمريكيون، ثم اليابانيون والروس يعملون فى مجالات التجارة والأعمال المالية تحت مظلةالمعاهدات والقوة المسلحة بما كان يحد من استقلال الصين وخاصة فى المناطق النائية ، خاصة كمبوديا ، وأنام ، وتونكين ، وبورما العليا التى اقتطعت من الصين ، وذلك لصالح كل من فرنسا وبريطانيا . ومما لاشك فيه أن معاملة الأوروبيين للصينيين بشكل متعال ويدعو إلى الاشمئزاز هو الذى دفع الصينين للوقوف ضدهم ، خصوصًا عندما كانوا يسمون العمال الصينيين بالخنازير ، وكانوا يستغلونهم للعمل فى المزارع والمناجم والمستوطنات ونقلهم إلى أوروبا وبيعهم بيع الرقيق [٢].

الغزو اليابانى للصين :

لم يقتصر الخطر الاستعمارى على وحدة الصين على الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ، بل تعدى ذلك إلى اليابان التى تطلعت إلى غزو الصين ذلك الغزو الذى حدث بين عامى ١٨٩٤ ، ١٨٩٥م، والذى جاء بعد أن استكملت اليابان بناء قوتها العسكرية وازدهارها الصناعى .

كان سبب غزو اليابان للصين ما عرف بالمسألة الكورية . حيث كانت شبه جزيرة كوريا تعيش عصر ثورة ضد الحكم الصينى مما اضطر الصين إلى إرسال قوات عسكرية لاخماد ثورة سكان شبه جزيرة كوريا التى كانت أسواقها مجالا للاستثمارات اليابانية ، والصناعات الوفيرة لمصانع اليابان .

أرسلت اليابان قواتها إلى كوريا حيث اشتبكت مع قوات الصين فى معارك حاسمةانتهت بهزيمة الصين هزيمة ساحقة نتجت عنها ارغام الصين على توقيع ما عرف بمعاهدة «شيمونسكى» عام ١٨٩٥ م التى نصت على مايلى :

١- سردار بانيكار : المرجع السابق، ص١٨٠ ، ١٨١ .

٢- د. جلال يحيى : الشرق الأقصى ، ص٣١٥ ، ٣٢٠ .

١- استقلال كوريا واعتراف الصين بهذا الاستقلال .

٢- تنازل الصين عن جزيرة فرموزا لليابان .

٣- تنازل الصين عن ميناء بورت آرثر الواقع على رأس شبه جزيرة «لياوينج» وإن كانت اليابان قد اضطرت للتنازل عن هذا الميناء بضغط من الدول الأوروبية ألمانيا ، وفرنسا ، وروسيا .

٤- تدفع الصين لليابان غرامة حربية كبيرة قدرها ٢٠٠ مليون «تايل» زيدت بعد تنازل اليابان عن ميناء «بورت آرثر» .

٥- حصول اليابان على امتيازات اقتصادية وتعليمية وقنصائية فى الصين أسوة بالدول الأوروبية .

وكان لفرض معاهدة «شيمونسكى» على الصين نتائج خطيرة ، لم تقتصر على مجرد فقد شبه جزيرة كوريا ، بل تعدت ذلك إلى حدوث حالة من الضعف الشديد الذى حل بالصين واستمر حوالى خمسين سنة، وكان هذا الضعف لصالح اليابان وروسيا والدول الغربية التى اهتمت بالاستثمار فى الصين وتصدير رأس المال خارج الصين .

كانت مناطق نفوذ الدول الأجنبية فى الصين متوزعة على النحو الآتى مع نهاية القرن التاسع عشر واستمرت حتى بعد الحرب العالمية الثانية :

أ- الفرنسيون فى الجنوب فى مناطق يونان والمقاطعات الجنوبية الثلاث .

ب- البلجيكيون : مناطق بيكين وهانكاو .

جـ- الأمريكيون : مناطق هانكاو أيضا وكانتون .

د- الروس : منطقة منشوريا .

هـ- البريطانيون : فى وادى اليانج تسى ، وتحت ستار شركة بريطانية إيطالية فى منطقة «شانس» .

و- الألمان : ميناء «تسنجتاور» وتأجير مدينة «كياتشاو» واستغلال المناجم فى مدينة «شانتونج» .

وهكذا لم تمض ثلاث سنوات بعد الحرب الصينية اليابانية وخاصة عام ١٨٩٩م، حتى تقاسمت الدول الأراضى الصينية فعلا كمناطق نفوذ لها فى الصين، وكان فى هذا الوقت أن اعترفت بريطانيا- عام ١٨٩٩م- رسميا بمناطق فى الصين بناء على سياسة الباب المفتوح .

ورغم ذلك فقد ظهرت عدة ثورات استهدفت التخلص من النفوذ الأجنبى، مثل حركة «البوكسر» التى كان مبدأها : اعتزوا بأسرتكم المالكة وأبيدوا القوى الأجنبية » وحظيت هذه الحركات الشعبية تأييدا جماهيريا بعد أن زادت وطأة النفوذ الأجنبى . وقامت الثورة الصينية عام ١٩١١م ضد الحكم الإمبراطورى بتأثير عاملين هما : الإصلاحات الحكومية بنقل الخبرات الأوروبية فى البناء الحضارى من جهة ، والعمل الشخصى للزعيم الصينى «صن يات صن» . وكان صن قد أعلن برنامجه عام ١٩٠٤ وعام ١٩٠٧م باسم الحل الحقيقى للمشكلة الصينية . ودعا لإقامة جمهورية ديموقراطية اشتراكية تقوم على الديموقراطية والمساواة والوطنية .

وانتقلت الحركات الشعبية فى الصين من الثورة إلى المقاطعة الاقتصادية للسلع الأجنبية ، ففى عام ١٩٠٥ م بدأ الصينيون فى كانتون حركة واسعة النطاق لمقاطعة كل ما هو أمريكى احتجاجا على معاملة الصينيين بالولايات المتحدة، وفى عام ١٩٠٨ م أخذ الصينيون يقاطعون كل ما هو يابانى أيضا ، ونتج عن هذه الحركات الشعبية سقوط حكم أسرة المانشو فى أكتوبر عام ١٩١١م . وإعلان الجمهورية بعد استقالة الإمبراطور فى ٢٢ فبراير ١٩١٢م، وانتخب «يوان شى كاى» رئيسا للجمهورية . وقد أيد المسلمون الحكم الجمهورى الذى سمح بقيام بعض المؤسسات الإسلامية [١].

الصين فى القرن العشرين :

عندما قامت الحرب العالمية الأولى بادرت اليابان بالانضمام إلى الحلفاء وإعلان الحرب ضد ألمانيا ، ومن ثم اتجهت إلى الصين للاستيلاء على مناطق نفوذ الألمان فى الأراضى الصينية ، فاحتلت «كياوشو» وبقية مقاطعة شانتونج وعندما طلبت الصين من اليابان اخلاء هذه المناطق استنكرت اليابان هذا المطلب الصينى ، وتقدمت بقائمة مطالب للصين عرفت باسم : «الواحد والعشرون مطلبا» . وكانت ترمى إلى منح اليابان جميع أنواع الامتيازات والحقوق وخاصة فى منشوريا ومنغوليا ومقاطعة شانتونج . ولو قبلت الصين هذه المطالب لأصبحت الصين مجرد مستعمرة يابانية ، ولكن الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة عارضت هذه المطالب

١- محمود شاكر : التاريخ الإسلامى جـ٢ ص١٥٣ ، ١٥٤ .

التى اعترضت عليها حكومة الصين الضعيفة ونشرتها على الشعب الصينى الذى ازداد استياؤه وغضبه من اليابان ، وقد تخلت اليابان نتيجة لذلك عن بعض المطالب .

وفى عام ١٩١٧ م أعلنت الصين الحرب على ألمانيا تضامنا مع الحلفاء بقصد درء خطر اليابان ، وفى عام ١٩٢٣م عقد فى واشنطن مؤتمر ضم الدول الأربع الكبرى التى لها مصالح فى الشرق الأقصى وهى بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا واليابان ، تعهدت كل منها باحترام ممتلكات الأخرى فى المحيط الهادى، ثم معاهدة أخرى عرفت بمعاهدة الدول التسع التى ضمت الدول الأربع وكل من بلجيكا وايطاليا وهولندا والبرتغال والصين ، ونتج عن هاتين المعاهدتين : تخلى اليابان عن اقليم «شانتونج» واحترام سيادة الصين واستقلالها ونشاطها الإدارى الإقليمى .

وفى عام ١٩٢٤م اتفقت كل من الصين وروسيا الشيوعية على تنازل الروس عن الامتيازات الأجنبية التى كانت حكومة روسيا القيصرية قد حصلت عليها فى أراضى الصين مما أثار فرح الشعب الصينى ولكنه أثار استياء الدول الغربية التى كانت تتطلع إلى بقاء امتيازاتها فى الصين .

وفى ذلك الوقت كانت تدور حرب أهلية بين الشمال والجنوب فى الصين وبين العسكريين فى الشمال الذين أطلقوا على أنفسهم اسم العظماء ، وكانوا ألعوبة فى يد القوى الأجنبية ، بينما كان الجنوب يسيطر عليه حزب الشعب أو الكومنتانج بزعامة الدكتور «صن يات سن» الذى قضى حياته مناضلا من أجل الشعب الصينى حتى توفى عام ١٩٢٥م [١].

ونتج عن وفاة «صن يات سن» انقسام الحركة الوطنية فى الصين بين يسار تقدمى، وبين محافظ ، وفى أواسط عام ١٩٢٦م أصبح «شان كاى شيك» وهو من الجناح الأيمن القائد الأعلى ، وبدأ فى طرد الشيوعيين ، وإن كان الجناحان اليسارى واليمينى استمرا فى التعاون معا وإن فقدت الثقة بينهما .

وفى هذه الفترة الممتدة من عام ١٩٢٦م حتى قيام الحرب العالمية الثانية حدثت أحداث انتهت باحتلال اليابان للصين ، كان منها النزاع بين اليسار واليمين فى الصين والنزاع مع المصالح البريطانية .

١- نهرو : المرجع السابق، ص٢٣٦-٢٤٣ .

وكان الحزب الشيوعى بالصين قد تأسس عام ١٩٢٠ م بزعامة «تشن» الذى كان هو وأمثاله من قادة النهضة الصينية يرون أن الثورة البلشفية فى روسيا هى بداية لحركة نهضة قوية وفكر جديد[١] .

وكانت الشيوعية تنتشر فى الصين سرا فى صفوف طلاب العلم والطبقات المثقفة ، ولذلك فإن الحزب الشيوعى كان يعمل مثل الجمعيات السرية لأن الحكومات الصينية المختلفة لم تكن تسمح له بالعمل علنا . وقد تشكلت أول حكومة شيوعية فى الصين فى نوفمبر ١٩٢٧م فى منطقة «هيفنج» بمقاطعة كوانتونج فى الجنوب ، وسميت هذه الحكومة «جمهورية هيفنج السوفيتية» وتشكلت من اتحادات نقابات الفلاحين .

وانتشرت الشيوعية فى الصين انتشارا كبيرا بحيث أن حكومة «هيفنج» امتدت سيطرتها لتشتمل على سدس أراضى الصين يسكنها حوالى ٥٠ مليون نسمة آنذاك ، وقد أنشأت الحكومة الشيوعية جيشا أحمرا عدده ٤٠٠ ألف مقاتل ، وقام شان كاى شيك بحملات متكررة للقضاء على الشيوعيين الصينيين دون جدوى [٢].

ونتيجة للمد الشيوعى فى الصين توترت العلاقات بين حكومة الصين وبين روسيا الشيوعية ، فى الوقت الذى ازدادت فيه الانقسامات داخل الصين بين اليساريين (الشيوعيين) والوطنيين وعلى رأسهم السيدة «صن» أرملة الزعيم الراحل الدكتور (صن يات سن) ، بينما اشتدت سيطرة العسكريين اليساريين بمبادئهم : القومية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية ، وما لبثت بكين أن سقطت فى يد القادة العسكريين .

وكانت منشوريا والسكك الحديدية المارة بها سبب مشكلات دولية متعددة بسبب تشابك مصالح كل من الصين واليابان والروس هناك ففى أول يوم من عام ١٩٣٣م دخل جيش يابانى بصورة مفاجئة إلى الأراضى الصينية وهاجم مدينة «شانهيك وان» التى تقع على سور الصين العظيم من الجهة الصينية ثم تقدم الجيش اليابانى فى مقاطعة «جيهول» وأصبح على مقربة من بكين، ورغم إدانة عصبة الأمم للغزو اليابانى إلا أن الجيش اليابانى استمر فى تقدمه

١- بانيكار : المرجع السابق، ص٣٧٦ .

٢- نهرو : المرجع السابق، ص٣٧٦ .

بالأراضى الصينية حتى استولت اليابان على إقليم منشوريا ، واستمرت قواتها تهدد بقية بلاد الصين .

وكان استيلاد اليابان على إقليم منشورياالصينى وعجز عصبة الأمم عن اجلاء اليابان من هذا الإقليم ، سببا فى استمرار التهديدات اليابانية لأراضى الصين، حتى غزت القوات اليابانية الصين مع معارك الحرب العالمية الثانية .

عاشت الصين تحت السيطرة اليابانية أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية وكافح الوطنيون ضد الوجود اليابانى وفى مقدمة صفوف الجهاد كان اليساريون أو الشيوعيون بزعامة «ماوتسى تونج» و«شو اين لاى» حيث استمروا فى قيادة الحركة الوطنية- بعد استسلام اليابان - ضد الحكومة التى يتزعمها «شان كاى شيك» .

وفى أكتوبر عام ١٩٤٩م نجح الشيوعيون فى الصين فى السيطرة على مقاليد الأمور وطرد «شان كاى شيك» إلى جزيرة فورموزا أو «تايوان» ، وأعلنت جمهورية الصين الشعبية الماركسية النزعة فى بكين ، بينما صارت تايوان مقرا لجمهورية الصين الوطنية .

لقد كان لمساندة جيش الاتحاد السوفيتى للحركة الوطنية الصينية أثناء الحرب العالمية الثانية ضد اليابان أثره فى انتصار الجيش الشعبى الصينى، فى الوقت الذى ساندت فيه القوات الأمريكية قوات «شان كاى شيك» . وحين بدأ الصراع بين اليمين المدعوم من الولايات المتحدة واليسار المدعوم من الاتحاد السوفيتى بعد استسلام اليابان ، مالت كفة الصراع لصالح الجماهير التى اكتوت بحرب استمرت ثمانى سنوات ضد اليابانيين وسبقتها حرب أهلية استمرت ١٢ عاما .

ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية ساندت وبقوة حكومة بكين اليمينية ، فأن قوات التحرير الشعبية التى تسلمت من القوات السوفيتية غنائم الحرب اليابانية من الأسلحة دخلت مع حكومة بكين فى صراع مرير ، إلا أن الصراع انقلب إلى حرب أهلية انتهت بمعارك حاسمة عام ١٩٤٩ م ، لصالح الحزب الشيوعى الصينى ، حينما بدأت قوات جيش التحرير الشعبى فى ٢١ أبريل هجوما انتهى فى الخريف بالإطاحة بالحكومة اليمينية . وفى أول أكتوبر ١٩٤٩م أعلن فى ميدان «تيان إن من» فى بكين عن تكوين جمهورية الصين الشعبية .

لم يكن إعلان جمهورية الصين الشعبية ذات النهج الماركسى نهاية المطاف للصراع فى الصين، إذ قامت قوات الجيش الشعبى بمحاربة قطاع الطرق ومحاربة عناصر الثورة المضادة

ونجحت فى ذلك أوائل عام ١٩٥١م. ولقد مكن إنهاء الحرب الأهلية وتحطيم الثورة المضادة من انتقال حكومة الصين الشعبية إلى تكوين هيئات السلطة الشعبية المحلية وإلى حل المسائل الاقتصادية ، الملحة .

وكان الاتحاد السوفيتى أول من اعترف بجمهورية الصين الشعبية وأقام معها علاقات دبلوماسية وتم فى ١٤ فبراير ١٩٥٠م فى موسكو توقيع معاهدة للصداقة والتحالف والمساعدة المتبادلة بين الاتحاد السوفيتى وجمهورية الصين الشعبية . تلك المعاهدة التى فتحت الطريق أمام التعاون السياسى والاقتصادى والثقافى بين البلدين .

ولقد كان تنظيم الاقتصاد الجديد واحدا من أصعب المهام أمام حكومة الصين الشعبية ، بتحويل هذا النظام من نظام رأسمالى إلى نظام اشتراكى تكوّن فيه القطاع العام ، وخضوع كل الأنماط الاقتصادية الأخرى لرقابته ولنفوذه التنظيمى ، والقضاء على الملكية العقارية للأرض وتوزيع الأراضى على الفلاحين . وحتى نهاية عام ١٩٥٢م تمت إعادة بناء الاقتصاد على الأسس الاشتراكية حيث تم تحديد اتجاهين أساسيين فى السياسة الاقتصادية : تعميم وسائل الإنتاج ، وخلق القاعدة المادية التكنيكية للاشتراكية ، وذلك من خلال الخطة الخمسية الأولى «١٩٥٢-١٩٥٧» .

وفى الخطة الخمسية الثانية «١٩٥٧-١٩٦٢م» تم التركيز على التطور اللاحق للصناعة والتأكيد بشكل استثنائى على ضرورة التصنيع الاشتراكى وعلى مهمة إيجاد القاعدة المادية - التكنيكية للإشتراكية من خلال ثلاث خطط خمسية تقريبا . وأخذت الصين تطور صناعاتها ومصادر إنتاجها فى الزراعة والتجارة ، حتى زادت نسبة التنمية فى الاقتصاد الصينى عن ١٠٪ على الرغم من كثرة عدد السكان .

وكانت علاقات الصين بالقوى المختلفة متنوعة ، فمع أن الاتحاد السوفيتى كان السند الأول القوى لحكومة الصين الشعبية منذ قيامها عام ١٩٤٩م، إلا أن تلك العلاقات اضطربت منذ دعوة الزعيم الصينى «ماوتسى تونج» للثورة الثقافية فى السبعينيات من القرن العشرين ، وإن كانت بدأت فى التحسن فى التسعينيات بعدتفكك الاتحاد السوفيتى.

أما علاقة الصين بالولايات المتحدة الأمريكية فكانت سيئة منذ البداية لاختلاف النظم الاقتصادية والسياسة والاجتماعية بين البلدين اختلافا جذريا ، ولمساندة حكومة بكين للشيوعيين فى كوريا حتى قامت جمهورية كوريا الديموقراطية (كوريا الشمالية) ، ولمساندة

حكومة بكين كذلك للشيوعيين فى الهند الصينية وخاصة فى فيتنام ، مما دفع حكومة واشنطن إلى عدم الاعتراف بحكومة بكين واستخدمت «الفيتو» فى مجلس الأمن لمنع حكومة بكين من تبوأ مقعد الصين فى مجلس الأمن، ولمساندة الولايات المتحدة لحكومة جزيرة تايوان (فورموزا) ولكن هذه العلاقات تحسنت بزيارة الرئيس نكسون لبكين فى أوائل السبعينيات من هذا القرن.

وكانت مصر أول دولة عربية تعترف بحكومة جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٥٥م، وأخذت العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية تتطور بين البلدين ، وكانت الصين من أكبر الدول الآسيوية المؤيدة للقضايا العربية كقضية الصراع العربى الإسرائيلى، وقضية الاستقلال عن القوى الاستعمارية والرأسمالية . ومازالت العلاقات بين مصر وجمهورية الصين الشعبية تمثل نموذجا للعلاقات الطيبة بين قطرين من أقطار آسيا وأفريقيا .

الفصل الثانى

اليابان وكوريا

- نظرة جغرافية واجتماعية - نظرة تاريخية - عصر ماقبل النهضة - عصر النهضة (ميجى) - السياسة الخارجية - اليابان فى القرن العشرين - الحضارة اليابانية المعاصرة - أثر الدين فى المجتمع اليابانى - الاقتصاد وبناء اليابان كوريا .

أولاً : اليابان

يطلق اليابانيون على بلادهم اسم نيبون Nippon ومعناها أرض الشمس المشرقة ، ولذلك يضعون دائرة حمراء ترمز للشمس على علم بلادهم الوطنى . ذلك أن اليابان تقع فى أقصى شرق قارة آسيا .

وتتكون اليابان من مجموعة كثيرة العدد من الجزر من أهمها وأكبرها أربع جزر هى : جزيرة هونشو التى تبلغ مساحتها نصف مساحة كل الجزر اليابانية مجتمعة ، حيث يبلغ طولها ١٣٣٠ ميلا ومتوسط عرضها ٧٣ ميلا . وجزيرة شيكوكو ، وجزيرة كيوشو ، وجزيرة هوكيدو ، بالإضافة إلى آلاف الجزرالأصغر حجما ومعظمها صغير جدا .

ومعظم مساحة بلاد اليابان جبلية شديدة الانحدار ولاتزيد الأراضى السهلية فيها الصالحة للزراعة عن خمس المساحة ، ومعظم مساحة المناطق الجبلية عبارة عن تلال مكسوة بالغابات التى تحتوى على وديان ضيقة يسكنها اليابانيون ويزرعونها ، هذا إلى جانب وجود سلاسل من الجبال المرتفعة ، مثل جبال الألب اليابانية ومنها جبال فوجى التى تقع فى الجزء الأوسط من جزيرة هونشو ويبلغ ارتفاعها حوالى عشرة آلاف قدم .

وتعتبر اليابان من أكثر بلاد العالم تعرضا للزلازل بسبب البراكين النشطة وهذا يفرض على اليابانيين أنماطا معينة فى المساكن وفى النشاط الاقتصادى، وتوجد قليل من أحواض الأنهار وأوديتها فى المناطق الجبلية بالجزر اليابانية يفصل عن كل منها تلال وعرة وجبال يتعذر اجتيازها بسهولة ، ولعل هذه الطبيعة الجغرافية لليابان هى التى تفسر لنا لماذا خضعت اليابان فى العصور الوسطى للحكم الإقطاعى اللامركزى .

وتقع جزر اليابان فى المحيط الهادى بامتداده الشاسع وفى مواجهة أقطار شرق آسيا مثل روسيا وكوريا والصين ومنها هونج كونج . وهذا الموقع كان له أثره الكبير فى سياسة اليابان الخارجية خاصة فى القرنين التاسع عشر والعشرين كما كان للمناخ أثره فى نشاط السكان الاقتصادى والاجتماعى ، حيث أن المناخ معتدل فى معظم فصول السنة مع سقوط أمطار غزيرة ، وإن كان فصل الصيف تزيد فيه درجة حرارة الجو إلا أن الأمطار تلطف من درجة الحرارة المرتفعة .

ويسكن جزر اليابان عنصر الجنس الأصفر شأن شعوب أقطار شرق آسيا، وهم خليط من أجناس : المغول ، الإينو، الملايو، ومن الناحية الجسمية فاليابانى يتصف بأنه قصير القامة ، كما يتصف بالعيون السوداء والشعر الأسود الناعم والبشرة الصفراء . والشعب اليابانى المعاصر مزيج من الكوريين والصينيين إلى جانب المغول والإينو والملايو ، ولايتجلى هذا المزيج العنصرى فى مظاهر الخلقة فقط بل يتعداها إلى الحضارة واللغة اليابانية[1] .

ويمتاز أهل اليابان بالطاعة والولاء لحكامهم ولرجال الدين. وتسود الديانة البوذية بين اليابانيين وهى المهتمة بعبادة الطبيعة ، وقد تعددت مذاهب الديانة البوذية فظهر مذهب «جودو شينكو» الذى انتشر بسرعة بين اليابانيين لحماية البوذية من الإنهيار وهو يبشر بالجنة ويأتى انتشاره نتيجة للأثر الذى أحدثته صورة جهنم فى تعاليم بوذا الأولى. ومذهب «زن» الذى يعتقد أن كل شئ عدم . كما ظهر مذهب «الشنتو» وهو مذهب اليابان الحالى الذى هو مزيج بين البوذية و«الكونفوشية» ديانة الصين .

ومعظم نشاط اليابان الاقتصادى قبل عصر النهضة تركز فى الزراعة وخاصة زراعة الأرز وزراعة الشاى وصيد الأسماك ، كما ظهرت بعض الصناعات الخفيفة مثل صناعة الزجاج والخزف والأقمشة الحريرية والصناعات الخشبية المعتمدة على أشجار الغابات الكثيفة . ثم تطور هذا النشاط الاقتصادى فى اليابان لتصبح الآن أكثر بلاد العالم نشاطا اقتصاديا وصارت عملتها أقوى عملة فى العالم .. كيف حدث هذا التطور .. بالإدارة والإرادة: النظام السياسى والاقتصادى من ناحية وإرادة الشعب اليابانى فى البناء من ناحية أخرى .

١- تشستربين ، ترجمة حسين الحوت : الشرق الأقصى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص٢١٠ .

والأرض اليابانية حددت طبيعة تكوين الشعب الياباني ، حيث يعرف الإمبراطور بابن الشمس وممثل الآلهة الحي على الأرض ، كما أنه يمثل القانون ، وحوله طبقة نبلاء البلاط ، بينما كان في يد الطبقة النبيلة الثانية - وهي طبقة «الدايميو» المكونة من ٢٥٠ عشيرة السلطة والثروة المتمثلة في الأرض الزراعية والصناعات الريفية . وقد أتى «الدايميو» إلى السلطة «بالشوجون» منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وهو أشبه بالحاجب في البلاط، لكن له كل السلطات عدا الأمور الدينية ويورثها لأولاده ، ويقيم «الشوجون» في مدينة «بيدو» - طوكيو فيما بعد ، ويحكم بمساعدة مجلس الـ «باكوفو» المشكل من رؤساء العشائر [١].

ويتكون المجتمع الياباني من عدة طبقات ، ولكل طبقة مجلسها ورؤساؤها المنتخبون ومحاكمها الخاصة ، ومجموع الطبقات يكون نوعا من النظام الإقطاعي اللامركزي ، فهناك طبقة «الساموراي» وطبقة التجار وأصحاب المصانع (البرجوازية) وطبقة الفلاحين[٢]، وقد تأثر اليابانيون بحضارة الصين في الفنون والآداب وفن الحكم والدين والفلسفة لفترة كبيرة من تاريخهم [٣].

نظرة تاريخية

عصر ما قبل النهضة :

عاشت اليابان فترة العصور الوسطى وثلاثة قرون ونصف من العصر الحديث عصر عزلة إجبارية واختيارية . إجبارية عاشها شعب اليابان في ظل نظام حكم إقطاعي شديد الوطأة ، واختيارية بمعنى أن اليابانيين اختاروا عدم الاتصال بغيرهم من دول العالم في أوروبا بصفة خاصة خوفا من فرض السيطرة الأجنبية بعد أن علموا ما فعله البرتغاليون والأسبان وغيرهم بأقطار شرق آسيا .

وأطلقنا على هذه الفترة . عصر ما قبل النهضة، لأن النهضة اليابانية الحديثة ظهرت للوجود في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية منذ عام ١٨٦٨ م عندما

١- شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : تاريخ العالم ، دمشق ١٩٥٩ ، ص٤٠١ .

٢- نفس المرجع ص٤٠٢ .

٣- تشسترين : المرجع السابق، ص٢١ .

دخلت اليابان شكلا جديدا فى النواحى السياسية والتنمية الوطنية ، التى عرفت باسم عصر مايجى Meiji Restoration ، لقد كان الإمبراطور قبل عصر النهضة مجرد رئيس أو رمز للدولة، أما على يد ميتسوهيتو Mutsuhito فقد أصبح الإمبراطور رئيسا فعليا للبلاد حيث أخذ مكانه الصحيح . وكان عصر متسوهيتو (من عام ١٨٦٧-١٩١٢م) البداية الفعلية لإعادة ميلاد اليابان كأمة .

وبالنسبة لعصر ما قبل النهضة أو العصر الإقطاعى أو عصر العزلة ، فقد اتصف بعدة صفات جعلته يعرف بها وأهمها :

أولا : سيادة النظام الإقطاعى فى البلاد المتمثل فى تكوين المجتمع اليابانى من قبائل أو جماعات على رأسها الإمبراطور الذى كان رئيسا لأقوى قبيلة فى البلاد ، وتتوقف سلطته على قوة القبيلة التى ينتمى إليها ، بينما يتولى رؤساء القبائل الأخرى سلطات حكم لامركزية فى مقاطعتهم التى امتلكوها وطغت سلطة الإقطاعيين على سلطة الحكومة المركزية فى العاصمة ، حتى فاقت سلطتهم سلطة الإمبراطور نفسه وارتبط بالنظام الإقطاعى فى اليابان ظهور طبقة كبار موظفى الدولة وحكام المقاطعات وصغار الموظفين ، وقد أصبحت بعض تلك الوظائف وراثية فى أسر معينة فى الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى القرن التاسع عشر الميلادى . وفى الوقت الذى سيطرت فيه طبقة الإقطاعيين على نظام الحكم فى المقاطعات عن طريق استخدام القوة واعتمادهم على رجال مسلحين ، سيطرت طبقة كبار الموظفين فى العاصمة على الإمبراطور نفسه ، وبمرور الزمن ازدادت هاتان الطبقتان قوة ونفوذا .

ثانيا : ظهور العسكرية اليابانية والتى عرفت باسم «الساموراى Samurai » وهم أداة وعدة كبار الإقطاعيين فى مقاطعاتهم يمتهنون العسكرية دفاعا عن سادتهم وقد بدأ هذا النظام ينمو منذ القرن الثانى عشر الميلادى- حتى سيطر رجاله على أداة الحكم فى اليابان ، وتحولوا إلى طبقة مميزة لها طابعها وكيانها الخاص .

وفى عصر ازدهار الساموراى ظهر قادة عظام من بين هذه الطبقة ليحكموا اليابان كان أولهم «أوداتويوناجا» الذى استولى على عاصمة اليابان آنذاك مدينة «كيوتو» بدعوى مساندة آخر ملوك أسرة «أشيكاجا» الحاكمة، ثم تمكن من السيطرة على كل مناطق وسط اليابان وأخضع زعماء الديانة البوذية لسطوته . وخلفه عام ١٥٨٢م أكفأ قادته العسكريين

ويدعى «هايديوشى» الذى نجح فى بسط سيطرته على كل أنحاء اليابان بعد أن نجح فى القضاء على جميع منافسيه من الحكام وإرغامهم على الخضوع لسيطرته [١].

ومع تركيز السلطة فى يد «هايديوشى» فإنه عمل على تقوية الطبقة العسكرية التى هو منها وأعنى «الساموراى» الذين امتهنوا الحياة العسكرية ، وأصبحوا يتقاضون عنها رواتب ثابتة بعد أن كانوا يمنحون إقطاعيات زراعية صغيرة ، ومن ثم انتقلوا من الإقطاعيات الزراعية التى كانوا يعيشون فيها إلى الحياة فى المدن وفى القصور والقلاع الخاصة بسادتهم من كبار ملاك الأراضى الزراعية .

وجاء بعد «هايديوشى» عام ١٦٠٠م القائد «توكوجاوا إياسو» الذى كان على رأس أتباع «هايديوشى» ، وكان يعيش فى إقطاعية زراعية منحها له «هايديوشى» فى مدينة «إيدو» التى صارت بعد ذلك باسم «طوكيو» العاصمة اليابانية الحالية ، وبدلا من أن يتقدم «توكوجاوا إياسو» للإقامة بالعاصمة آنذاك مدينة «كيوتو» ظل يحكم اليابان من مقره بمدينة «إيدو» وبذل كل جهده لتثبيت أسرته فى حكم اليابان وتكريس نفوذها وسيادتها على أسس النظام الذى وضعه سلفه «هايديوشى» [٢]. وقد استمر ورثته يحكمون البلاد منذ ذلك الوقت حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ولذلك يطلق على هذه الفترة الطويلة من تاريخ اليابان بعصر «توكو جاوا» الإقطاعى .

وخلال تلك الفترة الطويلة من الحكم ، حكم اليابان الموظفون الإداريون ومجموعات الساموراى العسكرية التى مارست سلطاتها كاملة داخل كل مقاطعة بتنفيذ القرارات الجماعية. ورغم ذلك فأن طول فترة الحكم وسيادة السلام أدت إلى تعرض طبقة الساموراى العسكرية لتغييرات كبيرة من خلال النظم السائدة فى اليابان آنذاك وهى نظم محافظة تقليدية. وكانت طبقة الساموراى تمثل ٦٪ من مجموع سكان اليابان ، وقد تحولت إلى الحياة المدنية بعد أن هجرت الحياة العسكرية وأصبحت طبقة متعلمة تسعى لاكتساب العلم والخبرة المدنية أكثر من كونها طبقة قتالية .

ثالثا : يعتبر الشعب اليابانى من أكثر الشعوب تمسكا بالدين وخاصة الديانة البوذية الممتزجة بفلسفات عبادة الطبيعة، ومن المعروف أن الديانة البوذية عبرت إلى الجزر اليابانية

١- أدوين رايشاور ترجمة ليلى الجبالى : اليابانيون ، الكويت١٩٨٩ ، ص٩٤ .

٢- نفس المرجع ونفس الصفحة .

قادمة من قارة آسيا فى العصور الوسطى ، وكانت البوذية آنذاك مغرقة فى الفلسفات والغيبيات إلى حد جعلها غير مفهومة إلا بصعوبة بالنسبة للشعب اليابانى الذى كان مغرقا فى قصص الأساطير والخيال الدينى فى عصر الآلهة [١].

وكان للديانة البوذية رهبان زادت سطوتهم فى العصور الوسطى وقد اصطدم بهم القائد العسكرى حاكم اليابان فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى المسمى «أودا تويوناجا» وقضى على سلطتهم . ومع ذلك فإن سيطرة البوذية فى اليابان لم تمنع اعتناق أعداد لا بأس بها من اليابانيين الديانية المسيحية التى وفدت مع رجال الدين المسيحيين الذين صحبوا الكشف الجغرافى والاستعمار فى القرن السادس عشر وما يليه من قرون .

فقد جاء مع البرتغاليين الأوائل القادمين للجزر اليابانية من أجل التجارة رجال دين يسوعيون مارسوا نشاطا تبشيريا بمجرد استقرارهم فى اليابان ، وقد نجحوا فى تنصير حوالى نصف مليون مواطن يابانى حتى أوائل القرن السابع عشر [٢]. وحيث أن عملية التنصير إحدى مهام الدولة فى البرتغال تتولاها بمواردها المالية ، ساد فى اليابان الخوف من أن تكون الكنيسة المسيحية التى أقيمت فى الجزراليابانية طليعة الغزو الأجنبى[٣]. وقد تعاظم بالفعل دور المبشرين داخل اليابان وخاصة بعد أن لقيت البعثات التبشيرية الترحيب فى عصر «أوداتويو ناجا» وخوفامن جلب الكوارث على البلاد استطاعت حكومة اليابان فى عهد «هايديوشى» القضاء على سطوة المبشرين .

رابعا : تعرضت الجزر اليابانية لرياح التغيير الوافدة من أوربا ابتداء من القرن السادس عشر الميلادى مع رحلات الكشف الجغرافى، على الرغم من العزلة التى ارتضتها اليابان منهجا لسياستها الخارجية . وكان أول اتصال بين الجزر اليابانية وأوروبا مجئ رحلة كشف برتغالية عام ١٥٤٢ م إلى جزيرة تقع عند الطرف الجنوبى من «كيوشو» ، وكان أول من نزل على تلك الجزيرة هما «أنطونيو دى مونورفرا» و«فرنسيسكو زيمورو»[٤] وجاء نزول هؤلاء فى

١- تيدمان آرثر : اليابان الحديثة ، ص٢ .

٢- أدوين رايشاور : المرجع السابق ص٩٣ .

٣- تيدمان آرثر : المرجع السابق ، ص٩ .

٤- سردار بانيكار : ترجمة : عبد العزيز جاويد : اسيا والسيطرة الغربية ص٨٣ .

وقت اشتعلت فيه الحرب الأهلية بين الاقطاعيين وتطلع المتقاتلون إلى الأسلحة النارية التى أحضرها معهم البرتغاليون ، وبدأ التعامل بين زعماء الإقطاعيات اليابانيين وبين الوافدين البرتغاليين لشراء الأسلحة البرتغالية بواسطة المبشرين القادمين مع الرحلات البرتغالية ، والذين يرجع إليهم الفضل فى إدخال المعارف الأوروبية إلى اليابان .

وورث الهولنديون اتصالات البرتغاليين بالجزر اليابانية ، حيث احتل التجار والمبشرون الهولنديون موقع البرتغاليين فى السيطرة على المناطق التجارية فى شرق آسيا ومنها اليابان . وجاء دور الأسبان المرتكزين فى جزر الفلبين والمتطلعين إلى التجارة ونشر المسيحية بين شعوب شرق اسيا، ولم يمانع «هايديوشى» حاكم اليابان الدخول فى مفاوضات مع الأسبان لعقد صفقات تجارية ، إلا أنه توجس خيفة من تدفق الأسبان وخطرهم، ولذلك مالبث أن أمر باعتقال جميع الأسبان على الأرض اليابانية وصلبهم فى مدينة «نجازاكى» بتهمة الجاسوسية [1].

واستمرت علاقات اليابان بالقوى الأوروبية عن طريق التجار والمبشرين ، ففى عام ١٦١١م سمحت حكومة اليابان للهولنديين ببناء دار أو وكالة تجارية بمدينة «هيرادر» كما سمحت للبرتغاليين بالقيام بنشاط تجارى فى مدينة نجازاكي، ولكن تحت شرط عدم البقاء للإقامة فى اليابان لأى أوروبى أكثر من سنة ، وعدم اصطحاب زوجته أو أية امرأة أوروبية للإقامة معه فى اليابان . وما دفع اليابانيين إلى استمرار الصلات مع القوى الأوربية المختلفة- رغم سياسة العزلة اليابانية- هو حاجة اليابانيين إلى منتجات أوروبا وأهمها الأسلحة النارية كالبنادق والمدافع بالإضافة إلى بعض الملابس والأدوات التى تستخدم فى الحياة اليومية عند اليابانيين، والتى لاتتوفر لديهم ولاينتجونها .

وقد تجلى حذر اليابانيين من الاتصال بالقوى الأوروبية الوافدة إلى شرق اسيا فى حرمان الأوروبيين من كل فرصة للحصول على موضع قدم فى الأرض اليابانية ، ومنع اليابانيين من الاتصال بالأوروبيين مالم يكن هذا الاتصال تحت رقابة الحكومة اليابانية ، وارسال جاسوس يابانى عام ١٦١٥ م إلى جنوب شرق آسيا لمتابعة نشاط الأسبان هناك والذين يملكون قوة بحرية كبيرة يمكن أن تهدد اليابان ، وصدور قرار من حكومة اليابان عام ١٦٢٣م بمنع اليابانيين الذين يعيشون فى بلاد ما وراء البحار من العودة إلى بلادهم خشية أن ينشروا «جرثومة» المسيحية فى اليابان .

١- المرجع السابق ، ص٨٥ .

وطوال القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر استمرت اتصالات اليابان بالدول الأوروبية محدودة رغم المحاولات المستميتة للأقطار الغربية لفتح منافذ للتجارة مع اليابان . فقد اقتصرت علاقات اليابان بالعالم الخارجى على اتصالات محدودة بكل من كوريا والصين عبر ميناء «أوكيناوا» وكذلك بعض الاتصالات البسيطة مع الهولنديين عن طريق نفس الميناء وميناء «نجازاكى»[١].

وفى نفس الوقت اتخذت حكومة اليابان إجراءات صارمة ضد التجار والمبشرين الأوربيين فتم طرد الرعايا الأسبان من الجزر اليابانية عام ١٦٢٤ م والرعايا البرتغاليين عام ١٦٣٨ م . وفى عام ١٦٤٠ م أوفدت البرتغال بعثة تطلب استئناف العلاقات التجارية مع اليابان ، ولكن البعثة قوبلت بالرفض وأكدت حكومة اليابان عزمها على التخلص من التجار البرتغاليين باعدام ٦١ عضوا من أعضاء هذه البعثة [٢]. ومنذ ذلك التاريخ أصبح التجار اليابانيين مع الأوروبيين يكاد يكون معدوما . فتجمدت الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية على ما كانت عليه بواسطة تلك القيود والضوابط التى فرضت على البلاد ، واعتقد الحكم فى اليابان أن هذه الإجراءات بعيدة عن عيون دول أورورباالغربية[٣].

اطمأن الحكم فى اليابان لمدة قرن من الزمان أو يزيد قليلا على إجراءات دفع رياح التغيير الأوروبية من أن تهب على اليابان فتغير من عزلتها ومن تقاليدها المتوارثة المحافظة ، ولكن العالم الخارجى لم يترك اليابان فى عزلتها ، فبدأت محاولات قوى أخرى كثيرة منها روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. فقد حاولت روسيا خلال الفترة من عام ١٧٧١ وحتى عام ١٨٤٧م فتح منافذ للتجارة مع اليابان ولكن دون جدوى بسبب الرفض المتكرر للطلبات الروسية أعوام ١٧٧١، ١٧٧٨ ، ١٧٩٢ ، ١٨٠٨ ، ثم انشغلت روسيا بالحروب النابليونية فى أوروبا حتى عام ١٨٤٧م عندما تم تعيين «نيقولا مورا فييف» حاكما عاما لشرق سيبيريا وهو معروف بسياسته التوسعية .

وما يلاحظ على المحاولات الروسية للاتصال باليابان أنها كانت تهدف إلى السيطرة فى نهاية الأمر على جزر «سخالين» و«كوريل» و«إيزو» وهى الجزر الشمالية لليابان ، وقد فرض هذا على الحكم فى اليابان تقوية الدفاع عن المناطق الشمالية وإرسال بعثة عام ١٨٠٨ م

١- أودين رايشاور : المرجع السابق، ص٩٨ .

٢- تيدمان آرثر : المرجع السابق ، ص٩ .

٣- د. رؤف عباس : المجتمع اليابانى فى العصر الميجى ، ص١٨ .

لاستكشاف شرق سيبيريا والتعرف على جزيرة سخالين ، ورغم تلك المعلومات التى حصلت عليها البعثة اليابانية إلا أن الحكومة اليابانية لم تتخذ أية خطوة أبعد من ذلك .

وعندما ظهرت الأطماع البريطانية فى الصين وهزيمة الصين فيما عرف بحرب الأفيون على يد القوات البريطانية ، تطلع البريطانيون نحو الجزر اليابانية لفتح منافذ للتجارة ، وفى المقابل عززت حكومة اليابان قوتها العسكرية تحسبا للمطامع البريطانية المتزايدة فى المنطقة ، وكانت قد اتخذت قرارا عام ١٨٢٥م بمنع السفن الأجنبية من الاقتراب من الشواطئ اليابانية[١] .

أما الولايات المتحدة الأمريكية التى تطل سواحلها الغربية على المحيط الهادى ولها أطماعها الاقتصادية والاستراتيجية فى هذا المحيط ، فقد نشطت سفن صيد الحيتان التابعة للأمريكيين فى العمل فى المياه الغربية من الجزر اليابانية وكثيرا ما كانت هذه السفن تلجأ للموانى اليابانية مضطرة بسبب العواصف أو الحاجة للمؤن ، ونتيجة للموقف اليابانى من الأجانب كان البحارة الأمريكيون يتحملون الاجراءات الصارمة المفروضة ضد الأجانب ، مما دفع الحكومة الأمريكية إلى الدخول فى مفاوضات لعقد اتفاقية تجارية مع حكومة اليابان ، وبالفعل نجحت الولايات المتحدة فى ذلك الوقت الذى فشل فيه غيرها .

فقد تطورت العلاقات بين حكومة اليابان والولايات المتحدة الأمريكية تطورا سريعا انتهى بما عرف بعصر النهضة وانتهاء العزلة فى اليابان واستغرق ذلك حوالى ثلاثين سنة من عام ١٨٣٧ م حتى عام ١٨٦٨ م، استطاعت الولايات المتحدة خلالها من جر اليابان إلى إقامة علاقات تجارية وقنصلية معها ومع غيرها من الدول الأوروبية . فيشهد عام ١٨٣٧ م وصول سفينة تجارية أمريكية إلى الجزر اليابانية ولكنها ردت على أعقابها بسبب رفض اليابان ، وفى عام ١٨٤٦ م أرسلت الحكومة الأمريكية سفينتان حربيتان إلى اليابان بقيادة «الكومودور جيمس بيدل» ولكنه فشل فى تحقيق مسعاه بالطرق السلمية [٢].

وفى عام ١٨٥٣م وصلت إلى ميناء «إيدو» أربع بوارج حربية أمريكية ، متجاهلة تحذيرات قوارب الحراسة اليابانية ، وتقدم القائد الأمريكى للحملة الكومودور «ماثيوبيرى» برسالة من الرئيس الأمريكى «ميلارد فيلمور» إلى حكومة اليابان تتضمن عدة مطالب أهمها ضمان المعاملة الإنسانية الكريمة للتجار الأمريكان الذين تتحطم سفنهم أمام الشواطئ اليابانية ، ورفض الانسحاب من المياه الإقليمية اليابانية قبل أن يحصل على رد حكومة اليابان [٣]،

١- د. رؤوف عباس : المرجع السابق، ص٤٠ .

٢- د. رؤوف عباس : المرجع السابق، ص٤١ .

٣- جاى ونت : أضواء على آسيا ، ص٥٠ .

ثم أقلعت حملة «ماثيوبيرى» بعد أسبوع من بقائها بميناء «إيدو» بعد أن أخذ القائد الأمريكى وعدا من حكومة اليابان بالرد على رسالة الرئيس الأمريكى عند عودة «ماثيوبيرى» فى الربيع القادم ، على أن يسمح للسفن الأمريكية بدخول موانى اليابان للتزود بالطعام والوقود ، وقيام علاقات تجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان [١].

وفى فبراير ١٨٥٤ م عاد «ماثيوبيرى» القائد الأمريكى على رأس أسطول حربى مكون من ثمانى سفن لاستلام الرد على رسالة الرئيس الأمريكى ، ولكنه قدم إنذارا لحكومة اليابان إما الموافقة على عقد معاهدة يابانية أمريكية أو الحرب بين الطرفين وهو مستعد لها بأسطوله[٢].

ورغم أن الحكومة اليابانية عاشت خلال الفترة الممتدة بين زيارة ماثيوبيرى الأولى وزيارته الثانية فى استطلاع رأى القوى الاجتماعية والسياسية فى اليابان كالاقطاعيين وطبقة الساموراى وكبار الموظفين ، فإنها رضخت أخيرا للمطالب الأمريكية حيث تم عقد معاهدة يابانية أمريكية فى ٣١ مارس ١٨٥٤م .

ونصت هذه المعاهدة المحدودة على فتح ميناءين يابانيين أمام التجار الأمريكيين وهما ميناء «هاكوداتى» وميناء «شيمودا» وقيام تمثيل قنصلى للولايات المتحدة ومراعاة معاملة البحارة الأمريكيين معاملة كريمة خاصة أولئك الذين تتحطم سفنهم أمام الشواطئ اليابانية ومعاملة اليابان للولايات المتحدة معاملة الدولة الأولى بالرعاية .

ونتيجة لهذه المعاهدة المحدودة بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية نجحت كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا وروسيا فى عقد معاهدات شبيهة بها ورغم ذلك فقد ظل الأجانب يخضعون لرقابة شديدة من الحكومة اليابانية لمنع الاتصال بينه وبين عامة الشعب اليابانى [٣]. وبهذه المعاهدات بدأت علاقات تجارية غير متكافئة بين اليابان وتلك الدول، علاقات تحققت فيها مصلحة الدول الأجنبية الاستغلالية على حساب اليابان [٤].

ولم تتوقف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى علاقاتها الاقتصادية والقنصلية مع اليابان عند هذه المعاهدة المحدودة ، بل سعت إلى توسيع المعاهدة لتشمل مجمل العلاقات

١- ناجلى متشيو : الثورة الإصلاحية فى اليابان ص١٥ .

٢- سردار بانيكار : ترجمة عبد العزيز جاويد : المرجع السابق، ص٢١٤ .

٣- تيدمان آرثر : المرجع السابق ، ص١٤ .

٤- أدوين رايشاور : ترجمة ليلى الجبالى : المرجع السابق ، ص١١٠ .

الاقتصادية والقنصلية بين البلدين ، وبالفعل نجح المبعوث الأمريكى «تاونسند هارس» الذى وصل إلى اليابان فى أغسطس عام ١٨٥٦ فى الوصول إلى بنود جديدة للمعاهدة اليابانية الأمريكية تمثلت فى حق الإقامة للأمريكيين فى مدن «شيمودا» و«هاكوداتى» ، وحق التجارة فى «نجازاكى» ، وحق التغلغل فى البلاد ، وذلك فى يونيه عام١٨٥٧ م ، ثم نجح فى توسيع المعاهدة أكثر فى شهر فبراير ١٨٥٨ ، سمحت بموجبها اليابان للولايات المتحدة تعيين وزير مفوض لها فى «إيدو» والموانى المفتوحة ، كما سمحت للبحرية الأمريكية بانشاء مستودعات للتموين فى كل من «يوكوهاما» و«هاكوداتى» و«نجازاكى» ، وقد صدقت حكومة اليابان على هذه المعاهدة فى شهر يوليو من نفس العام .

وكان للمعاهدة الأمريكية اليابانية عدة نتائج أهمها :

١- حصول كل من بريطانيا وفرنسا على معاهدات مماثلة مع اليابان ، ومن ثم أصبح لكل دولة أساطيل تبحر فى المياه الاقليمية لليابان وفى موانيها دون خطر أو حظر .

٢- ظهور شعور كراهية أشد للأجانب بين اليابانيين ، وكانت طبقة الساموراى أشد الكارهين للوجود الأجنبى على أرض اليابان واتخذوا لهم شعارا هو : مجدوا الامبراطور واطردوا البرابرة (أى الأجانب) . وظلت روح الكراهية للأجانب قائمة حتى عام ١٨٦٤م حينما تعاملت الأساطيل الغربية مع الموانى اليابانية بالضرب بالمدفعية لإرغام اليابانيين على إنهاء اضطهاد وقتل الأجانب وطردهم من البلاد وإحراق ممتلكاتهم ومفوضياتهم .

٣- حدوث اضطراب فى السوق التجارى اليابانى نتيجة إغراقه بالمنتجات الأجنبية التى أثرت على مكانة المنتجات الوطنية ، مما زاد من كراهية اليابانيين للأجانب وسرت دعوة لمقاطعة البضائع الأوروبية وتشجيع الصناعات الوطنية واتجه معظم الشعب اليابانى للالتفاف حول الإمبراطور رمز الوحدة الوطنية منادين بمواجهة التهديد الخارجى وعدم فتح منافذ البلاد أمام الأجانب .

٤-أرغمت اليابان على قبول الوجود الأجنبى على أراضيها وعلى الامتيازات التى فرضوها على الحكومة اليابانية ، بعد أن تعرضت الموانى اليابانية لضربات مدفعية الأساطيل البريطانية - حيث دخلت فى شهر أغسطس ١٨٦٣ وحدات بحرية بريطانية إلى خليج «كاجوشيما» وضربت المدينة- والأساطيل الأمريكية والمشتركة والتى دمرت فى شهر سبتمبر ١٨٦٤ م قلاع «شوشو» وهدمتها عن آخرها[1] .

١- د. رؤوف عباس : المرجع السابق ، ص٧ .

٥- ظهور مصلحين مجددين فى المجتمع اليابانى يطالبون بإنهاء العزلة والأخذبأساليب الحضارة الغربية ، فى مواجهة المحافظين الانعزاليين ، فبينما رفع المجددون الإصلاحيون شعار: دولة غنية وجيش قوى ، وأن الأفكار القديمة القائلة بضرورة إغلاق منافذ البلاد فى وجه الأجانب لم تعد صالحة [١]، نجد المحافظين يرفعون شعار المجد للامبراطور ، أى إحياء النظام الإمبراطورى القديم ومواجهة الأجانب ، وقد ظل الصراع قائما بين الطرفين حتى دخلت قوات الجيش الجديد المؤيد للإصلاح مدينة «أيدو» العاصمة فى ٥ أبريل ١٨٦٨ م وبذلك يبدأ عصر النهضة .

٦- كان الضغط الغربى على اليابان إلى جانب ما عرفه اليابانيون من معلومات جديدة عن العالم الخارجى (الأوربى) كان المحرك الأساسى لتطور اليابان والوصول بها إلى مرحلة النهضة، ولاننسى أنه فى أثناء فترة العزلة ظلت طبقة من علماء اليابان مطلعة اطلاعا كبيرا على الحياة فى الغرب، وكانت هذه الطبقة وماحصلت عليه من معارف إحدى الوسائل التى ساعدتهم لتجاوز التخلف إلى النهضة ، وقد حصلوا على كثير من المعارف من الكتب الهولندية التى حملها لهم التجار والمبشرون [٢].

عصر النهضة أو عصر مايجى

انتقلت اليابان من العصر الاقطاعى إلى عصر النهضة نتيجة توفر عدة عوامل أهمها ما يلى :

أولا : ظهور مصلحين مجددين من أبناء اليابان ينادون بأساليب الحضارة الأوربية الحديثة ويطالبون بانهاء عصر العزلة الاختيارية التى فرضها اليابانيون على أنفسهم .

ثانيا : إيمان جماعات ضغط يابانية بأن إغلاق اليابان فى وجه الأوروبيين سياسة خاطئة ، كما أن الاعتداء على الأجانب المقيمين على الأرض اليابانية ليس له ما يبرره طالما أن هؤلاء الأجانب لايسيئون إلى اليابان .

ثالثا : حدوث الضغط الأوروبى على أقطار شرق آسيا ومحاولة الامتداد لليابان كان له تأثيره فى إقناع اليابانيين بضرورة الانفتاح على أساليب الحضارة الأوروبية بارادتهم وليس كرها منهم .

١- ك . م . بانيكار : ترجمة عبد العزيز جاويد : المرجع السابق، ص٢١٥ .

٢- جاى ونت : المرجع السابق ، ص٥١ .

رابعا : رغم أن بريطانيا مارست سياسة استعمارية قاسية ضد الصين فيما عرف بحرب الأفيون . فإن الولايات المتحدة أثناء اتجاهها إلى أقطار الباسفيكى سعت إلى تحقيق سياسة الباب المفتوح أمام التجارة الأمريكية فى أقطار شرق آسيا ، وقد نجحت مع اليابان حيث فشلت بريطانيا وغيرها مع اليابان .

خامسا : أن الانتقال من عصر الاقطاع إلى النهضة فى اليابان اعتمد على تحديث التعليم على النسق الأوروبى، كما امتد ليشمل الحياة النيابية كرمز للديموقراطية الغربية ، ويشمل الأخذ بالتكنولوجيا الأوروبية فى مجال الصناعة .. الخ . ولذلك جاءت قرارات الإمبراطور فى ربيع (مارس- أبريل) عام ١٨٦٨م محذرا الشعب اليابانى من الإساءة للأجانب ، وأن يطيع أوامر الإمبراطور فى كل صغيرة وكبيرة .. وبذلك تركزت السلطة فى يد الإمبراطور ورجال الاصلاح المتأثرين بالفكر الأوروبى .

وتمثلت النهضة اليابانية الحديثة فى عصر «مايجى» فى التعليم الحديث وفى النظم السياسية والاجتماعية المتأثرة بالنسق الأوروبى ، وسوف نحدد مظاهر النهضة فى هذه المجالات على النحو التالى :

أ- التعليم الحديث :

تمثلت النهضة التعليمية باليابان فى ثلاثة اتجاهات هى :

١- الاتجاه الأول : وقد تمثل فى الاستعانة بالعلماء والمعلمين الأوروبيين سواء كانوا أعضاء البعثات التبشيرية أو العلماء المتخصصين فى اللغات الأوروبية وخاصة اللغتين الهولندية والإنجليزية . فعندما أمر الإمبراطور رعاياه فى مرسوم القسم عام ١٨٦٨م أن يطلبوا المعرفة فى كل مكان تدفقت أعداد من العلماء الأوروبيين إلى اليابان ، ودعى إلى اليابان الخبراء الفنيون من كل الدول المتقدمة حيث وضعوا موضع الترحيب . وقد حملت السفن القادمة إلى اليابان مئات المعلمين والمستشارين والفنيين الأجانب ، وقد حصل هؤلاء الخبراء الأجانب فى مجال التعليم على ما يوازى ٣٠٪ من ميزانية وزارة التعليم اليابانية إلى جانب المبعوثين فى الخارج .

٢- الاتجاه الثانى : فى النهضة التعليمية وتمثل فى ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة اليابانية وإنشاء المدارس الحديثة ، ويرجع الفضل الأول فى هذا السبيل إلى خبير أمريكى

يسمى «ماريون سكوت» Marion Scott أنشأ مدرسة للمعلمين للعمل بالمدارس الحديثة فى اليابان واستعان بكتبه التى تحمل أفكاره وغيرها من الكتب الأمريكية بصفة خاصة والأوروبية بصفة عامة التى ترجمت إلى اللغة اليابانية ، وكانت أهم الكتب التى نقلت العلم إلى اليابانيين مؤلفات كل من جان جاك روسو ، وهربرت سبنسر ، وهيوم، ودستوفسكى ، وتولستوى، ورولان ومكسيم جوركى ، الذين ساعدت أفكارهم فى زيادة وعى اليابانيين بأحوال العالم المحيط بهم.

٣- إرسال البعثات اليابانية إلى الدول الأوروبية المتقدمة لينهل أفرادها من العلوم الحديثة، وكانت وزارة التعليم تدقق فى اختيار أعضاء البعثات من أفضل العناصر الوطنية ، وكانت معظم هذه البعثات يتم إرسالها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وإلى بعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا ، وعندما شعر قادة الإصلاح اليابانى أن أساليب التربية الألمانية التى تركزت على الجوانب الخلقية التى تؤمن بأن هدف التعليم خلق الإدارة المستنيرة التى تميز بين الصواب والخطأ هو ما يناسب الطبيعة اليابانية الاجتماعية ، بدأت المناهج الألمانية تحل محل المناهج الأمريكية على يد أعضاء البعثات اليابانيين [١].

ونتيجة لتوفر العناصر الثلاثة : الاستعانة بالعلماء والخبراء الأجانب ، وترجمة الكتب الأوروبية ، وإرسال البعثات إلى الدول الأوروبية المتقدمة، نهض التعليم فى اليابان فى عصر «مايجى» فى شتى نواحيه ، حيث أنشئت المدارس الابتدائية والمدارس المتوسطة حتى التعليم الجامعى، وقسمت البلاد إلى ثمانية مناطق تعليمية بكل منها ٣٢ مدرسة متوسطة و ١١٠ مدرسة ابتدائية ، بالإضافة إلى مدرسة لإعداد المعلمين الوطنيين التى أنشئت بمعاونة خبير التعليم الأمريكى «ماريون سكوت» وتم إنشاء مدارس لتعليم البنات ، وأرسلت الحكومة اليابانية بعثة من خمس فتيات إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعند عودتهن عام ١٨٧٢م تم إنشاء العديد من مدارس البنات .

أما عن التعليم الجامعى فى اليابان ، فقد ظهرت منذ بدء النهضة فى العصر المايجى عدة معاهد وكليات عليا ، حتى كان عام ١٨٧٧م حيث تجمعت هذه المعاهد والكليات فيما عرف بجامعة طوكيو الإمبراطورية، وضمت كليات الآداب والعلوم والحقوق والطب والهندسة .

١- د. رؤوف عباس : المرجع السابق ، ص٧٩ .

ثم افتتحت عام ١٨٩٧م جامعة «كيسوتو» ، وفى عام ١٩٠٠م تأسست أول كلية للبنات لتعليم اللغة الانجليزية ، وفى نفس العام أدارت الدكتورة «يوشيوكايابوى» كأول طبيبة يابانية ، أول كلية طب للنساء .

واتسم التعليم فى بداية عصر النهضة بالإغراق فى التأثير الأوروبى ، ولكن مع مرور الوقت بدأ اليابانيون يشعرون بالحنين إلى ثقافة وطنهم ، ومن ثم اتجه التعليم فى النصف الثانى من عصر «مايجى» إلى الطابع اليابانى ، وأصبحت جميع المواد الدراسية تتم دراستها باللغة اليابانية [١]، وأخذت الجامعات اليابانية تدفع بالمعلمين اليابانيين ليحلوا محل المعلمين الأجانب.

وبذلك طورت اليابان نظامها التربوى واتجهت إلى الاهتمام بشئون العلم والتكنولوجيا التى أتاحت للدول الأوروبية أن تصير قوى عالمية حديثة وكبيرة ، وبذلك استطاعت اليابان فى زمن قصير أن تسد الفجوة التى كانت تفصل بينها وبين الدول الأوروبية فى مجال العلم [٢].

ب- النظام السياسى :

اشتمل النظام السياسى اليابانى فى عصر النهضة على تغييرات فى جميع نواحى الحياة السياسية متأثرة بالنظم السياسية الأوروبية خاصة الألمانية والبريطانية والفرنسية ، وهذه التغييرات تمثلت فى تشكيل أول مجلس وزراء ، ووضع دستور وحياة نيابية برلمانية وتشكيل أحزاب سياسية .

جاء ظهور الوزارات على النسق الأوروبى فى بداية العصر الميجى، فأنشئت وزارة المالية ووزارة الجيش ووزارة البحرية ، وهاتان الوزارتان العسكريتان أصبحتا فى عام ١٨٧٩ م تماثلان هيئة أركان حرب فى النموذج الألمانى ، ووزارة التعليم العالى التى وضعت تخطيطا لبرنامج طموح للتعليم العالى [٣].

ومالبث مجلس الوزراء أن تشكل بكامله فى إطار النظام السياسى فتحددت الاختصاصات لكل وزير فى وزارته وزيد عدد الوزارات لتصبح تسع وزارات هى الخارجية والداخلية والمالية

١- ناجاى متشيو : الثورة الإصلاحية فى اليابان ص١٧٥ .

٢- سردار بانيكار : مشكلات الدول الآسيوية والأفريقية ، ص٨٤ .

٣- أدوين رايشاور : اليابانيون ، ص١١٥ .

والحربية والبحرية والعدل والتعليم والزراعة والتجارة والمواصلات بالإضافة إلى رئاسة الوزراء ، وأصبح «إينوهيرويومى» رئيسا لأول مجلس وزراء حديث على النسق الألمانى ، باعتباره صاحب هذا النظام السياسى ، وكان وزراء حكومة «إينوهيريومى» جميعا من أبناء مقاطعتى «ساتسوما» و«تشوشو» اللتين كانتا أول مناطق اليابان احتكاكا بالحضارة الأوروبية الحديثة ، كما كانوا من طبقة «الساموراى» الذين شاركوا فى وضع النظام الميجى .

واستكمالا للنظام السياسى الذى وضعه «إينوهيرويومى» ظهرت هيئة النبلاء على النسق الألمانى حيث ضمت خمس مراتب هى : الأمير ، الماركيز، الكونت ، الفسكونت ، البارون، ووجد مجلس دولة على النسق الألمانى أيضا ، ومن ثم حدث الفصل بين الشئون العامة للدولة وشئون البلاط الإمبراطورى .

وكان صدور الدستور اليابانى فى ١١ فبراير ١٨٨٩م خاتمة جهود بذلها «إينوهيرو» وبمتابعة من الإمبراطور، حيث تشكلت لجنة بناء على قرار الإمبراطور فى سبتمبر ١٨٧٦ م لدراسة النظم الدستورية الأوروبية الحديثة والعمل على وضع مشروع للدستور اليابانى ، وفى عام ١٨٨١م أعلن الإمبراطور عن عزمه على إقامة برلمان على النسق الأوروبى، وقد اكتسبت اليابان منذ هذا التاريخ وبناء على وعد الإمبراطور احترام الدول الغربية الذى كانت اليابان فى حاجة إليه للتخلص من المعاهدات غير المتكافئة التى فرضت عليها ، فضلا عن حاجتها لتوسيع قاعدة الحكم [١].

وقد سبق إصدار الدستور إقامة مجلس نيابى عرف بمجلس الشيوخ عام ١٨٧٥م تولت الحكومة اليابانية تعيين أعضائه ، وقامت لجنة شكلها «إينوهيرو» بمهمة إعداد مشروع الدستور تنفيذا لقرار الإمبراطور ، وبدأت هذه اللجنة عملها منذ تشكيلها فى مارس ١٨٨٤م، وخلال عامى ١٨٨٦م و١٨٨٧م واصلت اللجنة عملها فى سرية تامة مستعينة بخبرة الدكتور «هرمان روسلر» أستاذ القانون الدستورى الألمانى . حتى أعلن الدستور فى حفل حضره ممثلو الدول الأجنبية .

وقد نص الدستور اليابانى بالنسبة للسلطة التشريعية على وجود المجالس الآتية :

١- بانيكار : المرجع السابق، ص٢٢٣ .

١- مجلس شيوخ أولوردات على غرار مجلس اللوردات البريطانى ، وعضويته متوارثة أو بالتعيين .

٢- مجلس الدايت على غرار الرايشستاغ الألمانى .

واستكمالا للنظام السياسى اليابانى الحديث على النسق الأوروبى فقد سعت الحكومة اليابانية إلى تنشيط الحياة الحزبية فقام ما عرف باسم «حزب حرية الشعب وحقوقه» بزعامة «إيتاجاكا» مقتبسا فلسفته السياسية من الفكر الليبرالى الفرنسى . وحزب ثانى بزعامة «أوكوما» والذى حظى أيضا بأكبر تأييد من الشعب اليابانى وخاصة حكومة ميجى .

ونتيجة لهذه التغييرات السياسية التى حدثت فى اليابان على النسق الأوروبى فقد حظيت اليابان باحترام العالم الغربى، وتنازلت بريطانيا عن امتيازاتها فى اليابان وحذت بقية الدول الأوروبية حذو بريطانيا بالتنازل عن الامتيازات التى كانت قد فرضتها على اليابان من قبل ، وتطلعت اليابان إلى أن تصبح دولة كبرى وقوة عظمى وهو ما سوف يظهر فى سياستها الخارجية .

جـ- الحياة الاجتماعية :

كان من الطبيعى أن التغيير الذى أصاب الحياة السياسية والتعليمية فى اليابان على النسق الأوروبى ينعكس على الحياة الاجتماعية فأخذت المطاعم الجديدة التى تقدم الأطعمة الغربية كلحوم البقر وبأدوات مائدة غربية ، بعد أن كان اليابانيون يحرمون أكل لحوم البقر لأنه يتناقى أكلها مع تعاليم البوذية ، كما ظهر الشباب اليابانى مرتديا الملابس الأوروبية . كما ظهرت الملابس الأوروبية فى مراسم البلاط والحفلات الرسمية منذ عام ١٨٧٢ .

ومن المظاهر الغربية فى الحياة الاجتماعية اليابانية ظهور الطراز الأوروبى فى البناء ، وشجع الإمبراطور الناس على ذلك بدعوى أن الطراز التقليدى اليابانى لم يعد صالحا مع التطور الحادث فى شتى مناحى الحياة اليابانية ، كما بدأت تدخل التعبيرات الغربية فى أحاديث الناس ، والتأثيرات الغربية فى عادات اليابانيين التى جعلت العادات المتأثرة بالطقوس البوذية تضعف أمامها .

ومن إيجابيات هذه التغييرات فى الحياة الاجتماعية انتشار حركة التعليم ومحو الأمية بين اليابانيين وظهور فكرة تحرير المرأة على النسق الأوروبى وظهور أفكار تحررية للمثقفين

اليابانيين على صفحات الصحف ، وظهور محلات بيع الكتب وشيوع فكر التسامح الدينى ، وغير ذلك من مظاهر اجتماعية حديثة .

وقد أحدثت هذه التغييرات هزة فى عقول ونفوس اليابانيين ووجدت رفضا وإنكارا من البعض الذين ثاروا ضد هذه المبادئ والعادات المستوردة ولكن عجلة الحياة الحديثة استمرت فى طريقها لتصبح اليابان قوة عظمى فى شرق آسيا تتطلع لجيرانها .

السياسة الخارجية

استدعى النظام الحديث داخل اليابان تطلعا لخارجها ، بمعنى أن البناء الحديث على النسق الأوروبى فى المجال التعليمى وفى المجال السياسى وفى المجال العسكرى دفع الحكومة اليابانية أن تكون لها سياسة خارجية نشطة تمثلت فيما يلى:

١- المشكلة الكورية :

مارست اليابان نفس السياسة التى مارستها من قبل الدول الأوروبية مع اليابان وهى سياسة الحصول على امتيازات اقتصادية ونفوذ سياسى وفرض فتح موانى وأسواق شبه الجزيرة الكورية أمام المنتجات والتجار من اليابان . وقد اعتمدت اليابان فى سياستها نحو كوريا ونحو غيرها (الصين وروسيا وغيرها) على قوتها الاقتصادية والعسكرية ذلك أن اليابان التى نهضت فى جميع النواحى شهدت تطورا اقتصاديا دفعها إلى البحث عن موارد وأسواق خارجية ، بالإضافة إلى الطابع الجديد للدولة فى اليابان وهو الطابع العسكرى [(١)].

استغلت الحكومة اليابانية سوء معاملة كوريا لبعثة يابانية إلى مدينة «سول» عاصمة كوريا عام ١٨٦٠م وعام ١٨٦٢ ، وعزمت على إرسال حملة لتأديب الكوريين وقد حاولت السفن اليابانية فى الأعوام من ١٨٧٢ م إلى ١٨٧٥م اقتحام بعض الموانى الكورية ولكن التهديدات اليابانية انتهت بفرض شروط اليابان على كوريا تقضى باقامة علاقات دبلوماسة وتجارية تحت التهديد العسكرى، إلى جانب فتح ثلاث موانى كورية أمام التجارة اليابانية ،

١- ناجاى متشيو : الثورة الإصلاحية فى اليابان ، ص٦٤ .

وتم فتح مفوضية يابانية فى سول ، واستخدام ضباط يابانيين فى تدريب الجيش الكورى الحديث [١].

وعندما حدثت ثورة شعبية فى كوريا عام ١٨٨٢ ضد الأسرة المالكة الكورية ، وحاولت اليابان استغلال هذه الثورة بإرسال قوات عسكرية إلى شبه جزيرة كوريا ، ولكن الحكومة الكورية المحافظة طلبت حماية الصين التى سارعت بإرسال قوات عسكرية صينية إلى شبه الجزيرة الكورية والتى وصلت بالفعل قبل مجئ القوات اليابانية وبدأت السيطرة على الموقف فى شبه جزيرة كوريا [٢].

ولم تنته الأحداث عند حد تدخل القوات الصينية فى كوريا ، حيث أخذت حكومة اليابان تتابع الموقف فى شبه جزيرة كوريا وتزيد من استعداداتها العسكرية لصدام متوقع مع الصين حول كوريا ، حتى عقد بين الطرفين معاهدة بعد حرب بين الطرفين (اليابان والصين) عام ١٨٨٥ م باسم معاهدة «شميولو» .

٢- الحرب الصينية اليابانية :

استمر التوتر بين اليابان والصين ، وازداد بعد اعتزام الصين إرسال قوات عسكرية صينية إلى شبه جزيرة كوريا تطبيقا للمادة الثالثة من معاهدة «شيميولو» بين اليابان والصين والمعقودة عام ١٨٨٥م، وجاء إغراق سفينة صينية فى يوليو ١٨٩٤ بواسطة السفن اليابانية ، بمن عليها من الجنود ، ونتيجة لضغوط الدول الأوروبية على اليابان عقدت معاهدة «شميونسكى» التى أرغمت فيها الصين على الاعتراف باستقلال كوريا ، وعلى التنازل عن جزيرة فورموزا وغرامة حربية كبيرة تدفعها الصين . وكان ذلك عام ١٨٩٥م .

٣- الحرب الروسية اليابانية :

لم تكن روسيا لتقف مكتوفة اليدين أمام تدخل اليابان فى شبه جزيرة كوريا ولذلك توترت العلاقات بين الطرفين حتى عقدت معاهدة بينهما عام ١٨٩٦م بتقسيم مناطق النفوذ بين الطرفين ، ثم عقد ميثاق بين الطرفين أيضا عام ١٨٩٨م ولكن التوتر ظل قائما بينهما ، وأصبح الصدام وشيكا بينهما .

١- تيدمان آرثر : المرجع السابق، ص٢٨ .

٢- د. رؤوف عباس : المرجع السابق ، ص١٦٩ .

استعدت اليابان للصدام المتوقع مع روسيا عسكريا وسياسيا ، وقد عقدت اتفاقية مع بريطانيا عام ١٩٠٢م مدتها عشرين عاما تعهدت فيه الدولتان بمساعدة الأخرى فى حالة دخولها فى حرب مع دولة أخرى ، وكانت مصلحة الطرفين مشتركة إذ أن روسيا فى توسعها تهدد المصالح البريطانية والمصالح اليابانية فى نفس الوقت ، ومن ثم أعلنت اليابان الحرب على روسيا عام ١٩٠٤م حيث استطاع الأسطول اليابانى هزيمة الأسطول الروسى فى معركة بحر اليابان فى مايو عام ١٩٠٥م. وقد نتج عن هذه المعركة عدة نتائج هامة مثل ظهور اليابان قوة حربية كبيرة فى الشرق الأقصى ، كما وضعت هذه الحرب حدا لمطامع روسيا فى الصين ، وكذلك للتدخل الأوروبى فى الشرق الأقصى ، حيث اعترفت روسيا بمركز اليابان المتفوق فى كوريا ، وكان ذلك خطوة أولى لضمها نهائيا إليها فى عام ١٩١٠م .

٤- اليابان فى القرن العشرين :

انتهى العصر الميجى عام ١٩١٢م بظهور اليابان قوة عظمى بدأت تمارس نفوذها الاستعمارى فى الشرق الأقصى ، وقد خدمتها انشغال الدول الأوروبية فى معارك الحرب العالمية الأولى. فغزت «شانتونج» عام ١٩١٤م والتى كانت خاضعة لألمانيا ، واستغلت توقف وصول المصنوعات الأوروبية إلى الشرق الأقصى فأصبحت المصنوعات اليابانية دون منافس هناك ، كما انتهزت اليابان فرصة الحرب وتقدمت بمطالبها إلى الصين ، تلك المطالب التى تجعل من الإمبراطورية الصينية مستعمرة يابانية ضخمة .

وتتمثل المطالب اليابانية فى اعتراف الصين بالسيادة اليابانية على شانتونج ، والاعتراف بما لليابان من حقوق خاصة فى منشوريا ومنغوليا الشرقية وبعض الامتيازات الصناعية ، وأن تكون شركات التعدين فى الصين مشتركة بينهما وألا تتنازل الصين عن أى جزيرة أو جزء من ساحلها لدولة ثالثة وقصد بذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، والمشاركة فى شئون السياسة والحربية الاقتصادية ، وأن تشرف اليابان على إدارة الشرطة مع الصين فى بعض المدن الصينية الكبرى، وإلزام الصين بشراء نصف ما يلزمها من الذخائر من اليابان ، وأن يكون لليابان حق القيام بالمشاريع الصينية الكبرى كمد الخطوط الحديدية وحفر المناجم .. الخ .

ونتيجة لتدخل الولايات المتحدة بالضغط على اليابان تحقيقا لسياسة الباب المفتوح الأمريكية فى الصين، فقد حصلت اليابان من الولايات المتحدة الأمريكية عام١٩١٧م على

اعـتراف بما لليـابان من مـصـالح خاصـة فى الصين وخـصـوصـا الأجزاء المجاورة للممـتلكات اليابانية ، وفى المقابل اعترفت اليابان عام ١٩٢٢ بسياسة الباب المفتوح .

ولكن ذلك لم يكن يرضى طمـوح العـسكرية اليـابانيـة ، خاصـة أن الصين أخذت تضع العراقيل أمام الاستثمارات الاقتصادية اليابانية وامتدادالنفوذ السياسى اليابانى فى منشوريا باتجاه الجنوب ، وأن الدول الأوروبية كانت تنظر بعين الشك والقلق نحو المطامع اليابانية .

ومن ثم دخلت اليـابان فى حـرب مع الصين عـام ١٩٣١ م انتـهت بهـزيمة الصين وتوقـيع معـاهدة فى ١٥ مـارس ١٩٣٢م نصت على إطلاق يد اليـابان فى تقرير مصـير منشوريا مع وجود قوات يابانيـة ، ولم تقبل اليابان قرار عصبة الأمم عام ١٩٣١ م الذى يقضى بانسحاب القوات اليـابانيـة من منشـوريا ، وأعلنت انسـحابهـا من العصبـة عـام ١٩٣٣م، وفى مـارس ١٩٣٣ م شنت اليـابان حربا ضـد الصين التى طلبت عـقـد هدنة خسرت فـيـهـا الكـثير حيث اعترفت بالوجود اليابانى على أرض الصين شمال سور الصين العظيم .

وفى عـام ١٩٣٥م اشتعلت الحرب مرة أخرى بين اليـابان والصين التى خسرتها أيضـا ، ثم شنت القوات اليابانية فى يوليو ١٩٣٧ م حربا خاطفة واستولت على العاصمة بكين ، وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية كانت معظم أراضى الصين قد أصبحت تحت السيطرة اليابانية.

وفى عـام ١٩٤١م شنت الطائرات والسفن اليـابانيـة هجومـا مـباغـتـا على قـاعدة «بيرل هاربور» الأمـريكيـة بجزر هاواى بالمحيط الهـادى مما دفع بالولايات المتـحدة الأمـريكيـة إلى إعلان الحرب ضد اليابان التى انتهت باستسلام اليابان بعدإلقاء قنبلتين ذريتين على مدينتى هيروشيما ونجازاكى اليابانيتين فى أغسطس ١٩٤٥ .

الحضارة اليابانية المعاصرة

خرجت اليـابان من معارك الحرب العـالميةالثـانيـة منهزمة ومـستسلمة بعد التدمير الشـامل نتيجة إلقاء القنابل الذرية الأمريكية على مدينتى هيروشيـما ونجازاكى فى ٦ و ٩ أغسطس ١٩٤٥ م، ومع ذلك لم يمض وقت طويل حتى نهض اليـابانيون لإعـادة بناء مـا دمرته الحرب بل وإحداث نهضةحضارية متميزة دفعت باليابان فى مقدمةالنمور الاقتصـادية الآسيوية، فكيف تم ذلك ؟ أى ما هى عوامل نجاح التجربة اليابانية فى البناء الحضارى ؟

يمكن تلخيص هذه العوامل فى اثنين هما :-

١- الإرادة للمواطنين اليابانيين تغذيها رغبتهم فى قبول التحدى بالتفوق المادى صناعى وزراعى ، ومع التمسك بالنواحى الروحية الأصيلة .

٢- الإدارة الحكومية الواعية لتسهيل انطلاق المواطنين اليابانيين لتحقيق إرادتهم دون عوائق أوبيروقراطية .

وتفصيل ذلك نذكر الحقائق الية :

أولا : شخصية المواطن اليابانى ومكوناتها الثلاثية : القومية ، وتأثير الديانتين الكونفوشية والبوذية ، وصحوة الضمير عند المواطن اليابانى .

ثانيا : الإمكانات الاقتصادية الزراعية والصناعية وكيفية استغلالها الاستغلال الأمثل للإرتقاء باليابان إلى مقدمة صفوف الدول الرائدة اقتصاديا فى العالم .

أولا : أثر الدين فى المجتمع اليابانى

إذا قلنا أن اليابانيين قد عملوا باجتهاد فالمسألة ليس مجرد أن الجسد قد تحرك من تلقاء نفسه لكن ترى ما هى طبيعة تلك المشاعر والأحاسيس والتركيب النفسى الذى كان يحرك الجسم. ما هو الشئ الذى يحيا اليابانيون وهم يعتنقونه وما هى القيمة التى يقدرونها ؟

إن نزعة حب التدين قد غُرست فى نفوس اليابانيين على مدى التاريخ الطويل لذلك أجده من غير المتوقع أن نرى غالبية اليابانيين اليوم بلاعقيدة محددة . وبالطبع لأنه شعب يمتلك مثل هذا التاريخ العقائدى العريق فإن الكثير من الأسراليابانية تؤمن بما يسمى عقيدةالأسلاف المتوارثة لكن تأثيرها فى الحياة يقتصر على أوقات معينة فقط . وفى معظم الأحوال ما تكون مرتبطة بالجنازات وما يقام بعدها من طقوس بوذية لاستقرار روح المتوفى فى سلام. وكما توجد أسر بوذية فتوجد أيضًا أسر «شنتوية» . فى ديانة «الشنتو» يأنفون من جثمان المتوفى باعتباره شيئا دنسًا (غير طاهر) لهذا لاتوجد مقابرفى المعابد الشنتوية وتوجد بعض الحالات الاستثنائية لكن بصفة عامة تقام المقابر فى المعابد البوذية . ويمكننا إدراك السبب فى تبقى الطقوس من البوذية المتعلقة بالموت فقط فى هذا العصر الحديث الذى ابتعد فيه الجميع عن الدين كما يلى :-

فنحن جميعًا مازلنا أحياء فالموت وعالم مابعد الموت شئ لم نجربه بعد ولانفهمه لذلك فحتى لانخطئ بشأن طقوسه فنسلم الأمر للكاهن ليتولاه . كذلك فمهما تغيرت العصور

وابتعدت الناس عن الدين فإن الصلاة على أرواح الأسلاف يجب أن تستمر لفترة طويلة تمتد إلى خمسين عاما بعد وفاة الشخص . وهكذا فإن الطقوس البوذيةالمتعلقة بالموت لاتكاد تتأثر بتغيرات العصور. كما أن الكاهن المختص بأداء تلك الطقوس لايخذل أحداً طالما يدفع له النقود . أما مؤخراً فإن الأسر الشابة وصغار السن كثيراً ما يتجاهلون حتى تلك الطقوس البسيطة التى ذكرنا من قبل باعتبار أن تلك هى طريقة تفكيرهم ، فالناس لديهم العديد من طرق التفكير المتعلقة بالموت ومابعد الموت ويعتنقوها بحرية. كما أنهم فى ظل ظروف معينة يؤدون بحرية مطلقة الطقوس المتعلقة بالموت وما بعد الموت بشكل يختلف تمام الاختلاف عن أى شكل كان يمارس من قبل .

منذ ميلاد الأطفال والدعاء لهم بطول العمر فإنهم تبعًا للعادات اليابانية يذهبون للمعابد الشنتوية ويصلون للإله حيث يحمدون الإله على منحهم الطفل ويدعون له بالسلامة وطول العمر.

كذلك حفلات الزواج تقام بصفة عامة فى معابد الشنتو كما يوجد الكثير ممن يقيمون مراسم الزواج فى الكنائس المسيحية ذات الطابع المحبب لديهم. وفى اليابان تبعًا للعادات فإن الطقوس المتعلقة بالموت تقام فى معابد بوذية أما المتعلقة بالأحداث السعيدة فتقام فى معابد الشنتو (أو الكنائس المسيحية وغيرها) . ويرجع ذلك لعدم وجود مقابر فى معابد الشنتو . ولايوجد أحد على الاطلاق يحتفل بالأحداث السعيدة فى المعابد البوذية . بالطبع ليس كل اليابانيين هكذا بلاعقيدة ثابتة ولايلجئون للدين إلا فى حالات معينة من الحزن أو الفرح . فمازال هناك أشخاص يحيون حياة التدين ولهم عقيدة واضحة وإن كانوا قليلى العدد جداً حيث لايكاد يصل عددهم إلى واحد بالمائة .

مايدركه اليابانيون اليوم ومايعتنقونه هو العلم والمنطق والحقائق العلمية فلايؤمنون بما هو غامض علميًا . ثم بدأوا يولون الاقتصاد أكبر اهتمامهم باتباع الرأسمالية الأوروبية التى نقلوها بطريقة إيجابية منذ عصر ميجى (اليابان الحديثة) لقد كانوا يهدفون لإحياء الاقتصاد اليابانى وتطويره تبعًا لنظريات الرأسمالية وبتبجيل العلم ونبذ كل ما هو غير متفق مع المنطق.

إن العلم والرأسمالية الأوروبية ليست عقيدة دينية فهى أيدلوجيات تنحى جانبا وجود الإله، وكما جعلت اليابان منذ تاريخها السحيق العقائد الأجنبية تزدهر كذلك فقد سمحت لتلك الأيدلوجيات أن تزدهر بشكل مذهل .

ترى ما هى تلك القدرة التى تجعل كلا من العقائد والأيدلوجيات الأجنبية تزدهر بهذا الشكل المدهش داخل اليابان . لايرجع هذا لما ذكرنا من أن الطبيعة الروحية والفكرية التى غرست فى نفوس اليابانيين عبر التاريخ الطويل ليس هذا فقط ولكن أيضًا لارتفاع المستوى الثقافى بدرجة عالية .

بالإضافة إلى ذلك فمن الأسباب الرئيسية أنه من الطريف أن تتحول الأشياء التى من المفترض أن تكون كوارث إلى عوامل تجلب السعادة وتساعد فى إحياء الاقتصاد اليابانى .

أن اليابان بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية لم يكن أمامها بد من الخضوع للسياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الدولة المحتلة ، وقد أطلقت حرية الدين والفكر والجدال وقد تم منع تدريس تاريخ اليابان أو المساهمة فى تدريس العلوم الأخلاقية . لذلك فقد تحررت العقيدة والفكر من كافة القيود واتجهت مباشرة نحو الرأسمالية ونظرية القدرة الكلية للعلم .

واليابانيون من سلالة تتميز بوجود الطابع الروحى والدينى منذ نشأتها ليس بسبب أن اليابانيون قد ابتعدوا عن الدين فهذا يعنى أنهم قد أصبحوا يلهثون وراء المال بغض النظر عن طريقة الحصول عليه. فما كان يكبح جماحهم هو ذلك القانون الخفى «وروح ياماتو» اللذين تحدثنا عنهما فأى شخص يابانى يمتلك هاتان الميزتان . فاليابان لديها منذ القدم هذا الميراث الروحى . فذلك الميراث الروحى ينصهر داخل الجسد حتى يصبح أحد مكوناته . إن هذا الميراث الروحى شئ مشترك بين اليابانيين فكافة الأفراد ملتزمين به عن القانون الظاهرى.

هذا الميراث يُعبر عنه بالخلق الحسن . الصراحة والإخلاص. الشفقة والاجتهاد وغير ذلك وبفضل هذا الميراث الروحى فما زالت بلداً تتميز بأنه يمكن الاعتماد على أفرادها بعضهم البعض وذلك بفارق كبير عن بعض الدول الأخرى التى لديها دين محدد .

فى اليابان لايوجدمن الأصل ما يسمى «بالعَقْد» فلاتوجد نية أو فهم سئ وهذا يرجع لوجود ذلك الميراث الروحى والقانون الخفى. فتكفى عبارة أرجو منك ذلك فلاتوجد ضرورة للتأكد من الوعد عن طريق الرجوع للعقد وما إليه لايوجد طريقة مالمعرفة أشياء عن العصور القديمة غير المدونة فى التاريخ لكن يعتقد بوجود تاريخ روحى ودينى طويل فى هذه الأرض من الماضى البعيد ونعتقد أن السبب فى تقبل جميع اليابانيين للديانات الأجنبية «الشنتو» و«البوذية» وكذلك الكونفوشية والسماح لها بالإزدهار ، وكما تقبل اليابانيون حديثًا الأيدلوجيات الأجنبية يرجع ذلك لأنهم كان لديهم من قبل ميراثًا حضاريًا راقيًا . وميراثًا

روحيًا. ألم يكن هذا القانون الخفى موجوداً قبل ذلك الحين ؟ (منذ حوالى ١٤٠٠ عام) . ألم تكن أرواح الأسلاف موجودة على أرض اليابان وهى التى علمت اليابانيين هذا القانون الخفى. حتى فى العصر الحالى الذى ابتعد فيه الكثير من الناس عن الدين فما زالوا يشعرون فى مكان ما فى قلوبهم بوجود الآلهة. فكثير ما نرى ظاهرة اجتماعية ملموسة حيث نرى على أسطح المبانى الشاهقة الارتفاع يضع الناس إله الشنتو (أو ينارى) ويصلون له . وعند شراء أرض لبناء مسكن فمن الضرورى أن يطلب من الكاهن الشنتوى أن يبارك الأرض أولاً. وفى بداية العام الجديد يوجد فى أى منزل قطعتين من عجينة الأرز إحداها صغيرة والأخرى كبيرة وتقدم قربانًا ويصلون له لجلب السعادة فى العام الجديد.

كما يوجد فى جزء من المنازل القديمة حيث يوجد المذبح الشنتوى (مكان عبادة الإله) حيث يقدمون المياه كل صباح للإله ويصلون له . كما أنه فى كثير من المطابخ اليابانية يوجد فرن لطهى الطعام يسمى باسم الإله (كوجين ساما) ويصلون له للحماية من أخطار الحرائق ومن التقاليد الأكثر قدمًا فى بعض البيوت حيث يقومون كل صباح بدعك حجرين صغيرين حيث يرون فى الشرارة الناتجة قوة الإله ولتطهير الحجرات ، كذلك فإن الناس دون أن يدركوا يلجئون للإله فى أوقات الشدةطالبين منه المساعدة وفى أوقات السعادة يشكرون الإله. إذن فاليابانيون لايعتنقون كل ما هو علمى ومنطقى فقط ويلقون بكل العادات والتفكير التقليدى المخالف لكل ما هو علمى أو تابع للنظريات .

إن السبب فى ابتعاد الكثير من اليابانيين عن الدين هو التحديث منذ (١٢٠-١٣٠ عاما) ونبذ كل ما هو غير منطقى والإيمان بالعلم كما يوجد سبب هام آخر ومباشر هو أن اليابان كانت فيما قبل دولة ذات دين وكنت حرية الدين مكفولة فى عهد حكومة «طوكوجاوا» ويوجد استثناء حيث اضطهدت المسيحية ومنعت من البلاد ، فى هذا العهد لكن الحرية التى ظهرت من حوالى ٥٠ عامًا من الفكر والنقاش وذلك بعد الهزيمة كانت تختلف عن حرية المعتنقات قبل هذا الوقت حيث أنه بعد الهزيمة تم تشجيع حرية إقامة أحزاب دينية جديدة حرية كاملة . إن أمريكا هى بلد الديموقراطية والحرية لذلك فحرية الأديان والفكر والنقاش هى أساس الدولة المثالية . وكترسيخ هذا المفهوم فى اليابان فقد انتهجت سياسة معينة وبتشجيع المواطنين بطريقة إيجابية وذلك بتقديم تراخيص وأساليب حماية تصل لحد الإعفاء من الضرائب لكل من يريد إنشاء جماعة دينية وأطلقت حرية اختيار هذا الإله للجماعة الجديدة وهكذا ظهر عدد هائل من الأحزاب

الدينية بموافقة رسمية من الدولة ووزارة التعليم وفى إحصائية قديمة كان عددهم ٧٠٠ حزبًا دينيًا وهذا بخلاف الأحزاب الأخرى حيث يقال إن العدد كله يصل إلى ٨٠ ألف حزبا دينيا ومن ضمنها جماعة الحقيقة المطلقة المتورطة فى حوادث إطلاق غاز السارين السام .

إن حرية الفكر والعقيدة شئ يجلب السعادة لكن إذا لم يكن هناك الكثير من التعقل سوف يصبح عالمًا متصارعًا فعندما يمتلك الأشخاص الحكمة والعقل الذى يمكنهم من الاختيار السليم حينئذ سنصبح دولة مثالية . لكن ما كان يجب أن تتلقاه اليابان بعد الهزيمة فى الحرب من السياسة الاستعمارية لأمريكا هو منع تدريس تلك القدرة على التعقل والذكاء وكذلك منع تدريس التعليم الأخلاقى وتاريخ البلاد .

وبالرغم من استخدام أقصى حد للحرية فقد سُلب منهم الحرية فى الحكم على الأشياء وسُلب منهم المعيار الصحيح لقياس ما هو الصواب والخطأ وسمح لهم فقط بحرية الفكر والنقاش .

وقد استمرت اليابان لمدة خمسين عامًا بدون تعليم روحى وأخلاقى لذلك يبدو أن الميراث الروحى هو الآخر قد بدأ يخبو تدريجيًا . لتحل محله الإرادة العملية للمواطن اليابانى التى اعتمدت النهضة الصناعية خاصة والاقتصادية عامة أسلوب حياة .

ثانيا : الاقتصاد وبناء اليابان

اتصف اليابانيون بأنهم شعب يعمل بجد وإخلاص لبناء بلدهم ماديا ففى عام ١٩٤٥ انهزمت اليابان فى الحرب العالمية الثانية وقد انتابت المواطنين مشاعر متباينة لكن الشعور السائد بينهم كان إحساسهم بأنهم مازالوا أحياء ولم يموتوا . وبهذا الإدراك الواهن بداخلهم كانوا يقفون بلاحراك منذهولين فى وطن الأسلاف الذى تحول لأراضى محترقة .

وقد كانت الأرض ممتلئة بالعديد ممن فقدوا الطعام وموارد الحياة وحتى المأوى لقد كان الوضع بعد الحرب كما لو أن زلزال «كوبى» الذى حدث هذا العام قد حدث على نطاق الدولة كلها. وبعد تلك الحالة المتردية وفى سنوات قليلة وكطائر العنقاء المصرى استطاعت اليابان إحياء اقتصادها واستجماع قواها لدرجة أنها فاقت الجميع . وبعد مرور خمسين عاما من ذلك اليوم أصبحت اليابان أولى دول العالم من حيث إجمالى الإنتاج القومى .

وكثيرا ما نتساءل ما السر فى هذا ؟ وسوف يكون حديثنا هو الإجابة على هذا السؤال ... يرجع هذا فى المقام الأول لجدية الشعب اليابانى وكثرة العمل، فالعمل باجتهاد يشكل من

الأساس الشخصية القومية والطبيعة القومية لليابان وبصفة خاصة فقد كان اليابانيون يعملون بأفضل جهد بسبب الحالةالمتردية التى سادت بعد الحرب العالمية الثانية .

وتعد اليابان دولة ذات طبيعة جبلية وأراضى ضيقة فقيرة فى مواردها لهذا ومن منطلق إدراك الشعب اليابانى لحتمية أن يصبح البشر أنفسهم هم موارد الدولة فقد عملوا بجد هادفين إلى تحسين مستوى المعيشة عن طريق تنمية معارفهم الذاتية .

كما أن تفكير الشعب اليابانى فى إعادة بناء الوطن كان من أجل تحسين نوعية الحياة فإنه كذلك كان من أجل العهد الذى قطعوه على أنفسهم لمواساة أرواح العديد ممن قتلوا فى الحرب .

لقد حدث انسجام هائل بين ميزة حب التعلم لدى اليابانيين وبين السياسة التعليمية مما نتج عنه مستوى تعليمى شديد الرقى . فقد كان الجميع يتمتع بمستوى معرفى عالى لدرجة أن المائة مليون مواطن كانوا جميعًا ناقدين للوضع العام . وبهذه المعرفة العالية أنتجوا قمة التكنولوجيا فى العديد من المجالات الصناعية .

أما السبب الرئيسى الآخر فهو أنهم كانوا محظوظين فاليابان منذ القدم بلد زراعى وذات موارد مائية لكن هذا لم يكن كافيًا لإطعام الشعب . فالعديدمن اليابانيين الذين خرجوا من المستعمرات أجبروا على العودة من قبل الدول المنتصرة فى الحرب بالإضافة لذلك فقد هلكت الحقول التى فقد مزارعوها فى الحرب. لذلك فقد نهجت اليابان طريق تأسيس الدولة عن طريق الصناعات المعالجة . وعن طريق استيراد المواد الخام من الدول الخارجية وتصنيعها ثم إعادة بيعها للدول الخارجية . وقد تقدموا فى تلك الصناعات المعالجة التى عمت البلد كلها وذلك باحساسهم بأن تصنيع أشياء جيدة غير متوافرة فى أى بلد آخر يرجع لمقدرة اليابانيين وحدهم على ذلك. ولأنه عمل يعتمد بالدرجة الأولى على العلاقات مع الدول الخارجية فإن الشروط المالية الدولية وقت القيام بالاستيراد والتصدير تكون ذات تأثير كبير على الربح . وقد جعل المجتمع المالى الدولى هذه الشروط مربحة بدرجة كبيرة لليابان وذلك بقرار منه بناء على عرض أمريكى - فيما بعد بالرغم من تحمل أمريكا لبعض المبادئ بسبب موقفها هذا فإنها صممت على الاستمرار فى تقديم تلك الشروط التى تحمى اليابان لفترة طويلة . وكان هذا حظًا وافرًا لليابان لم يتسنى للدول الآسيوية المجاورة أن تناله .

كما أنه بناء على أوامر الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية بألا يُسمح لدولة اليابان التى لحقت بها الهزيمة أن تكون طرفًا فى أى حروب أخرى فتم حظر تكوين جيش يابانى. وبدلاً من ذلك ولحماية اليابان من الغزاة فقد حل الجيش الأمريكى محل الجيش اليابانى وذلك بناء على ميثاق حفظ الأمن بين أمريكا واليابان وبفضل هذا لم تستهلك اليابان أموالها على النفقات الحربية . وكان هذا أيضًا بمثابة حظ وافر لليابان .

بالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك أيضًا نشاط الذخائر الحربية الذى نجم عن حرب الشمال والجنوب فى شبه الجزيرة الكورية . كانت حربًا تحركها فى الخفاء الدولتان العظيمتان فى ذلك الوقت الولايات المتحدة فى الجزء الجنوبى والاتحاد السوفيتى فى الجزء الشمالى ، لنقل أيضًا أن الحصول على النفط بسعر رخيص وبوفرة من دول الشرق الأوسط كان أحد الأسباب الرئيسية لإحياء الاقتصاد اليابانى وإن لم يكن قد تسنى لليابان الحصول على هذا النفط فربما لم يكن هناك إحياء للاقتصاد على الإطلاق .

ويبدو أن هناك المزيد من الهبات والحظ . وإحداها وجود مشاعر الود الدافئة من جانب القادة ذوى الفلسفات من أمثال نهرو رئيس وزراء الهند وشوان لاى من الصين وبفضل هذه المقدرة والحظ استمرت اليابان بمفردها فى النمو الاقتصادى المطرد وفى طريقها أخلت بالتوازن فى المجتمع الاقتصادى الدولى مما جعلها تتلقى تدخلات مستمرة من المجتمع الدولى فقد تلقت مطالب من قبيل (لاتفرطوا فى العمل) إجعلوا نظام الإجازة الأسبوعية يومين أو ثلاثة) ، افتحوا أسواق اليابان للسلع الأجنبية وضعوا القيود على التصدير وغيرها من المطالب . وكما وجهت لليابان الإداعاءات الباطلة ومن قبيل ذلك الإدعاء بأن مهارة اليابان تنحصرفقط فى تطبيقها لما شيدته أوروبا وأمريكا بجهدهما من قدرة علمية مبنية على أسس وذلك تطبيقًا فى صورة سلع تجارية فقط وما إلى ذلك من المقولات . أما اليابان فقد تقبلت تلك المطالب السابقة وبالرغم من ذلك فما زالت قوة الين اليابانى فى ارتفاع مطرد .

٢- اليابان بلد الاتساق العام

بالإضافة للأسباب التى ذكرناها سابقا فما زال هناك سبب متعلق بالناحية الروحية ذلك أن اليابانيين منذ القدم كانوا يطلقون على اليابان (بلاد الشمس المشرقة) إو «منبع الشمس) وبالإضافة لذلك توجد تسمية أخرى هى (بلد ياماتو) إن كلمة «ياماتو» تعنى الاتساق العام وحرف «وا» المكونة منه كلمة ياماتو يعنى أن يتحد الجميع فى نظام متسق ويحيون تحت مظلة

الفكر الواحد . قبل «ماركوبولو» بزمن طويل وفى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد كان العرب يطلقون على اليابان (بلاد واق الواق) ويقال أن هذه التسمية هى تحريف لكلمة (واكوكو) باللغة اليابانية .

فاليابانيون أصبحوا قلبًا واحداً يقومون بعمل جماعى موحد . ويشبه ذلك ما نراه فى عالم الطبيعة من عادات الكائنات الحية . وأعتقد أن مثل ذلك المجتمع الإنسانى الذى أصبح بطريقة تدريجية يشبه الطبيعة إلى حد بعيد هو النموذج الصحيح لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإنسانى من الأساس . أعتقد أنه مما جعل اليابان تشكل مجتمعا إنسانيًا يشبه الطبيعة الأم بهذه الكيفية هو حياة اليابانيين واستقرارهم فى دولة جزرية أراضيها ذات طبيعة استقلالية مما جعلهم يماثلون الطبيعة الأم .

وأرى أن المجتمع اليابانى يتشابه بشكل أساسى مع المجتمع الإسلامى الذى يوجهه الله سبحانه وتعالى إن الأخلاقيات اليابانية التى تقدر قيمة الاتساق العام تُطلق على النفس الأنانية التى تمنع سعادة الآخرين وتعوق أمن وتطور الجماعة يطلقون عليها (النفس الوضيعة - النفس المظلمة) ومن يعمل لصالح الآخرين ويقوم بالأعمال الخيرة يكون ذا تقدير بالغ من المجتمع ويطلق عليه (القلب النقى الصافى) وكان أهل«إيدو» قديما أى «طوكيو» يتصفون بالكرم وإنفاق كل ما يأتيهم من نقود لصالح الآخرين وهذه النفس الصافية هى واحدة من النفوس التى تعبر بطريقة ملموسة عن روح الاتساق اليابانية .

إن الميكانيزم والآلية التى يصنعها الاتحاد للجماعة لها قواعد صامتة مشتركة بصفة عامة. فيما بين اليابانيين ككل. وتلك القواعد تتحرك ويشكلها هذا الاتساق العام بطريقة آلية ولاشعورية . فهو قانون غير ظاهرى وليس له قواعد محددة وهو قانون أخلاقى ودينى . وهذا القانون الخفى يعمل باستمرار كنظام تحكم أتوماتيكى يحكمون به على أنفسهم ويلاحظون تصرفات الآخرين ونرى أن هذا القانون الخفى يطلق عليه (روح ياماتو) . وهذا القانون لايعلمه أحد فهو متأصل بداخل اليابانيين بالطبيعة لدرجة أنه يمكننا القول أنهم يولدون به والخارجون عن هذا القانون لايلقون معاملة من أحد . لذلك فاليابانيون يحافظون على الطبيعة وعلى هذا القانون الخفى . من يحافظون على هذا القانون يقال عنهم ذوى أخلاق كريمة وينالون احترام الآخرين ويشبهون فى هذا المجتمع الإسلامى حيث يكون الشخص الملتزم بتعاليم القرآن الكريم مسلمًا صحيحًا محبوبامن الله سبحانه وتعالى وينال احترام الآخرين .

ولأن اليابان دولة ذات اقتصاد متطور للغاية فيقال عنها من الدول الخارجية أن اليابان تلك تشبه الشركة المساهمة حيث يسمونها (شركة اليابان المساهمة) أو أنها دولة ديكتاتورية . وقد تختلق لها الأخطاء أو الشكاوى على أنها ذات طابع مقصور على نفسها أو أنها مضادة للمجتمع الدولى . ولكن تلك الخاصية هى العادة الجميلة التى نمت وتربت على مدى التاريخ الطويل ألا وهى روح الاتساق العام والتناغم . وهو نظام اجتماعى نشأ وتشكل بطريقة طبيعية . إن روح ياماتو أى هذا القانون الخفى قد خلق نظامًا اجتماعيًا يجعل كافة أفراد الدولة يعيشون فى إطمئنان .

فمثلاً الشركات المساهمة فى اليابان تختلف عن الشركات الأوروبية والأمريكية الأصل ومنفردة عنها. فهى تتبع أسلوب الأقدمية فى العمل والتعيين مدى الحياة هذا النظام ما هو إلا أفضل ما أنتجته «روح ياماتو» . وهو نظام يكفل لكافة الأفراد الذين تضمهم الأسرة المتحدة المسماة بالشركة المساهمة يكفل لهم الاطمئنان والتقدم والسعادة . فالعاملون بالشركات يعملون بأقصى جهدهم وباخلاص كامل لتحقيق الربح للشركة وفى مقابل ذلك تتكفل الشركة بالرعاية المادية لهم مدى الحياة كما أنهم لايقدرون مرتبات العاملين تبعًا للمقدرة على العمل فى سن معينة ولكن يقدرونها بحساب الجهد الذى سيبذله الشخص على مدار حياته كلها . كما تزيد مرتبات العاملين مع تقدم العمر وزيادة النفقات الأسرية والاجتماعية . لذلك فكل العاملين أقل من مدير العمل يصبحون قلبًا واحداً ويعملون باخلاص لتحقيق مصلحة العمل. يقال دائما ، عن العاملين فى الشركات أنهم لايعرفون غير العمل لكن ما دام هذا يحقق الربح للفرد والدولة ويحقق السعادة فيجب أن نشجعه . فحتى لو تغير مدير الشركة يظل الهدف واحداً مستمراً . فالعمل بإخلاص لايكون فقط لتحسين مستوى معيشة الفرد لكنه يقوم به كشعور بالامتنان لتلك الشركة التى ستتكفل به مدى الحياة حتى بعد أن تضعف قوته الجسدسة .

ولاأبالغ حين نقول أن السبب الحقيقى لقدرة اليابان على إحياء اقتصادها يكمن فى هذا القانون الخفى (روح ياماتو) .

ثانيا : كوريا

تقع شبه جزيرة كوريا فى الطرف الشمالى الشرقى لقارة آسيا ، وتجاور فى الشمال مناطق فى الصين وروسيا ، بينما تقع أرض الصين الرئيسية مباشرة إلى القرب من شبه الجزيرة الكورية. وتواجه شبه الجزيرة الكورية من ناحية الشرق جزر اليابان ، وتبعد أقصر مسافة بين غرب شبه الجزيرة الكورية وشبه جزيرة شانتونج الصينية حوالى ١٩٠كيلو متر . بينما تعتبر أقصر مسافة بين الميناء الجنوبى «بوسان» بشبه الجزيرة الكورية وجزيرة اليابان «هونشو» حوالى ١٨٠ كيلو متر [١].

وتبغ مساحة شبه جزيرة كوريا ٢٢١٦٠٧٤ كيلو متر مربع، وهى مقسمة إلى دولتين : كوريا الجنوبية (الجمهورية الكورية) ، وكوريا الشمالية (جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية) ، ومساحة الجمهورية الكورية ٩٩٢٣٧ كيلو متر مربع أى ٤٥٪ من مساحة شبه الجزيرة الكورية ، ويفصل بين الكوريتين خط عرض ٣٨ درجة شمالا .

ويتمثل تاريخ شبه جزيرة كوريا فى وجود ممالك متعددة- حوالى ثلاث ممالك- فيما قبل عام ٦٦٨م، وهو العام الذى شهد وحدة شعوب مملكة «كورية Koryo » عام ١٣٩٢م، حتى بدأت المطامع الأوروبية والأسيوية تتجه نحو شبه الجزيرة الكورية فى التاريخ الحديث.

وقد امتد عهد شوسون Choson فى شبه الجزيرة الكورية من عام ١٣٩٢ حتى عام ١٩١٠م، حيث تميز ذلك العهد بحكم الصفوة المتأثر بالفلسفة الكونفوشية المنتشرة فى الصين، إلا أن هذا العهد تعرض للضغط من جانب اليابان فى صراعها مع الصين وروسيا فى شرق آسيا ، ونتج عن هذا الضغط من خلال حروب اليابان مع تلك القوى أعوام ١٨٩٥م، ١٩٠٥م أن سيطرت اليابان على شبه جزيرة كوريا سيطرة كاملة، ولم تجد اليابان أى تحد لاحتلال كوريا إلا من قبل الكوريين أنفسهم[٢].

وقد حاول الاحتلال اليابانى لشبه جزيرة كوريا فى الفترة من ١٩١٠ حتى عام ١٩٤٥م بربط شبه الجزيرة الكورية وشعبها بالنظام السياسى والثقافى والاقتصادى اليابانى من خلال ثلاث مراحل هى :

١- A Handbook of Korea, Korean Dverseans Ifbormation Service, Seol , 1993, p. 12 .

٢- فؤاد الخازندار : السياسة الكورية وقضية الوحدة بين الكوريتين، مركز الدراسات السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، بحوث السياسة الخارجية الكورية ، القاهرة ١٩٩٨، ص٤٣٤ .

١- المرحلة الأولى عرفت بمرحلة الدكتاتورية العسكرية من عام ١٩١٠ حتى عام ١٩٢٠م ، وهى الفترة التى شهدت اندلاع الحرب العالمية الأولي حتى مؤتمر الصلح بفرساى عام ١٩١٩م.

٢- المرحلة الثانية عرفت بمرحلة الإصلاحات المحلية، وتمتد من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٩م، أى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

٣- المرحلة الثالثة عرفت بمرحلة التكامل وتمتد من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥م، أى الفترة التى شهدت معارك الحرب العالمية الثانية واشتراك اليابان فيها حتى استسلامها عام ١٩٤٥م، وخلال تلك المراحل الثلاث التى حاولت اليابان إحكام قبضتها على شبه جزيرة كوريا قاوم الكوريون المخططات اليابانية دفاعا عن استقلال بلادهم ورفضا لضمها ، إلى اليابان، وقاد الكوريون فى مقاومتهم لليابانيين حركة أول مارس الاستقلالية ، منذ عام ١٩١٩م ، وقد تضمنت المقاومة الكورية أنشطة اجتماعية وسياسية ، مما اضطر الحكم الياباني إلى الاعتراف بأحقية اشتراك الكوريين فى مجالس تنفيذية فى أقاليم كوريا الثلاثة عشر[١].

وقد خضعت شبه جزيرة كوريا لحاكم عام يابانى تساعده سبعة إدارات (وزارات) للشئون المحلية (الداخلية) وللشئون المالية، وللصناعة ، وللزراعة والغابات ، وللتعليم، وللعدل، وللشرطة . وبجانب هذه الادارات السبعة وجدت أعداد من الأقسام والمكاتب والمعاهد تحت السيطرة المباشرة للحاكم العام، وفى أثناء الحرب العالمية الثانية وبسبب دخول اليابان الحرب بمهاجمة طائراتها وسفنها قاعدة بيرل هاربر الأمريكية بجزر هاواى فى المحيط الهادى عام ١٩٤١م ، بدأ التفكير فى مستقبل أقطار الشرق الأقصى ومنها شبه جزيرة كوريا ، حيث جاء فى «إعلان القاهرة» بحضور الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت ، ورئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل ، والرئيس الصينى شان كاى تشيك فى عام ١٩٤٣م، جاء التأكيد على حق الشعب الكورى فى الحرية والاستقلال فى كل شبه الجزيرة.

وجاء فى مؤتمر طهران الذى عقد عام ١٩٤٣م أيضا بحضور زعماء كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا ، اقتراح من الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت باعلان الوصاية الدولية على كوريا بمجرد انتهاء الحكم اليابانى لشبه الجزيرة ، وفى يوليو عام ١٩٤٥م قررت دول الحلفاء وجوب أن تتخلى اليابان عن كل الأراضى التى احتلتها وضمتها بالقوة منذ عام ١٨٩٥م بما فى ذلك كوريا [٢].

١- A Handbook of Korea, Ibid, p. 308 .

٢- فؤاد الخازندار ، المرجع السابق، ص٤٣٤ .

وفى مؤتمر «يالتا» عام ١٩٤٥م، توصل زعماء الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى إلى اتفاق سرى تضمن تقسيم شبه جزيرة كوريا عند خط عرض ٣٩ درجة شمالا بهدف حرمان اليابان من قواتها المسلحة ، وبالفعل سارع الاتحاد السوفيتى إلى احتلال الجزء الشمالى لشبه الجزيرة الكورية شمال خط عرض ٣٨ درجة شمالا، بينما سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى احتلال الجزء الجنوبى لشبه جزيرة كوريا جنوب خط عرض ٣٨ درجة شمالا، ومن ثم تم تكريس انفصال شبه الجزيرة الكورية .

وباحتلال القوات السوفيتية الجزء الشمالى من كوريا بقوات عسكرية ، تشكلت حكومة الحزب الشيوعى لكوريا الشمالية ، بينما سيطرت القوات الأمريكية على الجزء الجنوبى من كوريا، وكان يمثل وضعا مؤقتا توصلت إليه كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى، إذ أن مؤتمر وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى ، والاتحاد السوفيتى الذى عقد فى موسكو فى ديسمبر ١٩٤٥م اتخذ قرار الوصاية الدولية على كوريا لفترة خمس سنوات يتم بعدها تشكيل إدارة انتقالية كورية تكون مهمتها التشاور مع كافة طوائف الشعب الكورى لتقرير مصيره [١].

ولكن الأمور لم تسير كما كان الشعب الكورى يرغب ، حيث أن الاتحاد السوفيتى كان يرفض تحقيق أمل الكوريين فى الاستقلال والوحدة ، ومن ثم لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى هيئة الأمم المتحدة لبحث المسألة الكورية ، حيث قررت الهيئة الدولية فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٧م إجراء استفتاء لتقرير المصير فى كل شبه الجزيرة الكورية ، إلا أن الاتحاد السوفيتى رفض التعاون مع اللجنة الدولية المكلفة باجراء الاستفتاء فى الجزء الشمالى لشبه الجزيرة ، بل واستخدم حق النقض (الفيتو) ضد الاقتراح الأمريكى باجراء استفتاء للشعب الكورى فى كل شبه الجزيرة[٢].

كانت تلك مقدمات ما عرف بالحرب الكورية ، حيث سعى الشيوعيون فى كوريا الشمالية إلى التوغل جنوبا لضم كوريا الجنوبية، فى الوقت الذى أبدى الكوريون الجنوبيون تخوفهم من الحكم الشيوعى، ومن ثم نظمت هيئة الأمم المتحدة تحالفا دوليا بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية لإيقاف محاولات الكوريين الشماليين المدعومين من الصين والاتحاد السوفيتى.

١- فؤاد الخازندار : المرجع الاسبق، ص٤٣٥ .

٢- A Handbook of Korea, Ibid , p. 309 .

وقد بدأت الحرب الكورية بين الطرفين الشيوعى بدعم من الصين والاتحاد السوفيتى والرأسمالى بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية فى ٢٥ يونيو عام ١٩٥٠م، حيث انتهى عام ١٩٥٣م بايقاف إطلاق النار بالاعتراف بدولتين كوريتين : كوريا الشمالية (الديموقراطية الشعبية) ذات النظام الماركسى، وكوريا الجنوبية (الجمهورية الكورية) .

ويمكن التأريخ للعلاقات بين الكوريتين منذ عام ١٩٤٥م فى ثلاث مراحل هى:

١- المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٥٣ ، وتتميز تلك المرحلة بأنها مرحلة نمو وازدياد العداء بين الكوريتين، وقد وصلت إلى ذروتها فى الحرب الكورية.

٢- المرحلة الثانية من عام ١٩٥٣ إلى عام ١٩٧٢، وهى مرحلة تميزت بالمواجهة والتحدى مع غياب الحوار بين الكوريين الشماليين والجنوبيين ، وهى فترة الحرب الباردة بين المعسكرين المتنافسين : الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى، والغربى بزعامة الولايات المتحدة الامريكية.

٣- المرحلة الثالثة من عام ١٩٧٢م حتى عام ١٩٩٧ ، وقد تميزت تلك المرحلة بالحوار بين المسئولين فى كل من كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية، مع عدم التخلى عن أسلوب التحدى[١].

وكان واضحا - وما زال- التأثير الاشتراكى فى كوريا الشمالية ، كما هو واضح بالنسبة للتأثير الرأسمالى الأمريكى فى كوريا الجنوبية ، فنظام الحكم فى كوريا الشمالية هو نظام الحزب الواحد والنظام الاقتصادى الاجتماعى الماركسى، كما أن كوريا الجنوبية تأثرت نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل والثقافية بالنظام الرأسمالى وفلسفة الحكم الأمريكى.

لقد أخذ دستور كوريا الجنوبي قواعده من بنود الدستور الأمريكى، كما أن الحكم العسكرى الأمريكى فى كوريا الجنوبية فى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨م، قد ترك آثارا واضحة فى الحياة العسكرية والسياسية بكوريا الجنوبية ، بالإضافة إلى وجود قواعد عسكرية أمريكية فى كوريا الجنوبية، وتأثرت علاقات كوريا الجنوبية بالقوى العالمية وبالتوجهات الأمريكية [٢].

١- فؤاد الخازندار ، المرجع السابق ص٤٣٥ .

٢- Kim Hakjoon, Korea Relations with Her Neighlbors in Achanging World , Seoul, 1995, pp. 137-210.

الفصل الثالث

الفلبين والهند الصينية

الفلبين - مقدمة - حركة الجهاد الإسلامية - ضد البرتغاليين - ضد الأسبان والاحتلال الأمريكى - ضد الحكومات الفلبينية - الهند الصينية - الاستعمار الفرنسى - الاستعمار البريطانى .

أولا : الفلبين :

تقع الفلبين فى الجزء الجنوبى الشرقى من قارة آسيا ، على شكل أرخبيل يضم نحوا من سبعة آلاف جزيرة ، تختلف فى تفاوت مساحاتها وأبعاد كل واحدة منها عن الأخرى ، ويبلغ تعداد الفلبين قرابة أربعين مليون نسمة ينتشرون فى مجموع هذه الجزر ، التى تصل مساحتها إلى مائة وأربعة عشر كيلو متر مربع ، وهم موزعون كما يلى : واحد وثلاثون مليونا من الكاثوليك المسيحيين ، وثلاثة ملايين من اليسوعيين والجزويت وخمسة ملايين من المسلمين ، معظمهم يتبعون مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وقرابة مليون من الوثنيين والهندوس والبوذيين.

ولقد مر وصول العرب والمسلمين ، وتواجدهم فى الفلبين بثلاث مراحل ، بدأت المرحلة الأولى قبل الإسلام، وكان يغلب على طابعها التجول من أجل التجارة غير المستقر ، حين كان العرب يجوبون بمراكبهم شرقا فى المحيط الهندى، نحو الهند والجزر المتناثرة فى جنوب شرق آسيا ، لمجرد تبادل التجارة ، ثم العودة إلى بلادهم ومعظم هؤلاء العرب من سكان الخليج وشرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ، وأهم السلع التى كان يتبادلها الجانبان القرفة والفلفل والزنجبيل وخشب البخور وعود الند وخشب الصندل والتمر هندى والزعفران والشمع والسكر والأرز وجوز الهند والأحجار الكريمة ، وكان لايقل عدد تجار كل موسم عن أربعمائة تاجر يتعاملون وقتذاك عن طريق المبادلة وبعض العملات الذهبية والفضية واللآلئ الصغيرة والكبيرة [١].

١- Wilson : The Persian Gulf. p. 102 .

وبعد ظهور الإسلام واتساع حركة الفتوحات الإسلامية خاصة الفتوحات الشرقية فى عهد الدولة الأموية تحولت مرحلة التجوال التجارية إلى نوع من الاستقرار الإسلامى فى جزر المحيط الأكثر قربا من المراكز الإسلامية القديمة شرقى العالم الإسلامى حتى يكونوا دائما فى حماية وأمن الدولة الإسلامية وولاياتها القريبة واستوطن كثير من المسلمين شبه جزيرة الملايو وسومطرة وجاوة وبرنيو وأرخبيل الفلبين فى جزر سولو وجولو ومندناو وغيرها وأصبح هؤلاء التجار المسلمون المستقرون واسطة عقد التجارة بين هذه المناطق وبين عواصم ومراكز التجارة الإسلامية فى هرمز وسيراف وقيس والبصرة والأبلة [١].

وليس من شك فى أن هذا الاستقرار ، قد أدى إلى وجود نوع من النظام الحياتى بدأ أولا فى شكل قبلى ، ثم تحول إلى شكل تنظيمى حكمى إلى أن وصل فى النهاية إلى تكوين إمارات وسلطنات ذات نفوذ سياسى واقتصادى واجتماعى ودينى ، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به الدعاة وعلماء الدين وكبار المشايخ من نفوذ وسلطان ، حتى أنك لتجد إلى الآن قبور كبار هؤلاء المشايخ مزارا لكثير من مسلمى الفبلين يطلق عليها «طوان مشايخ» أى سيد المشايخ واللفظة الأولى ملاوية اللغة واللهجة وتعنى «سيد» .

ولما سقطت بغداد عاصمة العباسيين فى سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م بدأ تحول كبير فى تاريخ الوجود الإسلامى فى جنوب شرقى آسيا بوجه عام وجزر الفلبين بوجه خاص حين نزح على إثر هذا الحادث الكبير عدد كبير من المسلمين يتقدمهم الفقهاء والمشايخ والمتصوفون والأولياء [٢] ولم يقتصر نشاط الوافدين الجدد على مجرد النشاط التجارى ، أو الاستيطان المستقر وإنما تعدى ذلك إلى مرحلة دعوة دينية كبرى لنشر الديانة الإسلامية بين أهالى هذه الجزر واستطاع الإسلام بما يحمل من مقومات الإنسانية والوحدانية والحرية والمساواة أن يملأ قلوب الناس لدرجة أنه ما كاد يجئ منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى تضاعف أعداد المعتنقين للإسلام وأسسوا فى جزيرة جولو الفلبينية سلطنة مستقلة على رأسها السلطان شريف الهاشم الذى لايزال قبره موجودا عند جبل تومانتانتش بالقرب من مدينة بوانسا واتسع نفوذ هذه السلطنة حتى شمل جزر جولو وسولو ومندناو وبدأ المسلمون يبنون المساجد والمدارس الإسلامية كعهدهم فى كل بلد يستوطنوه ثم تعددت السلطنات والإمارات الإسلامية فى جزر الفلبين

١- ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص٤٠ .

٢- السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٠٩ .

وغيرها مثل سومطرة وجاوة وأصبحت مدينة ملقا التى أسسها المسلمون فى أوائل القرن الخامس عشر فى الملايو مركزا هاما من مراكز الدراسات الإسلامية المتخصصة .

حركة الجهاد الإسلامية فى الفلبين :

جهاد المسلمين فى جنوب شرقى آسيا ، فى كل من الملايو ضد الإنجليز، وإندونيسيا ضد الهولنديين بوجه عام ، والفلبين ضد البرتغاليين والأسبانيين ونظام الحكم الحالى بوجه خاص تحتاج إلى دراسات واهتمامات متخصصة لأهمية الدور الذى خاضه المسلمون ، ومازالوا يخوضونه فى بعض المواقع بالنسبة للتاريخ الإسلامى العام ، الذى أغفل فى كثير من صفحاته قسما كبيرا من كفاح هذه البلاد .

منذ القرن السادس عشر والمسلمون فى جزر الفلبين يخوضون حركة جهاد مستمرة مرت بثلاث مراحل ضد البرتغاليين والأسبانيين فى «ملحمة المورو» ومازالوا يخوضون مرحلتهم الثالثة ضد نظام الحكم الحالى فى الفلبين .

أولا : الجهاد ضد البرتغاليين :

كان نجاح البرتغاليين فى الدوران حول أفريقيا ، ووصولهم إلى جنوب شرقى آسيا ، أول مواجهة بين مسلمى الفلبين وبين مسيحيى البرتغال ، وذلك لأن البرتغاليين كانوا يستهدفون من وصولهم إلى هذه الجزر أمرين ، أحدهما دينى ، وهو القضاء على الإسلام ونشر المسيحية ، والآخر اقتصادى ، وهو السيطرة على تجارة المشرق ، وحرمان المماليك ، والمدن التجارية الإيطالية من مصادر هذا الثراء العظيم .

وعلى الرغم من الصراعات الدينية بين المماليك والمدن التجارية الإيطالية إلا أن وصول البرتغاليين إلى مصادر التجارة الشرقية أزعج الطرفين إلى درجة أن مجلس العشرة (السناتو) فى البندقية بعث بكتاب سرى إلى سفيره فى مصر[١] بنديتو سانودو للتفاوض مع السلطان الغورى سلطان المماليك فى مصر فيما يمكن اتباعه من وسائل لمنع البرتغاليين من التوسع التجارى والاستعمارى فى جنوب شرق آسيا ونظرا لأهمية هذه الوثيقة نورد منها الفقرات التالية :

١- Depping : Histoire de Commerce .. p. 218 .

نقلا عن دكتور نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها ص٣٧٦ ومابعدها .

بند أولا - الحديث مع السلطان الغورى عن الملاحة فى المحيط الهندى وكيف أصبحت فى يد البرتغاليين وما يترتب على ذلك من خسائر للمماليك والبنادقة معا وضرورة معالجة هذا الموضوع الهام الذى يتعلق بالمصالح المشتركة للطرفين .

بند «سادسا» يهمنا أن نذكر لسيادة السلطان أنه قد وصل إلى البرتغال ١٤ مركبا من جزر الهند الشرقية محملة بالتوابل ومن بين ما تحمله ٥٠,٠٠٠ حمل من الفلفل صدرت إلى انجلترا وفرنسا وإيطاليا بسعر أقل مما تصدر به الإسكندرية مما جعل تجارنا يلجأون إلى أسواق البرتغال .

بند «سابعا» أن يرسل السلطان الغورى من طرفه سفراء إلى السلطنات الإسلامية فى جزر الهند الشرقية ويطلب منهم باسم الدين الإسلامى والعلاقات التجارية القديمة مد يد العون لمجابهة البرتغاليين وأن يضعوا جميع العقبات فى طريقهم وأن يبين لهم السلطان الأضرار التى تترتب على استمرارهم فى التعامل مع البرتغاليين ويوضح لهم أن الهدف الأساسى للبرتغاليين هو الاستيلاء على بلادهم ليكونوا أسيادا عليهم .

وليس من شك فى أن هذه الوثيقة السرية الهامة توضح لنا الجوانب التالية :

أولا : أن هدف البرتغاليين الأول من الوصول إلى هذه المناطق القغناء على مسلمى هذه الجزر لأسباب دينية واقتصادية كما سبق أن أوضحنا .

ثانيا: تنبيه البنادقة للسلطان الغورى لخطورة التواجد البرتغالى فى جزر الهند الشرقية ومحاولة استثارته لإنقاذ المسلمين هناك حماية للمصالح المشتركة بين البنادقة والمماليك .

ثالثا : إرسال الوثيقة بصفة سرية إلى سفير البندقية فى القاهرة كى لاتتسرب أخبارها إلى الكنيسة الكاثوليكية فى روما .

والحقيقة أن المسلمين فى الفلبين أدركوا لأول وهلة خطورة البرتغاليين على أوضاعهم هناك وكان أكبر سلاطين المنطقة آنذاك السلطان محمود حاكم ملقا فى شبه جزيرة الملايو الذى رأى ببعد نظره أن يترك عاصمة حكمه ويستدرج البرتغاليين إلى حيث التجمعات السكانية الكثيفة فى جزر سومطرة وبدأ فى تأسيس سلطنة جديدة تزعمت لواء المجابهة ضد العدوان البرتغالى وذهب أحد أبناء بيت السلطان محمود واسمه «محمد كابونسوان» وأسس سلطنة أخرى فى «ملابانك» وتجمع أمراء السلطنات الإسلامية فى جزر الفلبين وتحولت الحروب إلى معارك دينية طاحنة أكثر من أى شئ آخر ، وعلى الرغم من الإمكانات القتالية المتطورة فى يد

البرتغاليين فإنهم لم يتمكنوا من زحزحة المسلمين عن مناطق نفوذهم وظلوا يجابهون مواجهة شرسة من مسلمي الفلبين إلى أن ظهر في الأفق عدو طارئ جديد للمسلمين هم الأسبانيون .

ثانيا : الجهاد ضد الأسبانيين «وملحمة حروب المورو» :

كان الأسبانيون قد فرغوا من إنهاء الوجود الإسلامي في بلادهم في أخريات القرن الخامس عشر الميلادي بعد وجود حضاري وسياسي استمر قرابة ثمانية قرون وقصة الفصول الأخيرة الحزينة من نهاية هذا العهد المشرق وما لقيه المتأخرون من مسلمي الأندلس . ولم يستطع أي مؤرخ مهما بلغ عداؤه للإسلام والمسلمين أن ينكره ولذلك فإن أخطر مواجهة بين مسلمي الفلبين وبين أعدائهم كانت تلك المواجهة التي حدثت مع الأسبانيين واستمرت قرابة ثلاثة قرون سجل فيها المسلمون ملحمة كفاح تاريخية مرت بست مراحل لاتكاد تنتهي الحروب من واحدة حتى تبدأ بالثانية (من ١٥٦٥ إلى ١٥٧٨) ، (١٥٨٧-١٥٩٩) ، (١٦٠٦-١٦٣٥) ، (١٦٣٧-١٦٤٥) ، (١٨١٨-١٨٥٠) ، (١٨٥١-١٨٩٨) استخدم فيها الأسبانيون كل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية والدينية وتعاون معهم في بعض مراحلها الهولنديون والإنجليز حارب فيها المسلمون من بيت إلى بيت فلما أحرقوا منازلهم انتقلوا إلى داخل الغابات فلما أحرقوا الغابات عادوا يبنون بيوتا جديدة من الأغصان ولكي ندرك شراسة هذا الكفاح المرير يكفي أن نورد أمثلة للسياسة الأسبانية في هذه المعركة التي انتهت بفشل أسبانيا عام ١٨٩٨م وانتقلت السيادة من الأسبانيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

أولا : فرض حصار اقتصادي على السلطنات الإسلامية في جزر الفلبين لحرمان المسلمين من أهم مصادر حياتهم المعيشية وهي التجارة واستخدموا في سبيل ذلك أساليب القرصنة التي كان يجيدها الأسطول الأسباني واتفقوا في ذلك مع الهولنديين الذي كانوا يفعلون نفس الشئ مع مسلمي الجزر الأندونيسية ومع الإنجليز الذين كانوا يخمدون أنفاس المسلمين في الملايو في وقت كانت فيه الدولة العثمانية محاصرة بمشاكلها الخارجية والداخلية ولم يكن قلب العالم الإسلامي يحس بنبض هذا الكفاح الذي كان يقوده مسلمو الفلبين من قرية إلى قرية ومن غابة إلى أخرى وكأنما كان الأسبانيون يريدون أن يكرروا مأساة المسلمين الأواخر في أسبانيا .

ثانيا : العمل على تفرقة المسلمين في كل جزيرة على حدة ومواجهة كل مجموعة في حرب إبادة شاملة مع قطع كل صلة بينهم وبين مسلمي الجزر الإندونيسية ومسلمي الملايو وظهرت في ذلك الوقت أسطورة السلطان نصر الدين سلطان المسلمين في جزيرة سولو الفلبينية الذى قاد الكفاح الإسلامي من داخل الغابات .

ثالثا : إيفاد الإرساليات التبشيرية الأسبانية إلى جزر الفلبين للقيام بسياسة تبشيرية بين الفلبينيين الأصليين مع ما كانوا يحملونه من إمكانيات مادية وخدمات فى مختلف المرافق وخاصة الإرساليات الجزويتية واليسوعية وقد أطلق الأسبانيون على الفلبينيين المبشرين (كما كان يسميهم المسلمون) الأنديو كما أطلقوا على المسلمين «المورو» وهى لفظة أسبانية ومعناها صاحب الوجه العابس أو الكالح وهى نفس الصفة التى كانوا يصفون بها المسلمين فى أسبانيا وقد نجح الأسبانيون فى إشعال نيران العداء بين «الأنديو» السكان الأصليين و «المورو» المسلمين الفلبينيين حتى تحولت الحرب ابتداء من مرحلتها الثالثة إلى حرب بين الأسبان والأنديو من ناحية والمسلمين الفلبينيين من ناحية ثانية .

رابعا : إشعال نيران الخصومات بين السلطنات والإمارات الإسلامية وبعضها بهدف التفريق بينها لإعلاء السيادة الأسبانية .

خامسا : التخريب المنظم لكل مصادر الحياة عند المسلمين الفلبينيين من إحراق للبيوت وإتلاف للمزارع والمحاصيل وتدمير للمراكب والسفن لنشر المجاعة بينهم وإجبارهم على الهجرة أو الاستسلام فلما فشلت كل هذه الوسائل واستمرت ملحمة الكفاح الدفاعية بدأوا يتبعون نفس الوسائل التى اتبعوها فى أسبانيا من اختطاف أطفال المسلمين وتسليمهم إلى الأسر الفليبنية المسيحية لتنصيرهم وقطع كل صلة بينهم وبين جذورهم العربية الأصلية وعقيدتهم الإسلامية بالإضافة إلى إلقاء الكثيرين من الأسرى والمستسلمين لهم فى المحيط كطعام للأسماك والحيوانات البحرية .

وعلى الرغم من هذه السياسة اللاإنسانية استمر المسلمون الفليبنيون فى كفاحهم حتى اضطر الأسبانيون فى سنة ١٨٩٨م للجلاء عن الفلبين وانتقل الحكم منهم إلى سيادة الولايات المتحدة الأمريكية .

ثالثا : الجهاد الإسلامى ضد الحكومات الفلبينية :

انتقلت الفلبين فى نهاية القرن التاسع عشر إلى حكم الولايات المتحدة الأمريكية بعد استعمار أسبانى دام قرابة ثلاثة قرون وتوقع الفلبينيون المسلمون الخير على يد الأمريكيين ولكن السياسة الأمريكية الجديدة استمرت فى العطاء والتشجيع لمختلف البعثات التبشيرية المناهضة للإسلام والمسلمين واستهدفت فى إصلاحاتها استئصال الروابط الإسلامية من السياسة التعليمية والثقافية والحضارية هناك والحقيقة أن فترة السيادة الأمريكية التى

استمرت من سنة ١٨٩٨م إلى سنة ١٩٤٦م تركت بصماتها السيئة بالنسبة لمسلمى الفلبين فى الجوانب التالية :

أولا : فقدان السيادة الإسلامية على معظم الإمارات والسلطنات :

عجز الأسبانيون على مدى ثلاثة قرون عن إضعاف السلطنات الإسلامية فى جزر الفلبين لدرجة أنه عند قيام الحكم الأمريكى كانت توجد عدة سلطنات إسلامية قوية فى مقدمتها سلطنة ديبتروان قدرات البطل المسلم الذى قهر الاستعمار الأسبانى فى الفلبين وسلطنة سولو وسلطنة ماجيندنا وسلطنة بويان وغيرها من الإمارات الإسلامية ولكن السياسة الأمريكية تمكنت من ابتلاعها جميعا فى مدى نصف قرن من حكمها .

ثانيا : فقدان المسلمين لحيازة كثير من أراضيهم :

وضعت الولايات المتحدة قانونا لنظام حيازة الأراضى فى جزر الفلبين كان من نتيجته فقدان المسلمين لمعظم أراضيهم التى ورثوها عن أجدادهم وسقطت كلها فى يد الفلبين الكاثوليك .

ثالثا : ضياع التماسك الإسلامى :

استطاعت الولايات المتحدة عن طريق اتباع السياسة الاستعمارية التقليدية «فرق تسد» بين الأمراء والسلاطين المسلمين أن تقضى على ذلك التماسك الذى ظل طيلة القرون الماضية السد المنيع ضد المحاولات الاستعمارية البرتغالية والأسبانية وسرت بينهم موجات التفرق والانقسام

رابعا : تسلل الصهيونة إلى الفلبين :

أفسحت الولايات المتحدة المجال أمام الصهيونية للتسلل إلى المسرح السياسى فى الفلبين مما نتج عنه موقفا متعاطفا للحكومة الفلبينية مع إسرائيل بعد حصولها على الاستقلال وكانت أول بادرة قامت بها حكومة الفلبين محاولة إنشاء سفارة إسرائيلية فى الفلبين مما أدى إلى قيام المسلمين هناك بمظاهرة عدائية أوقفت هذا الاتجاه وقتذاك وتعاطف المسلمون مع العالم العربى والإسلامى ضد حوادث الاعتداءات الإسرائيلية وحريق المسجد الأقصى مما أدى إلى محاولات صهيونية للتأثير على حكومة الفلبين المعادية للمسلمين لاتخاذ مواقف عدائية ضد الوجود الإسلامى هناك .

ولما حصلت الفلبين على استقلالها من الولايات المتحدة بدأت حكومتها تمارس سياسة البطش والإرهاب ضد المسلمين فى الجزر الجنوبية منتهجة السياسة التالية :

١- تشجيع المسيحين على الاستيطان فى المناطق الإسلامية وتأييدهم فى الاستيلاء على أراضى المسلمين وأملاكهم بالإضافة إلى تحريم اشتراك المسلمين فى المشاريع الاقتصادية الهامة وإغراق المناطق الإسلامية بقوات الأمن الفلبينية بهدف التجسس على المسلمين ومساندة الفلبينيين المسيحيين .

٢- تبنى الحكومة الفلبينية عمليات التبشير المنظمة بين المسلمين وخاصة بين الكثافات السكانية الفقيرة وإثارة شكوكهم فى العقيدة الإسلامية اعتقادا من المسئولين الفلبينيين أن مسلمى الفلبين لايمكن أن يكونوا مواطنين صالحين إلا إذا أصبحوا مسيحيين .

٣- العمل على دفع المسلمين لترك أراضيهم الزراعية ومصادر حياتهم الموجودة على السواحل وإرغامهم على اللجوء إلى مجاهل الغابات وشعب الجبال ليتحولوا إلى عمال كادحين وحطابين للأشجار ونقلة للماء .

٤- معارضة كل اتجاه نحو فتح مدارس إسلامية أو إقامة الشعائر فى المناطق الإسلامية وإثارة الرعب بين المسلمين عن طريق تسريح القتلة والمجرمين الفلبينيين بين صفوفهم لدرجة أن الأخيرين كونوا منظمة «إيلاجا» المعادية للتواجد الإسلامى فى الفلبين بدعوى أن المسلمين الفلبينيين لايمكن أن يكونوا صالحين إلا إذا أصبحوا مسيحيين .

٣- العمل على دفع المسلمين لترك أراضيهم الزراعية ومصادر حياتهم الموجودة على السواحل وإرغامهم على اللجوء إلى مجاهل الغابات وشعب الجبال ليتحولوا إلى عمال كادحين وحطابين للأشجار ونقلة للماء .

٤- معارضة كل اتجاه نحو فتح مدارس إسلامية أو إقامة الشعائر فى المناطق الإسلامية وإثارة الرعب بين المسلمين عن طريق تسريح القتلة والمجرمين الفلبينيين بين صفوفهم لدرجة أن الأخيرين كونوا منظمة «إيلاجا» المعادية للتواجد الإسلامى فى الفلبين وكان من أعمال هذه المنظمة إشعال النيران فى جامعة الفلبين الإسلامية فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٧٢مما دعا رجال هذه الجامعة إلى توجيه نداء استغاثة إلى ملوك ورؤساء العالم الإسلامى .

غير أن كل هذه الأعمال من جانب الحكومة الفلبينية لم تزد مسلمى الفلبين- الذين مارسوا الجهاد قرون طويلة- إلا استمساكا بدينهم وإصرارا على حقوقهم الموروثة فى الفلبين وتكونت فى بداية الأمر منظمة إسلامية لقيادة الكفاح الإسلامى هناك تدعى «جبهة اتحاد الهيئات

الإسلامية» (بانسا) بزعامة الدكتور أحمد ألونتو الذى تعرض أكثر من مرة للسجن والاعتقال خاصة عندما قاد حركة المسلمين فى الفلبين تأييدا لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ التى خاضتها كل من مصر وسوريا ضد إسرائيل وأعلن رفض موقف حكومة الفلبين التى نادت بسياسة الحياد بين العرب وإسرائيل وأبرق لرئيس جمهورية مصر بيان ثورى فلبينى يدعم هذه الحرب المقدسة واضطر الرئيس ماركوس رئيس جمهورية الفلبين إلى التراجع عن موقفه أمام حركة الجهاد الثورية التى خاضها مسلمو الفلبين وأعلن وقوفه إلى جانب العرب من أجل استرداد أراضيهم والحقوق الفلسطينية المشروعة .

وقد أدى النشاط الثورى الذى دب فى صفوف ثوار المسلمين هناك إلى إنشاء منظمة جديدة لقيادة الكفاح أطلق عليها «الجبهة الوطنية لتحرير مورو» بزعامة «نور ميسورى» واستمر مسلمو الفلبين فى جهادهم من أجل الحفاظ على حقوقهم حتى لفتوا أنظار العالم الإسلامى إلى حقيقة أوضاعهم وأخذ زعماؤهم يجوبون الأقطار الإسلامية طلبا للمساعدات المادية والسياسية والعسكرية لتأييد حركتهم ولما كان ميثاق الجامعة العربية يتعارض مع مشروعية مساندة هذه الحركة المشروعة بحكم اعتبارها تدخلا فى السياسة الداخلية لحكومة الفلبين فقد تصدى المؤتمر الإسلامى فى مؤتمراته لمشكلة المسلمين فى الفلبين حتى أصبحت هذه القضية أحد القضايا الأساسية التى استمر طرحها على مؤتمرات القمة ووزراء الخارجية منذ المؤتمر الثالث لوزراء الخارجية الإسلامى الذى عقد فى جدة فى محرم سنة ١٣٩٢ هـ (فبراير - مارس سنة ١٩٧٢م) وكان اضطهاد المسلمين هناك قد وصل مداه وأصدر المؤتمر أول قرار له بشأن هذه القضية على النحو التالى :

«استعرض المؤتمر أحوال المسلمين فى الفلبين والمعلومات التى تلقاها من الأمين العام وأعرب عن قلقه الشديد لمحنة المسلمين الذين يعيشون فى الفلبين ويرى أنه من الضرورى القيام بمساع حميدة لدى حكومة الفلبين لضمان سلامة أرواح وممتلكات المسلمين فى الفلبين إذ من حقهم كرعايا أن يتلقوا الرعاية الواجبة من الدولة .. إن المشكلات التى يواجهونها الآن ينبغى أن تبحث كما ينبغى توفير ظروف مرضية بأسرع وقت ويطلب المؤتمر من الأمين العام أن يجرى الاتصالات فى هذا الشأن وأن يقدم للدول الأعضاء تقريرا عن هذه الاتصالات» .

وفى مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى الرابع الذى عقد فى بنغازى صفر ١٣٩٣هـ (مارس ١٩٧٣) اطلع الأعضاء على تقرير الأمين العام وكانت أنباء حريق الجامعة الإسلامية فى الفلبين (١٠ سبتمبر ١٩٧٢م) قد أزعجت العالم الإسلامى وأصدر المؤتمر القرارات التالية :

١- يشعر المؤتمر بالقلق العميق لما تردد من أعمال القمع والإبادة التى يتعرض لها المسلمون فى جنوب الفلبين ويطالب الحكومة الفلبينية بوقف تلك العمليات فورا .

٢- إنشاء صندوق لمساعدة المسلمين فى جنوب الفلبين تساهم فيه الحكومات الإسلامية على حسب تقديرها مع القيام بحملة تبرعات على المستوى الشعبى فى البلاد الإسلامية لصالح المسلمين فى الفلبين .

٣- إرسال بعثة تقصى حقائق من وزراء خارجية ليبيا والسعودية والسنغال والصومال .

وفى مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى الذى عقد فى كوالالمبور فى جمادى الثانية ١٣٩٤هـ (يونية ١٩٧٤م) بحث المؤتمر التقرير المقدم من اللجنة الرباعية وأصدر قراره باستمرار الإعراب عن الأسى العميق إزاء استمرار الوضع السائد بين المسلمين الفلبينيين ودعا حكومة الفلبين للكف عن الإجراءات القمعية وتدمير الممتلكات الإسلامية وأماكن العبادة وفى نفس الوقت سجل المؤتمر الخطوات التى اتخذتها حكومة الفلبين لتحسين أحوال المسلمين . مع إعرابه عن اقتناعه بأن الخطوات الاجتماعية والاقتصادية المقدمة منها لاتكفى وحدها لحل المشكلة وحث حكومة الفلبين على التفاوض مع ممثلى الجبهة الوطنية لتحرير مورو بهدف التوصل إلى حل عادل يعالج محنة المسلمين فى إطار السيادة الوطنية للفلبين ووحدة أراضيها وإيقاف العمليات العسكرية فورا ومراعاة عودة اللاجئين إلى ديارهم ووقف الهجرة المسيحية من الشمال .

كما تقرر إنشاء جهاز يسمى «وكالة الغوث والإنعاش الإسلامية» على أن تمول من الصندوق الإسلامى وتخضع لرقابة مجلس صندوق التضامن والإبقاء على البعثة الخاصة لوزراء الخارجية لمتابعة هذا الموضوع واستمرار مناقشته فى المؤتمر التالى وإبلاغ ذلك كله لحكومة الفلبين .

غير أن حكومة الفلبين - التى لم تكن جادة فى نواياها- لم تلبث أن تنكرت لوعودها بشأن منح الحكم الذاتى لمسلمى الفلبين وتدهور الموقف هناك بشكل خطير واستأنف الثوار كفاحهم كما استأنفت الحكومة الفلبينية فى اتباع وسائل القمع الرهيبة بينهم مما جعل مؤتمر وزراء الخارجية الذى عقد فى استامبول (جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ) مايو سنة ١٩٧٦ م يعلن شجبه لهذه السياسة العدوانية من جانب الحكومة الفلبينية وطالبها بوقف عملياتها العسكرية ضد المسلمين وسحب جنودها فورا من مناطق المسلمين جنوبى الفلبين وطالبها بالوفاء

بتعهداتها فى منح الحكم الذاتى لهم فى المناطق المتفق عليها مع استمرار اللجنة الرباعية فى مهامها وتكليف الأمين العام بالتشاور من أجل تقديم معونات عاجلة للاجئين .

وقد لعبت ليبيا دورا واضحا فى إطار اللجنة الرباعية بسبب تركيزها على مشكلة المسلمين فى الفلبين وتم عقد عدة اجتماعات فى طرابلس بين ممثلى حكومة الفلبين برياسة حرم الرئيس الفلبينى وممثلى جبهة تحرير مورو برياسة نور ميسوارى وأعلن فى هذا اللقاء موافقة حكومة الفلبين على منح الحكم الذاتى لثلاث عشرة ولاية إسلامية جنوبى الفلبين .

غير أنه بعد عودة الوفد الفلبينى إلى بلاده أعلنت الحكومة الفلبينية عزمها على استفتاء الولايات الإسلامية فى مبدأ قبولها للحكم الذاتى واعتقدت جبهة مورو أن الهدف من هذا الاقتراح تزييف إرادة الجماهير الإسلامية فى جنوب الفلبين وطالبت الحكومة بتنفيذ وعودها فى منح الحكم الذاتى للمسلمين دون استفتاء إذ لايعقل أن المسلمين الذين خاضوا كفاحهم المرير طيلة القرون الماضية بحاجة إلى استفتاء فى إقامة حكم ذاتى لهم يحميهم من أخطار السياسة العدوانية التى درجت عليها حكومة الفلبين فى تعاملها معهم .

واشتعلت الثورة فى الفلبين واضطر نور ميسوارى للإلتجاء إلى ليبيا التى أعلنت حكومة الفلبين رفض التفاوض معها بشأن هذه المشكلة الداخلية التى تخصها وحدها وأعلنت عودتها لاستمرار الحوار مع كريم جابى أمين منظمة المؤتمر الإسلامى كما أرسلت ثلاثة سفراء يمثلونها فى مؤتمر وزراء الخارجية الذى عقد فى داكار عاصمة السنغال عام ١٩٧٧م وأعلن رئيس جمهورية الفلبين اتجاه حكومته إلى تقسيم جمهورية الفلبين إلى عشرة أقاليم فى إطار نظام لامركزى يتمتع فيه المسلمون فى مناطقهم بأغلبية المناصب العليا .

غير أن الظروف السياسية التى طرأت بعد ذلك أدت إلى تجميد هذه المشكلة التى تمثل بندا أساسيا من بنود المؤتمر الإسلامى بالإضافة إلى بعض الأحداث الداخلية فى الفلبين مما يمكن أن نجمله فيما يلى :

أولا : نجاح الحكومات الفلبينية فى إثارة النزاع بين صفوف قيادة الثوار المسلمين هناك وخاصة ذلك الخلاف الذى احتدم بين الزعيمين الكبيرين نور ميسوارى وهاشم سلامه وإثارة الأقاويل حول اتهام نور ميسوارى بميول يسارية مما أدى إلى فقدان ثقة الزعامات القيادية فى المؤتمر الإسلامى .

ثانيـا : ضـعف الدور الذى كـانت تقـوم به اللجنة الرباعيـة وهى اللجنة المكلفـة من المؤتمر بمواصلة جهودها مع الحكومة الفلبينية لحل مشكلة المسلمين هناك بسبب انفراد ليبيا والقيادة الفلبينية خاصة بعد أن لجأ نور ميسوارى إلى ليبيا وأخذ يقود حركة الثورة الإسلامية فى الفلبين من منفاه .

ثالثا : ظهور مشكلات جديدة على الساحة الإسلامية فى مقدمتها الهجوم الأثيوبى على الصومال الإسلامية وموقف بعض دول المؤتمر الإسلامى منه وتصاعد حركة القضاء على الثورة الأريترية من جانب الحبشة والخلافات التى قامت بين مصر والدول العربية حول مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى .

ثانيا : الهند الصينية

الاستعمار الفرنسي :

حاولت فرنسا السيطرة على الهند الصينية (فيتنام ، تايلاند، وكمبوديا) بثلاث وسائل هى التبشير (التنصير) والخداع والقوة ، وذلك للتعويض عما فقدوه فى الهند بعد أن طردتهم بريطانيا منها .

وكانت فرنسا تخطط لقيام إمبراطورية فى آسيا بالقوة بحجة حماية الكنيسة بسبب الاضطهادات التى تتعرض لها البعثات التبشيرية (التنصيرية) ، فقررت فرنسا القيام بحملة حربية تعاونها أسبانيا فى الفلبين لرفع الإهانة التى وقعت على ديانتهم وثقافتهم التنصيرية . فأستولى الفرنسيون على سايجون فى فيتنام ، ولكن الأهالى حاصروا المدينة وجعلوا مركز الحامية الفرنسية قلقا وحرجًا جداً . غير أن الحصار رفع عنها بعد وصول نجدات أخرى فرنسية، وتقرب القائد الفرنسى إلى ملك كمبوديا الذى أظهر موقفًا وديا ، وعقد معاهدة مع كمبوديا سنة ١٨٦٣ م تحولت بها تلك الدولة إلى محمية ، بحيث تخضع كل شئونها الخارجية تحت تصرف فرنسا التام ، كما نصت الشروط على تعيين مقيم فرنسى ، وعلى حق بعثات التنصير الفرنسية فى القيام بنشاطها الدينى، وحرية السفر ، وحق فرنسا فى استغلال الغابات . كما عقدت فرنسا معاهدات مماثلة مع تايلاند (سيام) ١٨٦٧م. واستمرت اعتداءات فرنسا على فيتنام (مملكة أنام) ، وفى الوقت نفسه قاوم الأهالى بضراوة العدوان الفرنسى الذى استمر خمسة عشر عاما أخرى . وقد هزم الفرنسيون فى هانوى (عاصمة فيتنام) ، وأدت تلك الهزيمة إلى تسوية نهائية اعترفت فيها فرنسا بسيادة إمبراطور فيتنام ، ووعدته بالمساعدة ضد أى عدوان أجنبى مقابل أن تتولى فرنسا السياسة الخارجية ، ونجحت فرنسا فى السيطرة على الهند الصينية [1].

واستمر الصراع بين الأهالى والفرنسيين فى الهند الصينية ، أدى إلى قيام عمليات حربية، وتواصلت الأعمال العدوانية ، وفشل الفرنسيون فى إيقاف تلك الأعمال العدوانية ، فنشبت حرب نظامية بين الطرفين ، تنازلت الصين عن سلطانها فى تونكين وأنام عام ١٨٨٦ م . وكلفت فرنسا أمراء البحر مقاومة السكان آخذين بالحزم والقوة فى القضاء على الأعمال

١- تشستربين ، الشرق الأقصى ، ص.١١٠ -١١٢ .

العدوانية ، وفى الوقت نفسه عمل الأهالى على عدم التعاون مع الفرنسيين منذ البداية ، وكانت فرنسا تريد تطبيق النظم القائمة فى فرنسا[١] .

عمد الفرنسيون إلى سياسة التفوق العنصرى فتعلقوا بها لاهتمامهم بالمحافظة على هيبتهم مثل الإنجليز واحتقروا الأهالى وأذلوهم . وهذه السياسة كانت تزيد من كراهية الشعب لهم فى كل مكان ، وتحفزه بل تدفعه لمقاومتهم وطردهم من البلاد حتى حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية .

وكانت فرنسا قد عملت على إنشاء الطرق والسدود والتلغراف والتليفونات والسكك الحديد، ولكن الشعب كان غاضبا على السلطات الفرنسية ، وكان معتزا بقوميته ووطنيته ، لذا فقد قامت فتن وتمردات محلية فى فيتنام وكمبوديا وتونكين ، فقاموا بذبح الأهالى النصارى الموالين لفرنسا ، فلم يخضعوا لهيمنة فرنسا ، وأخذت سياسة المشاركة والترابط بدلا من سياسة الإدماج . واستمرت المقاومة حتى حصولهم على الاستقلال . وكانت فرنسا قد تحكمت فى هذه الدول بشكل يثير الأهالى ضدها ، وخاصة نظام الامتيازات التى كانت تعطى فرنسا صلاحيات كبيرة من أجل فرض هيمنتها على تلك الدول الشرق آسيوية [٢].

ونتيجة لتحدى بريطانيا لمشروعات فرنسا التوسعية بضم سيام (تايلاند) إليها، فقد عقدت معاهدة بين بريطانيا وفرنسا لتسوية مشكلات الحدود، وجرى تقسيم المناطق الحدودية بينهما ، ومنحت بريطانيا امتيازات تجارية مهمة، ومع ذلك استطاعت سيام المحافظة على استقلالها الذاتى فى أواخر القرن التاسع عشر[٣] .

وفى مارس ١٩٤٥م قضت القيادة اليابانية على الإدارة الفرنسية الاستعمارية وأخذت السلطة فى يدها ، ولكن قبيل صيف عام ١٩٤٥م بدأت تظهر فى فيتنام الشمالية مناطق واسعة من الأراضى أصبحت أجهزة السلطة الثورية صاحبة الموقف فيها، هذه الأجهزة هى اللجان الشعبية ولجان التحرير التى يقودها الحزب الشيوعى للهند الصينية وجبهة التحرير الوطنى الموحد «فيت مين» - رابطة النضال من أجل الاستقلال- وقبيل بداية أغسطس كانت قد تكونت بالفعل فى هذه المناطق أولى الأجهزة المؤقتة للسلطة الثورية المستعدة لتولى المهام الرئيسية للدولة الديموقراطية الشعبية عقب النصر مباشرة .

١- بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية : ٢٢٦-٢٢٨ .

٢- تشسترين : المرجع السابق : ص١١٢-١١٣ .

٣- نفس المرجع ، ص١١٢-١١٣ .

واتخذت الأحزاب والتنظيمات الوطنية الفيتنامية ، بعد دخول الاتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان قرارا بالثورة ضد المحتلين وذلك بمبادرة من الشيوعيين . وبدأت الثورة فى ١٧ أغسطس عام ١٩٤٥م بمظاهرة مسلحة قوية فى «هانوى» سرعان ما شملت البلاد كلها ، واستسلمت القوات اليابانية ، وكان ذلك ضربة للرجعية المحلية وفى نفس الوقت لنظام الحكم العميل الذى كان قد قام فى مارس ، كما كان يعنى انهيار أهم جزء من البناء السياسى المعارض للثورة . وفى ٢٥ أغسطس تنازل الإمبراطور «باوداى» عن العرش ، وفى ٣ سبتمبر أعلن «هوشى منه» زعيم الشعب الفيتنامى انتصار الثورة الشعبية فى اجتماع حافل بمدينة «هانوى» العاصمة .

وفى سبتمبر ١٩٤٥م - أيضا- دخلت قوات الاحتلال البريطانية مدينة «سايجون» ووصلت معها أولى وحدات فيلق العمليات الفرنسى ، ومن ثم بدأت فى الجنوب حرب مقاومة للشعب الفيتنامى ضد الغزو الأوروبى ، تلك الحرب التى انتهت عام ١٩٥٤م بهزيمة القوات الفرنسية وخروجها من فيتنام ، لتبدأ حرب أخرى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ضد حكومة هانوى الشيوعية التى دعمت ثورة الجنوب للتخلص من القوى الاستعمارية هذه الحرب الأخيرة انتهت بخروج القوات الأمريكية من فيتنام لتتوحد جمهورية فيتنام .

بورما والاستعمار البريطانى :

لم يستطع حكام بورما تكوين مملكة إلا فى القرن الحادى عشر ، وقد تم تدميرها على أيدى ملوك الصين المغول فى القرن الثالث عشر ، وظلت بعد ذلك مقسمة إلى أقاليم يحارب بعضها بعضا . وقد بدأ الأوروبيون يتاجرون مع بورما فى القرن السادس عشر ، فعقد البرتغاليون معاهدة مع بورما بعد استيلائهم على الملايو (ملقا) سنة ١٥١١م، ثم بدأ التدخل الفرنسى والبريطانى ، ولكن البورميين قاوموا النفوذ البريطانى، وقامت عدة حروب بينهم وبين الانجليز وتحقق النصر للإنجليز ، وضموا بورما لهم لمجاورتها للهند حتى لاتقع فريسة لدولة أوروبية أخرى كفرنسا ، وتم ذلك عام ١٨٨٥م [1].

١- تشستربين : المرجع السابق ، ص١١٠-١١١ .

عين الإنجليز حاكمًا لبورما وألحقوها بحكومة الهند، ويعاونه مجلس تشريعي يتألف من تسعة أعضاء . واحتفظ الإنجليز بالزعماء المحليين لجمع الضرائب وأدى السلام بين الجانبين إلى ارتفاع مستوى المعيشة ، ونجم عن ذلك زيادة عدد السكان .

وشهدت بورما قبيل عام ١٩٤٥م ظروفا مواتية لقيام ثورة التحرر الوطني، فكانت رابطة الحرية الشعبية المعادية للفاشست قد أنشئت في صيف عام ١٩٤٤م ، بجهود الشيوعيين والاشتراكيين في بورما وجهود الجيش الوطني لبورما بقيادة «أون سان» وفي مارس ١٩٤٥ قامت الرابطة بتزعم الثورة الوطنية ضد المحتلين اليابانيين ، وفي أوائل مايو حررت قوات الرابطة مدينة «رانجون» حيث دخلتها القوات البريطانية في ٣ مايو .

ومن هنا حدث ازدواج في السلطة ، فإلى جانب سلطة الإدارة العسكرية البريطانية ظهرت سلطة الرابطة التي تستند إلى تأييد الشعب ، وحاول البريطانيون سلب الشعب في بورما دوره السياسي بالضغط من أجل الإنفراد بالسلطة والإيقاع بين الأطراف المشكلة للرابطة ، ولكن الرابطة تمسكت بالنضال من أجل الاستقلال ، مما اضطر بريطانيا للموافقة على التفاوض مع زعماء الرابطة البورمية وعلى رأسهم «أون سان» ، وبعد مفاوضات شاقة طوال أعوام ١٩٤٦ و ١٩٤٧م تم إعلان استقلال بورما رسميا في ٤ يناير عام ١٩٤٨م . ورغم أن بريطانيا قد احتفظت لنفسها ببعض الامتيازات إلا أن الثورة التحررية الوطنية لشعب بورما قد انتصرت .

الباب الثانى

أقطار جنوب آسيا

الفصل الأول : الهند

الفصل الثانى : الباكستان

الفصل الثالث : أفغانستان

الفصل الرابع : إندونيسيا

الفصل الخامس : ماليزيا وسنغافورة

الفصل الأول

الهنـــد

الهند والهنود - الدول الإسلامية - الاستعمار البريطانى - الإسلام والمسلمون فى الهند المعاصرة

الهند والهنود :

شبه القارة الهندية عالم قائم بذاته يعزله عن بقية قارة آسيا فى الشمال جبال الهملايا الشامخة التى تعرف بسقف الدنيا ، وتتفرع منها فى الشرق جبال آسام أما فى الغرب فيتفرع منها جبال الهندكوش حتى الشاطئ جنوبا ، وفيما عدا ذلك فالبحر من ورائها محيط . وفى الهند تجرى أعظم الأنهار : الكنج والسند. والأول مقدس عند الهنادكة والثانى أطول بروافده ، وتضم وديان هذين النهرين أغلب أراضى الهند الزراعية وأخصبها ، والتى تعد أكثر مناطق الهند ازدحاما بالسكان ، وهذا إلى جانب عدة أنهار تجرى فى هضبتها الوسطى- هضبة الدكن- وإلى الجنوب منها [1].

أقدم من سكن الهند فى الغالب أقوام لهم سمات الزنوج ، ثم وفد فى عصر ما قبل التاريخ موجات بشرية من أواسط آسيا ، إلى جانب موجات آرية قادمة من الشمال الغربى. كان منهم الآريون والهياطلة والترك والمغول . ويمكن القول أن شبه قارة الهند إجمال لجميع أدوار تاريخ البشرية فى شتى صوره ، ففيها تمثيل كامل لفروق الآدميين وما عرفوه من معتقدات منذ ظهور الوثنية حتى اهتداء الناس بالتوحيد [2].

ويمكن تحديد القوميات التى تسكن شبه القارة الهندية فيما يأتى :

١- البلوخ Baluch ، ويعيش معظمهم فى السهول والجبال الجافة فيما يعرف الآن بولاية بلوخستان الباكستانية والأقاليم المجاورة فى السند والبنجاب إلى جانب أقلية منهم فى بلوخستان الإيرانية، وفى مناطق سيستان وريجستان الأفغانية .

١- د. أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص٨ .

٢- نفس المرجع ، ص٧ -٨ .

٢- البنجابيون Punjabis ويرجع الاسم لسكناهم لأرض البنجاب ، وهم مجموعة سائدة فيما يعرف الآن بالباكستان والبنجاب الهندية .

٣- البوهتون Puhtun ويسكنون فيما يعرف الآن بالباكستان وأفغانستان ويطلق عليهم فى الهند اسم الباتان .

٤- البنغاليون Bangalis ، ويسكنون إقليم البنغال فى الهند القديمة.

٥- الأيماق Aimaq ويعنى الشعب القبلى ويسكنون فى غرب أفغانستان وما جاورها من خراسان الإيرانية .

٦- النورستان Nuristani ويعيشون فى شرق أفغانستان ، ويختلفون عن الأفغان من النواحى اللغوية والطبيعية والحضارية [١].

وكانت الهند مقر الديانة البراهمية التى تنتسب إلى «براهما» كما تسمى الهندوكية نسبة إلى الهند وينقسم الشعب الهندى إلى طبقات متباينة على شكل هرم فتحتل الكهنة فى أعلاه، يليهم المحاربون فالزراع فالخدم ، وهناك المنبوذون الذين ترفعتهم كل طبقة وتحتقرهم كل جماعة فلايلتقون بهم كما أن الطبقات الأخرى ينفصل بعضها عن بعض بفاصل كبير [٢].

وفى شبه القارة الهندية ٢٤٠ لغة و٣٠٠ لهجة ، وترجع لغات الشمال إلى الأصل الآرى فى حين تنتسب لغات الجنوب والوسط إلى الأصل الدراويدى . وللغة السنسكريتية من بين لغات الهند الآرية أهمية خاصة فهى لغة الكتب المقدسة الهندية القديمة. وهى من لغات إقليم البنغال، وقد ظهرت فى شكلها الحديث منذ حوالى ألف عام بعد الميلاد [٣].

أما اللغة الرسمية الأوردية فهى على رغم حداثة عهدها (قبل القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى) تعد أوسع لغات شبه القارة الهندية انتشارا وهناك اللغات البنغالية والبنجابية . والأوردو إحدى لغات المجموعة الإيرانية- الهندية ، وتعنى لغة المعسكر وقد دخلت مع المغول ، واكتسبت مكانتها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فأصبحت لغة المجتمع والإدارة المحلية فى شمال الهند .

١- د. السيد خالد المطرى : دراسات فى سكان العالم الإسلامى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م. ص٣٢٢-٣٢٩ .

٢- د. اسماعيل ياغى : تاريخ شرق آسيا الحديث ، ص٣٥ .

٣- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق، ص١٣ .

وهناك أيضا لغات البشتو الأكثر أهمية فى أفغانستان باعتبارها اللغة الرسمية هناك إلى جانب انتشارها فى إقليم الحدود الشمالية الغربية وإقليم بيشاور فى باكستان الحالية. والبلوخية ويتحدث بها جماعات البلوخ فى أفغانستان وفى إيران والكشميرية وهى لغة سكان إقليم كشمير وهى من أصل سنسكريتى وتأثرت باللغة الفارسية [١].

وتعددت ديانات أهل شبه القارة الهندية حيث هناك تمثيل كامل لمراحل العقائد من الوثنية حتى التوحيد ، والواقع أن نظم الهند الاجتماعية تقوم على معتقداتها ، ولقد عرفت الهند قبل عصر البراهمة جملة من الآلهة تمثل قوى الطبيعة مثل : أغنى إله النار موجب الكون ، وأندرا إله السماء الذى ينسب إليه البعض تسمية الهند ، وشورية إله الشمس ، وكان القوم يعتقدون كذلك بخلود الروح ويقدسون الموتى من أسلافهم ، كما يقدسون الأفاعى والقردة والنمور والثيران والأشجار . هذا إلى جانب البوذية وصاحبها «كوتامابد» والجينية وصاحبها «مهابير» بالإضافة إلى الديانة المسيحية والديانة الإسلامية[٢] .

ومعظم مسلمو الهند سنيون فيما عدا أقلية شيعية فى باكستان الحالية، الذين يتركزون فى ولاية السند حيث تعتبر مدينة جندبور مركزا لهم ، كما أن لهم أحياء خاصة فى مدينة كراتشى وبخاصة من الطائفة الإسماعيلية إلى جانب منطقة بلتستان فى مقاطعة الحدود الشمالية الغربية وبخاصة فى العاصمة بشاور إلى جانب وجودهم فى بعض قرى البنجاب مثل مدينة «جنك» [٣].

أما القاديانية التى تنسب إلى ميرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطا محمد القاديانى المولود عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م فى بلدة قاديان إحدى قرى البنجاب ، والذى ادعى أنه المسيح المنتظر ، ثم ادعى النبوة ، فتنتشر أساسا فى باكستان الحالية ومركزهم الرئيسى بلدة «ربوة» ويشغلون الآن مراكز رئيسية فى الجيش والبحرية والوظائف الحكومية، وقد أعلنت حكومة الباكستان عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، أن القاديانيين غير مسلمين[٤].

١- د. السيد خالد المطرى : المرجع السابق، ص٤٦٠-٤٦٢ .

٢- د. أحمد محمود الساراتى : المرجع السابق، ص١٠ .

٣- د. السيد خالد المطرى : المرجع السابق ، ص٥١٤-٥١٥ .

٤- نفس المرجع، ص٥٢١-٥٢٢ .

وتتواجد الديانات الوضعية فى بلاد شبه القارة الهندية بنسب متفاوتة فالبوذية توجد بنسبة قليلة جدا فى بنجلاديش الحالية وبخاصة بين السكان القبليين فى مناطق تلال شيتا جونج ، إلى جانب أقلية بوذية فى القسم الشرقى من ولاية كشمير وجامو. ويعيش فى بنجلاديش أيضا أقلية من أتباع البراهمة ، وأقلية مماثلة فى باكستان .

أما أتباع الديانة الهندوسية فيشكلون أقلية كبيرة من الهندوس وخاصة فى ولايات الحدود الغربية. ونسبة ضئيلة من الهندوس فى الباكستان يقيمون فى البنجاب ، ويتركزون فى المدن الكبرى وفى إقليم الحدود الجنوبية الشرقية ، وتوجد أقلية ضئيلة من الهندوس فى أفغانستان ولكن النسبة ترتفع إلى ٢٠٪ فى ولاية كشمير وجامو من السكان من الهندوس (١).

كما يوجد أتباع لبعض الديانات قليلة الأهمية فى شبه القارة الهندية، مثل السيخ الذين يمثلون أقلية ضئيلة فى كشمير وجامو، ويوجد بعضهم فى الباكستان الحالية ، وزعيمهم جورو الذى تأثر بالإسلام والهندوسية معا، ويحرمون حلق الشعر وبخاصة الشارب واللحى .

كما توجد قلة تتبع «الراجبوت» الذين يعتقدون أنهم ينحدرون من النار ، فى باكستان الحالية ، وهم إما من الهندوس أو المسلمين ، والجينيون الذين ينظرون إلى كل ما فى الطبيعة على أنه كائن حى، ويمنعون الأذى عن أحقر الكائنات ، ويوجد بعض أفرادهم فى الباكستان الحالية ، وهذه الديانات من الديانات الوضعية (٢).

وقد دخل المسلمون إلى شبه القارة الهندية حينا بدافع دينى مجرد من كل مصلحة. ودخلوها حينا آخر كغزاة فاتحين وملوك طامحين كالسلطان محمود الغزنوى ، وشهاب الدين محمد الغورى ، وظهير الدين بابر التيمورى. وقد دخل المسلمون فى الهند وهى تعتز بحضارة أصيلة عريقة فى القدم وفلسفة عميقة وخيرات عظيمة ، ومع ذلك كانت تعيش منذ قرون فى عزلة عن العالم .

دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمة فى الشرق ، بل فى العالم المتمدن المعمور فى ذلك العهد يحملون دينا جديدا سمحا وعلوما اختمرت وتوسعت وحضارة تهذبت ورقت حواشيها . ونتاج حضارات متنوعة متعددة ، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ولطافة حسن الفرس وفروسية الترك (٣).

١- د. السيد خالد المطرى : المرجع السابق، ٥٢١-٥٢٢ .

٢- د. السيد خالد المطرى : المرجع السابق ، ص٥٣٩-٥٤١ .

٣- أبو الحسن على الحسنى الندوى : المسلمون فى الهند، الهند لكهنئو ١٩٨٧ ص١٢-١٤ .

الدول الإسلامية

دخل الإسلام إلى شبه القارة الهندية على أيدى التجار العرب إذ كان للعرب علاقات تجارية مع الهنود ترجع إلى سنوات طويلة قبل ظهور الإسلام ، ولكنهم حين وفدوا إلى شبه القارة الهندية مسلمين فى مطلع القرن العاشر الميلادى أقاموا على طول الساحل الغربى وتزاوجوا مع أهل البلاد حتى إذا جاءت الفتوح الإسلامية فى عهد الأمويين وجدت الطريق ممهدا لنشر العقيدة الإسلامية ، حتى إذا أخذ نفوذ العباسيين يتقلص عن الهند بضعف دولة الخلافة استقل بحكمها بعض الأمراء ، وكان هذا النفوذ غالبا فى غرب الهند ، أو إن شئنا التحديد ، قلنا فى أرض السند وهى المنطقة التى تكون باكستان اليوم[١] .

ومما تجب ملاحظته أن المسلمين منذ أن دخلوا السند وانحدروا منها إلى بقية شبه القارة الهندية لم يتخلوا عن هذه البلاد قط، كما أن الفاتحين الذين جاءوا قاصدين الهند وفدوا بطريق السند- باكستان الحالية- من الشرق أو من الغرب ثم انحدروا إلى الهند[٢] وكان أول فتح إسلامى كبير للهند هو ذلك الفتح الذى قاده محمود الغزنى أمير الأفغان عام ١٠٠١م حيث اتخذ من البنجاب مركزا انطلق منه الفاتحون الإسلاميون بعده لفتح بقية أجزاء شبه القارة الهندية بل ولنشر الإسلام الذى وجد قبولا كبيرا لدى أهل الطبقات الدنيا والفقيرة من الهنود الذين دخلوا الإسلام أفواجا وتمتعوا بما ينادى به الإسلام من أخوة حتى كانوا بعد ذلك يرتقون إلى مستوى الفاتحين [٣].

ومنذ أن وفد الإسلام إلى الهند والمسلمون لهم القوة والجاه والسيادة فى شبه القارة الهندية، فكانت الدولة الإسلامية التى أسسها قطب الدين محمد الغورى عام ٥٨٩هـ الموافق ١١٩٣م ، على أنقاض الدولة الغزنوية ، أقوى دولها ، فقد وسعت كل شمال الهند من مرتفعات «فنديا» جنوبا إلى جبال «الهملايا» شمالا ، ثم تلتها أسرات إسلامية قوية حكمتها خلال القرون الخمسة التالية متخذة من دهلى مركزا وعاصمة للدولة الإسلامية ، وإن لم تحاول التوسع جنوبا أو تجعل من الهند كلها دولة إسلامية موحدة .

١- عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين فى تحرير الهند ، ص١٩ .

٢- د. إحسان حقى : باكستان ماضيها وحاضرها ، ص٤١ .

٣- لوثروب ستوارد : حاضر العالم الإسلامى، جـ٤ ، ص١٨٠ .

حتى إذا كان عام ٩٣٢ هـ الموافق ١٥٢٦م حكمت الهند الدولة «التيمورية» أو الدولة المغولية التى كان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامى فى شبه القارة الهندية ، وبلغت من القوة والاتساع حدا لم تشهده دولة إسلامية سابقة فى الهند وشهدت البلاد فى عهدها حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية .

وكان دخول الإسلام إلى البنغال الشرقية- جمهورية بنجلاديش الإسلامية حاليا- أعظم دليل على قوة الإسلام ومبادئه التى جذبت إليها كثيرا من الهندوس فأقبلوا على اعتناق الدين الإسلامى أفواجا ، ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى غزت هذه البلاد أسرة هندوكية متعصبة نزلت عليها من الجنوب وفرضت نظام الطبقات الهندوكى فى صرامة وشدة وتعصب ، فلما جاء المسلمون وغلبوا هذه الأسرة الحاكمة ودعوا للدين الإسلامى استهوت دعوتهم المغلوبين على أمرهم ورأوا فى الدين الجديد مساواة لم يروها فى الديانة الهندوكية فأقبلوا على اعتناقه وتحولوا من الهندوكية إلى الإسلام ، وكان للدعاة والتجار المسلمين الذين انحدروا إلى تلك المناطق الموسمية الغنية الفضل الأول فى نشر الدين الإسلامى فى أرجائها الواسعة ، وكان انتشار الإسلام فى هذه المناطق وفى اندونيسيا والملايو والصين على أيديهم .

ولكن منذ القرن السادس عشر أخذت الدولة الإسلامية فى الهند تضعف وتتفكك رقعتها الواسعة بإعلان بعض الأمراء استقلال المناطق التى يحكمونها ، وشعر البراهمة بأنهم مهددون بالخراب والاندثار فشرعوا يبشرون بدعوة لليقظة الهندية فآل الأمر إلى تضعضع سلطان السلالة المغولية [1]. وجمع بعض أمراء الهندوس والسيخ الجيوش وشنوا حروبا على الدولة الإسلامية واقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها ، والملوك المسلمون فى دهلى يضعفون شيئا فشيئا ، وينحسر نفوذهم وينكمش ، حتى لم يعد لهم سلطان ولانفوذ[2] حتى إذا كان أوائل القرن الثامن عشر انقرضت المملكة المغولية [3].

جاء تفتت الدولة الإسلامية فى شبه القارة الهندية مهيئا للأطماع الاستعمارية الأوروبية لكى تحقق أهدافها ، فإلى جانب البرتغال ظهرت شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند

١- لوثروب ستوارد : المرجع السابق، ص١٨٠ .

٢- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٢١ .

٣- لوثروب ستوارد : المرجع السابق، ص١٨٠ .

الشرقية الفرنسية وشركة الهند الشرقية البريطانية متصارعة جميعا لبسط نفوذها على ممتلكات الدولة الإسلامية فى الهند. وانتهى الصراع بفوز شركة الهند الشرقية البريطانية بالغنيمة [١].

ولقد تركت الدولة الإسلامية فى شبه القارة الهندية آثارا آية فى الروعة والعظمة منها على سبيل المثال لا الحصر مقبرة السلطان «جهان كير» وهى تقع فى بستان كبير يقع على بعد بضعة كيلومترات من مدينة لاهور ، وكتب على المقبرة : نور الدين محمد جهان كير بادشاه ١٠٣٧هـ، وقبر زوجته «نورجهان» المشابه لمقبرته والتى تبعد عنها بحوالى كيلو متر واحد[٢]. كما كان من الآثار الإسلامية كذلك قبر «تاج محل» الذى بناه السلطان «جهان شاده» سنة ١٦٣٠م لزوجته المحظية التى كان قد ملك هواها قلبه وتدعى «الأميرة ممتاز محل» فى «أجرا» التى تقع الآن فى جمهورية الهند ، وكانت الأميرة «ممتاز محل» قد ماتت وهى نفساء فى مقتبل العمر فناشدت السلطان أن يخلد اسمها فى بناء عظيم الشأن فبنى لها ذلك المدفن النادر المسمى بالتاج [٣].

الاستعمار البريطانى

أخذت شركة الهند الشرقية البريطانية تخطط للإنفراد بالنفوذ الأعلى فى شبه القارة الهندية منذ عام ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م دون معارضة الدولة الإسلامية بالهند، فعمدت إلى الإيقاع بين الأمراء المسلمين بإعانة البعض بالمال والرجال ضد البعض الآخر، وما كاد ينتصف القرن الثامن عشر حتى أمسكت الشركة بدخل الولايات الإسلامية وغير الإسلامية فى شبه القارة الهندية، وقد أساء هذا الوضع أمراء الدولة الإسلامية فتعددت مواقفهم الحازمة ضد

١- وكان البرتغاليون أول قوة أوروبية تصل إلى الهند عندما وصلها «فاسكودا جاما» عام ١٤٩٨م ومنذ ذلك الوقت بدأ تكوين المستعمرات البرتغالية فى ساحل الهند الغربى وفى جزر الهند الشرقية ، وظلت البرتغال تحتكر التجارة الهندية والنفوذ فى المياه الهندية حتى زاحمتها هولندا وفرنسا ثم بريطانيا التى انفردت بالسيطرة بعد ذلك .

٢- د. إحسان حقى : باكستان ، ص٩٠-٩١ .

٣- لوثروب ستوارد : المرجع السابق، ص٣٢١ . ويمكن الاستزادة من معلومات حول تاج محل من كتاب دكتور إحسان حقى ، إلى جانب ستر دارد.

مؤامرات الشركة البريطانية ، كان من بين هذه المواقف موقف الأمير «سراج الدولة» فى البنغال عام ١١٧٠هـ الموافق ١٧٥٧م وموقف الأمير «حيدر» فى الجنوب فى عام ١١٩٥هـ الموافق ١٧٨١م وموقف ابنه «السلطان تيبو» ، إلا أن هذه المواقف لقيت الفشل بسبب خيانة بعض القواد وضعف نفوس بعض أمراء الولايات الذين استمالهم الإنجليز [١].

وكان المسلمون أصحاب السيادة فى الهند حتى بدأت جولة الإستعمار الأوروبى ودخلت الهند تحت النفوذ البريطانى فعملوا على إضعاف المسلمين وكسر شوكتهم حتى يلين لهم الأمر فى المستعمرة الغنية الواسعة ، ورغم أن شركة الهند الشرقية البريطانية بدأت نشاطها فى الهند بالسعى إلى جنى الأرباح وكسب الأموال ، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى حكومة ذات سياسة طموحة ترمى إلى الفتح والامتلاك فكان من شأن هذا التحول أن أيقظ الكثير من أهل الهند إلى حقيقة السياسة البريطانية الاستغلالية مما كان السبب فى انفجار بركان الثورة عام ١٨٥٧م [٢].

تزعم الثورة ضد الإنجليز المسلمون وبعض الهندوس الذين نكبهم الإنجليز ، وبسبب تأخر الثورة وسياسة الإنجليز فرق تسد فقد فشلت الثورة ، وتحمل المسلمون وحدهم نتائج فشلها ، ونتج عن هذه الثورة إصدار قرار من الحكومة البريطانية بإلغاء حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية فى الهند عام ١٨٥٩م وجعلت الهند تابعة مباشرة للتاج البريطانى ، ونودى بعد ذلك بالملكة فكتوريا ملكة بريطانيا إمبراطورة على الهند كذلك ، ونجم عن كل ذلك تقوية السلطة السياسية البريطانية فى الهند وزيادة تغلغل النفوذ الأوروبى الذى اندس فى كل نواحى الحياة كالتعليم والمواصلات وغيرها من الجوانب التى كانت وسائل لانتشار نظم الحياة والآراء الأوروبية .

وبعد إخماد الثورة أصبح الهدوء يعم كل أرجاء الهند وانزوى المسلمون بعيدا عن التعاون مع الحكم الجديد ، وآثروا أن يبتعدوا عن المدارس المدنية التى أنشأها الإنجليز بالهند ، وكانوا يريدون منها تخريج طائفة من الموظفين تعرف الإنجليزية وتلم ببعض العلوم الحديثة لتساعدهم فى مقاصدهم الاستعمارية بالهند، وكان المسلمون حكام البلاد قبل الإنجليز قد أبوا أن

١- د. عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٢٣ .

٢- لوثروب ستوارد : المرجع السابق، ص١٨١ .

يستخدمهم الإنجليز فى هذه المقاصد ، وآثروا أن يقتصروا على التعليم فى مدارسهم الدينية وأن يبتعدوا عن هذه الوظائف ، وقد زاد هذا فى تأخرهم وفقرهم ، وفى ظهور طائفة الهندوس عليهم لأنهم لم يأبوا الإلتحاق بالمدارس التى أنشأها الإنجليز ، ولم يأبوا الإلتحاق بتلك الوظائف [١]. وهكذا بقى المسلمون فى عزلتهم بينما أقبل الهندوس على المدارس التى افتتحها الإنجليز فى الهند ، وأصبحوا وقد آل إليهم كثير من أمور البلاد مما لايليه الإنجليز ، وتسلم المسئولون البريطانيون البلاد التى كانت تسرى فيها الثقافة والحضارة الإسلامية ليطبعها بطابعه ، ويقضى على كل أثر فيها للحكم الإسلامى السابق ليفتح الطريق لثقافته ونفوذه [٢].

وفى هذه الحال من التأخر والانحطاط اللذين نزلا بالمسلمين فى الهند كما نزل بغيرهم من المسلمين فى بلاد الإسلام الأخرى، قام السيد «أحمد خان» يدعو المسلمين إلى حياة جديدة وتفكير جديد ورسم لهم السبيل وخط النهج الذى يسلكون ،وكان طريق العلم والمعرفة ، ووضع أساس جامعة «عليكرة» وأصدر عددا من الصحف تدعو لفكرته فيها، وعمل طوال حياته على جمع شتات المسلمين وتوحيد صفوفهم وبعث الإيمان العميق بحضارتهم وقوتهم كما كان أجدادهم الأوائل . ووضع رسالة باللغة الأوردية الهندية أشاد فيها بثورة عام ١٨٥٧م وأثبت أنها ثورة شعبية قامت بسبب المظالم التى تقع من الإنجليز فى الهند إلى ما يرونه من سعيهم فى تغيير عقائدهم، ومساعدتهم المبشرين المسيحيين فيما يأتونه من الطعن فى هذه العقائد[٣].

وفى ظل الضعف الذى ألم بالمسلمين بدأ الهندوس يشنون حملاتهم على المسلمين ، ودفع الإنجليز المرابين الهندوس إلى انتزاع أملاك المسلمين ، وتولى الوظائف الكبيرة فى الدولة ووضع العراقيل المادية فى سبيل الذين يحترفون التجارة من المسلمين ، ونفخ الاستعمار فى لهيب الخلاف بين الطائفتين وازدادت شدة الخلافات بينهما حتى آمن السيد «أحمد خان» بأن الهندوس والمسلمين لن يجمع بينهما وئام ، ولن تكون ألفة بين الفريقين ، وأن الأقلية الإسلامية ستضيع فى ذلك المحيط الهندوسى الزاخر .

١- عبد المتعال الصعيدى : مرجع سبق ذكره ، ص٤٨٣ .

٢- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٢٣ .

٣- عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق، ص٤٨٤ .

وجاء توجيه الإنجليز للهندوس عام ١٨٨٥ بتأسيس حزب هو حزب المؤتمر الذى لم ينشأ نتيجة قوة وطنية كتلك التى رأيناها فى مصر عند انتهاء الحرب العالمية الأولى وتأسيس حزب الوفد المصرى وغيره، ولم يدفع إلى تأليفه رغبة فى استقلال ولو ذاتيا ، ولكنه كان من تأليف وإخراج الحكام الإنجليز أنفسهم ، ومن ثم صار الحزب فى سنواته الأولى يعلن الولاء التام للحكوم البريطانية [١].

وبتأليف حزب المؤتمر أدرك السيد «أحمد خان» المؤامرة الإنجليزية الهندوسية على المسلمين فحذر المسلمين من عواقبها وطلب إليهم عدم التعاون مع حزب المؤتمر ، وانصاع المسلمون إلى أقوال السيد أحمد خان وابتعدوا عن حزب المؤتمر ، ولكن الحكومة البريطانية استمرت فى تدعيم الحزب وطلبت إلى القائمين عليه أن يستمروا فى أعمالهم [٢].

وحرص الإنجليز على أن ينضموا إلى حزب المؤتمر ممثلين للمسلمين حتى يأخذ الصبغة العامة للبلاد وسكانها ، وإن كان هذا قد لقى معارضة شديدة من جانب المسلمين فى الوقت الذى لقى فيه تأييدا من جانب آخر منهم ، وكان رئيس الجلسة الأولى التى عقدت فى «بومباى» «السيد رحمة الله» أحد التجار المسلمين المعروفين فى بومباى مع السيد «بونارجى» «الهندوسى»[٣] وبتدعيم من السلطات الإنجليزية اتخذ الهندوس موقفا عدائيا من المسلمين مما جعل السيد / أحمد خان يدرك أن الحضارة الإسلامية والحضارة الهندوسية حضارتان متنافرتان ، هذا فضلا عن اختلاف اللغة والتقاليد ، فرفض أن يشترك المسلمون فى أى تمثيل نيابى للهند ، وقال فى ذلك : فى بلد كالهند تتقسمه الطبقات وتنوشه النزعات الدينية المتفرقة الحادة وليس فيه من أسباب التربية والإدراك الصحيح ما يدفع الناس إلى الإيمان بالمساواة والعدالة فى الحقوق والواجبات ، أرى بل أومن أن الانتخاب والتمثيل النيابى ضار أكثر من نافع [٤].

وانطلاقا من هذه الدعوة فقد دعا المسلمين إلى عقد مؤتمر يضم ممثلى المسلمين فى كافة الأقاليم الهندية المختلفة ، فوضع بذلك الأساس الذى قامت عليه الرابطة الإسلامية التى قادت

١- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٥٣ .

٢- إحسان حقى : مرجع سبق ذكره ، ص١٦٠ .

٣- عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص٥٣-٥٤ .

٤- عباس محمود العقاد : محمد على جناح ، ص٤٥ ، دار الهلال .

الحركة الإستقلالية لدولة باكستان ، كما دعا المسلمين إلى نبذ جمود العلماء والعمل على تكوين جيل جديد فى الهند يجمع بين الثقافتين الإسلامية والأوروبية ، والنهوض بكل نواحى حياة المسلمين فى الهند فى دينهم ودنياهم . وتوفى عام ١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م بعد أن وضع فى الهند أول بذرة فى الإصلاح الحديث [١]، ولايقلل من جهوده اتهامه بمسالمة الإنجليز ، أو قيامه بتفسير القرآن الكريم تفسيرا غير مألوف عند علماء المسلمين فى عصره .

وفى عام ١٩٠٥ أعلن نائب الملك فى حكم الهند اللورد «كيرزن» أن بلاد البنغال كبيرة جدا على حاكم واحد فقسمها إلى ولايتين ، وقد استنكر الهندوس هذا التقسيم الذى أعطى المسلمين الولاية التى أكثريتها مسلمة ، وأن هذا العمل يضعف روح الوطنية الهندية لاسيما وأن البنغال هى أقوى مركز لحزب المؤتمر ، كما أن هذا العمل يجعل المسلمين والطبقات الدنيا تشارك الهندوس فى وظائف الدولة [٢].

وفى مقابل ثورة الهندوس فرح المسلمون بقرار التقسيم للبنغال وأسسوا عام ١٩٠٦م حزب الرابطة الإسلامية الذى نادى بكفالة حقوق المسلمين وحماية حقوقهم السياسية والإدارية ومن ثم كان قيامه البداية الحقيقية للحركة القومية التى سار فيها مسلمو الهند وجاء تأسيس هذا الحزب فى اجتماع عقده ممثلو المسلمين فى مدينة «داكا» فى ذلك العام ١٩٠٦م- وانتخب «أغاخان» أول رئيس له ، وظل كذلك حتى عام ١٩١٢م[٣] انطلاقا من أن «أغاخان» ترأس وفد المسلمين الذى قابل نائب الملك وقدم له عرائض بمطالب الهند الداعية إلى إجراء انتخابات على الطريقة الطائفية بحيث يكون للمسلمين حق انتخاب ممثليهم المسلمين ولايشتركون فى الانتخاب العام .

وكانت حكومة الهند قد لجأت إلى تقسيم البنغال إرضاء للمسلمين ومنعا للإحتكاك بينهم وبين الهندوس إلا أن غضب الهندوس لهذا القرار لم يجاوزه حد فثارت ثائرتهم ، هذا مع العلم بأن حكومة الهند استندت فى إصدار هذا القرار إلى أن المسلمين مازالوا حتى ذلك الوقت يملكون من الأرض فى شبه القارة الهندية أكثر مما يملك الهندوس وأن عددهم فى الجيش أوفر

١- عبد المتعال الصعيد : مرجع سبق ذكره ، ص٤٨٥ .

٢- إحسان حقى : المرجع السابق، ص١٦٥ .

٣- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٧٣ .

من عدد الهندوس[١] ومع ذلك بدأت المعارك الطائفية على أشدها بين الفريقين حتى دفعت المعتدلين من المسلمين إلى التخلى عن عزلتهم والنزول إلى ميدان المعركة ، فأخذوا يطالبون بتمثيل المسلمين فى إدارة البلاد كطائفة لها كيانها وذاتيتها الخاصة .

وقد ساعد على حدوث المعارك الطائفية فى الهند روح الحقد والكراهية للمسلمين التى نفخها فى الهندوس زعيم منهم يدعى «بال كندادهار تيلاك» الذى دعى بأبى الاضطراب الهندى وكان تيلاك هذا وهو برهمى روح الحركة وعرقها النابض ولسانها الناطق نال حظا وافرا من التهذيب والعلوم الغربية ، وكان عدوا شديدا للحكم البريطانى والحضارة الأوروبية ، وداعيا عظيما يتسلط على القلوب فتنقاد إليه ، وكانت صحيفته المسماة «ياكنتار» فى كلكتا تحمل الشعب على الهياج والاغتيال والثورة [٢].

ونتيجة لضغط الهندوس تراجعت الحكومة الإنجليزية عن قرار تقسيم البنغال وأعلنت فى يناير ١٩١١م توحيد البنغال تحت إدارة موظف كبير برتبة حاكم ، وإيجاد ولاية باسم «بهاروارسة» يديرها موظف برتبة نائب حاكم ، وإعادة فصل أسام عن البنغال تحت إمرة موظف برتبة محافظ ، ونقل العاصمة من «كلكتا» إلى «دهلى»[٣] فاهتزت أفئدة المسلمين هلعا لهذا القرار ، ورأى حزب الرابطة الإسلامية أن يطالب بحكومة ذاتية للهند .

وشهدت السنوات التالية من سنى الحرب العالمية الأولى تعاونا بين حزب المؤتمر وحزب الرابطة الإسلامية فى الهند لوضع قواعد الحكم الذاتى ، وكانت العلامة الكبرى من علامات سمو النهضة الهندية هو جنوح جانب من الرأى الإسلامى العام إلى الأخذ بنصرة الحركة الوطنية، ولكن دون الاشتراك فى إيقاد الفتن والعبث بالأمن ، وكان ذلك الإنضمام منهم من بعد ما قطع لهم معتدلة الهندوس الوعود والعهود وأكدوا لهم وقوفهم إلى جانبهم موقف الصديق الصفى[٤].

١- د. إحسان حقى : المرجع السابق، ص١٦٦ .

٢- لوثروب ستودارد : المرجع السابق، ص١٨٧ .

٣- د. إحسان حقى : المرجع السابق، ص١٦٩ .

٤- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص١٩١ .

ونتيجة للتعاون بين المسلمين والهندوس فى إطار حركة وطنية هندية واحدة أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى ظهور ما عرف باسم «ميثاق لنكاو» عام ١٩١٦م الذى حدد أهداف الحركة الاستقلالية فى الهند واعترف للمسلمين بحق التمثيل الطائفى فى الانتخابات النيابية، فحلت بذلك مشكلة من أعقد المشكلات التى واجهت تعاون الهندوس والمسلمين ، غير أن الاشتباكات الطائفية تجددت فى العام التالى فعكرت الصفاء الذى ساد علاقات الفريقين فى مؤتمر «لنكاو» وبدا أن قيام اتحاد بين المسلمين والهندوس ضرب من المستحيل .

وفى الوقت الذى كان فيه المسلمون يخلصون لتحالفهم مع الهندوس ويعادون بذلك الحكومة الإنجليزية ، كان الهندوس يتقربون من الإنجليز سرا ويوالونهم ويحرضونهم على المسلمين فصار المسلمون بعد أن كانوا أمام عدو واحد هو الهندوس أمام عدوين هم الهندوس والإنجليز [٢].

ونتج عن ذلك اضطهاد لزعماء المسلمين من جانب الحكومة البريطانية ونفى لأهم الزعامات الإسلامية أمثال «مولانا محمود الحسن» الذى لقب«بشيخ الهند» والذى خرجت البلاد كلها لاستقباله حين عودته من منفاه عام ١٩٢٠م – وكان غاندى الزعيم الهندوسى ممن خرج لاستقباله – وهو فى مستهل حياته السياسية ، والذى عاد من منفاه ليعلن حركة المقاطعة ضد الإنجليز ويدعو لترك مدارسهم وترك جامعة «عليكرة» التى أصبحت وكرا لهم، وإنشاء جامعة إسلامية جديدة ، كانت هى «الجامعة الملية الإسلامية» العظيمة الشأن الآن فى نيودلهى ، ويدعو كذلك لرد الألقاب إليهم وترك التعامل معهم عملا بالمبدأ الإسلامى الذى أعلنته هذه الآية الكريمة : يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء [٣].

وبنهاية الحرب العالمية الأولى حاولت انجلترا إعطاء الهند حكما ذاتيا يقوم على تقسيم السلطة فى الهند بين مستشارين تعينهم السلطة التنفيذية البريطانية ، وبين وزراء تنتخبهم الهيئات الإنتخابية التشريعية وعلى هذا الشكل والنظام تتكون الحكومة المركزية فى العاصمة وحكومات الأقاليم ، أما الهيئة التشريعية فينتخب أعضاؤها انتخابات على نطاق أوسع مما كان سابقا ، وتصبح لها سلطات أكثر من صفتها الاستشارية، وإن ظلت الشئون المالية

١- لنكاو اسم بلدة تقع فى البنجاب عقد فيها المؤتمر .

٢- د. إحسان حقى : المرجع السابق، ص١٧٠ .

٣- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٧٩ - ٨٠ .

غير خاضعة لهذه الهيئة التشريعية ، وأن هذا النظام وسيلة يتم بها انتقال السلطة من الحكومة البريطانية إلى الحكومة الوطنية [١].

ومنذ أن أعلن عن هذا المشروع البريطاني للحكم الذاتي في يوليو ١٩١٨م أخذت الاعتراضات والمظاهرات بل والثورات تتوالى على الهند استنكارا وخاصة الأحزاب الإسلامية والطوائف الهندوسية الدنيا التي خشيت من أن تضيع حقوقهم في ظل السيطرة الهندوسية المتطرفة ، ورغبة منها في حمل الحكومة البريطانية على توسيع نطاق الحكم الذاتي، ومع ذلك أقر البرلمان البريطاني المشروع في ربيع عام ١٩١٩- مما نتج عنه مصادمات دامية بين الجنود الإنجليز والثوار الهنود ، وعندما غلبت القوة البريطانية لجأ الهنود إلى ما عرف بسياسة «اللاتعاون» أو «العصيان المدني» أو «المقاومة السلبية» ، والتي نسبت إلى الزعيم الهندي غاندي لتحرير البلاد من سيطرة الاستعمار منذ عام ١٩٢١ حتى استقلت الهند سنة ١٩٤٧م. والذي يعتبر بحق باعث حركة «اللاعنف» أو ضبط النفس وعدم استعمال القوة في الحصول على الحق [٢].

الإسلام في الهند

وكان تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية عميقا في عهود الدول الإسلامية لشبه القارة الهندية . إن فكرة عبادة الله في «الهنادك» مدينة للإسلام . إن قادة الفكر والدين في هذا العصر وإن سموا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله، وصرحوا بأن الإله واحد وهو يستحق العبادة ، ومنه تطلب النجاة والسعادة. وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في العهد الإسلامي كديانة «باجتي» ودعوة «كبير داس» وهو شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندي ويدعو إلى الإصلاح ، اختلف الناس في ديانته[٣].

ويقول «نهرو» معلقا عن أثر دخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية: إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، إنه فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي. إنه قد أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ وحب

١- لوثروب ستودارد : المرجع السابق، ص١٩٣ .

٢- د. عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٨٥-٨٦ .

٣- K . M . Panikkar : Asurvey of Indian History , p. 132 .

الإعتزال عن العالم الذى كانت تعيش فيه الهند. إن نظرية الإخوة الإسلامية والمساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها أثرت فى أذهان الهندوس تأثيرا عميقا ، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندى المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية (١).

كذلك أثر الإسلام فى حياة الهنود الاجتماعية مثل إصلاح تقليد ما يسمى «ستى» وهو إحراق الأرملة نفسها أثناء عملية إحراق جثمان زوجها الميت حيث لايرين ولايرى المجتمع لهن حقا فى الحياة بعد الأزواج . وجاء هذا الإصلاح عن طريق موافقة الحاكم الذى لم يكن يأذن بهذه العملية لأن الإسلام يحترم المرأة ويسمح لها بالحياة والزواج بعد وفاة زوجها .

وقد نقل المسلمون إلى الهند علوما جديدة مثل العلوم الإسلامية ، وعلم التاريخ ، حيث كانت الهند فقيرة فى التاريخ ، حيث كون المسلمون مكتبة تاريخية هائلة من أوسع المكتبات التاريخية فى العالم ، وفيما عدا بضعة كتب دينية دفنت فيها بعض حوادث تاريخية كأساطير وقصص ، يعسر جدا معرفة أحوال الهند القديمة ، كما يعسر معرفة أحوال جزيرة «أطلانطس» الخيالية التى ذكرها أفلاطون أنها دمرت فى انقلاب أرضى . والحق أن دور الهند التاريخى لم يبدأ إلا بعد الفتوحات الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى بفضل المؤرخين المسلمين (٢).

وقد اكتسب الهنود من دخول الإسلام بلادهم توسعا فى الخيال وجدة فى التفكير نتيجة احتكاك الحضارة الإسلامية المزدهرة بالواقع الهندى المتلقى للمؤثرات الحضارية الإسلامية . وكان مما منح المسلمون للهنود هذه اللغة الجميلة الواسعة التى أصبحت لغة التفاهم ولغة العلم فى الهند التى عرفت بكثرة اللغات واللهجات . ونعنى بها لغة «أردو» . كما كان تأثير المسلمين فى المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه فى نواح أخرى ، فقد أدخلوا فى هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة فى هذا القطر ، كما تختلف الحياة فى أوروبا اليوم عن الحياة فى العصور الوسطى (٣).

١- G . Nihrou : Discovery of India pp. 335-526 .

٢- أبو الحسن الندوى : المرجع السابق ، ص١٩ .

٣- نفس المرجع، ص٢٠ ولغة أردو مزيج من اللغات الأربعة: العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية .

ومن مظاهر تأثير المسلمين فى ثقافة الهند وحضارتها تأثير اللغة العربية التى حملوها إلى هذه البلاد فى لغات الهند ولهجاتها وأدبها وحضارتها . وذلك أن المسلمين فى الهند أوفياء لوطنهم لايتشاغلون عن خدمته والتقدم به فى ميادين العلم والصناعة والمدنية أوفياء لدينهم وثقافتهم الإسلامية العربية لايتخلفون عن ركبها ولاينقطعون عنها. ومن ثم نجد أن حضارة الهند المعاصرة وليدة عاملين ومؤلفة من تأثيرهما وانعكاساتها ، أولهما المعتقدات الدينية - المبادئ الإسلامية للحياة والأخلاق- وثانيهما تأثير الحضارة المحلية فى البلاد والاتصال بعناصر السكان الأخرى والاختلاط بهم [١].

وقد كان للمؤسسات الإسلامية دورها الكبير فى الهند مثل معهد «ديوبند الكبير» أو دار العلوم فى قرية «ديوبند» التابعة لمدينة «سهارنبور» عام ١٢٨٣هـ . وقد أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية فى قارة آسيا ، إلى جانب مدارس أخرى مثل المدرسة السلفية فى «بنارس» التى تأسست عام ١٣٨٣هـ ومدرسة جامعة الرشاد وجامعة «على كره الإسلامية» التى أسسها الزعيم المسلم الشهير «سرسيد أحمد خان» باسم مدرسة العلوم ، والجامعة الملية الإسلامية عام ١٩٢٠م وكان على رأسها ذاكر حسين الذى صار رئيسا لجمهورية الهند فيما بعد وتوفى عام ١٩٦٩م ، والجامعة العثمانية فى حيدر آباد ، وندوة العلماء التى أسست بمدينة لكهنؤ مدرسة دار العلوم عام ١٣١٢هـ وغير ذلك كثير من المؤسسات التعليمية الإسلامية [٢].

كما لقيت الطرق الصوفية الإسلامية دورا بارزا فى الهند ، وعلى الرغم من أن طرق التصوف المعروفة ظهرت خارج الهند ، ولكنها نالت أكبر قسط من القبول والانتشار والازدهار فى الهند بسبب أوضاعها الخاصة وطبيعتها ، ثم نبعت من هذه الطرق والسلاسل فروع هندية الأصل ، واتخذت شكل طرق مستقلة بذاتها ، وبرز فيها أئمة مجتهدون أنشأوا طرقا مختلفة.

وبجانب تلك الطرق الصوفية المشهورة مثل القادرية والجشتيمية والنقشبندية والسهروردية التى ترعرعت فى الهند وازدهرت ، طرق وسلاسل أخرى وليدة هذه البلاد فحسب ، وهى تنتمى إلى شخصيات نبغت فى الهند ودفنت فى أرضها مثل الطريقة الفردوسية والمدارية

١- نفس المرجع ، ص٧١ .

٢- نفس المرجع ص١١٤-١٣٢ .

والقلندرية والشطارية والمجددية . وقد أصبحت الهند حاملة لواء التصوف وإصلاح الباطن منذ بداية القرن الحادى عشر وزعيمها إذ ذاك الشيخ أحمد السرهندى ونجله وخليفته محمد معصوم اللذان أفاد منهما العالم مدة طويلة من الزمن [١].

وما زال المسلمون فى الهند حتى الآن والذين يزيد عددهم عن ١٥٠ مليون مواطن يمثلون الإنسانية الممتازة فى الأخلاق والعادات ومنهج الحياة عند كل مسلم يسكن فى شمال الهند أو فى جنوبها أو فى شرقها أو فى غربها . كما أن من سمات المسلمين فى الهند حبهم الشديد للنبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى ظهر فى نشاطهم الثقافى سواء فى شعرهم أو فى عباداتهم . إلى جانب حرصهم على التعلم واكتساب العلم وتحصيله ، ورفض العنصرية والوطنية المحدودة ، ومن ثم نجدهم يتعاطفون مع مشكلات المسلمين فى أنحاء العالم .

وانطلاقا من تمسك المسلمين فى الهند بإسلامهم فقد تزعم كثير منهم حركة معاداة الاستعمار البريطانى لبلادهم ، أمثال الملك الهمام الشهم الغيور «فتح على خان» المشهور بالسلطان تيبو عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٩م، وقد وصفه غاندى فى صحيفة «الهند الفتاة» بالعظمة والوطنية الخالصة وتسامحه الكبير ، وقال : لايعرف أعظم منه فى شهداء الوطن والأمة . والملك المغولى الأخير «سراج الدين بهادرشاه» الذى كان يتخذ من مدينة دهلى عاصمة لحكمه والإنجليز يحكمون البلاد باسمه ونيابة عنه ، حتى قامت ثورة مايو عام ١٨٥٧ فقادها بالإضافة إلى مولانا أحمد الله ومولانا لياقت على وغيرهما من العلماء والمشايخ الذين أسهموا فى الحركة الوطنية ضد الحكم البريطانى إلى جانب الزعماء الهندوس مثل غاندى ونهرو وغيرهما ، حتى استقلت شبه القارة الهندية فى عام ١٩٤٧م لتقوم فيه دولتان مستقلتان هما جمهورية الهند وجمهورية باكستان .

وقد واجه المسلمون فى الهند عدة مشكلات هى على النحو الآتى :

١- مشكلة الدعوة الإسلامية ونشرها بين غير المسلمين ، باعتبار أن الدين الإسلامى دين دعوة وهداية عامة ، وكان عدد كبير من غير المسلمين يدخل فى الإسلام طوعا كل سنة ، وكان من الممكن المتوقع أن يصبح الإسلام - لوجرت الأمور مجراها الطبيعى- أعظم قوة فى القارة الهندية ثم أعظم قوة فى آسيا لولا الوقيعة التى خطط لها الحكم البريطانى والتى انتهت بانفصال الهند إلى دولتين : الهند، وباكستان الإسلامية .

١- المرجع السابق ، ص١٣٤ .

٢- نفس المرجع السابق ، ص١٦٤-١٦٦ .

٢- مشكلة الأحوال الشخصية للمسلمين فى الهند الذين يخضعون لتعاليم الشريعة الإسلامية خاصة فى مسائل الإرث والزواج والطلاق فى مواجهة القانون المدنى الهندى الذى ينص على فرض قانون مدنى موحد ينطبق على جميع طبقات الشعب، لولا وقفة المخلصين من المسلمين .

٣- مشكلة التعليم الإسلامى فى مواجهة دستور الجمهورية الهندية العلمانى وفى مواجهة تطرف بعض الهنادكة ضد المساجد والمدارس بمناهجها الإسلامية ، مما يوجد حساسية خاصة أن الحكومة لاتقم بواجبها فى التصدى للمتطرفين الهنادكة ، كما تلجأ إلى التدخل فى نظام التعليم ومناهجه فى المدارس الإسلامية .

٤- مشكلة اللغة ، حيث كانت لغة «أردو» هى اللغة الرسمية - الثانية بعد اللغة الإنجليزية- التى تستعمل فى المحاكم والمصالح الحكومية والمدارس ، ولكن الحكم الإنجليزى فرض اللغة الهندية فى إطار سياسة التفرقة ، وحتى بعد الاستقلال منعت دراسة لغة أردو فى المدارس الابتدائية كمادة دراسية وكأداة تعليم .. وهذا يؤثر ليس فقط فى الثقافة بل فى العقيدة والمستقبل الدينى .

٥- مشكلة أمن وأمان المسلمين من اعتداءات الهنادكة فى المناسبات والأعياد والاجتماعات العامة أو عند حدوث أى نزاع أو خلاف بين فريقين أحدهما مسلم والآخر غير مسلم .

٦- مشكلة الفقر وما ينتج عنها من سوء التغذية والحرمان من الفرص واليأس من المستقبل.

٧- ومع كل ذلك فإن دستور الهند العلمانى يسمح للمسلمين بمباشرة حياتهم الدينية دون عوائق ، ولعل النظام الديموقراطى الهندى قد حقق الاستقرار للحكم وللناس مسلمين وغير مسلمين ، فمنذ الاستقلال عام ١٩٤٧م لم نسمع عن حدوث انقلاب عسكرى أو ثورة ضد الحكومات التى تأتى إلى الحكم نتيجة انتخابات .

الفصل الثانى

الباكستان

- المسلمون والهندوس - التقسيم - دور العلماء المسلمين فى قيام دولة الباكستان- أولا : سيد أحمد خان . ثانيا : محمد إقبال . ثالثا : مولانا أبو الكلام أزاد . رابعا : تشودرى رحمة على . خامسا: محمد على جناح

المسلمون والهندوس :

فى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد بلندن فى نوفمبر ١٩٣٠م وحضره ممثلون من الهندوس والمسلمين طالب المسلمون بوجوب النص فى الدستور على كفالة حقوقهم ، إلا أن غاندى ورفاقه من أعضاء حزب المؤتمر تمسكوا بمبدأ استقلال الهند على أساس الوحدة ورفضوا منح المسلمين أية ضمانات من نوع معين ، وبينما كانت اجتماعات المائدة المستديرة تعقد بلندن ورجال حزب المؤتمر يطالبون بوحدة الهند المستقلة دون ما اعتبار للفوارق الطائفية وقف الدكتور محمد إقبال[١] فى اجتماع حزب الرابطة الإسلامية السنوى فى «الله أباد» وطالب بقيام دولة إسلامية فى الهند ، ومما جاء فى خطابه ذلك قوله : ليست المجتمعات الهندية كالمجتمعات الأوروبية ، فالهند قارة عظيمة تضم أشتاتا من العناصر والطوائف تباينت أديانها وتعددت لغاتها واختلفت تقاليدها ، فلايمكن للديموقراطية الأوروبية أن تطبق فى الهند من غير أن يسبقها اعتراف بكيان هذه المجتمعات الطائفية ، فإذا طالب المسلمون فى الهند

١- ولد محمد إقبال فى ٩ نوفمبر ١٨٧٧م بمدينة «سيالكوت» فى البنجاب الشمالى، وكان أجداده قد هاجروا من بلاد كشمير ، ويرجع تاريخ إسلامهم إلى ما قبل ٣٠٠ سنة ، وهو ينتمى ثقافيا إلى ثلاث دوائر هى : دائرة القارة الهندية ، دائرة العالم الإسلامى ، دائرة الفكر الغربى، حيث درس فى انجلترا وفى ألمانيا وحصل على درجة الدكتوراة فى الفلسفة فى موضوع «تطور الفلسفة الميتافيزيقية فى بلاد الفرس» ثم عاد إلى وطنه عام ١٩١٠ حيث أقام فى لاهور حتى وفاته فى ٢١ أبريل ١٩٣٨م . ويعتبر إقبال مجددا إسلاميا معاصرا ، على درب المجددين المسلمين فى الهند ابتداء من القرن السابع عشر الميلادى وعلى رأسهم الشيخ أحمد سرهندى، وشاه ولى الله من دلهى .

(مجلة فكر وفن - سويسرا العدد ٣٢ عام ١٩٧٩م العام ١٦)

بتأسيس دولة فإن لمطلبهم ما يبرره ، وبودى أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان وقد ضمتها دولة واحدة . وفى آخر خطبته قال : إنه فى اللحظات الخطيرة فى تاريخ المسلمين كان الإسلام هو الذى يحافظ على المسلمين وليس العكس .

ومع أن إقبال نادى بهذه الدعوة لقيادم دولة إسلامية فى الهند وهو رئيس حزب الرابطة الإسلامية فى عام ١٩٣٠ م، إلا أن هذه الفكرة لم يوافق عليها الحزب ولم يتخذها مبدأ له إلا عام ١٩٤٠م أثناء انعقاد دورته التاريخية فى «لاهور» ذلك العام بعد أن توفى إقبال بعامين، وصار «محمد على جناح» قائداً لحزب الرابطة الإسلامية ومدافعا عن قيام «الباكستان» ، وذلك على الرغم من أنه كان فى بداية حياته السياسية من أنصار الوحدة والتعاون بين المسلمين والهندوس، وقد غيرت التجارب القاسية من تفكيره واتجاهه فآمن بالتقسيم وسار فى إيمانه الجديد لايتراجع ولايلين حتى كان قيام دولة الباكستان على يديه .

صارت عقيدة مائة مليون مسلم فى الهند إقامة دولة الباكستان ومن ثم وجدنا إصرار القائد محمد على جناح والحزب فى مؤتمر «سملا» الذى دعا إليه نائب الملك اللورد ويفل عام ١٩٤٥ على ضرورة قيام الباكستان ، فعمدت الحكومة البريطانية إلى إجراء الانتخابات فى الهند التى انتهت بفوز ساحق لحزب رابطة العالم الإسلامى ووجهة نظرها فى التقسيم إذ أحرز كل المقاعد المخصصة للمسلمين فى المجلس المركزى ٤٤٦ مقعدا من ٤٩٥ مقعدا فى المجالس المخصصة لهم ، وكذلك أسفرت عن فوز حزب المؤتمر فى دوائر الهندوس . وكانت الحكومة البريطانية عازمة على منح الهند استقلالها ، وأصبح حزب الرابطة الإسلامية وحزب المؤتمر وارثى السلطة فى الهند[١] . ومن ثم يبدأ الصراع .

وقد بذلت محاولات عديدة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية للتوفيق بين حزبى الرابطة الإسلامية والمؤتمر باءت كلها بالفشل حتى استنفذت بريطانيا كل محاولاتها ولم تجد بدا من قبول الأمر الواقع، فأعلنت فى ٣ يونيو ١٩٤٧ قبول فكرة تأسيس الباكستان ، وفى منتصف أغسطس من نفس العام أعلن قيام دولة الباكستان بعد التقسيم فظهرت إلى الوجود مرة أخرى أكبر دولة إسلامية فى العالم هى دولة الباكستان الإسلامية .

١- محمد عطا ود . عبد الحميد البطريق : باكستان فى ماضيها وحاضرها ، ص٥٦ .

ومما تجب ملاحظته أن فكرة دولة إسلامية فى الهند لم تتبلور عند المسلمين فقط، بل وعند الهندوس كذلك بعد أن رأوا استحالة الوصول إلى حل إذا لم يرضوا المسلمين ، ولذلك فقد وضع «كريشنامينون» وهو الهندى الوحيد الذى كان فى حاشية نائب الملك ، برنامجا يقضى بإيجاد باكستان فقبله نهرو زعيم حزب المؤتمر[١] . كما أن قيام الباكستان له وجوده التاريخى الذى يؤيده والذى امتد قرونا من الزمان تأصل فيها بناء الدولة الإسلامية الكبرى فى الهند وانتشار الإسلام فى شبه القارة الواسعة ، وقبل أن تقوم الباكستان على أساس دينى فإنها تستمد كيانها القومى من هذا الوجود التاريخى القديم . وقد تمركزت العناصر الإسلامية فى المناطق الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من الهند ، وهم فى هذه المناطق يكونون الكثرة التى تؤكد وحدتهم وتؤيد قيام دولتهم ، بينما ينتشر الهندوس فى هضبة الدكن وفى المناطق الشمالية والوسطى .

والتعصب الهندوسى لايقوم على العقيدة والإيمان قدر ما يقوم على اختلاف الطبائع والعقائد فهو لذلك متجدد دائم باق ما دام تباين العقيدة وبقى تباين الطقوس والمقدسات الدينية ، فذبح المسلمين للبقرة كفيل بوقوع المذابح بين الطائفتين ما بقى الهندوس يقدسون البقرة ، فقيام الباكستان ضرورة واقع التاريخ وواقع المصلحة والعدالة لمائة مليون مسلم .

التقسيم

ونتساءل كيف تم تنفيذ قرار التقسيم وأعنى قيام دولة الباكستان الإسلامية ؟

عندما أذاع زعماء الطوائف الثلاثة الكبرى فى الهند : «جواهر لال نهرو» ممثل الهندوس وزعيم حزب المؤتمر و «محمد على جناح» ممثل المسلمين ورئيس حزب الرابطة الإسلامية، «والسردار بالديف سنج» ممثل السيخ ، على سكان شبه القارة الهندية مشروع التقسيم فى ٣ يونيو ١٩٤٧ وأوصوا أتباعهم بقبوله لم يخف كل من «البانديت جواهر لال نهرو» «والسردار بالديف سنج ، خيبة أملهما فى المشروع [٢]. واشترط حزب المؤتمر أن تقسم كل من البنغال والبنجاب حسب كثرة سكانها من المسلمين والهندوس ، واستجاب محمد على جناح لهذا الشرط حسما لامتداد النزاع مع أن فيه بعض الغبن على المسلمين لأن المنطق كان يقضى بضم الولاية كلها باعتبارهم أغلب سكانها [٣].

١- د. إحسان حقى : المرجع السابق، ص١٧٣ .

٢- عبد القادر خان ترجمة إبراهيم نوار : مأساة كشمير ، ص٦ .

٣- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٢١١-٢١٢ .

وعلى هذا فقد أخذ الهندوس بلاداً أكثرية سكانها من المسلمين وأخذوا رؤس أنهار تجعل رى باكستان تحت رحمتهم وأخذوا معابر طرقات داخل الأرض الباكستانية تجعل باكستان فى متناول أيديهم وتحول دون الهند، كما أنهم استولوا على ولاية «كوردا سبورا» شرق البنجاب لكى يسهل عليهم الاتصال مباشرة بأمارة «جمو وكشمير» ، وهذا يعنى أن المسلمين أعطوا بلادا مبتورة مفككة الأوصال محرومة من وسائل العيش وصارت باكستان باكستانيين : شرقية فى البنغال وغربية فى شمال غرب شبه القارة الهندية [١].

وكلمة باكستان من وحى الشاعر العظيم محمد إقبال ومعناها «أرض الطهر» وترمز الكلمة إلى الولايات الإسلامية فى الهند ، فالباء من بنجاب والألف من الباتان والكاف من كشمير والسين من السند وأما كلمة «ستان» فمعناها دولة. وتكونت باكستان من قسمين شرقى هو البنغال وعدد سكانه نحو اثنين وأربعين مليونا ، وغربى هو ولايات الحدود الشمالية الغربية ، «وبلوخستان» و «السند» و «البنجاب الغربية» وعدد سكانها كلها نحو ٣٣ مليونا[٢] ، وهذه الأعداد عند قيام الباكستان ويفصل بين القسمين محيط من الأرض الهندية يبلغ فى أقصى مدى له ١٢٠٠ ميل .

وتتكون باكستان الشرقية - بنجلاديش حاليا- من إقليم شرقى البنغال وتبلغ مساحتها حوالى ٥٥ ألف ميل مربع وعدد سكانها آنذاك كما أشرنا ٤٢ مليونا ، فهى بهذا من أشد بقاع العالم ازدحاما بالسكان إذ يبلغ متوسط كثافة السكان فى الميل المربع ٧٧٧ نسمة ويرويها نهر الكنج وروافده. وأما باكستان الغربية فتتكون كما ذكرنا من السند والبنجاب الغربية إلى جانب إقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان وإقليم العاصمة الإدارى حول كراتشى وعدد من الإمارات أكبرها إمارة «بهاولبور» ، وتبلغ مساحة باكستان الغربية حوالى ٣١٠ ألف ميل مربع يعيش عليها حوالى ٣٣ مليونا من السكان ، فهى بذلك أقل سكانا وأقل كثافة فى نسبة السكان للميل المربع من باكستان الشرقية وتجرى فيها خمسة أنهار هى السند وروافده الأربعة وتنبع جميعا من كشمير [٣].

١- إحسان حقى : المرجع السابق، ص١٨٥ .

٢- عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص٢١٢ .

٣- إحسان حقى : المرجع السابق، ص١٨٧ .

وعندما أعلن التقسيم بادر الهندوس إلى الاعتداء على المسلمين فى الولايات التى صارت جزءا من دولة الهند، واتخذ الاعتداء صورا وحشية حتى اضطر المسلمون إلى الفرار من الهند والهجرة إلى الأراضى الباكستانية مخلفين وراءهم أموالهم وديارهم ، فكانت هجرة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، إذ انتقل فى بضعة شهور نحو عشرة ملايين مسلم من الهند إلى باكستان، فكان وجود هذه الملايين من اللاجئين إلى باكستان نكبة على نكبتها ، ولكن الباكستانيين استقبلوا إخوانهم بكل ترحاب وفتحوا لهم صدورهم وأووهم واندمجوا بهم وأصبحوا شعبا واحدا[١].

وقد نتج عن التقسيم عدة مشكلات ، ذلك أنه كان أثناء الحكم البريطانى للهند ما يعرف بالهند البريطانية بمقاطعاتها الثمانية ، وما يعرف بهند الأمراء . وفى هند الأمراء كانت هناك أكثر من ٦٠٠ إمارة كبيرة وصغيرة ، يحكمها أمراء كبار وصغار حسب أهمية إماراتهم ، وكانوا يحكمونها حكما مطلقا يستمد بعضهم سلطته من نائب الملك رأسا وهم الأمراء الكبار وعددهم ٣٣ أميرا منهم مسلمون وهندوس ، والباقى من الأمراء يستمدون سلطتهم من الحاكم للولاية التى بجوارهم . وكان الأمير الهندوسى يعطى لقب «مهراجا» والأمير المسلم لقب «نواب»[٢].

وكان من الإمارات الكبرى إمارة «حيدر آباد» التى تبلغ مساحتها ٨٢ ألف ميل مربع وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة وتقع فى جنوب الهند وسط ولايات «بومباى» و «مدراس» و «أوريسا الهندية» ومعظم سكانها من غير المسلمين ، بينما كان عدد المسلمين حوالى المليونين بينما كان حاكمها مسلما وأراد أن يبقى مستقلا على أن ينظم علاقته مع حكومة الهند حسب القرار المتفق عليه حين إعلان استقلال الهند، ولكن الجيش الهندى زحف على الولاية وضمتها الهند إلى ولاياتها نهائيا فى سبتمبر ١٩٤٨م [٣].

وكانت الإمارة الكبرى الأخرى هى إمارة كشمير التى كانت على العكس من إمارة حيدر آباد إذ كان يحكمها أمير هندوسى هو «المهراجا دوجرا» بينما أغلبية سكانها مسلمون ، وقد اختارت الاستقلال عن كل من الهند والباكستان وأعطى لحاكمها - وليس لشعبها- الحق فى

١- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص٢١٤ .

٢- عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص٢١٤ .

٣- نفس المرجع ، ص٢٠٨ .

الإنضمام إلى أى من الدولتين ، ولكن الهند ضمتها بالقوة أيضا كما ضمت من قبل إمارة حيدر آباد ، ولكن هذا العمل من جانب الهند قد أثار استياء باكستان وصارت مشكلة دولية تهدد بالحرب بين الدولتين .

وعند التقسيم بين الهند والباكستان انضم عدد قليل من الإمارات الهندية إلى باكستان وهى : آمب ، بها ولبور ، شترال ، دير ، قلات خيربور ، خارات، لاسبيلا ، مانا فادر ، مكران ، صوات ، جوناكاد . أما بقية الستمائة إمارة فقد انضمت إلى الهند .

ولم تنته مشكلات الباكستان بقيامها إذ أن اختلاف عنصرى الباكستانيين بين البنغاليين فى باكستان الشرقية، والبنجابيين فى الغرب قد أدى إلى مشكلات بين الأشقاء المسلمين فى الدولة الواحدة، ومن هنا لعبت الهند دورا فى انقسام الباكستان إلى دولتين ، ذلك أن الخلاف بين الهند والباكستان كان عنيفا ، فالباكستان دخلت فى أحلاف عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية وبقية الدول الغربية (مثل حلف جنوب شرق آسيا والحلف المركزى بغداد سابقا) ، بينما اتبعت الهند سياسة الحياد الإيجابى وعدم الإنحياز ، وانتهزت الهند فرصة الصراع بين إقليم شرق الباكستان (وهم من البنغاليين الذين لهم أخوة فى الجنس مع الهندوس فى الهند) ، وإقليم غرب الباكستان الذى تركزت فيه العاصمة والرئاسة ومعظم الوظائف الكبرى رغم قلة عدد سكانه بالنسبة للإقليم الشرقى .

وانتهزت الهند فرصة هجرة الكثير من باكستان الشرقية إلى أراضيها ودخلت إلى جانب هذا الإقليم الشرقى فى حرب عام ١٩٧١ ضد الباكستان انتهت بانفصال باكستان الشرقية التى أصبحت تعرف باسم جمهورية بنجلاديش الإسلامية كدولة مستقلة ، وحدث تعديل فى الحكومة الباكستانية بما يجعلها أكثر إدراكا للواقع ، وظهر السيد ذو الفقار على بوتو زعيم حزب الشعب كرئيس للحكومة الباكستانية الجديدة التى أقرت بالأمر الواقع واعترفت بانفصال الإقليم الشرقى بل واعترفت بقيام بنجلاديش بزعامة الشيخ مجيب الرحمن رئيس حزب رابطة عوامى .

ولنا سؤال أخير ؟ هل انقسام شبه القارة الهندية إلى دولتين بقيام دولة الباكستان الإسلامية - والتى انقسمت بدورها فيما بعد إلى دولتين إسلاميتين - كان له مايبرره ؟ من سياق التاريخ الذى رأيناه منذ نزول الإنجليز على أرض شبه القارة الهندية ظهر بوضوح أن السياسة البريطانية عملت على التفريق بين أبناء الوطن الواحد ورغم تسامح المسلمين إلا أن

تعصب البعض منهم وجمود أفكارهم جعلهم أعداء طبيعيين للهندوس ، كما أن عدم تقبل الهندوس لبعض التعاليم الإسلامية التى يقوم بها المسلمون إلى جانب تعصبهم الأعمى لأفكارهم ومعتقداتهم جعلهم أعداء طبيعيين كذلك للمسلمين ، ومن ثم كان من الضرورى ظهور الباكستان ، وإن كان ما زال يوجد داخل الهند ذاتها حوالى ١٥٠ مليون مسلم فضلوا البقاء على الأرض الهندية ولم يهاجروا إلى الباكستان ، وهؤلاء يتحملون إلى اليوم اعتداءات متكررة من جانب الهندوس .

دور العلماء المسلمين
فى قيام دولة الباكستان

فى تاريخ شبه القارة الهندية قيادات سجل لها التاريخ جهودها فى حركة الاستقلال سواء كانوا من السياسيين أو العلماء ، فعلى سبيل المثال سجل التاريخ لكل من الزعيمين السياسيين الكبيرين المهاتما غاندى وجواهر لال نهرو دورهما الرائد فى الحصول على استقلال الهند عن بريطانيا بعد كفاح طويل ومرير انتهى باعلان استقلال الهند وقيام دولة الباكستان فى شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧م .

وفى الجانب الباكستانى ارتبط العمل السياسى للمسلمين فى شبه القارة الهندية بجهود العلماء الذين سعوا إلى تبصير المسلمين بحقوقهم وقادوا الدعوة إلى قيام دولة باكستان المستقلة ، من أمثلة هؤلاء العلماء سيد أحمد خان ومحمد إقبال ومحمد على جناح وغيرهم كثيرين ، يقتضى الانصاف لهم ذكر بعض جهودهم فى قيام دولة الباكستان المستقلة .

أولا : سيد أحمد خان :

عاش «السير» سيد أحمد خان (١٨١٧-١٨٩٨م) فى بلاط دلهى- كحفيد لوزير من وزراء الإمبراطور المغولى- وقد خبر فى صباه معالم التداعى والإنهيار فى باطن الإمبراطورية، وفى مرحلة تالية- وهو فى خدمة شركة الهند الشرقية البريطانية - عرف مزايا الإدارة البريطانية والقانون البريطانى لاقتناعه بأن تفوق الانجليز يكمن فى نظامهم السياسى، أخذ عنهم تعاليم الليبرالية بحماس شديد وأخذ يبث فى مواطنيه مبادئ الحرية السياسية والاجتماعية والدينية، ويدعوهم إلى احترام الغير وحقوقه، وإلى حب الحقيقة والإيمان بالتقدم. على أنه لم ير فى هذه المبادئ والتعاليم شيئا من صنع الحضارة الغربية، أو حتى إنجازا من إنجازات القرن التاسع عشر، وإنما كان مقتنعا بأنها تمثل المبادئ الحقيقية للقرآن كما يجب أن يفهم .

ورغم ما صادفته هذه الفلسفة الجديدة بوجهتها العقلانية من مقاومة شديدة من الفئات السنية التقليدية فقد استطاع سيد أحمد خان أن يحقق أغراضه ، فأسس عام ١٨٧٥م فى «على كره» (عليكرة) الكلية المحمدية الأنجلو شرقية Mohammedan Anglo - Oriental College التى تقدم لتلاميذها تربية حديثة على النسق البريطانى، وقد أثرت حركة «عليكرة» على الذوق الأدبى والفنى بين المسلمين الهنود من خلال المجلات الأدبية ، وساهم سيد أحمد خان فى التأثير على الرأى العام الإسلامى فى الهند من خلال مجلة أسبوعية كانت تعالج الموضوعات المباشرة وتعبر عن وجهة نظرها فى ميدان السياسة والاصلاح الاجتماعى والتربية[١].

وكان سيد أحمد خان يدين بالولاء للسيادة البريطانية فى الهند ومع ذلك ، فحين تمخضت الاجتماعات السنوية لحزب المؤتمر الوطنى الهندى الذى تأسس عام ١٨٨٥م بمشاركة بعض الليبراليين الانجليز عن تأسيس قاعدة للمثقفين الهنود (وأغلبهم من الهندوس) تمكنهم من المطالبة بحقوقهم السياسية بفاعلية متزايدة ، حذر سيد أحمد خان المسلمين الهنود تحذيرا شديدا وطالبهم بالابتعاد عن حزب المؤتمر ، وليس ذلك إلا لمعرفته أن انتصار حزب المؤتمر سيضع المسلمين فى قبضة الهندوس الذين يفوقونهم فى العدد.

ويذكر السيد أبو الحسن الندوى أن «مؤتمر التعليم الإسلامى العام» الذى أسسه «سيد أحمد خان» عام ١٨٨٦م فى «عليكرة» يعتبر من أقدم الجمعيات التعليمية التى كان لها فضل فى نشر الوعى السياسى والثقافى وفى معالجة قضية تعليم الشباب المسلم فى مدارس الحكومة ، ومنه نبعت «الرابطة الإسلامية Muslim League عام ١٩٠٦م، وقد ضعف نشاط هذا المؤتمر بعد التقسيم – أى تقسيم شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧م إلى الهند والباكستان – لتغير الوضع السياسى والثقافى فى الهند [٢].

وكان سيد أحمد خان يمثل زعامة الحركة التعليمية الإسلامية بتأسيس الجامعة الإسلامية فى عليكرة ، وكان من دعاة الاتحاد الوطنى- الهندوسى الإسلامى- إلا أنه بعد فترة قصيرة أتبع سياسة الانفصال عن حزب المؤتمر بدافع الاشفاق على المسلمين الذين كانوا لايزالون ضعفاء فى

١- مجلة فكر وفن : المرجع السابق .

٢- أبو الحسن على الحسنى الندوى : المسلمون فى الهند ، ص١٢٦ .

الثقافة والوعى السياسى ومختلفين فى الحياة والاقتصاد والتعليم ، وحذر المسلمين من الوقوع فى نفوذ الهنادكة المتحمسين والبنغاليين المتطرفين ، الذين بدأوا ينتقدون السياسة البريطانية ويطالبون بحقوقهم .

وقد أشار سيد أحمد خان على المسلمين فى الهند بتكوين جبهة إسلامية والابتعاد عن السياسة التى قد تثير عليهم الأحقاد القديمة وتخلق المشكلات الجديدة. ولاشك أن هذه السياسة وهذا الأسلوب فى التفكير - كما يذكر أبو الحسن الندوى - كان خاطئا ، وكان نتيجة تأثير الداهية الإنجليزى المستر بيك Peak وخليفته المستر موريس Morris اللذين ظلا يقودان عقلية المسلمين وسياستهم مدة طويلة ، وقد جنى هذا الاعتزال عن السياسة على كيان المسلمين وحياتهم القومية[١] .

ومع اهتمام «سيد أحمد خان» بشكل أساسى بمسلمى الهند دون غيرهم ، إلا أنه اتخذ مبدأ التكيف مع البريطانيين والهندوس ، وهذا يعنى بناء الجسور بين هذين الطرفين من جانب ومسلمى الهند من جانب آخر . أما بالنسبة للمسلمين على وجه الخصوص فقد كان مبدأ التكيف يعنى الاعتراف بحقائق الواقع والاستفادة منها من أجل النهوض والتقدم وحفظ الذات. وقد قال تفسيرا لهذا : إذا أراد الله لنا ـ أى مسلمى الهند- أن نخضع لسلطة أخرى تمنحنا حريتنا الدينية ، وتحكمنا بالعدل وتحفظ علينا النظام وتحمى حياتنا وكل ما يتصل بنا ، مثلما يفعل البريطانيون فى الهند ، فمن الواجب أن نبغى لتلك السلطة التوفيق والسداد وأن نعلن لها طاعتنا وولا منا [٢].

وقد أصدر «سيد أحمد خان» عدة مؤلفات كان منها كتابه المشهور بعنوان : أسباب الثورة الهندية» عام ١٨٥٨ حاول فيه التدليل على أن مسلمى الهند لم يكونوا وحدهم مسئولين عن ثورة عام ١٨٥٧م، وأنهم لذلك لايستحقون كل اللوم الذى وجه إليهم ، وكل العنت الذى حل بهم على أيدى السلطات البريطانية . كما نشر فى عام ١٨٦١م كتابا آخر بعنوان : مسلمو الهند الموالون » حاول فيه أيضا إزالة الإنطباع الذى أوجده الهندوس وغيرهم بأن المسلمين هم الذين قاموا وحدهم بثورة ١٨٥٧م .

١- أبو الحسن الندورى : نفس المرجع ، ص١٧٧ .

٢- د. خليل عبد الحميد عبد العال : الأصول التاريخية لدولة باكستان ، اسكندرية ١٩٨٤ ، ص٥٨ .

وكان سيد أحمد خان حريصا على إبقاء علاقات الود والتفاهم بين الهندوس والمسلمين ، فالتعاون بين العنصرين - كما كان يرى سيد أحمد خان - أمر لايمكن الاستغناء عنه ولابديل له من أجل السلام والتقدم فى شبه القارة . وقد آمن «سيد أحمد خان» طويلا أن : الهند عروس ذات عينين جميلتين ، واحدة هى الهندوس والأخرى المسلمون . كما نصح المسلمين بعدم المساس بمشاعر الهندوس بذبح الأبقار لأنه : إذا ما أريد للصداقة بيننا وبينهم أن تستمر فإن هذه الصداقة يجب أن تفضل على التضحية بالبقر [١].

وقد تنبه سيد أحمد خان إلى حقيقة كان لها أكبر الأثر فى الوجود الإسلامى بالهند ، إذ تحقق بشكل نهائى وحاسم إلى وجود أمتين فى الهند كل منهما تختلف جذريا عن الأخرى عقيديا وحضاريا ومن زاوية المصلحة . وكان سيد أحمد خان بذلك أول مسلم هندى يرى فى الهندوس والمسلمين فى الهند أمتين منفصلتين . وكان واحدا من مهندسى باكستان الأوائل رغم أنه لم يشر أبدا إلى الدولة المستقلة فى كتاباته أو خطبه . وكانت أفكاره هى الأساس الذى قامت عليه بنية حزب العصبة -الرابطة- الإسلامية ، وهو الحزب الذى قاد مسلمى الهند إلى تحقيق باكستان [٢].

ثانيا : محمد إقبال :

ولد محمد إقبال بمدينة سيالكوت بولاية بنجاب بالقرب من حدود كشمير فى ٩ نوفمبر عام ١٨٧٧م، وعاش حتى توفى بتاريخ ٢١ أبريل عام ١٩٣٨ م، وتعلم بمدارس «سيالكوت» وبجامعة لاهور ، واستكمل تعليمه فى مدن لندن وميونخ وعاد بعد الحصول على درجة الدكتوراه من ألمانيا فى موضوع : تطور فلسفة ما وراء الطبيعة فى فارس » إلى لاهور عام ١٩٠٨ حيث عين أستاذا للأدب الفارسى بجامعة لاهور ومنحته الحكومة البريطانية لقب «سير» عام ١٩٢٠م .

وقد شغل محمد إقبال عضوية الجمعية التشريعية فى بنجاب فى الفترة من عام ١٩٢٤ لمدة عامين ، وشارك فى مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٣١ وعام ١٩٣٢ فى لندن ، وكان قد اقترح

١- د. خليل عبدالعال : نفس المرجع : ص٦٠ .

٢- Mahmud Hussain : History of the Freedom Movement , vol . I , Karachi , 1957 , p. 578 .

فى مدينة «الله أباد» عام ١٩٣٠م بصفته رئيس عصبة المسلمين الهنود All India Muslim League أن تؤسس دولة مسلمة مستقلة فى شمال الهند لحل النزاع بين الهندوس والمسلمين . وقد أثبت الزمن جدوى هذا الاقتراح رغم معارضة الهندوس له، فبعد عامين من ذلك أسس «رحمة الله» حركة الباكستان . وصدقت عام ١٩٤٠م عصبة المسلمين الهنود ، على مشروع هذه الدولة، وخرج فى١٤ أغسطس عام ١٩٤٧م إلى حيز الوجود على يد محمد على جناح[١].

وكان لأفكار محمد إقبال أهداف هامة لتجديد التفكير الإسلامى، منها : تجديد الفكر الدينى فى الإسلام، الذى تم نشره بمدينة لاهور عام ١٩٣٠م، وبمدينة لندن عام ١٩٣٤م ، وقد تبنى الكثير من نتائج بحوث العلوم النفسية والطبيعية فى الغرب ، ولكنه يرفض النتائج النهائية لهذه البحوث طالما تعارضت مع قناعاته الأساسية التى تعود إلى خبرات شبابه الأول بحقيقة الإسلام، وكان محمد إقبال لم يشارك معاصريه أتباع المذهب السنى الذين شجبوا إلغاء نظام الخلافة الإسلامية بواسطة الجمعية العمومية التركية عام ١٩٢٤م ، وإنما كان يعتقد أن نظام الدولة الديموقراطى يتفق مع المبادئ الأساسية للإسلام اتفاقا تاما. وكان ينظر بعطف إلى تركيا الجديدة [٢].

وكان إقبال يعرف باسم شاعر الإسلام، وكل كتاباته - نثرا أو شعرا- تدور حول الإسلام، وأفكاره المتصلة بالفرد والمجتمع والدولة والإنسان والتاريخ والتطور والنفس هى أفكار إسلامية، وفلسفته السياسية تقوم على أساس عنصرى الإسلام الجوهرين : الوحدة الإلهية والنبوة المحمدية . إن الدولة الإسلامية لايمكن فى ظروف العالم الحالية أن تكون إقليمية أو عالمية ، لكنها دولة متعددة الجنسيات يربطها تنظيم حر كما هو الحال فى أية منظمة دولية[٣].

ومن هذا المنطلق نادى إقبال بضرورة تأسيس دولة إسلامية فى الهند فإذا كانت الكعبة هى رمز التجمع الإسلامى العالمى والأخوة الإسلامية أو هى «المركز المحسوس» - كما يسميه إقبال- فإن الدولة التى ينادى بتأسيسها فى الهند هى «المركز المحسوس» لكل مسلمى الهند، وهى دولة إقليمية ، ولكنها فى إطار الكيان السياسى الإسلامى المتعدد الجنسيات تفقد تلك

١- مجلة فكر وفن : المرجع السابق ، ص٣٥ .

٢- نفس المرجع ، ص٤٠ .

٣- د. خليل عبد العال : المرجع السابق ، ص٨٨ .

الصفة [١]. وهكذا يرى محمد إقبال استحالة أن يعيش المسلمون فى الهند بنظامهم الاجتماعى وقيمهم ومثلهم الإسلامية فى ظل نظام سياسى لايكون إسلاميا ، ومن ثم فلابد أن يؤسسوا دولة وذلك لأنهم أمة .

ويؤكد محمد إقبال بأن الهندوس والمسلمين لم يكونوا أمة واحدة ، ففى الماضى كانت الطائفتان منقسمتين إلى معسكرين متعادين ، وليس هناك ما يشير إلى أن لديهما أية إرادة للإندماج فى المستقبل ومن ناحية أخرى فإن الهند الإسلامية تكون أمة بذاتها . وأن الهند لاتمثل وحدة اجتماعية ، ويجب الاعتراف بحقيقة «الكثرة» والتنوع فى الهند. وكان يؤمن بالاشتراكية التى تنبع من الإسلام ولاينبع الإسلام منها [٢].

وقد ساهم محمد إقبال فى مساعدة «محمد على جناح» مؤسس باكستان وقائدها الأعظم فى إعادة تنظيم حزب العصبة فى البنجاب ، ويعتبر تأثير إقبال على محمد على جناح من أهم منجزاته، وفى هذا الإطار يذكر محمد على جناح : كان لى صديقا وهاديا وفيلسوفا. وفى خلال أحلك اللحظات التى مرت على حزب الرابطة وقف إقبال كالصخرة الصامدة ، وكان إقبال هو نافخ بوق الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية ، كما كان مغنيا لأجمل شعر فى الوجود .

وإقبال فى النهاية هو الذى كتب إلى محمد على جناح الرسائل العديدة التى شكلت تفكيره وزودته بحماس بالغ لتحقيق آمال مسلمى الهند فى تأسيس وطن قومى لهم، لأن شريعة الإسلام- كما جاء فى أحد تلك الرسائل - لايمكن أن تطبق أو تتطور فى الهند مالم تقم بها دولة إسلامية . كذلك كان إقبال هو الذى حدد واختار لمسلمى الهند قائدهم محمد على جناح ليقودهم فى طريق الكفاح وتحقيق الوطن القومى [٣].

ثالثا : مولانا أبو الكلام أزاد (١٨٨٨-١٩٥٨م)

يعتبر مولانا أبو الكلام أزاد من كبار زعماء الخلافة وحركة التحرير وأحد قادة الفكر فى الهند. وقد أسس صحيفة «الهلال» الأسبوعية . والتى كانت تنشر مقالات شديدة اللهجة

١- د. خليل عبد العال : نفس المرجع ، ص٩٠ .

٢- نفس المرجع ، ص٩٧ .

٣- نفس المرجع ، ص٩٩ .

تنتقد السياسة الأوروبية المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين . وقد كان التعاون قائما بين مولانا أبو الكلام آزاد والزعيم الهندوسي المهاتما غاندي في مهاجمة الاستعمار الإنجليزي، وقد اقترحا عام ١٩٢٠م مقاطعة البضائع الأجنبية ومقاطعة الحكومة الإنجليزية ، والاضراب عن التعاون معها في دوائرها وجيوشها ، فكان أمضى سلاح استعمل في حرب التحرير والكفاح الوطني ، في أي بلد حسبت له الحكومة الإنجليزية كل حساب ، وكاد يشل الجهاز الإداري وينشر الثورة العامة. إلا أن السياسة الإنجليزية لجأت إلى سياسة التفرقة بين المسلمين والهندوس ، مما أدى إلى حدوث اضطرابات طائفية في شبه القارة الهندية . رغم محاولات مولانا أبو الكلام آزاد وغيره من أعضاء المؤتمر الوطني (١).

ومن ثم قويت حركة الانفصال التي كان يتزعمها محمد علي جناح رئيس العصبة- الرابطة- الإسلامية حتى نادت في الأخير بتقسيم الهند، ونجحت بفضل العقلية الأكثرية الضيقة وشذوذ معاملتها وتفكيرها مع المسلمين . وجاء في خطبة مولانا أبي الكلام آزاد التاريخية التي ألقاها في البرلمان الهندي، فقد أشار إلى بعض أعضاء البرلمان الذين اعترضوا على مساعدة وزارة المعارف للمؤسسة العلمية المشهورة «دار المصنفين» في أعظم كراهية لأنها تنسب إلى المسلمين قائلا : إن هذه العقول الصغيرة هي التي كانت سببا في تقسيم الهند (٢).

وقد بقي مولانا أبو الكلام آزاد، وكثير من العلماء الذين كانوا ينتسبون إلى «جمعية العلماء» أوفياء للمؤتمر ثابتين على موقفهم القديم ووجهة نظرهم في العداء الشديد للانجليز والحماس للقضية الوطنية والإخلاص لها. وقد استمر رئيسا للمؤتمر الوطني لأطول مدة تمتع بها رئيس ، وفي أحرج فترة مرت بها البلاد . وفي عهد رئاسته زارت البعثتان الحكومتيان لحل القضية الهندية والمفاوضة في شروط الاستقلال وتفاصيله . فكان ممثلا للمؤتمر الوطني ولسان حاله . وفي عهد رئاسته وتحت إشرافه وتوجيهه نالت الهند الاستقلال . ولما أعلن رئيس جمهورية الهند في عام ١٩٥٢ إكرامه بوسام «بدم وبهوشن» الفخري، رفضه قائلا إنه يتنافى مع طريق السلف(٣).

١- أبو الحسن الندوي : المرجع السابق، ص١٨١-١٨٢ .

٢- نفس المرجع : ص١٨٣-١٨٤ .

٣- نفس المرجع ص١٨٥ .

وقد أصبح وزيرا للمعارف فى أول وزارة لجمهورية الهند المستقلة ، كما كان صديقا حميما للزعيم الهندوسى غاندى - ورغم ذلك انتقد موقف غاندى ونهرو من حق المسلمين فى أراضيهم بشبه القارة الهندية[١].

رابعا : تشودرى رحمت على :

طالب علم فى بريطانيا فى الثلاثينيات من القرن العشرين دعا إلى القومية الإسلامية بتحويل ولاء مسلمى شبه القارة الهندية من نزعة الهندية- أى الولاء للوحدة الوطنية الهندية- إلى النزعة الإسلامية، ومن مسار الأقلية والطائفية إلى دعوة القومية الإسلامية. وقد تضمنت دعوته تكوين ثلاث دول إسلامية فى الهند : باكستان «وبانج إسلام» و «عثمانيستان»، وهى كلها مناطق ذات أغلبية سكانية مسلمة فى شبه القارة الهندية . وقد أطلق اسم «بانج إسلام» على البنغال وآسام ، واسم «عثمانيستان» على حيدر آباد أو الدكن ، أما اسم باكستان فيتكون من الحروف الأولى لأسماء المناطق التى ضمتها باكستان ، فالباء الثقيلة من البنجاب، والألف الممدودة من «أفغانيا » أو منطقة الحدود الشمالية الغربية ، والكاف من كشمير ، والسين من السند ، أما تان فهى آخر حروف كلمة بلوچستان. ويمكن ترجمة اسم باكستان أيضا بمعنى أرض الطهر ، فكلمة باك تعنى طهر، وكلمة ستان تعنى أرض بالفارسية والأوردية [٢].

خامسا : محمد على جناح :

ولد محمد جناح بمدينة كراتشى عام ١٨٧٥م وقد تأثر كشباب جيله من مسلمى الهند بأفكار «سيد أحمد خان» وبالمدارس الإنجليزية ، وتعلم فى انجلترا وعاد إلى الهند عام ١٨٩٦م، وانضم إلى حزب المؤتمر عام ١٩٠٩م حيث كان يعتقد فى أن مصير مسلمى الهند مرتبط ببقية سكان الهند، وأنه من الواجب على المسلمين أن يتحركوا مع التقدم السياسى للبلاد، ورغم انضمامه لحزب العصبة (الرابطة) الإسلامية عام ١٩١٣م إلا أنه ظل يعمل من أجل التفاهم الإسلامى الهندوسى ولكنه لم يقبل بسياسة «العصيان المدنى»

١- د. خليل عبد العال : المرجع السابق، ص١٣٤ .

٢- نفس المرجع ، ص١٠٢-١٠٨ .

«الساتياجراها»[1] التى دعا إليها الزعيم الهندوسى غاندى الذى آلت إليه زعامة حزب المؤتمر .

وقد كافح محمد على جناح من أجل صبغ الجيش الهندى والوظائف الإدارية بالصبغة الهندية ، وتمرد على برنامج غاندى وطريقة تفكيره التى ستقود فى اعتقاده إلى الفوضى وعدم الاستقرار، وقد شارك فى مؤتمرات المائدة المستديرة فى لندن فيما بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٢م، وهناك التقى محمد على جناح بالشاعر الفيلسوف محمد إقبال عضو الوفد الإسلامى فى المؤتمر وصار الاثنان منذ ذلك الوقت صديقين حميمين .

وعندما عاد محمد على جناح إلى الهند من لندن فى أكتوبر ١٩٣٥م انشغل بقضية المسلمين وتحول من «مسلم قومى» إلى «قومى مسلم» أى من الإيمان بأمكانية قيام دولة هندوسية إسلامية فى الهند الموحدة إلى الإيمان بالقومية الإسلامية الباكستانية ، وأن قيام دولة هندوسية إسلامية واحدة فى الهند وهما وخرافة . وقد أصبح حزب «الرابطة» الإسلامية مع بداية عام ١٩٤٠م مستعدا لتبنى مطلب باكستان المستقلة ، حيث ألقى محمد على جناح فى لاهور خطبته الرئاسية التى كانت شهادة واضحة للقومية الإسلامية فى الهند، أو كما تسمى : القومية الباكستانية . وقد تبنى حزب العصبة أو الرابطة قيام دولة باكستان . وقد اعترف حزب المؤتمر بمطالب حزب العصبة فى الانفصال ، وقد حذر نائب الملك لورد مونتباتن زعماء المؤتمر بأن استمرار الموقف بهذا الشكل المتأزم سيؤدى إلى التقسيم حتما، وعلى الفور أعلن الزعماء الهندوس البارزون قبولهم لمطلب المسلمين مقرين أنه سواء رضى المؤتمر أو لم يرض فأن ثمة أمتين فى الهند ، وليس هناك من بديل سوى الاعتراف بالحقيقة . وبهذا الاعتراف أزيحت

١- يقول غاندى إن الساتياجراها تعنى التمسك بالحق أو هى قوة الحق ، ويسميها غاندى أيضا قوة الحب أو قوة الروح، وعند تطبيق ساتياجراها اكتشف غاندى فى المراحل الأولى أن متابعة الحق أو اقتفاء أثره لايعنى استخدام العنف ضد الخصم ، فالخصم يجب أن يمنع عن الخطأ وذلك عن طريق الصبر عليه والتعاطف معه، وبالتالى فأن الساتياجراها تعنى إثبات الحق والدفاع عنه ليس عن طريق إلحاق المعاناة بخصمك بل بنفسك ، وقد ذكر غاندى أن الساتياجراها تعنى وفروعها : عدم التعاون ، العصيان المدنى، إن هى إلا أسماء جديدة لقانون المعاناة والحكماء الهندوس القدامى الذين اكتشفوا قانون اللاعنف فى وسط العنف كانوا أعظم عبقرية من «نيوتن» خاصة أنهم كانوا فى نفس الوقت محاربين أعظم من ولينجتون ، وذلك أنهم حينما عرفوا استخدام السلاح تحققوا من عدم جدواه فشرعوا يعلمون العالم أن خلاصته ليس فى استعمال العنف بل فى استخدام اللاعنف .

آخر عقبة كانت تحول دون قيام باكستان . وفى فجر ١٤ أغسطس عام ١٩٤٧ ولدت دولة جديدة هى باكستان(١).

ويعتبر «محمد على جناح» مسئولا عن السياسات التى اتخذها حزب الرابطة الإسلامية إذ شجع القيادات المحلية للرابطة فى البنجاب على تبنى التنمية الاقتصادية والاجتماعية للباكستان كما جاء فى فكرته عن تكوين أمتين فى شبه القارة الهندية : الهند للهندوس والباكستان للمسلمين (٢).

إن قوة محمد على جناح الكبرى تكمن فى توجيه السياسة الإسلامية نحو أهداف عملية من خلال تأكيد بناء وتأييد الاتجاه السياسى للتنمية بالتعاون مع أولئك السياسيين المعتقدين بضرورة تمدين الريف فى البنجاب . وقد نجح فى ذلك خلال انتخابات عام ١٩٤٦ م ، حيث أحرز انتصارا كبيرا للرابطة الإسلامية مما كان له أثره فى قيام الباكستان كدولة إسلامية فى شبه القارة الهندية (٣).

١- د. خليل عبد العال ، ص١١٢ - ٢٢٥ .

٢- David Gilmartin : Empire and Islam , 1988 , p. 205 .

٣- Ibid , p. 222 .

الفصل الثالث

أفغانستان

- الإسلام فى أفغانستان - الصراع البريطانى الروسى - بعد الحرب العالمية الأولى - السوفييت وأفغانستان

الإسلام فى أفغانستان

تقع بلاد الأفغان عند الركن الشمالى الشرقى من الهضبة الإيرانية الأسيوية تحيط بها كل من فارس - إيران- والباكستان ، وتركستان الغربية التى هى الآن جمهوريات وسط آسيا الإسلامية ، ومعظم أراضيها جبلية شديدة الوعورة : وسكان أفغانستان يرتبطون بأصول عربية، خاصة من قريش ، وبأصول تركية وفارسية وهندية ومغولية .

يسمى الفرس سكان هذه البلاد أفغان ، ويعللون ذلك بأنهم حين أسرهم «بخت نصر» كان لهم أنين وحنين ، والأنين يسمى بالفارسية «أفغان» فأطلق عليهم هذا الاسم من ذلك الوقت . وقيل إن أفغانستان اسم لحفيد «شاءول» وهو جد الأفغان فسموا باسم جدهم ، وعوام الفرس يطلقون عليهم اسم «أوغان» وهو قريب من الأول. ويسميهم الهنود «بتان» كما يسمون بأسماء «بشتو» و«بشتان» و«بختو» أو «بختان» وتتألف أمة الأفغان من قبائل متعددة مثل: غلجائى ، عبدل ، كاكر ، دزيرى ، يوسف زائى، مهند، فريدى ، بنكس ، خوستى ، كرمى ، باجورى [١].

والجنس الأفغانى هو أعظم الشعوب المستوطنة لتلك الأقطار وأكثرها عددا ومقره جنوب البلاد والشرق الجنوبى منها ، والخلق الغالب فى هذا الجنس هو الحقد والضغينة والتشوق للانتقام واقتحام المحاربات والتهور فى المخاصمات والمنازعات لأدنى الأسباب وأن صورهم الظاهرة تحكى خليقتهم هذه وتنبئ عنها فان وجوههم على الدوام عابسة وقلما يوجد بينهم البشوش، وإن كان يظهر فى بعض معاملاتهم الحلم وكذلك خشونة لغتهم وغلظ صوتهم يدلان على هذه الخليقة وعلى الفظاظة وغلظ الطباع ، ولهم ميل عظيم للنهب والسلب وشن الغارات وإثارة الفتن [٢].

١- السيد جمال الدين الأفغانى : تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، القاهرة ١٩٠١ م ، ص١٣-٢١ .

٢- نفس المرجع ، ص١٣٨ .

وقد دخل الإسلام إلى بلاد الأفغان فى القرن الأول الهجرى . وخاصة فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان حيث تم فتح سيستان وكابل ونيسابور وهراة ومرو وينهى الحكم البوذى هناك ، وفى عهد الأمويين هاجرت أفواج من القبائل العربية واستقرت فى بلاد الأفغان وفى بلاد ما وراء النهر وفى إقليم السند وفى إقليم خراسان . وإلى هذه الهجرات العربية يرجع الفضل فى سرعة انتشار الإسلام فى تلك الجهات وكذلك ازدهار الثقافة العربية الإسلامية .

وجميع الأفغانيين سنيون متمذهبون بمذهب أبى حنيفة لايتساهلون رجالا ونساء وحضر وبدو فى الصلاة والصوم سوى طائفة «نورى» فإنهم متوغلون فى التشيع ولهم محاربات شديدة مع جيرانهم السنيين وهم الأفغان مع شدة تعصبهم للدين والمذهب والجنس لايعارضون غيرهم فى حقوقهم ولايتحاشون عن أن يروا شيعيا أو غير مسلم يقيم مراسم دينه ولايمنعون المستحقين منها من نيل المراتب العالية فى حكومتهم [1].

وفى العصر العباسى الثانى حين انقسمت الأقاليم الشرقية من الدولة إلى دويلات هى الطاهرية والصفارية اللاتى بسطت سلطانها على كابل وهراة وطبرستان وخلفهم الدولة السامانية التى ضمت أراض كثيرة من بلاد ما وراء النهر ، وكان من عمال الدولة السامانية أمير يدعى «سبكتكين» كان يحكم غزنة الأفغانية فى القرن الرابع الهجرى [2].

وعلى يد سبكتكين هذا قامت أول دولة أفغانية إسلامية هى الدولة الغزنوية التى اتسعت فى عهده وعهد ابنه «يمين الدولة محمود الغزنوى» ، لتشمل إلى جانب بلاد الأفغان كلا من خراسان وأجزاء من بلاد ما وراء النهر ، وقد امتدت الدولة الغزنوية فى عهد محمود من شرق الهند حتى فارس، بعد أن غزا الهند ١٧ غزوة ونجح أثنا ءها فى تحويل الهند إلى بلاد إسلامية، كما أنه اهتم بنشر الثقافة العربية الإسلامية حيث نبغ علماء مسلمون فى ظل الدولة الغزنوية أمثال أبو الريحان البيرونى الفيلسوف ، والفارابى ، والمؤرخ العتبى والفردوسى أعظم شعراء الفارسية .

ويذكر السيد جمال الدين الأفغانى عن الشعب الأفغانى بأنه نشأ على الجلادة والإقدام فكانت الأفغان أمة حربية لاتدين لسلطة الأجنبى عليها، حتى أنه فى زمن محمود الغزنوى

١- المرجع السابق ، ص١٥٠-١٥٣ .

٢- د. أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا ، ص٢٢٧-٢٢٨ .

وجنكيز خان التترى وتيمور الكوركان الذين تمت لهم السلطة عليها لم تكن تبعيتها لهم خالية من الخطر . وكذلك فى عهد انقسام ممالكها بين سلاطين الهند وفارس إذ كانت تتربص بملوكها الشر دائما وتترقب الفرص لإيقاد نار الفتنة [١].

وتتكون الأمة الأفغانية من عدة شعوب منها شعب «التاجيك» ومنه غالب سكان مدينة هرات وضواحيها ومدينة «كابل» والقرى الواقعة بينها وبين بلخ ، وكذلك أهل مدينة غزنة وبعض القرى المجاورة لها ولقمان وقصبة لقمان وبعض قرى قندهار ومنه أيضا غالب سكان المدن البلخية .

ومن الشعوب أيضا شعب «هزارة» الذى يسكن فى الجبال الواقعة فى شمال غزنة الممتدة إلى شمال هرات ، وأصله من الجنس المغولى، وهذه القبيلة على مذهب الشيعة إلا فصيلة «شيخ على» «والجمشيدى» .

ومن الشعوب قبيلتا أزبك وتركمان ، وهما من أصل تترى يتكلمون الأن باللغة التركية ، والقبيلة الأولى تسكن فى أقطار بلخ والثانية فى الأراضى الواقعة بين مدينتى ميمنة وهرات وكلهم سنيون على مذهب أبى حنيفة ومن الطوائف الموجودة فى بلاد الأفغان طائفة الشرفا - أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه ويلقبون فى تلك البلاد بالسيد. وبعض من هذه الطائفة يسكن فى «بشنك» من نواحى قندهار وبعض منها يسكن فى ولاية «كنز» الواقعة قرب جلال أباد . ومن سكان بلاد الأفغان أيضا طائفة «قزل باش» فى كابل وفى غزنة وقندهار، وأصلهم من إيران أتى بهم نادرشاه [٢].

وعندما ضعفت الدولة الغزنوية فى عهد خلفاء السلطان محمود الغزنوى انتقل الحكم إلى الغوريين الذين كانوا خير جند الغزنويين وإذا كان بمحمود الغزنوى يبدأ دور الحكم الإسلامى بالهند فبجهود الغوريين انتشر الإسلام هناك على نطاق واسع واستقرت الحكومة الإسلامية التى ظلت بأيدى سلاطين من الأفغان حتى أوائل القرن العاشر الهجرى ، حتى انتقلت مقاليد الأمور إلى أيدى الدولة المغولية التى أقامها هناك الأمير التيمورى ظهير الدين محمد بابر[٣].

١- السيد جمال الدين الأفغانى : المرجع السابق، ص٢٢ .

٢- نفس المرجع ، ص١٦٢-١٧٢ .

٣- المرجع السابق ، ص٢٢٩-٢٣٠ .

وازدهرت فى عهد الأسرة التيمورية مدن أفغانية مثل هراة التى صارت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية فى المشرق الإسلامى ، إلى جانب أنها كانت أعظم مراكز التجارة والسياسة آنذاك ، وكان حسين بسقرا آخر الأمراء التيموريين بخراسان يحكم فى هراة ، بينما ابن عمه ظهير الدين بابر يحكم فى كابل وغزنة .

ومن كابل امتدت سلطة بابر إلى شمال شبه القارة الهندية كله حيث أقام دولته التى عرفت فى التاريخ باسم الدولة المغولية التى ظلت تحكم الهند أكثر من ثلاثة قرون حتى دخلها المستعمرون البريطانيون وطوال عهد الدولة المغولية بالهند ظلت بلاد الأفغان جزءا منها، حتى إذا ضعفت الدولة المغولية استولى نادر شاه الفارسى على بلاد الأفغان وعلى شمال الهند [١].

وعندما قتل نادر شاه على يد الأسرة القاجارية فى إيران والتى استولت على الحكم قاد الفرقة الأفغانية فى جيش نادر ضابط أفغانى شجاع هو أحمد الذى أعلن فى قندهار نفسه أميرا على بلاده باسم أحمد شاه الأبدالى الدرانى ، فكانت دولته هذه هى أول دولة فى التاريخ تعرف باسم الدولة الأفغانية [٢].

وقد نجح أحمد شاه فى إرساء قواعد حكم قوية فى بلاده ، ثم انطلق فى حملات متكررة لإحياء الدولة الإسلامية فى الهند لولا تحالف الهندوس مع البريطانيين لإفشال مخططات أحمد شاه وأبنائه من بعده حتى إذا تولى الحكم الأمير الأفغانى دوست محمد أوائل القرن التاسع عشر ظهرت أطماع بريطانيا وروسيا فى أفغانستان ذاتها ، ومن هنا بدأ الصراع بين الأفغان من جهة وكل من بريطانيا وروسيا من جهة أخرى .

الصراع البريطانى الروسى

ذلك أن البريطانيين اعتقدوا أن استيلائهم على أفغانستان سوف يبعد الروس عن امتداد نفوذهم بحيث يهددون الهند درة التاج البريطانى، كما أن الروس سعوا إلى الاستيلاء على أفغانستان بهدف توجيه ضربة شديدة ضد الوجود البريطانى فى الهند وللسياسة البريطانية بصفة عامة خاصة وأن بريطانيا تعمل على المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية إزاء الأطماع الروسية [٣].

١- المرجع السابق، ص٢٣١ .

٢- نفس المرجع ، ص٢٣٤ .

٣- د. محمد حسن العيلة : أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسى والحذر البريطانى، الدوحة، ١٩٨٦، ص١٠٤ .

وإزاء سعى بريطانيا للسيطرة على أفغانستان وجعلها دولة حاجزة Buffer State لوجودها فى الهند منذ أوائل القرن التاسع عشر، فقد دارت الحرب بين الأفغان والبريطانيين مرت بثلاث مراحل امتدت حوالى قرن من الزمان من أوائل القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين .

كانت المرحلة الأولى فى الحرب الأفغانية البريطانية لمدة أربع سنوات من عام ١٨٣٨ وحتى ١٨٤٢ م عرفت بالحرب الأفغانية الأولى، التى تمكن فيها الأفغان رغم قلة عددهم من إبادة - فى بعض المواقع- جيوش بريطانية بأكملها كما حدث عند «خورد كابل» حيث أبيد جيش بريطانى بأكمله قوامه عشرون ألفا من الجند المجهز بأحدث الأسلحة [١].

ونتج عن الحرب الأفغانية الأولى تجميد الاتصالات بين الأفغان البريطانيين، الاعتراف بالأمير دوست محمد حاكما لأفغانستان ، واتبع حكام الهند والبريطانيين- سياسة عدم التدخل فى الشئون الأفغانية ثم عقدت بريطانيا معاهدة مع أفغانستان عام ١٨٥٥ وعام ١٨٥٧م لمواجهة نوايا كل من روسيا وإيران التوسعية باتجاه أفغانستان [٢].

وعندما مات الأمير دوست محمد عام ١٨٦٢م خلفه ابنه «شير على» الذى واجه محاولات البريطانيين للتدخل فى شئون أفغانستان ، رغم محاولاته التحالف مع حكام الهند البريطانية للوقوف ضد محاولات الروس التوغل فى وسط آسيا باتجاه أفغانستان ، ولكن حكومة دزرائيلى البريطانية والتى حكمت فى الفترة من١٨٧٤ إلى ١٨٨٠م كان من سياستها الوقوف ضد التوسع الروسى فى آسيا الوسطى بالسيطرة على أفغانستان ، ومن هنا دارت ما عرفت باسم الحرب الأفغانية الثانية التى استمرت ثلاث سنوات من عام ١٨٧٨م إلى عام ١٨٨١ م .

وقد بدأت الحرب الأفغانية الثانية بدخول الجيش البريطانى عام ١٨٧٨م، بأعداد كبيرة مدينة كابل، حيث فر أمير الأفغان شير على الذى توفى خارج بلاده فى ٢١ فبراير ١٨٧٩م ولم يقبل شعب أفغانستان أن يولى لحكمه يعقوب خان بن شير على، على أن تقوم إلى جانبه فى كابل بعثة بريطانية ، فانطلق يقاوم القوات البريطانية حتى قتل كل أعضاء البعثة البريطانية[٣].

١- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق، ص٢٣٦ .

٢- د. محمد حسنى العيلة : المرجع السابق ، ص١٠٤ .

٣- د. أحمد محمود الساداتى: المرجع السابق، ص٢٣٧ .

وقد اضطر البريطانيون إلى الانسحاب من كابل . حتى كانت المعركة الحاسمة فى ٢٧ يوليو ١٨٨٠م والتى انتهت بهزيمة كاملة للجيش البريطانى بل وخسر البريطانيون جيشا قوامه سبعة عشر ألفا من الجنود المجهزين بأحدث الأسلحة أمام صلابة الكفاح الأفغانى[١] مما دفع الحكومة البريطانية إلى إصدار قرار فى صيف عام ١٨٨١ بانسحاب القوات البريطانية من أفغانستان والعودة إلى الهند .

وكانت أسباب الحرب الأفغانية الثانية تتمثل فيما يلى :

أ- التنافس البريطانى الروسى حول أفغانستان باعتبارها دولة حاجزة بين الطرفين . ذلك التنافس الذى أظهر محاولة الروس اللجوء إلى العوامل الإنسانية فى التعامل مع الأفغان . لجأت بريطانيا من الهند إلى شن الحرب ضد الأفغان ، خاصة أن نائب الملكة فى الهند كان يكن العداء لأمير الأفغان شير على .

ب- عدم استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية فى أفغانستان أوحى للحكام البريطانيين فى الهند بسهولة غزو أفغانستان والسيطرة عليها .

أما نتائج هذه الحرب والتى استمرت ثلاث سنوات- كما ذكرنا بين عامى ١٨٧٨م وعام ١٨٨١م ، فهى :

١- تكبدت حكومة الهند البريطانية خسائر بشرية واقتصادية وسياسية ضخمة أثارت سخط البريطانيين، وارتفعت الأصوات فى لندن بالإنسحاب من أفغانستان .

٢- ازدياد الشعور القومى والإسلامى للأفغان ، والذى ظهر جليا خلال الحرب ، فقد شعر الأفغان من جراء الوجود البريطانى فى أراضيهم بالمهانة القومية والروحية .

٣- شعور روسيا بالخطر البريطانى فى آسيا الوسطى ، وقد وجدت فى سياسة بريطانيا تهديدا سياسيا واقتصاديا ، ولذلك شرعت فى المزيد من العمليات العسكرية فى مرو عام ١٨٨٣م ، وفى الأراضى الأفغانية الواقعة إلى الجوار من أراضى بخارى .

٤- تحديد الحدود الأفغانية الروسية بتدخل بريطانيا لإيقاف أطماع روسيا فى الأراضى الأفغانية فى «بادقشان» و«واخان» «وبلخ» ، وفى تحديد تلك الحدود تعيين المجال السياسى لنفوذ كل من بريطانيا وروسيا فى وسط آسيا الإسلامية .

١- أنور الجندى : العالم الإسلامى والاستعمار السياسى والاجتماعى والثقافى ، القاهرة ، ص١٤٨ .

بعد الحرب العالمية الأولى

لم تكن الحرب الأفغانية الثانية نهاية العداء أو الأطماع البريطانية فى الأراضى الأفغانية، إذ أن البريطانيين أرسلوا عبر الحدود الهندية الأفغانية قوات بريطانية ضخمة بدعوى تأمين تلك الحدود من ناحية أفغانستان ، ولكن هذه المحاولة انتهت بالفشل عام ١٩١٩م على يد الأمير حبيب الله خان ، الذى حاول استرضاء البريطانيين بعدم الاستجابة لدعوة السلطان العثمانى خليفة المسلمين للجهاد ضد أعداء الإسلام من البريطانيين وحلفائهم ، ولكن مالبث أن اغتالته يد أثيمة مجهولة ، وهو يقاوم البريطانيين [١].

وعلى يد الأمير أمان الله خان بن حبيب الله خان تم استرداد بقية الأراضى الأفغانية من يد القوات البريطانية المنهزمة ، وقد اضطرت بريطانيا لأول مرة إلى الاعتراف باستقلال أفغانستان عام ١٩١٩م ، ولكن أمان الله خان لم يحسن إدارة البلاد بسبب محاولته تقليد مصطفى كمال أتاتورك فى حركة التغريب والتخلى عن التوجه الإسلامى فثار الشعب الأفغانى المسلم ضده عام ١٩٢٨ .

وخلفه ابن عمه محمد نادر شاه الذى كان قائد جيوش تحرير واستقلال أفغانستان ضد البريطانيين عام ١٩١٩م، والذى سعى إلى إعادة الوجه الإسلامى للحكم فى أفغانستان ، كما سعى إلى إقامة التوازن فى العلاقات الدولية بين بريطانيا فى الهند وبين الاتحاد السوفيتى. ولكن مالبث أن لقى مصرعه على يد أثيمة عام ١٩٣٣ بعد حكم لم يدم سوى خمس سنوات .

تولى الحكم فى أفغانستان الملك محمد ظاهر شاه خلفا لوالده محمد نادر شاه ، فسار سيرته الإسلامية والحضارية وتدعيم علاقات أفغانستان بالدول الإسلامية بصفة خاصة ، ولكن فى ١٧ يوليو عام ١٩٧٣م شجع الاتحاد السوفيتى على حث العناصر الشيوعية الأفغانية للقيام بانقلاب ضد الملك محمد ظاهر شاه ، حيث ألغى النظام الملكى وأعلن النظام الجمهورى برئاسة محمد داود ابن عم الملك السابق محمد ظاهر شاه .

السوفييت وأفغانستان

ظل محمد داود يحكم ويقيم علاقات قوية مع الاتحاد السوفيتى حتى انقلب عليه عميل سوفيتى آخر هو «نور الدين ترّه كى» الذى قتل محمد داود وأسرته فى ١٨ أبريل عام ١٩٧٨

١- أنور الجندى : المرجع السابق، ص١٤٩ .

ولكن الأمر لم يستتب «لنور الدين ترّه كى» إذ حدث انقلاب ضده بقيادة حفيظ الله أمين فى منتصف سبتمبر ١٩٧٩م، ولكن حفيظ الله أمين لم يهنأ بالحكم سوى ثلاثة شهور خلفه عميل سوفيتى آخر هو بابراك كارميل الذى قضى على حفيظ الله أمين فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٧٩م.

ولقد تسلل السوفييت إلى أفغانستان كخبراء منذ عهد محمد داود، ولكنهم ما لبثوا أن دخلوا بجيوشهم التى وصلت أعدادها إلى حوالى ٨٠ ألف جندى فى عهد حفيظ الله أمين وكارميل بدعوى مساندة حكومة كابل الشيوعية فى مواجهة قوات الجهاد الأفغانية المسلمة . وكان هدف السوفييت هو الوصول إلى منابع البترول فى منطقة الخليج العربى .

ونتيجة لكفاح الأفغان فقد أضطر السوفييت إلى الإنسحاب من أفغانستان ومن ثم سقوط النظام العميل فى كابل وارتقاء المجاهدين الأفغان السلطة فى كابل ولكنهم ما لبثوا أن دخلوا فى صراع مع بعضهم البعض .

ولنا أن نتساءل هل حقق السوفييت أهدافهم من التدخل العسكرى فى أفغانستان ؟ للإجابة على هذا التساؤل نقول إن السوفييت أخطأوا التقدير بالنسبة للمقاومة الوطنية ، وقد حاول السوفيت استخدام قوات من دول وسط آسيا الإسلامية لمحاربة الأفغان فى إطار محاولة الاتحاد السوفيتى سحب الجنود الروس وقد سعوا إلى ذلك استنادا إلى أن :

١- هذا الاستبدال سيوفر تكاليف باهظة ، فمن الناحية الاقتصادية إن دخول دول وسط آسيا الإسلامية أقل تكلفة من نقل القوات السوفيتية من موسكو .

٢- أن الاتحاد السوفيتى اعتقد أنه سيحصل على امتيازات سياسية بارسال قوات متفقة مع الافغان دينيا وخلقيا .

ولكن سرعان ما اكتشفت السلطات السوفيتية بأن كثيرا من قوات دول وسط آسيا الإسلامية أظهروا تعاطفا مع الأفغان [١].

١- J. Bruce Amstutz : Afghanistan : The first five Years of Soviet Occupation , Washington D . C . 1986 , p. 169 .

الفصل الرابع

إندونيسيا

-لمحة جغرافية - تاريخ إندونيسا - فترة ماقبل الاستعمار الأوروبى- الاستعمار البرتغالى- الاستعمار الهولندى - إندونيسيا عند قيام الحرب العالمية الأولى - إندونيسيا بين الحربين العالميتين - إندونيسيا فى ظل الاحتلال اليابانى - هولنداواستقلال إندونيسيا

لمحة جغرافية

تتكون إندونيسيا من مجموعة من الجزر والأرخبيلات أكبرها جاوة وتمتد من سومطرة إلى غينية الجديدة ، ومن الغرب إلى الشرق على امتداد خمسة آلاف من الكيلومترات ، وكانت مركز الإمبراطورية الهولندية الإستعمارية الكبرى فيما وراء البحار[١] وهذه الجزر عرفت الإسلام فى أواسط القرن الثامن للهجرة أو القرن الرابع عشر للميلاد، وقد بلغ عدد سكانها من المسلمين فى إحصاء عام ١٩٣٠ الذى أجرته هولندا ٦٤ مليون نسمة[٢] .

وجاء دخول الإسلام إلى هذه الجزر عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا إليها قادمين من الهند وعن طريق التعامل والاختلاط مال سكان تلك الجزر إلى اعتناق الدين الإسلامى بأسلوب سلمى وبدون أدنى ضغط أو قهر، وجاء انتشار الإسلام فى «جاوة» أسبق من بقية الجزر، ومن ثم اتخذ الإسلام من جاوة مركزا للانتشار إلى بقية الجزر الأخرى حيث امتد ليشمل «سومطرة» وإلى قسم من «بورنيو» و«سيليب» والجزر التى فى الشرق منها ، والمتصفح لرحلات ابن بطوطة الرحالة العربى المشهور يقرأ له مدحا وثناءا على ملك سومطرة المسلم فى القرن الرابع عشر الميلادى لأن هذا الملك جاهد الكفار الوثنيين ونشر الإسلام بينهم [٣].

١- بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ، ص٧٧٧ .

٢- لوثروب ستودار : المرجع السابق، ص٣٣٨-٣٣٩ .

٣- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين ، ص٢٨٥ .

وصار للعرب المسلمين فى جزر إندونيسيا سلاطين وأمراء ، وصار للعرب معرفة تامة بخيراتها ، وحيث كانوا أكثر حضارة من سكانها فقد صاروا فى مراكز مرموقة بين الناس استندت كذلك على خبراتهم بأمور التجارة والملاحة فى البحار والإدارة ، ومن الجدير بالذكر أن علاقات العرب التجارية بسكان تلك الجزر لم تكن مهما كثرت واتسعت لتكفى فى نيل العرب هذه السيادة الاجتماعية والأدبية على جزائر عظيمة كهذه فياضة الخيرات زاخرة العمران، بل كانت معهم قوة أعظم من هذه وهى قوة العقيدة المحمدية التى هى من الجلاء والبساطة بحيث يفهمها الخاص والعام [1].

ويقدر المؤرخون تاريخ دخول الإسلام إلى جزر إندونيسيا بخمسة قرون تبتدئ من القرن الثانى عشر الميلادى إلى أن تنتهى باحتلال الهولنديين لها فى القرن السابع عشر، ولم يؤسس العرب فى تلك الجزر دولة أو سلطنة موحدة وإن كانوا قد نجحوا فى إقامة أسس وحدة إسلامية تبقى ما بقى الإنسان على تلك الأرض ولاتسقط أمام عدوان أوروبى أو غيره ، ولعل وجود الجزر متباعدة كان من العوامل التى لم تمكن العرب من إقامة دولة موحدة فيها . ومما تجب ملاحظته أن معظم العرب الوافدين إلى تلك الجزر كانوا من حضرموت بجنوب الجزيرة العربية ، وهؤلاء مشهود لهم بالمثابرة والخبرة الملاحية والتجارية والإدارية إلى جانب تمسكهم بالإسلام وحسن معاملتهم لشعوب تلك الجزر .

وأكبر تلك الجزر هى جاوة التى تبلغ مساحتها ١٣١,٥٠٠ كم٢ ، وإن كانت بورنيو أكبر منها بل أكبر جزيرة فى الكرة الأرضية بعد جزيرة غينية الجديدة ، إذ أن مساحتها ٧٤٦٠٠٠ كم٢ ولكنها قسمت بين هولندا وانجلترا وقد دخل الإسلام إلى بورنيو فى القرن السادس عشر الميلادى وصار لها سلطان مسلم أواخر ذلك القرن ، وظلت تحافظ على استقلالها أمام البرتغال والأسبان والإنجليز والهولنديين حتى أواسط القرن الثامن عشر .

وثالث الجزر من حيث العظمة والاتساع هى جزيرة سيلاب célébes المعروفة أحيانا باسم «سيلبيس» - ومساحتها حوالى ٣٢٢٨كم٢ وقد انتشر الإسلام إليها أواخر القرن السادس عشر، ومع بداية القرن السابع عشر تنافس الهولنديون والإنجليز والدنمركيون مع البرتغاليين فى الفوز بمحاصيل هذه الجزيرة من البهارات والفلفل والقرنفل وغيرها مما تشتهر هذه الجزيرة بانتاجه ، حتى انتهى الأمر بنزول الهولنديين إلى الجزيرة وبسط سيطرتهم عليها اعتبارا من عام ١٦٦٧م .

١- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص٣٤٧-٣٤٨ .

وتعتبر جزيرة سومطرة من أعظم الجزر فى العالم ، ويفصلها عن بلاد الهند الصينية «بوغاز ملقا» وعن جاوة بوغاز «الصوند» ، ومساحتها ٤٣٠.٠٠٠كم٢ ومعظم سكانها مسلمون ، وخيراتها كثيرة سواء كانت زراعية أو معدنية ، وسكانها خليط من العرب والهنود والملاويين والصينيين. وقد خضعت هذه الجزيرة أيضا للسيطرة الهولندية .

ويطلق اسم إندونيسيا على مجموعة الجزر الواقعة فى جنوب شرق آسيا والتى تضم سومطرة وجاوه وبورنيو وسيليبس ولومبون وتيمور وجزائر الملوك الجديدة وشبه جزيرة الملايو وبعض الجزر الأخرى المبعثرة وقد أطلق على مجموعة الجزر هذه أسماء متعددة فسميت قديما باسم نيوسنتارا Nuesantars وانسوليند Insulande وسميت أيضا باسم جزائر الملايو، وباسم جزائر الهند الشرقية الهولندية Dutch East Indies كذلك أطلق العرب الأقدمون عليها اسم جاوه وهو من قبيل إطلاق الجزء على الكل. وما زالوا حتى يومنا هذا يحتفظون بتلك التسمية.

ومنذ عام ١٨٥٠ أخذ اسم اندونيسيا يغلب على ماعداه من الأسماء، ويتكون هذا الاسم من جزئين هما : (إندو) وهى مشتقة من كلمة الهند، والثانى (نيسيا) ومعناها الجزر . أى أن إندونيسيا هى جزائر الهند . وقد أصبحت هذه التسمية رمزا لوحدتهم وأمانيهم القومية . ولهذا السبب لم تكن الحكومة الهولندية التى حكمت تلك الجزر تعترف بتلك التسمية .

ويطلق هذا الاسم حاليا على مجموعة الجزر التى كانت خاضعة لحكم هولندا ولكن اسم إندونيسيا يشمل أيضا جزر الفلبين التابعة للولايات المتحدة الأمريكية ، بل لقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن جزيرة مدغشقر وجزيرة سيلان تدخلان أيضا ضمن مجموعة الجزر الإندونيسية ، لأن سكان هذه الجزر جميعها من أصل جنس الملايو .

تاريخ إندونيسيا

فترة ما قبل الاستعمار

عرفت إندونيسا الوحدة السياسية منذ القرن الخامس الميلادى حتى القرن الثالث عشر تحت حكم امبراطورية (سرى وبجايا) وبعد سقوط تلك الإمبراطورية فى أواخر القرن الثالث عشر، قامت على أنقاضها امبراطورية أخرى هى امبراطورية (ماجافاهيت) ١٢٩٣-١٤٧٨م. واستطاعت تلك الإمبراطورية أن توحد جزيرة جاوه وجزائر سوندا الصغرى وجزيرة سيليبس وجزائر البهارات وبرنيو وشبه جزيرة الملايو وجزيرة سنغافورة وسومطرة تحت حكمها ، وأن

تسيطر على تجارة تلك المنطقة سواء بينها وبين الصين أو بينها وبين التجار الهنود الذين يقومون بتسليمها للتجار العرب في الخليج العربى حيث تتركز فى مدينة بغداد ومنها تسير فى طريقين : أحدهما يمر بتركيا إلى أوربا- وقد توقفت التجارة عن هذا الطريق بعد سقوط القسطنطينية فى أيدى العثمانيين عام ١٤٥٣م والطريق الآخر المار بمصر ومنها إلى أوروبا .

وبانتشار الإسلام فى الجزر الاندونيسية قامت ممالك إسلامية متعددة فيها مثل مملكة بنتام التى أسسها الملك حسن الدين فى جاوه الغربية سنة ١٥٦٨ ومملكة متارام التى أقامها رجل عسكري يدعى سنافانى فى شرقي جاوة سنة ١٥٨٣ .. وبذلك أصبحت جزيرة جاوة مركز الاشعاع للدين الإسلامى فانتقل منها إلى غيرها من الجزر ثم قام نزاع بين هؤلاء الملوك والحكام كان من أثره اشتعال نار الفتنة وحدوث الاضطرابات مما أضعف البلاد أمام الغزو الأوروبى المرتقب .

الاستعمار البرتغالى :

ونظراً لحاجة الغرب الشديدة إلى البهارات ، ونظرا لارتفاع ثمنها ارتفاعا باهظا فى أوروبا ، حاول الأوروبيون أن يصلوا إلى مناطق إنتاجها لشرائها بأثمان منخفضة وقد شجع هذا ماركوبولو (١٢٥٤-١٣٢٣م) الرحالة الإيطالى على مغادرة البندقية فى سنة ١٢٩٣ متجها إلى الصين ونزل بسومطرة بعض الوقت ثم تبعه فى نفس المضمار بارثلوميو دياز Bar-tholmous Diaz البرتغالى الذى استطاع الوصول إلى جنوب أفريقيا وأطلق على رأس القارة الجنوبى رأس الزوابع وذلك فى عام ١٤٨٦ واتم عمله هذا بحار برتغالى آخر يدعى فاسكودا جاما Vasco da Gama حيث وصل إلى ميناء قليقوت بالهند فى عام ١٤٩٨ واستطاع البرتغاليون وخصوصا فى أيام الحاكم البرتغالى للمستعمرات البرتغالية فى الهند المسمى ألفونسوا البوكيرك (١٤٥٣-١٥١٥) أن يسيطروا على التجارة فى الجزء الغربى من المحيط الهندى وأن يتطلعوا إلى الجزء الشرقى حيث توجد جزر الهند الشرقية . وقد نشبت معارك شديدة بين الإندونيسيين المسلمين من ناحية وبين البرتغاليين من ناحية أخرى وقد اتخذت تلك الحرب شكل الحروب الصليبية ، نظرا لقرب عهد البرتغاليين بمقاومة النفوذ العربى والقضاء عليه فى الأندلس . وتمكن البرتغاليون بعد جهود كبيرة من الاستيلاء على معظم سفن المسلمين واحتلال شبه جزيرة الملايو ومضيق ملقا الذى يعتبر من أهم الممرات التجارية المسيطرة على طرق التجارة الآسيوية .

ثم أخذوا فى إرسال الحملات المتعددة إلى الصين وسيام والى جزر الملوك أو جزائر البهارات بقصد الاستيلاء على البهارات واحتكارها فى أيديهم فقط . كما أرسلوا البعثات التبشيرية إلى تلك الجزر لنشر المسيحية فيها ، وقد استطاعوا بالفعل أن يدخلوا عددا قليلا من سكان إندونيسيا فى الديانة المسيحية واتخذوهم أتباعا لهم ومؤيدين لسياستهم الاستعمارية .

ومنذ ذلك الوقت كثر سفر التجار الأوروبيين إلى إندونيسيا والتعامل مع التجار الإندونيسيين مباشرة دون وساطة ليجنوا أكبر قسط من الأرباح .

الاستعمار الهولندى :

كان البرتغاليون - كما سبق أن ذكرنا - أول من استطاع من الأوروبيين الوصول إلى إندونيسيا وذلك فى عام ١٤٩٨ وظلوا يحتكرون نقل تجارة التوابل إلى أوروبا ، حتى سنة ١٥٨٠ حيث استولت أسبانيا على البرتغال ، فآلت إليها البرتغال بما لها من ممتلكات . ولما كان بين الأسبان والهولنديين عداء فى ذلك الوقت طمعت هولندا فى ضم الممتلكات البرتغالية فى إندونيسيا وفى منافستهم فى تلك الجزر. وبالفعل استطاعوا الوصول إليها فى أواخر القرن السادس عشر . ثم تبعهم الإنجليز والفرنسيون فى أوائل القرن السابع عشر وحدث تسابق بين تلك الدول فى استنزاف موارد الثروة فى البلاد على نطاق واسع بقدر ما كانت تتسع مراكبهم فى ذلك الوقت .

وقد جاء الهولنديون إلى إندونيسيا كمستعمرين ، ولكن استعمارهم كان ذا صبغة تجارية صرفة ، فما يهم الهولنديون فى ذلك الوقت هو السيطرة على موارد الثروة واستغلالها لصالحهم الخاص. ومن ثم نشأت الشركات الهولندية وعلى غرارها نشأت شركات أخرى انجليزية وفرنسية تعتمد على أسطول تجارى ضخم وعلى قوة مسلحة لحمايته . وقد تنافست تلك الشركات منافسة عنيفة أدت إلى الاشتباكات المسلحة بعض الأوقات .

ويمكننا القول بأن هذه الشركات الأجنبية قد مكنت للنفوذ السياسى من أن يستقر وأن يتوطد . فنجد مثلا أن شركة الهند الشرقية الهولندية التى تكونت فى ٢٠ مارس سنة ١٦٠٢ قد لعبت دورا خطيرا فى توطيد أقدام الاستعمار الهولندى فى إندونسيا ، ومن أكبر دعائم تكوين الإمبراطورية الهولندية التى كانت تعتبر ثالثة الإمبراطوريات بعد الإمبراطوريتين الإنجليزية والفرنسية وعاونها فى هذا الشأن أيضا شركة الملاحة الهولندية التى تأسست عام ١٨٧٠ .

وقد بذل الهولنديون نشاطا تجاريا ملحوظا منذ أن وطأت أقدامهم أرض إندونيسا إذ قاموا برحلات استكشافية حول الجزر الإندونيسية بقصد توطيد علاقاتهم بالأهالى والدخول فى

علاقات تجارية معهم ووصلوا فى طوافهم إلى جزر الفلبين وشواطئ سيام والهند الصينية والصين. وكذلك وصلوا إلى اليابان فى سنة ١٦٠٠م وإلى شواطئ استراليا الشمالية فى سنة ١٦٠٥م .

وساد التنافس بين البرتغاليين والهولنديين فى إندونيسا ، وكانت الأمور فى ذلك الوقت تسير فى مصلحة الهولنديين ، وخصوصا أن هذا التنافس قد أتى بعد هزيمة أسطول أسبانيا الأرمادا أمام الأسطول الإنجليزى فى عام ١٥٨٨ ، ولذا لم تستطع أسبانيا أن تشد أزر البرتغاليين فى صراعهم مع الهولنديين، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى تفوق الهولنديين فى النهاية.

وفى سنة ١٦٠٠ استطاع الهولنديون عقد معاهدة تحالف مع الإندونيسيين فى جزيرة (إمبوينا) وتنص هذه المعاهدة على منح الهولنديين حق إقامة الحصون للدفاع عن الجزيرة ، فى مقابل احتكارهم لتجارة البهارات وقد سارت هولندا على سياسة عقد المعاهدات بين الملوك والسلاطين من حين لآخر توطيدا لنفوذها وسيطرتها على هذه الجزر .

وبعقد مثل تلك المعاهدات قامت شركات هولندية متعددة لاستغلال موارد الثروة فى البلاد وساد التنافس بين ممثليها بشكل أضر بمصلحة الهولنديين إلى أن رأت الحكومة الهولندية توحيد كل تلك الشركات فى شركة واحدة تسمى شركة الهند الشرقية الهولندية V . O . C التى أشرنا إليها .

وفى سنة ١٦١٣ عينت هولندا المستر كون Coon رئيسا وحاكما عاما لجميع وكلاء الشركة فى إندونيسا ، وكان ذا أطماع واسعة فى احتكار تجارة إندونيسا كلها بل وتوجيهها إلى العالم الأسيوى، واتخذ من مدينة (بتافيا) جاكرتا حاليا عاصمة جاوه مقرا له .

ثم نشأ نزاع بينه وبين الإنجليز فى سنة ١٦١٨ فى ميناء جاكرتا وانتصر الإنجليز فى أول الأمر بمساعدة الأهالى، وفر كون إلى جزائر الملوك، ولكن حصون بتافيا صمدت أمام الإنجليز فلم يستطيعوا الاستيلاء عليها. ثم أخذ الهولنديون يدخلون فى حروب مع حكام الجزر الإندونيسية الواحد بعد الآخر إلى أن تمكنوا من توطيد سلطتهم فى إندونيسيا .

ومنذ أوائل القرن الثامن عشر بدأت الشركة تتحول من التجارة فقط إلى الزراعة أيضا. فأدخلت زراعات جديدة مثل زراعة البن التى أصبحت من أهم مصادر دخل الشركة فى الربع الأخير من هذا القرن .

وقد ساعدت الشركة فى ذلك الوقت انهيار التجارة الأسيوية لانشغال اليابان بانقلابها الصناعى وبتنفيذ سياستها فى الاكتفاء الذاتى. ولكن نظرا لانهيار تجارة الشركة مع الهند بدافع من فرنسا وانجلترا ، بدأت الشركة تفقد ما لها من سلطان تجارى وتتحول إلى السياسة وإلى الحكم . وترتب على هذا الاتجاه الجديد زيادة خسارة الشركة وكثرة ديونها إلى أن انتهت بصفة نهائية فى عام ١٧٩٩ وحلت الحكومة الهولندية محل الشركة فى تسيير أمورها ومنذ ذلك الوقت بدأت الحكومة الهولندية تستعمر إندونيسيا وتسير على نفس سياسة الشركة التعسفية مع عامة الشعب . فأدخلت بعض المحاصيل الجديدة إلى أندونيسيا وأجبرت الأهالى على زراعتها وتسليم محصولها إلى الحكومة بالثمن الذى تحدده .

وفى عام ١٨١١ نظرا لاحتلال نابليون هولندا ، هاجمت انجلترا الممتلكات الهولندية للاستيلاء عليها حتى لاتقع فى يد نابليون ، فدخلت فى حوزتها جزيرة جاوة ، وجزيرة تيمور ، ومكاسر فى سيلبيس وجنوبى سومطرة. وقد تم هذا الاحتلال عن طريق شركة الهند الشرقية الإنجليزية . وفى ظل الحكم الإنجليزى تمتعت إندونيسيا بشئ من الحرية فى إدارة شئونها الداخلية وفى استغلال مواردها .

وبانهزام نابليون واستقلال هولندا تعود الممتلكات الهولندية فى إندونيسيا إليها مرة ثانية، وذلك بمقتضى الاتفاقية التى عقدت بين انجلترا وهولندا فى عام ١٨١٤ باستثناء جزيرة سيلان فى الهند ومدينة الكاب فى جنوب أفريقيا وبعض جزائر الهند الشرقية وأمريكا الوسطى التى احتفظت بها انجلترا .

وقد رأت انجلترا بعد أن سلمت إندونيسيا لهولندا أن تعمل على السيطرة على الطرق التجارية بين الهند والصين . ولذا وجدت أن من الضرورى الاستيلاء على مضيق ملقا وأن أفضل مكان تسيطر فيه انجلترا على حركة التجارة هو جزيرة سنغافورة ، فلم تتردد فى شراء تلك الجزيرة من أحد الحكام المحليين فى ٢٩ يناير سنة ١٨١٩ وإعلان حرية هذا الميناء ، وبأنه يستخدم لتموين السفن الأوروبية والإندونيسية . ومنذ ذلك الوقت أصبح لسنغافورة مركزها الاستراتيجى الممتاز فى منطقة الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا .

ثارت هولندا لاحتلال الإنجليز لميناء سنغافورة واعتبرته من ممتلكاتها الواردة ضمن الاتفاقية التى عقدت بينها وبين انجلترا فى سنة ١٨١٤ ، ولكن الإنجليز لم يأبهوا لهذه الثورة ولكنهم فى نفس الوقت لم يكونوا على استعداد للدخول فى منازعات مع هولندا

ووجدوا أن خير طريق للمحافظة على الاستعمارين الإنجليزى والهولندى لتلك الجزر هو الاتفاق بالطرق الودية . وبالفعل أسفرت المفاوضات بين الجانبين عن عقد اتفاق فى مدينة لندن فى عام ١٨٢٤ . وينص هذا الاتفاق على احتفاظ الإنجليز بشبه جزيرة الملايو وجزيرة سنغافورة مقابل تنازل الإنجليز للهولنديين عن منطقة من الأرض غربى جزيرة سومطرة ، كما استولى الإنجليز على شمال بورنيو . وتعهد الطرفان باحترام حدود مستعمراتها وتجنب كل ما من شأنه إثارة المتاعب للآخر. وبهذا ينتهى التنافس التجارى السياسى بين الدولتين فى الشرق الأقصى .

وإذا كانت هولندا قد وضعت حدا لنزاعها مع انجلترا لتهدأ بالا باستعمارها لإندونيسيا ، فإن هذا الهدؤ لم يتحقق ، فالقوانين التعسفية التى فرضتها السلطات الهولندية الحاكمة على السكان ، بالإضافة إلى امتهانهم لعادات وتقاليد البلاد الإسلامية ، قد أثارت الأهلين وعلى رأسهم الأمير «ديبو نيجورو» أحد علماء جاوة فقام نزاع بينه وبين تلك السلطات الهولندية الحاكمة تطورت إلى حرب طويلة بدأت فى منتصف عام ١٨٢٤م واستمرت حوالى خمس سنوات تكبدت هولندا خلالها خسائر فادحة فى الأموال والأنفس ، ويقدر عدد القتلى فى تلك الحرب من الهولنديين بخمسة عشر ألفا .

ولما يئست هولندا من التغلب على الأمير لجأت إلى سلاح الخديعة ، فطالبت الدخول فى مفاوضات معه لوضع حد لهذا النزاع وذلك فى ١٦ فبراير سنة ١٩٣٠م . ولكنهم غرروا به وقبضوا عليه أثناء المفاوضات ونقل إلى جزيرة سيلبيس حيث مكث فيها إلى وفاته فى ٨ فبراير سنة ١٨٥٥ ويعتبر الأمير «ديبو نيجورو» من المجاهدين الإندونيسيين الذين ضربوا أروع الأمثال فى محاربة الاستعمار .

ونتيجة للحروب الكثيرة التى خاضتها هولندا ضد نابليون وبلجيكا ، وكذلك لإخضاع ثورة الأمير ، فإن الميزانية الهولندية قد ثقلت بالديون ووجدت هولندا أن أفضل سبيل للتخلص من هذا الارتباط المالى هو فرض الضرائب الباهظة على الإندونيسيين ، وتنفيذ سياسة التوجيه الاقتصادى ، وإجبار الأهالى على زراعة محاصيل بعينها تتولى الحكومة تصريفها فى الأسواق العالمية . وكان تنفيذ تلك السياسة بناء على توصيات رجال الحكومة الهولندية من المحافظين .

وكانت إندونيسيا خاضعة مباشرة لسلطة الملك فى هولندا دون تدخل من البرلمان وذلك بمقتضى دستور سنة ١٨١٥ ولكن منذ سنة ١٨٤٨ صار الملك يحكم تلك المستعمرات عن طريق وزير المستعمرات الهولندى . وكان كل من حزب الأحرار والمحافظين فى هولندا يعتبر أن مهمة إندونيسيا هى العمل على رفاهية الشعب الهولندى ، أى أن جزءا كبيرا من ميزانيتها يجب أن يوجه لهولندا لرفع مستوى حياة الشعب فيها .

ويمكننا أن نقسم تقدم النفوذ الهولندى فى إندونيسيا وتوسعه إلى ثلاث فترات :

الفترة الأولى :

وتمتد من عام ١٨١٦ إلى عام ١٨٥٠ وهى فترة البناء والتشييد ففى خلالها خاضت هولندة حروبا ضد انجلترا وبلجيكا ، وضد الأمير «ديبو نيجورو» فارتبكت ماليتها واشتدت حاجتها إلى المال وإلى فرض الضرائب ولهذا اقتصر نشاطها على توطيد نفوذها السياسى والاقتصاى فى جزيرة جاوة ولم تهتم كثيرا بالجزر الأخرى إلا إذا سنحت الظروف بذلك .

الفترة الثانية :

وتمتد من عام ١٨٥٠ إلى عام ١٩٠٤ . وفى خلال تلك الفترة بدأت الأوضاع تستقر بالنسبة للهولنديين فى جاوة فبدأوا يتطلعون إلى توسيع ملكهم ، فحدثت بينهم وبين مملكة «آتشيه» فى شمالى سومطرة حرب مقدسة استمرت واحدا وثلاثين عاما من (١٨٧٣-١٩٠٤) وقد تكبدت خلالها هولندا خسائر فادحة فى الأموال والأنفس . وتعتبر تلك الحرب مثالا رائعا للجهاد الوطنى ضد المستعمر وأنموذجا حيا لقوة الشعب الإندونيسى وصبره وشجاعته .

الفترة الثالثة :

وتشمل الفترة من عام ١٩٠٤ إلى قبيل الحرب العالمية الأولى. وفى تلك الفترة بلغ النفوذ الهولندى أوج قوته ، فاستطاعت هولندا أن تخضع معظم ملوك إندونيسيا لسلطتها إما بطريق الحروب أو بطريق الخدعة . ولكنها لم تحاول أن تظهر للشعب الإندونيسى بوجهها الاستعمارى البغيض . فحكمت تلك البلاد عن طريق حكامها وسلاطينها القدامى مع الاحتفاظ لهم بما كانوا يتمتعون به من أبهة وجاه .

حالة إندونيسيا عند قيام الحرب العالمية الأولى :

تعتبر الأوضاع الاقتصادية فى إندونيسيا ، بل فى معظم بقاع العالم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى تحول جديد وكانت معظم الحكومات الأوروبية فى ذلك الوقت قد

أخذت بالنظرية الاقتصادية الجديدة التى تقضى بعدم تدخل الحكومة فى الشئون الاقتصادية والتجارية ، وتركها حرة تتحكم فيها عوامل المنافسة ونظرية العرض والطلب . هذه النظرية الاقتصادية التى أطلق عليها اسم (اتركه يمر واتركه يعمل) .Laisser Passer Laisser Faire

وقد أخذت الحكومة الهولندية بهذه النظرية منذ عام ١٨٧٠ خضوعا لرأى حزب الأحرار الهولندى الذى كان يعتنق تلك النظرية فتخلت هولندا عن التدخل المباشر فى الشئون الزراعية والتجارية، ولكنها فى نفس الوقت احتفظت لنفسها بإدارة بعض المزارع الكبيرة وكذلك الإشراف على استغلال المناجم ، وشئون المواصلات .

ولم يشمل هذا التغيير سياسة الحكومة الهولندية فحسب بل جدت عوامل أخرى سياسية واقتصادية عالمية كان لها أثرها البالغ فى الاقتصاد الإندونيسى . من هذه العوامل الانقلاب الصناعى الكبير الذى عرفته دول أوربا خلال القرن التاسع عشر وكذلك أمريكا . هذا الانقلاب الصناعى الكبير القائم على الإنتاج الضخم السريع والذى يتطلب من تلك الدول الصناعية الحرص على استجلاب المواد الخام الأولية اللازمة لتلك الصناعة من مصادرها الأصلية. ومن هنا زاد الاهتمام بالمنتجات الإندونيسية الزراعية والمعدنية ، واشتد الطلب عليها بل إن هذا الاهتمام لم يقتصر على منتجات إندونيسيا من المواد الخام فحسب بل تعداه إلى إندونيسيا نفسها كسوق تجارية هامة لتصريف المصنوعات الأوروبية الأمريكية .

ومما له أكثر الأثر فى تنشيط الحركة التجارية وفى تخفيض نفقات النقل وأسعار المواد الخام والمصنوعات شق قناة السويس التى قربت بين أسواق الشرق المنتجة للمواد الخام وبين أسواق الغرب المستوردة لتلك الخامات والمصدرة للمصنوعات المختلفة . وفى مستهل القرن العشرين أخذت الحكومة الهولندية تتفرغ لاستغلال البلاد استغلالا منظما بعد أن قضت على الثورات الداخلية ، وبعد أن أخلد الشعب الإندونيسى إلى الهدؤ إلى حد ما بعد هذا الصراع الدامى الطويل مع الهولنديين . وقد رأت هولندا أن من مصلحتها مصانعة الدول الأوروبية والأمريكية لمساندتها فى استعمار إندونيسيا وللاعتماد على تأييدها وضمانا لعدم إثارة المتاعب ضد احتلالها لتلك البلاد ولهذا فقد شجعت الشركات وروس الأموال الأجنبية على استثمار أموالها فى إندونيسيا ، وبذلت لها كل معاونة مستطاعة فضمنت بذلك تأييد الدول للوضع القائم فى إندونيسيا ومؤازرة هولندا فى موقفها إزاء الإندونيسيين للمحافظة على مصالحها وروس أموالها .

وبفضل تلك السياسة الاقتصادية الجديدة ازدادت هجرة الأوروبيين والآسيويين إلى إندونيسيا ، وتضاعف نشاطهم لاستغلال موارد البلاد وفى وسط هذا النشاط الأجنبى وتكالب الأوروبيين على استثمار موارد البلاد أخذ الإندونيسيون يشقون طريقهم نحو حياة اجتماعية ودينية وسياسية . وبدأت نهضة إندونيسيا الجديدة فى مستهل هذا القرن تحت زعامة شخصية نسائية كبيرة هى الزعيمة الإندونيسية (رادن اجينج كاربتينى) ١٨٧٩-١٩٠٤ التى أخذت على عاتقها قيادة الحركة الوطنية لتخليص البلاد من ربقة الاستعمار وقد وصل الإندونيسيون فى مستهل القرن العشرين فى الفترة التى بدأت قبل الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد انتهائها بعدة سنوات إلى درجة من الفقر والحاجة لم تشهدها البلاد من قبل ولم يكن هذا ناجما بطبيعة الحال عن قلة موارد البلاد ، بل كان يرجع إلى الأوضاع الداخلية والاقتصادية القائمة. فالمراكز الرئيسية فى الدولة فى أيدى كبار الموظفين الهولنديين الذين يتقاضون مرتبات ضخمة كذلك الأراضى والضياع والمؤسسات كانت إما ملكا للشركات الأجنبية والهولندية أو ملكا للحكومة. ولم يكن أمام سكان إندونيسيا إلا الاشتغال كأجراء فى شركات الأجانب أو الحكومة وكانت تلك الشركات تتحكم فى تحديد الأجر وتتعسف مع العمال الإندونيسيين لتضمن بذلك أكبر قدر من الربح .

وفى خلال الحرب العالمية الأولى قدمت إندونيسيا أكبر قسط من التضحيات فنظرا لوقوف هولندا على الحياد بين الكتلتين المتنازعتين انجلترا وحلفائها من ناحية وألمانيا وحلفائها من ناحية أخرى، كانت بمثابة مركز لتموين الجانبين المتحاربين بالمواد الغذائية والمواد الخام اللازمة للأعمال الحربية . ففى أوربا كانت هولندا تقوم بتموين ألمانيا بما تحتاج إليه ، وفى إندونيسيا أخذت تمد الحلفاء بما يلزمهم من مواد خام ومواد غذائية . ولم يكن يهم هولندا فى ذلك الوقت انتصار أى من الجانبين بقدر اهتمامها باستمرار الحرب ، وإمداد كلا الفريقين بما يحتاج إليه . أى أن موقفها فى تلك الحرب كان لايخرج عن موقف التاجر الذى لايهمه سوى الربح بأى شكل من الأشكال وكذلك كان الشأن بالنسبة لسائر الشركات الهولندية والأجنبية التى رأت قيام تلك الحرب فرصة نادرة للكسب والإثراء ، سواء بالطرق المشروعة أو غير المشروعة .

ولهذا كانت إندونيسيا أهم مصدر لتموين تلك الحرب ، وأصبحت ميدانا للتنافس والتصارع الاقتصادى بين الجانبين . وقد ركزت هولندا اهتمامها بانتاج المواد الأولية والغذائية اللازمة للطرفين المتحاربين بصرف النظر عما إذا كانت تلك السياسة تتفق مع مصلحة

الإندونيسيين أم لا. وترتب على تلك النظرة ، أن تعرض الأهالى للمجاعات المتكررة خلال فترة الحرب العالمية الأولى وما تلاها لعدة سنوات ، رغم أن إندونيسيا من أكبر الدول فى إنتاج المواد الغذائية . ولكن هذا الإنتاج لم يكن مخصصا للاستهلاك المحلى بل كان مخصصا للتصدير فلا غرابة إذن إذا ما اشتد الغلاء وارتفعت أثمان المواد الغذائية وندر وجودها فى الأسواق ولجأ الناس إلى أوراق الأشجار وجذورها يستعيضون بها عن الطعام. وقد صبر الإندونيسيون على هذا الضيم على أمل تنفيذ ما وعدت به هولندا من منح إندونيسيا استقلالا داخليا فى إدارة شئونها . وما درى هؤلاء أن تلك الوعود التى تبذل أثناء الحروب ما هى إلا نوع من المخدر للشعوب كى تهدأ وتستكين ريثما ينجلى الموقف وتصبح الدولة المستعمرة فى مركز يسمح لها بأن تبطش بتلك الحركات القومية وقد أعطانا التاريخ أمثلة عديدة لأمثال تلك المواقف .

حالة إندونيسيا بين الحربين العالميتين الأولى والثانية :

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٨ تطلع الإندونيسيون إلى هولندا لتنفيذ ما وعدت به، ولكنها لم تعر مطالب الإندونيسيين أذنا صاغية شأنها فى ذلك شأن الدول المجتمعة فى مؤتمر الصلح بباريس. وسنجد أن هذا المؤتمر لم يقرر شيئا بخصوص الأوضاع فى الشرق الأقصى ، بل إن مبدأ حق تقرير المصير الوارد بمبادئ الرئيس الأمريكى ولسون الأربعة عشر لم يطبق إلا فى أضيق الحدود بالنسبة لبعض الشعوب الأوروبية فقط .

كان لابد إذن على إندونيسيا أن تسلك طريق الجهاد إذا أرادت لنفسها الحرية والاستقلال ، فازدادت الحركة الوطنية تأججا ، وظهرت الأحزاب السياسية التى تبنت قضية الاستقلال مثل حزب (بودى اوتومو) وحزب (شركت إسلام) والجمعية المحمدية التى تعد من أكبر الجمعيات الإسلامية فى العالم. وكذلك الجمعية العائشية الخاصة بالسيدات ، وجمعية «باسواندان» وحزب جاوة الفتاة ، وحزب الأمراء ، وجمعية نهضة العلماء ، والجمعية الوصلية وجمعية اتحاد علماء الإسلام . وغيرها من الجمعيات والأحزاب التى بلغ عددها ٥٧ جمعية .

وقد تبلورت تلك الأحزاب وخصوصا الأحزاب السياسية منها إلى حزبين رئيسيين وهما : حزب القمصان الخضراء وحزب القمصان الحمراء .

أما الحزب الأول وهو حزب القمصان الخضراء فكان من سياسته التعاون مع الحكومة الهولندية للوصول إلى الاستقلال التدريجي وقد طالب هذا الحزب الحكومة الهولندية بضرورة الوفاء بتعهداتها بشأن تكوين برلمان من الأندونيسيين للاشتراك معها فى إدارة شئون البلاد. فرأت

أن تستجيب لطلبه فى إنشاء برلمان صورى يرضى الشعب الإندونيسى من الناحية الشكلية فقط . ولهذا قامت بانشاء مجلس يسمى مجلس الرعية ويتكون من ستين نائبا ، نصفه من الإندونيسيين والنصف الآخر يشترك فيه الهولنديون بخمسة وعشرين عضوا والخمسة أعضاء الباقين يمثلون مصالح الأجانب المقيمين باندونيسيا وللحكومة الهولندية الحق فى تعيين رئيس للمجلس من الهولنديين وكذلك تعيين اثنين وعشرين عضوا من أعضاء المجلس . أما باقى الأعضاء فينتخبهم الشعب بطريق غير مباشر . ولم يكن لهذا البرلمان المعين فى حقيقة الأمر سلطة تذكر ، كما لم تكن الحكومة الإندونيسية مسئولة أمامه .

والحزب الآخر وهو حزب القمصان الحمراء فكان لايؤمن بسياسة التعاون مع الحكومة ويرى أن هذا الطريق لن يؤد إلى استقلال إندونيسيا . وأن هذا الاستقلال لن يتحقق بطريق التعاون والمفاوضات . ولما قامت الثورة البلشفية فى روسيا فى عام ١٩١٧ وبدأت المبادئ الفكرية الجديدة تخرج إلى العالم حاملة الثورة على الأوضاع والنظم الاقتصادية والسياسية القديمة ، تسربت تلك المبادئ إلى إندونيسيا ، فكون أعضاء هذا الحزب حزبا جديدا أطلق عليه اسم (شركت رعيت) أى حزب الأمة الذى سمى فيما بعد باسم الحزب الشيوعى الإندونيسى الذى أصبح من أقوى الأحزاب السياسية فى إندونيسيا .

وقد وجد أعضاء حزب (شركت إسلام) الذين رأوا سياسة التعاون مع الحكومة أن هذا التعاون لم يؤد إلى تحسين حال الإندونيسيين ، بل على العكس من ذلك فقد ازدادت الحالة سؤا ، ولهذا قرر سحب أعضائه من مجلس الرعية والانضواء تحت قيادة الحزب الشيوعى لتوحيد جهودهم فى مقاومة الاستعمار الهولندى .

وبإتمام هذا الاندماج بين الحزبين قويت حركة المقاومة للنفوذ الهولندى واشتعلت نار الثورة فى غربى جاوة وفى سومطرة الغربية فى عامى ١٩٢٦ - ١٩٢٧ وكادت تلك الثورة تعصف بما لهولندا من نفوذ فى إندونيسيا لولا تكاتف الشركات الأجنبية ومعاونتها للحكومة فى إخماد الثورة خشية ضياع مصالحها فى إندونيسيا . وبفضل تلك المعاونة استطاعت هولندا أن تقضى على الثورة وأن تحكم بالنفى على زعماء الحركة البالغ عددهم ٤٠٠٠ ثائر من صفوة المثقفين الإندونيسيين إلى غينية الجديدة التى كان يطلق عليها الإندونيسيون اسم الأرض الحمراء نظرا لكثرة ما بها من مستنقعات وأوبئة فتاكة وأن تحكم البلاد حكما مطلقا وتقييد جميع الحريات .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت حالة هولندا الاقتصادية تسوء نظرا لانشغالها فى إخضاع ثورة الإندونيسيين وفى تتبع نشاط الشيوعيين، فأهملت الاشتغال بالتجارة ، وتركت هذا العمل للشركات الأجنبية الهولندية وتفرغت هى للحكم والسيطرة إلا أنها قد سارت على سياسة الباب المفتوح .

مبدأ حرية التجارة :

سيطر هذا المبدأ على معظم دول العالم فى العصر الحديث. ولكن سياسة الباب المفتوح هذه قد أصبحت فى صالح اليابان بعد الحرب مباشرة فدول أوروبا قد خرجت من تلك الحرب منهوكة القوى ومعظم مصانعها محطمة فانفردت اليابان بالسوق التجارية فى الشرق الأقصى فزادت صادرات اليابان إلى إندونيسيا زيادة كبيرة وأصبح الميزان التجارى فى غير صالح إندونيسيا ولم تستطع التجارة الأوروبية أن تنافس التجارة والمصنوعات اليابانية لرخصها ووفرتها وحاولت هولندا أن تقف أمام تيار التنافس التجارى اليابانى وتكاتفت مع الشركات الأجنبية للوقوف ضد اليابان فى التفوق التجارى وسيطرته على أسواق إندونيسيا .

ومهما يكن من شئ فإن الشركات الأجنبية فى إندونيسيا قد تمتعت بحماية الحكومة الهولندية وباشرت نشاطها التجارى على أوسع نطاق ، فاستطاعت أن تنتج المواد الخام الأولية بمقادير عظيمة وأن تصدرها إلى الدول الأوروبية وإلى أمريكا، وفى مقابل ذلك تستورد مقادير هائلة من مصنوعات تلك الدول. وبذلك نشطت حركة التبادل التجارى فى إندونيسيا إلى حد كبير ولم يعرقل نشاط حركة التبادل التجارى سوى الأزمة العالمية التى شملت العالم عام ١٩٣٠. فقد أضرت تلك الأزمة بالاقتصاد الإندونيسى ضررا بليغا فانخفضت أثمان المنتجات الزراعية فى إندونيسيا إنخفاضا كبيرا وذلك لقلة الإقبال على شرائها من دول أوروبا وأمريكا لاستحكام الأزمة ، وترتب على ذلك أيضا أن إندونيسيا لم تستطع أن تستورد من تلك الدول ما تحتاج إليه من المصنوعات فوقفت حركة التبادل التجارى إلا مما كانت الشركات الأجنبية تستطيع تصديره فى مثل تلك الظروف .

انحط مستوى المعيشة تبعا لهذا الكساد التجارى فزادت البطالة وتحكمت الشركات الأجنبية فى تقدير الأجور مستغلة هذه الظروف الاقتصادية السيئة بل لقد عملت الحكومة من جانبها بمعاونة الشركات الأجنبية على تحديد أسعار المحاصيل الزراعية وكذلك تحديد مقادير ما يزرع منها . ثم نجد أن الحكومة الهولندية تلجأ فى عام ١٩٣٣ إلى تحديد محصول المطاط الذى يزرع سنويا وذلك لتحتفظ بأسعاره العالمية المرتفعة متأثرة فى ذلك بمشروع الحكومة

الإنجليزية والمسمى مشروع ستيفنسون الذى نفذته فى عام ١٩٢٢ بشأن تحديد محصول المطاط فى شبه جزيرة الملايو الخاضعة لحكمها .

وقد أضرت سياسة الحكومة الهولندية بشأن تحديد زراعة المطاط على الأهالى الإندونيسيين إلى حد بعيد ففرضت عليهم ضرائب باهظة أعجزتهم عن تصريف المطاط . بل لقد تعرضت صناعة السكر باندونيسيا للكساد بعد أن انتعشت خلال فترة الحرب العالمية نظرا لحاجة أوروبا إليها ، بعد أن انقطعت زراعته أثناء الحرب لتحول مزارع البنجر فيها إلى ميادين قتال ولكن بانتهاء تلك الحرب تعود صناعة السكر فى أوروبا إلى سابق عهدها فيقل الإقبال على السكر الإندونيسى . هذا بالإضافة إلى منافسة السكر المصنوع فى جزيرة كوبا للسكر الإندونيسى فى الأسواق العالمية .

وأمام تدهور الحالة الاقتصادية فى إندونيسيا وانحطاط مستوى المعيشة بين السواد الأعظم من الشعب الإندونيسى أخذ أعضاء مجلس الرعية يضغطون على الحكومة الهولندية للتدخل السريع لمعالجة تلك الأزمة قبل أن يستفحل شرها ويصبح من الصعب إصلاحها . ونظرا لأن سوء حالة الإندونيسيين تشجع على انتشار المبادئ الشيوعية مما قد يؤدى إلى زعزعة النفوذ الهولندى أو انهياره فى إندونيسيا . وهذا السبب الأخير هو الذى دفع الحكومة الهولندية أكثر من غيره من الأسباب الأخرى إلى التدخل الحاسم . ولهذا بدأت الحكومة الهولندية تتدخل فى الشئون الاقتصادية لصالح الإندونيسيين أى أنها أخذت بسياسة التوجيه الاقتصادى مستهدفة فى ذلك القضاء على آثار الأزمة الاقتصادية وإفساح المجال أمام النشاط الأهلى وكذلك محاولة توزيع الدخل القومى توزيعا عادلا دفعا للمبادئ الشيوعية من الانتشار .

كما كان لسياسة الحكومة الهولندية أيضا إدخال بعض الصناعات فى إندونيسيا حتى لايعتمد اقتصاد البلاد اعتمادا كليا على الزراعة والمنتجات الزراعية ، وسنجد أن من أثر تلك السياسة نهوض الصناعة فى إندونيسيا فى عام ١٩٣٤ وذلك بفضل وفرة الأيدى العاملة الرخيصة ولحماية الحكومة للمنتجات المحلية ، ولقيام تلك الصناعات فى جزيرة جاوة المزدحمة بالسكان .

ولكن هذه الصناعات الناشئة وجدت من الأوروبيين والصينيين منافسة الإندونيسيين لاستغلال موارد بلادهم لصالح تلك الشركات العالمية مقابل دراهم معدودة لاتسد أودهم . فرغم الانتعاش الاقتصادى الكبير الذى شهدته إندونيسيا ، ورغم الأموال الطائلة التى تدفقت على تلك الشركات لم ينل سكان البلاد منها شيئا بل زادت حالتهم سوءًا بينما يتمتع بتلك الثروة الكبيرة أفراد قلائل من هولنديين وانجليز وغيرهم .

وإن نظرة واحدة إلى الإحصائيات الرسمية التى سجلت الدخل القومى لإندونيسيا لكافية لمعرفة مقدار الغبن الذى وقع على كاهل السكان الأصليين . فالاندونيسيون البالغ عددهم ٩٧,٥٪ من عدد السكان لايتجاوز ما يحصلون عليه من هذا الدخل ١٢,٥٪ بينما نجد أن الهولنديين الذين لايتجاوز عددهم ٠,٥ ٪ من عدد السكان يتجاوز ٦٥٪ من الدخل القومى ، وكذلك نجد أن الأجانب والآسيويين الذين لايزيد عددهم عن ٢٪ من السكان يتمتعون بنصيب مرتفع من هذا الدخل يقدر بنحو ٢٢,٥٪ .

وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تظهر فى الأفق أخذ الهولنديون يقللون من غلوائهم وينادون بمبدأ التعاون بين الهولنديين والإندونيسيين لما فيه المصلحة العامة للطرفين . وقد اشتدت المطالبة بهذا التعاون بعد أن وقعت هولندة فى قبضة الاحتلال الألمانى ، وفرت الملكة «ويلهلمينا» وحكومتها إلى انجلترا فى ١٠ يونية سنة ١٩٤٠ . واستغل الإندونيسيون حاجة هولندا إلى معاونتهم فى المطالبة بمنح إندونيسيا دستورا حقيقيا يحقق رغبتها فى اشتراك الشعب الإندونيسى اشتراكا فعليا وليس اشتراكا صوريا كما كان فى إدارة شئون البلاد. كذلك السماح للحكومة الإندونيسية الجديدة بتجنيد قوات جديدة للدفاع عن البلاد ضد الأخطار المحدقة بها. . ولكن الحكومة الهولندية رفضت الاستجابة إلى تلك المطالب خشية أن تتمكن إندونيسيا فى فترة الحرب من تقوية نفسها والخروج على سلطتها .

وبينما كانت المفاوضات الإندونيسية الهولندية تتعثر إزاء تمسك كلا الفريقين بوجهة نظره، داهم إندونيسيا الخطر اليابانى - وكانت اليابان إحدى دول المحور المكون منها ومن ألمانيا وإيطاليا- - واستولى عليها فى ٩ مارس سنة ١٩٤٢ فخرجت إندونيسيا عن قبضة هولندا الدولة الغربية لتقع فى يد اليابان وهى الدولة الشرقية الناشئة .

إندونيسيا فى ظل الاحتلال اليابانى

لم يكن احتلال اليابان لإندونيسيا من قبيل الصدفة ، بل كان يرتبط هذا العمل ارتباطا وثيقا بتاريخ اليابان الحديث وبتطورها الاقتصادى السريع فى القرن التاسع عشر، فاليابان كدولة بدأت تسير فى ركب الحضارة الأوروبية، وتأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية فى نظمها الاقتصادية والسياسية وتمارس سياسة التصنيع على نطاق واسع ، وجدت أن من الضرورى إيجاد مجال حيوى لها فى الدول المجاورة لها، وخصوصا بعد أن زاد عدد سكانها زيادة كبيرة لاتتحمله تلك الجزر المتناثرة ، وزاد انتاجها الصناعى زيادة ضخمة .

ولهذا بدأت اليابان تتطلع إلى الشرق الأقصى كمجال حيوى لنشاطها التجارى وترى فى تدخل الدول الأوروبية فى أسواق تلك المنطقة تدخلا غير مرغوب فيه من قبل دول غريبة عن الشرق. فيجب أن تبقى أسواق آسيا للآسيويين ، وأن تحاول اليابان جاهدة غلق تلك الأسواق فى وجه المصنوعات الأوروبية عن طريق المنافسة وإغراق الأسواق بالمنتجات اليابانية الجيدة الصنع الرخيصة الثمن .

وكانت اليابان تنظر إلى الصين كسوق عظمى للمنتجات اليابانية ، وهى لهذا غير متاحة لتدخل النفوذ الأوربى فى منطقة الشرق الأقصى وخصوصا الصين. وتنظر بعين الحسد إلى ما تتمتع به تلك الدول من امتيازات ومن نفوذ فيها .

وفى عام ١٨٩٤ قامت الحرب اليابانية الصينية بشأن كوريا ، ونجحت اليابان فى ضمها إلى ممتلكاتها . ثم تلى تلك الحرب، الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤-١٩٠٥) بشأن الاستيلاء على منشوريا وإبعاد النفوذ الروسى عن سواحل المحيط الهادى المواجه لليابان .

كما انتهزت اليابان فرصة قيام الحرب العالمية الأولى واستولت على جزر كارولين فى شمال المحيط الهادى وكانت فى أيدى الألمان .

كانت هذه خطوات متتابعة قامت بها اليابان لتحقيق أطماعها فى تلك المنطقة ولتوطيد نفوذها إلى جانب النفوذ الأوروبى. وفى عام ١٩٣٦ دخلت فى حرب مع الصين، اعتبرها المؤرخون بداية للحرب العالمية الثانية ثم بدأت تتطلع إلى جزر إندونيسيا وخصوصا بعد أن ارتبطت معها بصلات تجارية واسعة. فاليابان كدولة صناعية كبيرة تحرص كل الحرص على امتلاك المناطق المنتجة للمواد الخام الأولية اللازمة للصناعة . ولما كانت إندونيسيا تتوافر فيها تلك الصفة ، لذا أخذت اليابان تفكر فى إدخالها مع المناطق المجاورة لها فى جنوب شرقى اسيا فى اتحاد اقتصادى يشمل دول تلك المنطقة أطلقت عليه اسم (منطقة الرخاء الأسيوية المشتركة) أى أن اليابان باتباعها تلك السياسة الاقتصادية الجديدة إنما ترمى إلى إبعاد النفوذ الأجنبى عن تلك المنطقة الأسيوية من العالم والمناداة بمبدأ آسيا للآسيويين. وكان هذا المبدأ بطبيعة الحال يخدم مصالح اليابانيين ويمكنهم من السيطرة على أسواق الشرق ويضمن لليابان التفوق الاقتصادى ويتبعه التفوق السياسى أيضا.

ولما كانت هولندا أو انجلترا وهما الدولتان اللتان لهما مصالح حيوية فى تلك المنطقة لاترضيا عن هذه السياسة الجديدة . ولهذا رفضت الموافقة على اشتراك مستعمراتها الواقعة

بمنطقة الشرق الأقصى فى هذا الاتحاد الاقتصادى المقترح . ولكن اليابان كانت تتحايل على بسط نفوذها الاقتصادى على هذه المنطقة ولو أدى هذا إلى استخدام القوة .

وقد حاولت اليابان الدخول فى مفاوضات مع السلطات الهولندية الحاكمة فى إندونيسيا لعقد اتفاق تجارى معها يضمن لها الحصول على كميات وافرة من المواد الخام التى تنتجها إندونيسيا وذلك فى منتصف عام ١٩٤٠ .

وتمكنت اليابان نتيجة لضغطها المتواصل على هولندا من إبرام اتفاقية تجارية معها تخول لها الحصول على كميات ضخمة عن البترول الإندونيسى فى خلال عام واحد وكان هدف اليابان من الاستحواز على هذه الكمية الهائلة من البترول الاستعداد لخوض المعركة ضد دول الغرب.

وقد ترددت هولندا فى تنفيذ الاتفاقية ، وأخيراً امتنعت عن تنفيذها بسبب تطورات الحرب فى أوروبا ، واتفقت رغبتها مع رغبة الإندونيسيين فى ضرورة التكاتف لمواجهة الخطر اليابانى. ولم يقبل الشعب الإندونيسى أن يستبدل مستعمرا بمستعمر آخر. ووجدت اليابان أنها لن تستطيع تحقيق أطماعها فى إندونيسيا إلا إذا انضمت إلى دولتى المحور (ألمانيا وإيطاليا) وهاجمت المستعمرات الغربية بمنطقة الشرق الأقصى واستولت عليها عنوة ونفذت سياستها الاقتصادية كما تشتهى .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤١ قامت بمهاجمة أسطول الولايات المتحدة إحدى دول الحلفاء فى ميناء بيرل هاربور والقضاء عليه، وتعتبر هذه المعركة من المعارك الهامة فى التاريخ ومن أقوى الضربات التى وجهت إلى الدول الغربية من دولة شرقية . ثم استمرت موجة الزحف اليابانى تتقدم نحو الجنوب بقوة شديدة ، واكتسحت إندونيسيا وقضت على مقاومة هولندا فى ٩ مارس سنة ١٩٤٢ . ولم تلق القوات اليابانية مقاومة كبيرة من قبل الهولنديين، وكذلك لم تجد صعوبة تذكر نظرا لتعاون اليابانيين المقيمين بإندونيسيا مع حكومتهم فى عمليات الغزو، ولمعرفتهم الدقيقة بأحوال البلاد وبطرقها ومسالكها هذا بالإضافة إلى عدم استعداد هولندا لخوض معركة مثل تلك الحرب ولقلة عدد جنودها وافتقارهم إلى السلاح . ويقابلهم من الجانب الآخر قوات منظمة أحسن تنظيم ومدربة أحسن تدريب ومزودة بأحدث أنواع الأسلحة .

وبهذا الغزو اليابانى تنطوى صفحة بغيضة من صفحات الاستعمار الهولندى لإندونيسيا ، وتبدأ صفحة أخرى جديدة لاتقل بغضا عن سابقتها استمرت حوالى ثلاث سنوات ونصف حاولت خلالها اليابان أن توهم الشعب الإندونيسى بنواياها الطيبة نحو إندونيسيا ونحو

الآسيويين . واستغلت الآراء التى تنادى بآسيا للآسيويين . وبتحقيق منطقة الرخاء الأسيوية المشتركة، لتستر نواياها الاستعمارية الحقيقية . أى أن اليابان استغلت مساوئ الاستعمار الهولندى لإثارة موجة من البغض نحو الهولنديين بصفة خاصة ونحو الأوروبيين أى الجنس الأبيض بصفة عامة .

وكان لابد لهذه الدعاية المسمومة من نهاية ، فتصرفات اليابان فى إندونيسيا قد أقنعت المتفائلين من الأندونيسيين بأن الاحتلال اليابانى لايختلف فى شئ عن زميله الاستعمار الهولندى . وأن أملهم فى التخلص من السيطرة الأجنبية لن يتحقق إلا بطرد الأجنبى كلية من بلادهم ، سواء أكان هذا الأجنبى من آسيا أو من أوربا .

بل لقد اعتبر الإندونيسيون الاحتلال اليابانى نكسة أصابت حركتهم القومية وجهادهم فى سبيل الاستقلال. وقد عرفنا من قبل كيف كانت المفاوضات تدور بين الإندونيسيين والهولنديين حول منح إندونيسيا استقلالا ذاتيا . وكانت هولندا على وشك منح الإندونيسيين قسطا كبيرا من الحرية . فهذا الغزو اليابانى قد وضع حدا لتلك المفاوضات ، وأصبحت اليابان تسيطر سيطرة تامة على إندونيسيا كدولة قد استولت على تلك البلاد بحد السيف . فهى ليست ملزمة أمام الإندونيسيين بأى شئ .

فالغزو اليابانى لم يكن ينظر إليه على أنه فى صالح الإندونيسيين - ولو أنه قد أدى فى نهاية الأمر إلى تخليص إندونيسيا من سيطرة هولندا كما سنوضح ذلك .

وقد حاولت اليابان خلال احتلالها لأندونيسيا تلك الفترة القصيرة أن توجه نشاطها الاقتصادى نحو الشرق. بعد أن بذلت هولندا على مدى ثلاثة قرون فى توجيه الاقتصاد الإندونيسى نحو الغرب.

وإذا كانت هولندا أثناء احتلالها لإندونيسيا قد شجعت الشركات الهولندية والأجنبية على استغلال موارد البلاد لمصلحتها أولا، فإن اليابان قد عملت خلال استعمارها لإندونيسيا على استنزاف موارد البلاد بشكل ملحوظ .

ويبدو من تصرفها هذا أنها لم تكن واثقة من استمرار بقائها فى البلاد ، لهذا عمدت إلى استغلال مواردها استغلالا تاما .

وقد اتبع اليابانيون أثناء احتلالهم لإندونيسيا سياسة الاكتفاء الاقتصادى فى كل جزء من أجزاء الوطن الإندونيسى . فعلى كل جزء منها أن يزرع ما يحتاج إليه من مواد غذائية دون

الاعتماد على استيرادها من الجزء الآخر . وبهذا الإجراء استطاعت اليابان أن تنقل كميات ضخمة من تلك المنتجات إلى بلادها الأصلية ، واستخدام الأيدى العاملة الزائدة من الإندونيسيين فى الأعمال الحربية اليابانية .

كان من جراء السياسة التى اتبعتها اليابان فى استغلال موارد إندونيسيا أن كفر الإندونيسيون بمبدأ «آسيا للأسيويين» وبنظرية «منطقة الرخاء الأسيوى المشتركة» وتساوى فى نظرهم الاستعمار الغربى والاستعمار الشرقى .

وقد أرادت اليابان أن تحذو حذو الولايات المتحدة الأمريكية فى إصدارها مبدأ منرو Mon-roe Doctrin فى عام ١٨٢٣ وهو المبدأ الذى نادى بأمريكا للأمريكيين . فإن كانت الولايات المتحدة قد أعلنت هذا المبدأ لإبعاد النفوذ الأوربى عن التدخل فى الشئون الأمريكية ، وليكون لها الدور الرئيسى فى توجيه الشئون الأمريكية وحماية الجمهوريات الأمريكية من تدخل الدول الرجعية . وإذا كانت تلك السياسة قد طبقت فى شرق المحيط الهادى، فقد أرادت اليابان أن يكون لها النفوذ المتفوق فى منطقة غرب المحيط الهادى لمقابلة النفوذ الأمريكى فى شرقه . كما أن المناداة بمبدأ آسيا للأسيويين سيمكن اليابان من بسط نفوذها السياسى والاقتصادى على دول الشرق الأقصى وأن يكون لها الزعامة فى توجيه سياسة تلك المنطقة لما فيه مصلحتها وللقضاء على النفوذ الغربى فيها .

قام مبدأ آسيا للأسيويين على إثارة البغضاء فى نفوس الجنس الأسيوى الأصفر ضد الأجناس البيضاء صاحبة المصالح الاستعمارية فى جنوب وجنوب شرق آسيا وأن إثارة الحقد ضد العناصر البيضاء لن يخدم بطبيعة الحال سوى مصالح اليابان . فاليابان لن تترك الشعوب الأسيوية التى خضعت لحكم العناصر البيضاء تدير شئونها بنفسها لما فيه مصلحتها هى ، بل كل ما ستفعله اليابان هو أن تحل محل تلك الدولة المستعمرة وتؤدى نفس الدور تحت ستار المناداة بمبدأ آسيا للأسيويين . وهو ما حدث بالنسبة للإستعمار اليابانى لإندونيسيا .

وإذا نظرنا إلى اليابان من ناحية نظام الحكم نجد أنها قد خضعت لنظم حكم دكتاتورية يتمتع فى ظلها الإمبراطور اليابانى الذى يطلق عليه اسم «الميكادو» والذى رفعه اليابانيون إلى مرتبة التقديس ، بحكم مطلق . فاليابان وحالتها هذه لايمكن أن تعامل الشعوب الأسيوية الأخرى التى تدخل معها فى منطقة الرخاء الأسيوى المشتركة على أساس ديموقراطى سليم، يقوم على مبدأ المساواة بين الجميع .

فشلت سياسة اليابان فى إقناع الإندونيسيين بفائدة الرخاء الأسيوى المشترك ، الذى لم يكن - فى حقيقة الأمر- سوى الرخاء لليابان وحدها. أما بالنسبة للأندونيسيين فهو عنوان الاستغلال فى أبشع صوره . فلاغرابة إذا ما هب الإندونيسيون للدفاع عن استقلالهم المسلوب، ومقاومة الاستعمار اليابانى فى مختلف صوره وأشكاله . فليكن جهادهم متصلا أيا كان المستعمر، سواء أكان من الشرق أو الغرب. ولذا أخذ زعماء الشعب الإندونيسى يقودون حركة المقاومة السرية ، ويكونون التشكيلات السرية ضد الحكم اليابانى ، فلجأت سلطات الاحتلال اليابانية إلى القبض على هؤلاء الزعماء ومحاكمتهم وإعدام البعض منهم ونفى البعض الآخر خارج البلاد. ثم شددت قبضتها على الشعب الإندونيسى، فساد الحكم الاستبدادى العسكرى أنحاء البلاد. وظل هذا الوضع قائما إلى هزيمة اليابان واستسلامها دون قيد أو شرط فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ بعد ضرب مدينتى هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية .

وقد انتهز الإندونيسيون هذه الفرصة وأعلنوا استقلالهم بعد يومين من استسلام اليابان وذلك فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ مستندين إلى المواثيق والاتفاقيات التى تمت بين رؤساء حكومات الغرب وأمريكا خلال الحرب، مثل ميثاق الأطلنطى واجتماعات طهران وسان فرانسسكو والقاهرة ، هذا بالإضافة إلى الوعد الذى قطعته «ولهلمينا» ملكة هولندا على نفسها فى إذاعة لها بالراديو خلال فترة الحرب، من أنها ستكون من هولندا واندونيسيا وسورنام وكركاو، حكومة كمنولث على غرار ما فعلته انجلترا ، وعلى أساس المساواة التامة بين حكومات تلك الشعوب فى الحقوق والمصالح المشتركة ونودى بالجمهورية الإندونيسية تحت رئاسة الزعيم الدكتور أحمد سوكارنو ، ووكيله الدكتور محمد حتا .

ثم تشكلت الجبهة الوطنية لإصدار دستور الجمهورية الإندونيسية الجديدة . وفى نفس الوقت قامت ثورة عامة ضد قوات الاحتلال اليابانى . وفى خلال ستة أسابيع من قيام الجمهورية الإندونيسية تمكنت الحكومة الجديدة من بسط سيطرتها على معظم أجزاء جاوة ومادورا وسومطرة ومناطق أخرى عديدة .

هولندا واستقلال إندونيسيا

وبينما كان زعماء إندونيسيا يعملون على توطيد سيطرتهم على معظم أجزاء إندونيسيا إذ بالقوات الإنجليزية والهولندية تصل إلى الشواطئ الإندونيسية لنزع سلاح القوات المستسلمة . ولكن الحكومة الوطنية الإندونيسية رفضت السماح للقوات الهولندية من أن تطأ أقدامها أرض البلاد وأبدت استعدادها فى أن تقوم بتسليم قوات الاحتلال اليابانى إلى الحلفاء . وقد حاول

قائد قوات الحلفاء « سيرفيليب كريستسون Sir Philip Christison » أن يقرب بين وجهتى نظر الإندونيسيين والهولنديين ، رفض الهولنديون الدخول فى مفاوضات مع حكومة إندونيسيا بحجة أنها حكومة نشأت بأندونيسيا كنتيجة للاحتلال اليابانى . ويجب أن يزول الاحتلال اليابانى والنتائج التى ترتبت عليه وأن ترجع الحالة فى أندونيسيا إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال اليابانى ، وأخيرا اجتمع ممثلو الفريقين الإندونيسى والهولندى بمدينة بتافيا Batavia (جاكرتا حاليا) فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٥ تحت إشراف قائد القوات المتحالفة . ولم تستمر المفاوضات أكثر من خمسة أيام وفشلت لتمسك كلا الفريقين بأن له وحده السيادة والسلطة .

وفى نفس الوقت بدأت القوات الهولندية تنزل إلى الشواطئ الأندونيسية لإرغام الحكومة الإندونيسية الجديدة على التسليم والخضوع من جديد للاحتلال الهولندى . وقد اتهم الإندونيسيون الإنجليز بأنهم قد تواطأوا مع الهولنديين ويسروا لهم النزول ليبسطوا نفوذهم على إندونيسيا من جديد . ودارت بين قوات الجمهورية الإندونيسية والقوات الإنجليزية والهولندية معارك فى مناطق متعددة بعد أن احتلت بعض المدن الهامة فى جزيرتى جاوة وسومطرة .

وقد بدأت المشكلة الإندونيسية تستلفت أنظار العالم وتأخذ مكانها بين المشكلات الهامة التى يجب أن يوضع حد لها عن طريق هيئة الأمم المتحدة وفى بداية عام ١٩٤٦ تقدمت حكومة جمهورية أوكرانيا السوفيتية إلى مجلس الأمن بطلب النظر فى تلك المشكلة على وجه السرعة لأنها تهدد الأمن والسلام العالمى طبقا لما نصت عليه المادة ٣٤ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

وبينما كانت المسألة الإندونيسية معروضة أمام مجلس الأمن كانت هناك مفاوضات تجرى بين الطرفين الهولندى والإندونيسى للوصول إلى حل للمشكلة بالطرق الودية ، ولكن المفاوضات تعثرت بين الطرفين وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٦ وصلت بعثة هولندية لبدء مفاوضات جديدة ودعت اللورد كيلرن Lord Killern المبعوث الإنجليزى الخاص بجنوب شرق اسيا للتدخل والعمل على إنجاح المفاوضات . وفى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٦ توصل الطرفان إلى اتفاق فيما بينهما وقع بالحروف الأولى فى لنجاجاتى (وهى بالقرب من شيريبون على الساحل الشمالى لجزيرة جاوة) وسميت باسم اتفاقية لنجاجاتى وتنص هذه الاتفاقية على اعتراف هولندا بالجمهورية الإندونسية على أنها حقيقة واقعة ولها السيطرة الفعلية على جزر جاوة ومادورا وسومطرة ، وأن على القوات الإنجليزية والهولندية التى تحتل أى جزء من هذه الجمهورية يجب أن تجلو عنه بالتدريج .

كذلك نصت الاتفاقية على إيجاد تعاون بين هولندا والجمهورية الجديدة فى إدارة شئون البلاد وذلك بإنشاء حكومة فدرالية من أول يناير سنة ١٩٤٩ تشمل كل إندونيسيا يطلق عليها اسم الولايات المتحدة الإندونيسية United States of Indonesia وتشمل الأقسام الثلاثة : الجمهورية الإندونيسية وبورنيو وشرق إندونيسيا على أن يتكون من الولايات المتحدة الإندونيسية وهولندا اتحاد يسمى الاتحاد الهولندى الإندونيسى Netherlands - Indonesian Union . يشترك فيها الطرفان على قدم المساواة تحت التاج الهولندى . ومهمته العمل على تنمية المصالح المشتركة والإشراف على العلاقات الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية والثقافية .

وفى ٢٥ مارس سنة ١٩٤٧ وقعت الاتفاقية بصفة نهائية ، وقام ممثلو هولندا فى هيئة الأمم المتحدة بإخطار سكرتاريتها العامة بنبأ الموافقة النهائية على المعاهدة . وبعد التصديق على المعاهدة بدأ الطرفان فى وضع بنودها موضع التنفيذ وجرت مفاوضات واجتماعات بين ممثلى الجمهورية الإندونيسية وبين المقيم العام الهولندى فى إندونيسيا . وقد أوضحت هذه الاتصالات منذ بدايتها على مدى اختلاف وجهات النظر بين الطرفين فى مسائل متعددة، مثل عودة الممتلكات التى كان يمتلكها غير الإندونيسيين إلى أصحابها الشرعيين . وكذلك رفع الحصار البحرى الذى فرضته هولندا على إندونيسيا وعلاقة إندونيسيا الخارجية بغيرها من الدول .

وقد فشلت جميع الجهود التى بذلت للوصول إلى اتفاق فيما بينهما ، وذلك لعدم ثقة كل منهما فى الآخر . وفى ٢٠ يونية سنة ١٩٤٧ قطع المقيم العام الهولندى فى أندونيسيا مفاوضاته مع المفاوضين الأندونيسيين ، ورفع هذا الأمر إلى حكومته بلاهاى.

وفى يومى ٢٠ و ٢١ يوليو سنة ١٩٤٧ بدأت قوات هولندا فى جزيرتى جاوة وسومطرة عملياتها الحربية ضد قوات الجمهورية الإندونيسية . وفى نفس الوقت أبلغ ممثلو هولندا فى هيئة الأمم المتحدة السكرتير العام للهيئة بأن الحكومة الهولندية قد وجدت نفسها مضطرة لأن تقوم ببعض إجراءات بوليسية إزاء حكومة الجمهورية الإندونيسية التى برهنت على عجزها التام عن حفظ الأمن والنظام داخل أراضيها . وأن حكومة صاحبة الجلالة الملكة التى تعمل بروح الاتفاقية لايسعها إلا أن تقرر بأن حكومة الجمهورية الإندونيسية ليست على استعداد ولاهى قادرة على إنجاز الاتفاقية المشار إليها .

أرادت حكومة هولندا بهذا الإجراء أن تسترد ما فقدته من سيادتها المطلقة على إندونيسيا متعللة بمختلف الحجج لتبرير عدوانها وعودة سيطرتها المطلقة مرة ثانية .

وعقب استئناف الأعمال العدوانية مباشرة طلبت حكومات استراليا والمملكة المتحدة (بريطانيا) والولايات المتحدة الأمريكية والهند بوقف الأعمال العدوانية وتسوية المشاكل بطريق المفاوضات والوساطة ، ولكن جهودها فى هذا الشأن قد باءت بالفشل . فبدأت كل من حكومتى استراليا والهند تعمل بمفردها لحمل مجلس الأمن على التدخل فى هذا النزاع الذى قد يؤدى إلى زعزعة الأمن والسلام الدولى . واجتمع مجلس الأمن فى ٣١ يوليو سنة ١٩٤٧ لنظر المشكلة . وقد رفضت هولندا رفضا باتا الموافقة على إدراج المسألة فى جدول أعمال مجلس الأمن أو الاعتراف باختصاص هذا المجلس لنظر القضية معتمدة فى ذلك على تأييد الدول الاستعمارية مثل بلجيكا والجلترا وفرنسا .

وقد قرر المجلس الموافقة على اقتراح بوقف إطلاق النار وحث الطرفين على الدخول فى مفاوضات لحل النزاع بالطرق السلمية وقد نفذ هذا القرار فى يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٤٧ ورأى أعضاء مجلس الأمن تعيين لجنة أطلق عليها اسم Comittee of Good Offices للتوسط بين الطرفين إلى تسوية سلمية للمشكلة . وقد استطاعت اللجنة بعد مشاورات طويلة من أن تصل إلى اتفاق وقع فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٨ أطلق عليه اسم اتفاقية هدنة رنفيل Renville Truce Agreement وبدأ الطرفان فى تنفيذ الاتفاقية بوقف إطلاق النار وتحديد مناطق نفوذ كل منهما .

وبينما كانت إجراءات تنفيذ اتفاقية الهدنة تسير سيرا مرضيا ، لم تبدأ المباحثات السياسية بين الطرفين حتى منتصف مارس من نفس السنة وذلك لتلكؤ الحكومة الهولندية فى تعيين مفاوضيها . وقد أثار هذا التلكؤ مخاوف حكومة الجمهورية الإندونيسية وشكوكها ، خصوصا وأن الحكومة الهولندية قد أخذت فى ذلك الوقت تقدم الضمانات إلى حكومات غرب جاوة ومادورا وشرق سومطرة وتنشئ حكومة فيدرالية مؤقتة. خارجة عن نطاق الجمهورية الإندونيسية .

وأخيرا تم تشكيل أربع لجان رئيسية تتولى مناقشة أربعة موضوعات هامة كل على حدة هى : -

أولا - المسائل السياسية .

ثانيا - الشئون العسكرية .

ثالثا - الشئون المالية والاقتصادية .

رابعا -الشئون الإدارية والاجتماعية .

وقد اجتمعت اللجان الأربع وباشرت مناقشة المسائل المعروضة عليها بمساعدة لجنة الوساطة ولكن الحكومة الهولندية كانت عازمة على إثارة العقبات أمام هذه اللجان وخصوصا اللجنة المكلفة ببحث المسائل السياسية . من هذه العقبات ما ادعته الحكومة الهولندية بأن المقترحات التى تتقدم بها الهيئة التى عينها مجلس الأمن لمعاونة الطرفين على الوصول إلى اتفاق بينهما وهى لجنة الوساطة لايكون لها الصفة الرسمية ولاتدرج ضمن المناقشات الرسمية للجان تلك المناقشات التى ترفع أولا بأول إلى مجلس الأمن . كذلك أنكرت الحكومة الهولندية ما لحكومة الجمهورية الإندونيسية من سيادة على أراضيها طبقا لما جاء باتفاقية «لنجاجاتى» بينما أصرت حكومة الجمهورية على التمسك بمالها من حق السيادة على أراضيها .

كذلك أبدت حكومة الجمهورية الإندونيسية رغبتها فى إيجاد اتحاد هولندى إندونيسى Netherlands Indonessian Union تتمتع فى ظله حكومة الولايات المتحدة الإندونيسية بكامل استقلالها مع إيجاد نوع من الارتباط الواهى مع الحكومة الهولندية . ولكن هولندة أصرت على أن يكون الارتباط قويا بين الطرفين حتى لاتنفرد حكومة الجمهورية الإندونيسية بإدارة شئون البلاد .

وقد تعمدت الحكومة الهولندية أن تمد من أجل المفاوضات أطول فترة ممكنة تستطيع خلالها أن تثبت أقدامها فى إندونيسيا وأن تنشئ حكومات غرب جاوة ومادورا وشرق سومطرة اتحاد فيدرالى مؤقت . وكان هدفها من ذلك إيجاد شئ من التوازن فى القوى بينها وبين حكومة الجمهورية الإندونيسية . وقد احتجت الأخيرة على هذا التصرف المخالف لنصوص اتفاقية رنفيل ، واتهمت حكومة هولندا بأنها تتصرف بمفردها فى مناطق موضع خلاف بينهما ولايجوز لها ذلك إلا بعد الوصول إلى اتفاق فيما بينهما. وقد أعلنت حكومة هولندا بأن ما تتخذه من إجراءات هو بصفة مؤقتة ولن يغير من طبيعة المشكلة .

ولكن كان تصرف الحكومة الهولندية يثير مخاوف الجمهورية الإندونيسية ، وخصوصا ما لجأت إليه هولندا من دعوة مؤتمر يمثل الحكومات الإندونيسية غير الجمهورية للنظر فى تنظيم

العلاقات فيما بينها. فطلبت حكومة الجمهورية من لجنة الوساطة أن تتدخل فى الأمر وأن تحول بين هولندا وبين اتخاذ أى إجراء يكون من شأنه عرقلة الوصول إلى تفاهم بالطرق الودية . وقد قبلت اللجنة ما أعطته حكومة هولندا من ضمانات وتصريحها بأن ما يسفر عنه المؤتمر من قرارات لن يكون له أى أثر فى سير المفاوضات بينها وبين حكومة الجمهورية الإندونيسية .

وكان من وجهة نظر هولندا أن إصرار حكومة الجمهورية الإندونيسية على ممارسة حقها فى مباشرة علاقاتها الخارجية بمفردها فيه انتهاك لبنود اتفاقية رنفيل التى نصت على أن تبقى السيادة على إندونيسيا فى يد الملكية الهولندية ، إلى أن يحين الوقت المحدد لانتقالها إلى حكومة الولايات المتحدة الإندونيسية .

وعندما تعثرت المفاوضات بين الطرفين ، طالب مجلس الأمن لجنة الوساطة بتقديم تقرير عن سير المباحثات . وفى هذا التقرير أبدت اللجنة مخاوفها من العقبات التى اعترضت تقدم المباحثات . فطالبت الدول بتدخل مجلس الأمن من جديد لإيجاد حل للمشكلة . ورأت الولايات المتحدة الأمريكية أن تتدخل تدخلا فعالا فى الأمر، وبعثت بممثل جديد لها ليحل محل الممثل السابق بلجنة الوساطة الذى فشل فى التفاهم مع المفاوضين الهولنديين. ورغم ركود المفاوضات بين الطرفين فقد استمرت حكومة هولندا فى سياستها نحو إيجاد تنظيمات خارجة عن نطاق الجمهورية الإندونيسية بخطى سريعة ، فكونت عددا من الحكومات الجديدة ، وأنشأت مجلس الشورى الفيدرالى يتكون من رؤساء الحكومات ورؤساء الوزارات الخارجين عن الجمهورية الإندونيسية .

ولما لم تستطع هولندا الوصول إلى تفاهم مع الجمهورية الإندونيسية طبقا لما تراه ، استأنفت عملياتها الحربية فى صباح ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ خارقة بذلك اتفاقية رنفيل للهدنة ونتيجة لتلك العمليات سقطت عاصمة الجمهورية وقبض على الرئيس سوكارنو ووكيله الدكتور حتا وزج بهما فى السجن .

طالب ممثل هيئة الأمم المتحدة فى إندونيسيا الدكتور فيليب جوسب Dr. Phillip G. Jessup عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن للنظر فى تدهور الحالة فى إندونيسيا . واجتمع مجلس الأمن فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ووقف ممثل هولندا وأعلن فى المجلس تمسك حكومته ببنود اتفاقيتى رينفيل ولينجاجاتى واعترافها باستقلال وسيادة إندونيسيا ولكن حكومته وجدت نفسها مضطرة لاتخاذ بعض التدابير اللازمة لوضع حد للاضطرابات التى سادت أجزاء

مختلفة من الجمهورية الإندونيسية. وهذا هو منطق الاستعمار فى تبرير اعتداءاته الدنيئة على السكان الآمنين ، لا لسبب سوى لبسط نفوذه وسيطرته ولو على أشلاء المجاهدين الوطنيين .

طالب مجلس الأمن بوقف إطلاق النار وبعودة قوات الطرفين إلى خطوط الهدنة التى حددتها اتفاقية رنفيل . ولكن هولندا لم تصدع للأمر واستمرت فى أعمالها العدوانية رغم هذا القرار. واجتمع مجلس الأمن مرة أخرى فى ٧ يناير ١٩٤٩ للنظر فى آخر التقارير التى أرسلتها لجنة الوساطة بشأن الحالة فى أندونيسيا والتى أوضحت فيه بأن الطرفين لم يكفا عن إطلاق النار، كما أن هولندا لم تطلق سراح المسجونين السياسيين الإندونيسيين كما طالب بذلك المجلس .

وقد تبنى مجلس الأمن فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٩ المشروع الذى تقدم به مندوبو كوبا والصين والنرويج . وقد بدأ المشروع بالإشارة إلى أن الحلول التى أوصى بها المجلس فى ٢٤ و ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ لم تنفذ تنفيذا كاملا . واقترح المشروع النقط الآتية :

أولاً : أن يطلب من هولندا إعطاء الضمانات والتأكيدات بعدم الاستمرار فى عملياتها الحربية وكذلك يطلب من حكومة الجمهورية الإندونيسية بأن تأمر جنودها بالكف عن استخدام القوة .

ثانيًا : أن يطلب أيضا من الحكومة الهولندية بأطلاق سراح المعتقلين السياسيين من رجال حكومة الجمهورية الإندونيسية فورا والسماح لهم بالعودة إلى ممارسة أعمالهم بكل حرية بما فى ذلك إدارة شئون جوجاكارتا Jogjakarta .

ثالثًا : توصى الدول المقدمة للمشروع كلا الطرفين باستئناف المباحثات بينهما فى أقرب وقت مستطاع بمعاونة هيئة الوساطة ، على أساس ما جاء باتفاقيتى رينفيل ولينجاجاتى وكذلك مشروع (تقدم بهذا المشروع مندوب الولايات المتحدة الأمريكية) على فرض أن الحكومة الاتحادية المؤقتة ستشكل فى حدود ١٥ مارس سنة ١٩٤٩ وأن الانتخابات للمجلس النيابى الإندونيسى ستتم فى مدة أقصاها أول أكتوبر . وأن انتقال السيادة إلى الجمهورية الإندونيسية سيتم فى أسرع وقت ممكن بحيث لايتجاوز ذلك أول يولية سنة ١٩٥٠ .

رابعًا : إعادة تشكيل لجنة الوساطة واعتبارها لجنة من قبل هيئة الأمم المتحدة لدى إندونيسيا ، وتعمل كممثلة لمجلس الأمن فى إندونيسيا ويكون من مهمتها معاونة

الطرفين على حل مشاكلهما ، تحت إشرافها . وكذلك يكون لها السلطة فى تقديم التوصيات لكلا الطرفين وكذلك لمجلس الأمن . ولها الحق أيضا فى تقديم التوصيات التى تراها لحل هذا النزاع فى حالة ما إذا لم تتم الإجراءات المتفق عليها فى حدود التواريخ المحددة لها .

وكذلك يوصى المشروع بعودة الأراضى التى كانت خاضعة إلى حكومة الجمهورية الإندونيسية إليها وانسحاب القوات الهولندية منها.

وفى الفترة ما بين ٢٠ و ٢٣ يناير عقد فى مدينة نيودلهى بالهند مؤتمرا يضم ١٩ دولة أسيوية منطقة الشرق الأوسط بالإضافة إلى استراليا ، بناء على دعوة رئيس وزراء الهند. وذلك لمناقشة الحالة السيئة فى إندونيسيا وفى ختام المؤتمر تقدم الأعضاء بقرار إلى مجلس الأمن راجين فيه أن يولى هذه المسألة ما تستحقه من عناية حفظا للأمن والسلام العالمى .

ويعتبر مشروع الحل الذى تقدمت به هذه الدول إلى مجلس الأمن معتدلا ، إذا ما نظرنا إليه فى ضوء الظروف التى أحاطت بانعقاد المؤتمر وروح العداء للاستعمار التى سيطرت على معظم البلاد الممثلة فيه. وعلى العموم فهذا المشروع كان أقوى من المشروع الذى كان معروضا على المجلس .

رفضت هولندا فى أول الأمر الاعتراف بوجود الحكومة الجمهورية كهيئة رسمية شرعية لإندونيسيا . ولكن معظم الإندونيسيين الفيدراليين كانوا ينكرون هذا على هولندا ويقرون حق زعماء الجمهورية بالاعتراف بمركزهم كحكام شرعيين للبلاد . وعندما جاءت قرارات مجلس الأمن التى أصدرها فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٩ فى صالح هؤلاء الزعماء و ازداد مركزهم قوة وأعلنوا فى منفاهم بجزيرة Banka بأنه رغم استمرارهم فى المباحثات غير الرسمية مع أعضاء المجلس الاستشارى الفيدرالى ، فأنهم لن يدخلوا فى مفاوضات رسمية إلا بعد عودة حكومة الجمهورية إلى جوجاكارتا .

بعثت الحكومة الهولندية بأحد رجالها الدبلوماسيين إلى مجلس الأمن للاعتراض على إمكان تغيير المشروع الذى أوصى به المجلس . مستندا إلى أن هذا المشروع قد أوقع الحكومة الهولندية فى مركز حرج وجعلها عرضة لهجمات جميع الأحزاب . كما استقال وزير المستعمرات الهولندى احتجاجا على السياسة التى تعتزم حكومته تنفيذها فى إندونيسيا وأعلن أن المندوب السامى الهولندى فى إندونيسيا قد استدعى إلى لاهاى ، وأن الحكومة

الهولندية قد وافقت على وجهة نظره فى انتقال السيادة إلى حكومة الولايات المتحدة الإندونيسية فى أسرع وقت مستطاع . وتعتزم الحكومة الهولندية عقد مؤتمر للمائدة المستديرة فى لاهاى فى القريب العاجل لوضع التفاصيل الخاصة بانتقال السيادة وأعضاء الاتحاد الهولندى الإندونيسى .

وفى أول مارس تقدمت لجنة الوساطة بتقرير إلى مجلس الأمن تبين فيه أن هولندا لم تنفذ الاقتراحات التى أصدرها المجلس فى ٢٨ يناير . وأن الموافقة لم تتم بشأن إقامة الحكومة الفيدرالية المؤقتة ، كما أن المباحثات بين الطرفين لم تبدأ بعد . وترجع اللجنة سبب توقف المباحثات إلى رفض الحكومة الهولندية السماح بعودة حكومة الجمهورية إلى جوجاكارتا .

رأى مجلس الأمن أن يوفق بين المقترحات الأندونيسية والمقترحات الهولندية فوافق على عقد مؤتمر للمائدة المستديرة Round- Table conference بمدينة لاهاى باشتراك لجنة الوساطة الدولية على أساس ما ورد بقرارات ٢٨ يناير . وقد وافق على هذا الرأى فى جلسة ٢٣ مارس سنة ١٩٤٩ . ويعتبر هذا القرار من قبل مجلس الأمن نقطة تحول فى سير القضية الإندونيسية ، وتوضح مدى ما نالته تلك القضية من عطف الرأى العام العالمى وإصرار الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية على حلها بما يحقق مصالح الإندونيسيين .

ولم يكن تدخل مجلس الأمن للضغط على هولندا لحل القضية الإندونيسية هو العامل الوحيد الذى ساعد على إنهاء هذا النزاع . بل أسهمت عوامل أخرى فى هذا الضغط ، منها تلك التقارير التى كانت ترسلها لجنة هيئة الأمم المتحدة والمراقبون المحايدون بشأن الحالة فى إندونيسيا واستمرار الأعمال العدوانية من جانب هولندا وعدم استطاعة القوات الهولندية تأمين سلامة المناطق المحيطة بها بما فى ذلك المزارع الواسعة والممتلكات الهولندية الخاصة . كما أصيبت صادرات إندونيسيا ووارداتها بضربة شديدة ، وخصوصا عندما قطعت الولايات المتحدة الأمريكية الإعانة التى كانت تمنحها هولندا طبقا لمشروع مارشال Marashall Plan .

هذا بالإضافة إلى احتفاظ هولندا بقوات حربية كبيرة فى إندونيسيا تبلغ حوالى ١٢٠ ألف مقاتل ، أثقلت كاهل ميزانيتها ، وجعلها موضعا للضغط من قبل الدول المشتركة معها فى حلف شمال الأطلنطى ومعاهدة بروكسل الذين كانوا يطالبونها بضرورة زيادة إمكانياتها من الرجال والعتاد لتدعيم البناء الاقتصادى والحربى لدول غرب أوربا . وأخذوا يحضونها على

إنهاء المشكلة الإندونيسية حتى تستطيع أن تفى بالتزاماتها نحو الأحلاف الغربية . كل هذه العوامل مجتمعة قد دفعت هولندا إلى إيجاد تسوية سريعة للموقف الذى يزداد سوءا يوما بعد يوم .

وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر نجد أن زعماء إندونيسيا كانوا أشد حرصا من هولندا على الوصول إلى تسوية سريعة للموقف . فمن الناحية الحربية لن يستطيعوا التغلب على قوات هولندا المجهزة أحسن تجهيز والمزودة بأحدث الأسلحة ومن الناحية الاقتصادية فأن استمرار أعمال العنف سيؤدى إلى انهيار اقتصاديات البلاد وإلى انخفاض مستوى المعيشة مما قد يؤدى إلى زعزعة مراكز هؤلاء الزعماء فى الأوساط الوطنية الشعبية .

كانت الظروف إذن مهيأة لعقد تسوية سريعة وحاسمة تضع حدا للاضطرابات فى إندونيسيا .

اجتمع الفريقان المتفاوضان تحت إشراف لجنة الوساطة فى بتافيا (جاكرتا) فى ١٤ أبريل سنة ١٩٤٩م وكان الفريق الإندونيسى يتكون من رجال حكومة الجمهورية الذين اعتقلتهم هولندا عقب هجومها على العاصمة الإندونيسية فى ديسمبر سنة ١٩٤٨م . وقد وجد هؤلاء الزعماء الإندونيسيون أنه تصحيحا للأوضاع ، يجب أولا وقبل كل شئ أن تتخذ التدابير لعودتهم إلى مقر الحكومة الجمهورية بمدينة جوجاكارتا ، قبل أن يبدأوا فى مناقشة أى خلاف .

وفى ٧ مايو سنة ١٩٤٩م اجتمع الطرفان تحت رعاية لجنة الوساطة وفى هذا الاجتماع أعلن رئيس وفد المفاوضين الإندونيسيين الدكتور محمد روم M . Roem بأنه قد فوض من قبل الرئيس سوكارنو ووكيله الدكتور حتا ليعرب عن تأكيدهما الشخصى بأنهما يستحثان عودة حكومة الجمهورية إلى جوجاكارتا ، ليتمكنا من إصدار أوامرهما بوقف الأعمال العدوانية للتعاون من أجل إقرار السلام وسيادة القانون والنظام وللاشتراك فى مؤتمر المائدة المستديرة المزمع عقده فى لاهاى .

وقد وافق رئيس لجنة المفاوضين الهولنديين Dr . Van Royen على عودة حكومة الجمهورية إلى جوجاكارتا والتعاون بين الطرفين للوصول إلى حل للنزاع .

وقد لعبت لجنة الوساطة دورا فعالا فى تقدم المباحثات غير الرسمية بين الطرفين . كما يرجع الفضل أيضًا لهذا التقدم لمقدرة المستر كوتشران Gochran مندوب الولايات المتحدة

الأمريكية فى لجنة الوساطة ، وكذلك لحسن إدراك رئيس وفد المفاوضين الهولنديين المستر فان روين لحقيقة الموقف . هذا بالإضافة إلى ما بذلته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من ضغط على الحكومة الهولندية للوصول إلى تسوية للمشكلة فى أقرب وقت مستطاع .

وبعد اتفاق وجهتى نظر الطرفين فيما سمى باتفاق فان روين- روم Van Royen Room أصبح الطريق ممهدا لعقد مؤتمر المائدة المستديرة.

وفى ٢ يونيو عام ١٩٤٩ أعلن ممثل هولندا فى لجنة المفاوضات ، لجنة الوساطة بأن التدابير لعودة حكومة الجمهورية إلى مقرها فى جوجاكارتا تتقدم بخطى واسعة ، وأن الحكومة الهولندية ستأمر قواتها بالبدء فى الجلاء عن مقر الحكومة فى ٢٤ يونية . كما أعلن الجانبان بأن المناقشات التى جرت بشأن إيقاف الأعمال العدوانية ، قد أكدت التقاء وجهات النظر بين الطرفين ، مما يبشر بقرب انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة ، وعودة حكومة الجمهورية إلى مقر عملها .

وقد تم الجلاء عن جوجاكارتا فى ٣٠ يونية ، وعاد الرئيس سوكارنو ووكيله الدكتور حتا والزعماء الإندونيسيون إليها وسط الحماس من جماهير الشعب الإندونيسى وباشرت الحكومة سلطتها فى ١٣ يولية . وبذلك تنتهى مهمة حكومة الطوارئ التى شكلت عقب سقوط جوجاكارتا فى أيدى الهولنديين .

واتفق الطرفان فى ٣ أغسطس على إيقاف الأعمال العدوانية بصفة نهائية ، بحيث يتم ذلك بالنسبة لجزيرة جاوة فى منتصف ليلة ١٠ / ١١ أغسطس سنة ١٩٤٩ ، وبالنسبة لسومطرة فى منتصف ١٤ / ١٥ أغسطس . على أن تشكل لجنة اتصال مركزية لتنظيم العلاقة بين الطرفين ولتسهيل القيام بالالتزامات المفروضة عليهما ، وتشرف هذه اللجنة على ١٣ لجنة اتصال محلية .

مؤتمر المائدة المستديرة

اجتمع مؤتمر المائدة المستديرة فى لاهاى فى الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٩ فى جو من التفاؤل والأمل المشوب بالتيقظ والحذر ومثلت فيه لجنة الوساطة التابعة للأمم المتحدة . وقد انقسم أعضاء المؤتمر إلى خمس لجان رئيسية تختص كل منها بناحية معينة لمناقشتها والوصول إلى اتفاق بشأنها ، وقد اشترك مندوبو لجنة الوساطة فى كل هذه اللجان تسهيلا لمهمتها .

واختصت اللجنة الأولى بالمسائل السياسية الدستورية . واللجنة الثانية للمسائل الاقتصادية والمالية . والثالثة للمسائل العسكرية ، والرابعة للمسائل الثقافية .والخامسة للشئون الاجتماعية .

وقد وقع المتفاوضون على ميثاق المؤتمر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٩ وقد تضمن هذا الميثاق النقط الآتية : -

١- مشروع لائحة بنقل السيادة من هولندا إلى جمهورية الولايات المتحدة الإندونيسية .

٢- مشروع دستور للاتحاد الإندونيسى الهولندى يتضمن ملاحق واتفاقيات خاصة حول أسس الموضوعات التى ستكون مجالا للتعاون فى المستقبل .

٣- مشروع اتفاقية حول التدابير الانتقالية وما تتضمنه من اتفاقيات خاصة حول تسوية بعض الموضوعات التى تحتاج إلى إعداد كنتيجة لانتقال السيادة .

٤- تبادل المراسلات بشأن بعض المسائل المنفصلة .

وخلاصة القول فإن اتفاقية المائدة المستديرة قد نقلت السيادة إلى إندونيسيا دون قيد أو شرط . وأصبحت جمهورية الولايات المتحدة الإندونيسية فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩ تتكون من ست عشرة ولاية بما فى ذلك الجمهورية الأندونيسية السابقة ، وأصبح الاتحاد الإندونيسى الهولندى تحت تاج هولندا يمثل المصالح المشتركة للطرفين وخصوصا فى ميدان السياسة الخارجية والدفاع .

وقد عرضت قرارات مؤتمر المائدة المستديرة على مجلس الأمن ، فأظهر ارتياحه إلى نجاح الطرفين فى الوصول إلى اتفاق فيما بينهما . وطالب من لجنة الوساطة الاستمرار فى عملها لتنفيذ ما ورد بنصوص الاتفاقية وموافاته بتقارير دورية عن سير التنفيذ .

وقد حازت اتفاقية المائدة المستديرة موافقة أعضاء المجلس فيما عدا خمسة أصوات يمثلون دول شرق أوروبا ، فقد عارضتها ووصفت الاتفاقية بأنها شكل جديد من الاستعمار الهولندى الذى تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا ، واتهمت زعماء الحكومة الجمهورية بالخيانة . كما عارضها الاتحاد السوفيتى إلى حد استخدام حق الفيتو عند عرضها فى المجلس . ولكن رغم هذا ظلت الاتفاقية سارية المفعول .

وفى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٩ وافقت حكومات الولايات المتحدة الإندونيسية الستة عشر

على اتفاقية المائدة المستديرة ، وبذلك تنتقل السيادة إليها بصفة رسمية .

وفى أغسطس سنة ١٩٥٠ يتغير اسم الدولة الجديدة «إلى» جمهورية إندونيسيا وبوصول الطرفين إلى هذا الاتفاق تنتهى المشاكل المعلقة بين الطرفين فيما عدا مشكلة واحدة هى مشكلة غينيا الجديدة New Guines أو «إيريان الغربية» كما يسميها الإندونيسيين أنفسهم.

ولكن مصير هذا الجزء من الجزيرة لم يهمله المفاوضون الإندونيسيون ، بل كان موضع عنايتهم طوال المفاوضات . ونصت المادة الثانية من اتفاقية المائدة المستديرة على بقاء هذه المنطقة على حالتها الراهنة ، على أن يدخل الطرفان الإندونيسى والهولندى فى مفاوضات بشأن تقرير مصيرها بعد عام واحد من انتقال السيادة إلى جمهورية الولايات المتحدة الإندونيسية .

وإيريان الغربية هى إحدى جزر إندونيسيا وتقع فى شمال شرق جاوة وشمال استراليا . وتبلغ مساحتها ٨٥٠ ألف كيلو متر مربع . وتنقسم إلى قسمين : القسم الشرقى تحت وصاية استراليا منذ انتزاعه من ألمانيا عام ١٩١٨ . والقسم الغربى فيها ويقع فى قبضة هولندا ورغم كبر مساحتها التى تقرب من ربع مساحة إندونيسيا كلها فإن عددسكانه لايزيد عن مليون نسمة فى حالة تأخر وانحطاط شديدين .

فالجزيرة إذن من هذه الناحية تعتبر المجال الحيوى بالنسبة للشعب الإندونيسى وبالنسبة لزيادة عدد سكان الجزر الإندونيسية الأخرى ، وخصوصا جزيرة جاوة التى يزيد عدد سكانها عن اثنين وخمسين مليونا وتتنذ رغم أن مساحتها تعادل ثلث مساحة إيريان الغربية .

فالجزيرة ليست على درجة كبيرة من الأهمية من الناحية الاقتصادية بالنسبة لهولندا فإنتاجها قليل نظرا لأن معظم أراضيها تغطيها المستنقعات والأحراش وتنتشر فيها الملاريا انتشارا كبيرا. ولكنها من الناحية الاستراتيجية تعتبر ذات أهمية بالغة بالنسبة للدفاع عن استراليا وبالنظر إلى مشروعات الغرب الدفاعية فى جنوب شرقى آسيا .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فهى تعتبر نقطة ارتكاز للنفوذ الهولندى فى إندونيسيا . فهولندا لها مصالح حيوية فى إندونيسيا تتمثل فى مزارع المطاط والشركات الهولندية العديدة.

فوجودها فى إيريان الغربية يضمن لها تلك المصالح . وفى نفس الوقت ييسر لها مهمة التجسس على أعمال الحكومة الوطنية ، ويجعلها فى مركز المتحفز للوثوب على إندونيسيا إذا مالاحت لها فرصة مناسبة .

كما أن إيريان الغربية تعتبر الملجأ الوحيد للرعايا الهولنديين فى أندونيسيا إذا ما طردتهم حكومة الجمهورية الإندونيسية . فهولندا لن تستطيع إرجاعهم إلى بلادهم الأصلية هولندا ، نظرا لازدحامها الشديد بالسكان .

بدأت مفاوضات تمهيدية بين الطرفين عقب توقيع اتفاقية المائدة المستديرة وقبل أن تكتمل فترة العام المنصوص عليها . وتقدمت إندونيسيا بمقترحات إلى هولندا تتضمن الاعتراف بالسيادة بعد الاتفاق بين الطرفين . على أن تضمن حكومة الجمهورية الإندونيسية مصالح هولندا فى الجزيرة ودفع التعويضات عما تكبدته من نفقات .

ولكن هولندا رفضت هذا العرض وقدمت مقترحات جديدة تتلخص فى الاعتراف بالسيادة للاتحاد الاندونيسى الهولندى ، مع احتفاظها بادارة الجزيرة والسماح لعدد معين من الأعضاء الإندونيسيين بدخول مجلس إيريان الغربية فلم تسلم إندونيسيا بهذا الحل .

واستؤنفت المفاوضات من جديد فى ديسمبر سنة ١٩٥١ ولكنها لم تسفر عن أية نتيجة . فطالبت هولندا بعرض النزاع على محكمة العدل الدولية ، وأرادت هولندا بذلك أن تخرج المسألة عن طبيعتها السياسية الصرفة .

ولم تكن الحكومة الهولندية جادة فى مفاوضاتها مع إندونيسيا ، خصوصا بعد أن ظهر زيت البترول فى الجزيرة ، وبعد أن أخذ النفوذ الغربى يتداعى فى جنوب شرقى آسيا ونظرا لاهتمام الغرب بمشروعات الدفاع عن المنطقة وانتهاج إندونيسيا لسياسة الحياد الإيجابى وعدم التحيز للغرب أو قبول مشروعاته الدفاعية . ونتيجة لهذه العوامل المتعددة أقدمت هولندا على اتخاذ قرار خطير ينم عن نواياها فى إصرارها على التمسك بأيران الغربية ، وذلك بتعديل الدستور الهولندى فى عام ١٩٥٢ بحيث ينص على جعل إيريان الغربية جزءا من مملكة هولندا المنخفضة .

وبهذا التعديل الجديد زادت المشكلة تعقيدا ، وأصبحت مثار نزاع بين الفريقين . وتتجه السياسة الهولندية إلى التعاون مع جارتها الشرقية فى الجزيرة وفى استراليا لتنسيق سياستها الدفاعية إزاء الجزيرة .

وإذا كانت إندونيسيا ، قد وجدت تعضيدا من قبل حكومتى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى نزاعها مع هولندا بشأن الاستقلال ، فإنما كان يرجع ذلك إلى رغبة هاتين الدولتين فى أن تصبح الجمهورية الإندونيسية الجديدة من الدول التى تدور فى فلك السياسة الغربية والتى تحبذ مشروعات الغرب الدفاعية التى تهتم بها الولايات المتحدة الأمريكية أيما اهتمام . ولكن بعد أن اتضحت نية إندونيسيا منذ انعقاد مؤتمر باندونج فى أبريل عام ١٩٥٥ ، تلك السياسة القائمة على الحياد الإيجابى وعدم التحيز لكلا المعسكرين الشرقى والغربى ، فإن الجمهورية الإندونيسية لاتجد تعضيدا من قبل هاتين الدولتين فيما يتعلق بمشكلة إيريان الغربية .

وقد عرضت هذه المشكلة على الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة مرات منذ أغسطس ١٩٥٤ ولكن مناورات الدول الغربية كانت تحول فى كل مرة بين حلها . ثم أعلنت هولندا فى آخر الأمر أنها لن تدخل فى مفاوضات مع إندونيسيا وأنها ستستمر فى حكم الجزيرة إلى أن يتمكن السكان من تقرير مصيرهم بأنفسهم وتمسكت باعتبار النزاع مسألة قانونية يجب عرضها على محكمة العدل الدولية .

وكان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧ قاسيا بالنسبة لأندونيسيا إذ أنه أغلق باب المفاوضات بين الطرفين ، وجعل إندونيسيا أمام أمرين لا ثالث لهما : إما قبول الأمر الواقع ، وإما إرغام هولندا على وضع حد لتلك المشكلة ، وقد رأت إندونيسيا بعد أن استنفذت كل محاولاتها السلمية لدى الأمم المتحدة لحل المشكلة ، أن تختار الأمر الثانى . فاجتمع فى جاكرتا فى ١٨ نوفمبر ١٩٥٧ مؤتمر شعبى حضره ما يزيد عن المليون نسمة . وقرر بأنه فى حالة فشل قضية إيريان الغربية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، فإن المؤتمر يرى أن تتخذ الحكومة خطوات حازمة إزاء تعنت هولندة ، تتلخص فى تأميم الشركات الهولندية ، وترحيل جميع الرعايا الهولنديين خارج البلاد ، وتحريم دخول إندونيسيا على الهولنديين وإنشاء فرقة مسلحة هدفها تخليص إيريان الغربية وإنشاء صندوق تمويل حركة التحرير فى الجزيرة .

وقد لبت الحكومة هذه الدعوة بعد فشل القضية ، فأممت الشركات الهولندية وأمرت بترحيل الهولنديين إلى بلادهم واستولت على المصانع ومزارع المطاط ومختلف المنشئات الهولندية . وبهذا الإجراء الحاسم فقدت هولندة كل ما تمتلكه من رؤوس أموال تقدر بنحو ٧٠٪ من

الاقتصاد الإندونيسى . بل إن ما يستثمره الرعايا الهولنديون وحدهم يقدر بنحو ١٢٠٠ مليون دولار . ولن تستطيع الدول الاستعمارية الصمود أمام حركات التحرير التى اجتاحت آسيا وأفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية . وأن تشبث الاستعمار بما بقى لديه من مناطق قليلة، هو من قبيل إرضاء النزعة الاستعمارية التى أصبحت لاتتفق ومقومات الحياة فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وتتدخل الأمم المتحدة وتقرر فى أول مايو سنة ١٩٦٣ وضع إيريان تحت إشراف إندونيسيا على أن يجرى استفتاء بعد ذلك حول تقرير مصيرها ولكن انسحاب إندونيسيا من هيئة الأمم ألغى هذا الألتزام . وكان النزاع حول ماليزيا قد جعل إندونيسيا تنسحب من هيئة الأمم ولكنها عادت بعد الاعتراف بماليزيا فى أغسطس سنة ١٩٦٦ .

الفصل الخامس

ماليزيا وسنغافورة

- نظرة جغرافية - التطور التاريخي لماليزيا - الإسلام في ماليزيا - الاستعمار البريطاني - الاستقلال - سنغافورة

ماليــزيــا

نظرة جغرافيا :

تقع ماليزيا في قلب جنوب شرق آسيا ، وهي هلالية الشكل قريبة من خط الاستواء بين خطي عرض ١° و ٧° شمالا ، وخطي طول ١٠٠° و ١١٩° شرقًا وتمثل ماليزيا منطقتين واضحتين : المنطقة الأولى هي شبه جزيرة ماليزيا وتمتد من برزخ أكرا إلى مضايق ولاية جوهور، والمنطقة الثانية هي ولايتي صباح وسرواك التي تقع على الساحل الشمالي الغربي من جزيرة بورنيو ...

ويفصل بين المنطقتين بحر الصين الجنوبي بحوالي ٧٥٠ كيلو مترا ، وتتصل شبه جزيرة ماليزيا من جهة الشمال بتايلاند عبر حدود أرضية ، ومن الجنوب بجمهورية سنغافورة عن طريق جسر، وتقع جزيرة سومطرة الإندونيسية غربا عبر مضايق ملقا ، كما تقع جزر الفلبين شمال شرق ولاية صباح .

وتبلغ مساحة ماليزيا ٣٣٠٣٤٣ كيلو متر مربع منها ١٣١٥٩٨ كيلو متر مربع مساحة شبه جزيرة ماليزيا ، بينما تبلغ مساحة ولايتي صباح وسرواك ٧٣٦٢٠ كيلو متر مربع و ١٢٤٤٤٩ كيلو متر مربع على التوالي .

ويمتد ساحل ماليزيا إلى حوالي ٤٨٣٠ كيلو متر من المحيط الهندي إلى بحر الصين الجنوبي، ويعتبر الساحل الغربي أكثر المنافذ وصولا لشبه جزيرة ماليزيا لاحتمائه بمضايق ملقا، بينما يصعب الدخول إلى الساحل الشرقي في فترة الإعصار الشمالي الشرقي (الممتدة من شهر أكتوبر حتى شهر فبراير) ويبلغ طول ساحل ولايتي صباح وسرواك ٢١٠٠ كيلو متر .

وتتعرض ماليزيا لعوامل بحرية ورياح متداخلة ومتبادلة تنشأ أصلا في المحيط الهندي وفي بحر الصين الجنوبي، وتنقسم السنة الميلادية عادة إلى مواسم : الإعصار الشمالي الشرقي

ويسود البلاد فى الفترة من شهر أكتوبر إلى شهر فبراير ، ويأتى بالأمطار على الساحل الشرقى لشبه جزيرة ماليزيا والمناطق الساحلية لولايتى صباح وسرواك . والإعصار الجنوبى الغربى ويمتد من منتصف شهر مايو إلى شهر سبتمبر فيتراوح متوسط الأمطار فيه بين ٢٠٣٢ و ٢٥٤٠ مليمتر .

وتتراوح درجة الحرارة اليومية على كافة أنحاء ماليزيا بين ٢١ و ٣٢ درجة مئوية ، بينما تسجل درجات الحرارة فى المناطق المرتفعة ٢٦° و ٢° درجة مئوية ، وتمثل الرطوبة النسبية درجة عالية تصل إلى ٨٠ درجة فى المائة وتمتاز هذه المنطقة بالمناخ الذى يسمح بنمو الزراعات دون توقف، ولذلك تغطى ماليزيا الغابات الاستوائية والتى تنمو عن طريق مياه الأمطار الغزيرة .

وتتكون دولة ماليزيا الحالية من اتحاد فيدرالى يضم ثلاث عشرة ولاية هى :

١- ولاية جوهور دار التعظيم ومساحتها ١٨٩٨٦ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٢١٠٦٧٠٠ نسمة وعاصمتها جوهور بحرو . وتتصل هذه الولاية بسنغافورة عن طريق معبر .

٢- ولاية قدح دار الأمان ومساحتها ٩٤٢٦ كيلو متر مربع وعدد سكانها ١٤١٢٠٠٠ نسمة وعاصمتها الورستار .

٣- ولاية كلنتان دار النعيم ومساحتها ١٤٩٤٣ كيلو متر مربع ، وعدد سكانها ١٢٢١٧٠٠ نسمة وعاصمتها كوتا بحرو .

٤- ولاية ملقا ومساحتها ١٦٥٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٥٨٣٤٠٠ نسمة وعاصمتها ملقا .

٥- ولاية نجرى سمبلاى دار الخصوص ، ومساحتها ٦٦٤٣ كيلو متر مربع ، وعدد سكانها ٧٢٣٩٠٠ نسمة وعاصمتها سرمبان .

٦- ولاية باهنج دار المقمور ومساحتها ١٠٣١ كيلو متر مربع وعدد السكان ١١٤١٥٠٠ نسمة ، والعاصمة كوانتان .

٧- ولاية بلو بينانج ومساحتها ١٠٣١ كيلو متر مربع وعدد السكان ١١٤١٥٠٠ نسمة والعاصمة چورج تاون ، وعادة ما تسمى لؤلؤة الشرق .

٨- ولاية بيراك دار الرضوان ومساحتها ٢١٠٠٥ كيلو متر مربع وعدد السكان ٢٢٢٢٤٠٠ نسمة والعاصمة إيبوه .

٩- ولاية بيرلس أندرا كانيجان ، مساحتها ٧٩٥ كيلو متر مربع وعدد سكانها ١٨٧٦٠٠ نسمة والعاصمة كانجار .

١٠- ولاية صباح ومساحتها ٧٣٦٢٠ كيلو متر مربع وعدد السكان حوالى مليون ونصف المليون نسمة والعاصمة مدينة كوتاكينا بالو .

١١- ولاية سرواك ومساحتها ١٢٤٤٤٩ كيلو متر مربع وعدد السكان ١٦٧٠٣٠٠ نسمة والعاصمة مدينة كوتشينج .

١٢- ولاية سنجور دار الإحسان ، ومساحتها ٧٩٥٦ كيلو متر مربع ، وعدد السكان حوالى اثنين مليون نسمة والعاصمة مدينة شاه علم .

١٣- ولاية ترلجانو دار الإيمان ومساحتها ١٢٩٥٥ كيلو متر مربع وعدد السكان ٧٥٢٠٠٠نسمة والعاصمة كوالاترلجانو .

وإلى جانب الثلاث عشرة ولاية توجد أراضى فيدرالية تتكون من : -

أ- كوالا لامبور : وهى عاصمة ماليزيا ، وقد اكتسبت صفة المدينة فى أول فبراير ١٩٧٢، وأضفى عليها اسم الأراضى الفيدرالية فى أول فبراير ١٩٧٤ ومساحتها ٢٤٣ كيلو متر مربع وعدد السكان حوالى مليون ونصف نسمة .

ب- لابوان ومساحتها ٩١ كيلو متر مربع وعدد السكان ٣٥٠٠٠ نسمة وقد أنشئت الأراضى الفيدرالية لمنطقة لابوان فى ١٦ فبراير ١٩٨٤م .

التطور التاريخى لماليزيا

الإسلام فى ماليزيا :

بدأت صورة تاريخ ماليزيا فى الوضوح منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادى. وكان عهد امبراطورية ملقا هى الحقبة التى شهدت العصر الذهبى للقوة السياسية لشعب الملايو ، وإلى حد بعيد تطابق ذلك مع عهد بداية انتشار الإسلام فى جنوب شرق آسيا ، وكانت ملقا ذاتها أول ولاية تعتنق الدين الإسلامى .

وقد كان للإسلام نفوذ قوى على شبه الجزيرة ، وبدون شك كان أعظم مؤثر خارجى ساعد على تكوين المبادئ الأساسية للمجتمع الملاوى، وفى ذلك الوقت كانت امبراطورية بروناى تهيمن على المناطق الساحلية فى جزيرة بورنيو .

وكان التجار العرب أول من نقل الإسلام إلى ماليزيا ، كما انتقل الإسلام مع المهاجرين المسلمين الذين استوطنوا البلاد، وقد اتسع انتشار الإسلام فى ماليزيا فى القرن التاسع الهجرى الموافق للقرن السادس عشر الميلادى.

وتذكر بعض المصادر أن الإسلام دخل إلى أرخبيل الملايو من منبعه الأول فى القرن الأول تقريبا عام ٥٢ هجرية فى عهد معاوية بن أبى سفيان . وإقامت عدة ممالك فى جزر الأرخبيل التى مازالت تعيش شعوبها حتى اليوم معتزة بالإسلام رغم جحافل الاستعمار المتعددة منذ القرن السادس عشر الميلادى [١]. ولم يأت القرن الخامس عشر حتى كانت التجارة فى المحيط الهندى وفى بلاد الصين كلها فى يد العرب قبل أن تظهر قوة الاستعمار البرتغالى، وكان الطريق الطبيعى لهذه التجارة هو مياه بحر الملايو التى يلتقى بين جزرها مياه بحر الصين وبحر الهند [٢].

ورغم اختلاف الجنسيات التى دخلت الإسلام فى هذا الأرخبيل فقد كانت تجمعها كلها كلمة واحدة هى الجامعة الإسلامية ، فلقد ألف الإسلام بين العرب والفرس والملاويين وأهل جزر الهند الشرقية . وقد عاشت هذه الجماعات الإسلامية بحريتها فى ظل ممالك غير إسلامية ، حيث كان من السهل على المسلمين أن يتصلوا بالصين ، وعلى يد هذه الجماعات اعتنق كثيرون من أهل البلاد الإسلام .

الاستعمار البرتغالى والهولندى :

كان وقوع ملقا تحت سيطرة البرتغاليين فى عام ١٥١١م مؤشرا قويا لبدء الغزو الأوروبى لملقا . ذلك أن العرب المسلمين كانوا يسيطرون على البحار الهندية كتجار يتاجرون بمنتهى الحرية بجميع الموانى الهندية وينطلقون بسفنهم إلى المحيط الهادى ، بل يبلغون ساحل الصين . إلا أنه عند مجئ البرتغاليين سلكو مع المسلمين مسلكا عدائيا سواء فى الهند أو فى جزر الهند الشرقية أو فى أرخبيل الملايو حيث يسيطر المسلمون على ملقا وسنغافورة [٣].

١- د. رؤوف شلبى : الإسلام فى أرخبيل الملايو ، ومنهج الدعوة إليه . الكويت ١٩٨٣ ، ص٨٢ .

٢- نفس المرجع ، ص٨٩ .

٣- بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ص٣٠ ، ٣٣ .

وبعد أن نجح ألفونسو البوكيرك القائد البرتغالى فى إحكام سيطرته على ساحل الهند الغربى بعد معركة ديو البحرية التى هزم فيها أسطول سلاطين المماليك أمام القوات البرتغالية عام ١٥٠٩م بسبب خيانة بعض حكام الإمارات الهندية ، التفت إلى منطقة الملايو والمحيط الهادى، ولم يكن فى استطاعته السيطرة التامة على تجارة هذه المناطق مالم تتوطد هيمنته على مضيق ملقا ، خاصة أن مدينة ملقا كانت آنذاك ميناء دوليا عظيما وقد جعلها موقعها الطبيعى مفتاحا للمحيط الهادى ، ومن ثم عزم عام ١٥١١م على الاستيلاء على مملكة ملقا، وقد نجح فى ذلك بعد مقاومة شديدة من حاكمها المدعوم بالمسلمين بسبب موقف الصينيين والهنود والبورميين الذين يشتركون مع البرتغاليين فى كراهية المسلمين [١]. مع العلم بأن قائد الجيش الملاوى «تون حسن» كان قد نجح عام ١٥١٠ م فى صد الغزو البرتغالى الأول وأسر البرتغاليين الذين احتموا فى القلاع التى أقاموها من البداية للتجارة ولم ينج من الأسر والقتل إلا قليلا من البرتغاليين الذين تمكنوا من الهرب واتجهوا إلى سومطرة بجزر الهند الشرقية [٢].

ويمكن تحديد بداية السيطرة الهولندية على منطقة الملايو إلى عام ١٦٣٣م عندما تم تعيين «أنطونى ڤان ديمن» حاكما عاما على أملاك هولندا فى الهند الشرقية . وفى عام ١٦٤١م انتزع من البرتغاليين ملقا بمعاونة كبيرة من أهالى الملايو المسلمين ، ومن ثم جاء سقوط الإمبراطورية التجارية البرتغالية انهيارا سريعا. ومالبثت «كوتشين» مؤسستهم الأولى أن وقعت فى يد الهولنديين عام ١٦٦٠م ، ثم سقطت فى يدهم المحطات التجارية الصغيرة الأخرى الواحدة تلو الأخرى بحيث شملت جزر الهند الشرقية وجزيرة الملايو ، واتخذ الهولنديون جزر المحيط الهادى أساسًا رئيسيا لنشاطهم ، وبذلك استمرت سيطرة هولندا فى هذه المناطق حتى ظهر النشاط الاستعمارى البريطانى لينافس الوجود الهولندى .

وأخذت ممالك أرخبيل الملايو مع جزر الهند الشرقية منذ القرن السابع عشر تخضع تحت السيطرة الهولندية والبريطانية زهاء ثلاثة قرون ونصف كان حصادها :

١- إنهاك القوى الإسلامة وشل حركة الدعوة الإسلامية .

٢- اغتصاب كل إنتاج البلاد وتصديره إلى هولندا وترك البلاد قاحلة فقيرة .

١- نفس المرجع ص٤٦ ، ٤٩ .

٢- د. رؤوف شلبى : المرجع السابق ، ص١٢٤ .

٣- تمزيق الوحدة الإسلامية، وتضييع الثقافة الإسلامية .

٤- بعث الفكر الأوروبى الاستعمارى .

٥- نشر المسيحية بأساليب التبشير كالتى استخدمتها مناهج الدعوة الإسلامية فى العمل فى هذه البلاد سالفا .

٦- اختفاء الدعاة وقطع الصلة بين المشرق الإسلامى وجزر الأرخبيل .

٧- استخدام خيرات البلاد فى التقدم بأوروبا وزج جزر الأرخبيل فى الحروب وبخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية [١].

الاستعمار البريطانى :

بدأ الاستعمار البريطانى للملايو عن طريق شركة الهند الشرقية البريطانية التى نشطت منذ عام ١٦٠١م أولا عن طريق الاتجار مع تلك البلاد فى الفلفل وبقية أنواع التوابل ، وكان أول مركز للشرق فى البلاد الهندية مدينة «سورات» عام ١٦١٢م، ثم وقوع مدينة بومباى فى يد الشركة عام ١٦٦٥م .

وقد اتسعت اهتمامات شركة الهند الشرقية البريطانية التجارية بجزر أرخبيل الملايو ، حيث حصلت الشركة على ولاية «بلوبينانج» من سلطان «قدح» عام ١٧٨٦ ، كما استولت الحكومة البريطانية عام ١٨١٩م على سنغافورة من سلطان جوهور ، واستولت على ملقا من الهولنديين عام ١٨٢٤ م بعد أن تنازلوا عنها فى مقابل أن يحصلوا على «بنكولين» فى جزيرة سومطرة . وبعد مضى عامين ١٨٢٦م أصبحت كل من «بلوبينانج» وملقا وسنغافورة تعرف باسم مستعمرات المضيق .

وخضعت ماليزيا لإدارة بريطانية سمحت لاستثمارات ضخمة قامت بها طبقة التجار الأثرياء فى مستعمرات المضيق ، وكانت هذه الاستثمارات تتم بطريقة غير مباشرة والتى كانت فى شكل قروض تدفع مقدما إلى الطبقة الحكومية الملاوية ، تلك الطبقة التى كانت محتكرة للأنشطة الاقتصادية فى ولايات الملايو.

١- نفس المرجع ، ص١٧٤ ، ١٧٥ .

وفى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى بدأ الغزو الاقتصادى فى شبه الجزيرة الملاوية ، وقد تدفقت رؤوس الأموال عقب توالى أعداد كبيرة من العمال الصينيين الذين كانوا يعملون فى مناجم القصدير . وفى عام ١٨٦٧م انتقلت إدارة المستعمرات من مكتبها بالهند إلى مكتبها بمستعمرات المضيق .

وكانت معاهدة «بنكور» عام ١٨٧٤م تمثل بداية التغيير الجذرى السياسى والإدارى فى ولايات الملايو واطلع البريطانيون على المهام والواجبات التى كانت يوما ما مقصورة على الأمراء والأرستقراطيين، وظل هذا التغيير مستمرا لسنوات طويلة .

وقد استحدث البريطانيون فى إدارتهم للبلاد الملاوية ، نظاما جديدا وهو تعيين ما عرف باسم المندوب المقيم الذى يقوم بتقديم المشورة والنصح للسلاطين فى جميع الشئون فيما عدا ما يتعلق بأمور الدين الإسلامى والعادات والتقاليد المحلية لشعب الملايو .

وفى عام ١٨٩٥م قام اتحاد يضم ولاية سلانجور ونجرى سمبلان وباهانج وأطلق عليه اسم : الاتحاد الفيدرالى لولايات الملايو » وفى عام ١٩٠٩م تنازلت سيام لبريطانيا عن سلطاتها على ولايات : قدح ، بيرليس ، كلنتان وترنجانو ، وتم تعيين مستشارا بريطانيا لكل من هذه الولايات الأربع ، ثم لحقت جوهور بهذه الولايات فى عام ١٩١٤ لتشكل ما سمى باسم : الولايات الملاوية غير المتحدة، وهذه الولايات الخمس لم يتم ضمها إلى الاتحاد السابق خوفا من زوال سلطاتها وانتقالها إلى بريطانيا .

وفى ظل الإدارة البريطانية للملايو سمحت السلطات البريطانية بهجرة كبيرة من مواطنى شبه القارة الهندية منذ عام ١٩١٠م للعمل بصناعة المطاط فى الملايو .

وبالنسبة لجزيرة بورنيو فقد قام مغامر بريطانى يدعى «چيمس بروك» منذ عام ١٨٤٠م بزيارة إلى مدينة كوتشينج وكانت حينئذ جزءا من «بروناى» وأثناء إقامته هناك ساعد على قمع التمرد القائم ضد نائب سلطان بروناى ، وقد عينه السلطان مكافأة له عام ١٨٤١م فى منصب الحاكم «راجا» ، ثم اتسعت الأراضى التابعة له حتى شملت كل أراضى ولاية بروناى بحدودها الحالية.

وقد استطاعت إدارة أعمال المصالح البريطانية فى عام ١٨٧٧م و ١٨٧٨م، الحصول على حق تنازل الممتلكات فى شمال بورنيو من سلطان بورنيو ، كما حصلوا على تنازل سلطان سولو

على شرق بورنيو ، وحينما تأسست الشركة البريطانية لشمال بورنيو عام ١٨٨٢م استولت على ماتبقى من الممتلكات ، وفى عام ١٨٨٨م أصبحت كل من سرواك وبروناى، وشمال بورنيو- وهى الآن صباح- تحت الحماية البريطانية .

وقد تعرضت ماليزيا أثناء الحرب العالمية الثانية للاحتلال اليابانى خلال عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢م ، وحتى استسلمت اليابان لقوات الحلفاء فى شهر سبتمبر ١٩٤٥م عندما عادت الإدارة البريطانية لحكم الملايو مرة أخرى. فى الوقت الذى كانت فيه الحركة الوطنية لشعب ماليزيا تنظم صفوفها من خلال منظمات مختلفة ، وخلال الاحتلال اليابانى عمقت هذه المنظمات جذورها ووحدت صفوفها ، وفى عام ١٩٤٦م تكونت المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو «أمنو» وذلك فى سبيل تحديد وتوحيد مطالب المناضلين الوطنيين من أجل تحقيق الاستقلال القومى .

وعندما قام الحكم العسكرى البريطانى لماليزيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة انقسمت مستعمرات المضيق وأصبحت سنغافورة مستعمرة بريطانية ، وأنشأت بريطانيا اتحاد الملايو فى شهر أبريل عام ١٩٤٦م الذى ضم كلا من ملقا وبينانج والولايات التسع ، إلا أن هذا الاتحاد واجه معارضة شديدة من قبل الوطنيين حتى تلاشى فى النهاية عام ١٩٤٨م، ثم ظهر عدم الرضا نتيجة تحويل السلطة من حكام الملايو إلى التاج البريطانى. وعقدت اتفاقية اتحاد الملايو عام ١٩٤٨م، والتى بموجبها تم تعيين مندوب سامى بريطانى ومجلسا استشاريا ، مع تحويل جزء كبير من السلطات إلى حكومات الولايات والمستوطنات .

وبالنسبة لسرواك وبورنيو بعد انتهاء معارك الحرب العالمية الثانية فقد تمت إعادة تنظيم حكومة البلاد عام ١٩٤٦م ، وأصبح شمال بورنيو ولابوان مستعمرة بريطانية تدار بواسطة حاكم بمساعدة مجلس استشارى تم إلغاؤه عام ١٩٥٠م بموجب دستور جديد واستبدل بمجلس تشريعى وتنفيذى . ثم أصبحت سرواك منذ عام ١٩٤٦م تحت الاحتلال البريطانى وذلك حينما قام آخر حاكم فيها بتسليمها إلى التاج البريطانى، وأصبحت المستعمرة تحكم بواسطة حاكم وبمساعدة المجلس التنفيذى وسمى «المجلس الأعلى للولاية» والمجلس التشريعى وهو مجلس الولاية .

ومنذ عام ١٩٤٨م شنت العصابات الإرهابية الشيوعية حملات عنف وإبادة وذلك لشل حركة الانتعاش الاقتصادى التى كانت قد بدأت فى الظهور فى البلاد، مما استدعى إعلان حالة الطوارئ فى البلاد التى استمرت لمدة ١٢ سنة عاشت فيها ماليزيا فى ظل صراع عنيف استمر حتى انتهت هذه الأحوال عام ١٩٦٠م .

الاستقلال :

صدر عام ١٩٥٥م قانون جديد لماليزيا تحولت بمقتضاه المسئولية إلى ممثلى الشعب، ولأول مرة حصل المجلس التشريعى الفيدرالى على أغلبية أصوات الناخبين ، وفى نفس العام أجريت أول انتخابات عامة حيث اكتسح حزب التحالف بالحصول على ٥١ مقعدا من ٥٢ مقعد ، وحزب التحالف هو اتحاد بين المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو «أمنو» واتحاد الملايوى الصينى ، والمجلس الهندى الملايوى. وقد أدى النجاح الساحق فى الانتخابات إلى البدء فورا فى قيادة المسيرة والنضال من أجل تحقيق الاستقلال .

وبالنسبة للتقدم الدستورى فى شمال بورنيو وسرواك ، فقد ازدادت العضوية غير الرسمية فى المجلس التشريعى والمجلس التنفيذى عام ١٩٦٠م حتى أصبحت تشكل أغلبية . وقد شهد عام ١٩٦٣ - شهر أبريل- انتخابات السلطات المحلية ، وفى أغسطس من نفس العام شكلت شمال بورنيو حكومة برئاسة رئيس الوزراء ، كما تكونت السلطة التشريعية بأغلبية مطلقة ، وكان ذلك قبل أن تصبح عضوا فى اتحاد ماليزيا .

وفى شهر أغسطس عام ١٩٥٦م وضعت سرواك دستورا جديدا تم بموجبه انتخاب أعضاء المجلس التشريعى بالأغلبية ، ومنذ عام ١٩٥٩م أصبح النظام السياسى قائما على أساس اختيار أعضاء مجلس الولاية من داخل الأقسام والمجالس الاستشارية . وقد كانت هذه الانتخابات الدافع القوى للشعب لأن يطالب بالحكم الذاتى .

وفى مارس ١٩٦٣ م قام مجلس الولاية بإجراء تعديل على الدستور حتى يتحقق الحكم الذاتى الشامل ، وفى منتصف شهر أغسطس من نفس العام أجريت الانتخابات على أساس التعديل الجديد حيث أنتجت نجاح حزب التحالف المؤيد لإقامة دولة ماليزيا ، وكان نجاحه بأغلبية ساحقة .

وقد تشكلت منذ يناير ١٩٦٢م لجنة إنجليزية ملايوية لتأييد وتعميق رغبة شعب شمال بورنيو وسرواك لإقامة دولة ماليزيا ، وهى الرغبة التى كان يشجع عليها ويتبناها رئيس وزراء الملايو آنذاك السيد «تنكو عبد الرحمن» وقد أسفرت عمل اللجنة عن نتائج تؤكد أن غالبية الشعب تؤيد إقامة دولة ماليزيا ، ومن ثم تشكلت لجنة حكومية منبثقة عن اللجنة العليا تتكون من الملايو وبريطانيا وشمال بورنيو وسرواك وذلك للعمل على وضع التفاصيل والتى كان من بينها تحقيق الاهتمامات والرغبات الخاصة ، لولايات بورنيو . وما أن حل شهر سبتمبر ١٩٦٢م حتى وافقت السلطات التشريعية لشمال بورنيو وسرواك على الاتحاد الجديد

ومما يلاحظ أنه كانت هناك معارضة من بورنيو آثارها سلطات كل من الفلبين وإندونيسيا لقيام دولة ماليزيا ، وعندما عقد اجتماع ثلاثي ضم ممثلين عن كل من الملايو والفلبين وإندونيسيا ، انحصرت المعارضة في الإدعاء بعدم رغبة شعب بورنيو للإنضمام للاتحاد ، وفي شهر سبتمبر - كما أشرنا- عام ١٩٦٢ جاء تقرير السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة مؤكدا موافقة شعب بورنيو على الانضمام لاتحاد ماليزيا .

وهكذا أعلن قيام دولة ماليزيا في ١٦ سبتمبر عام ١٩٦٣م ، وكانت على شكل اتحاد مكون من ولايات الملايو وصباح وسرواك وسنغافورة . وإن كانت الأخيرة- سنغافورة - انفصلت عن الاتحاد في ٩ أغسطس عام ١٩٦٥م . وقد عارضت الفلبين قيام هذه الدولة وقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها حتى عادت إلى طبيعتها في ٣ يونيو عام ١٩٦٦م . كما عارضت إندونيسيا قيام دولة ماليزيا واتخذت معارضتها شكل المواجهة ، ولكن هذه المعارضة خفت حدتها منذ بداية عام ١٩٦٦م حيث أن زعماء إندونيسيا كانوا منشغلين بتشكيل حكومة جديدة لهم ، وفي شهر يونيو ١٩٦٦ عقدت معاهدة سلام بين إندونيسيا وماليزيا انتهت بموجبها المواجهة بين الطرفين ، وقدأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين إندونيسيا وماليزيا في ٣١ أغسطس عام ١٩٦٧م .

وبعد إعلان قيام دولة ماليزيا انضمت إلى «اتحاد دول جنوب شرق آسيا « «اسيان» منذ شاركت في شهر أغسطس عام ١٩٦٧م في مدينة «بانكلول» في اجتماع دول إندونيسيا والفلبين وسنغافورة وتايلاند إلى جانب ماليزيا حيث أعلن تشكيل الاتحاد الذي يهدف إلى تنمية وتأكيد أوجه التعاون بين هذه الدول من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي فيها. وفي شهر يناير ١٩٨٤م انضمت سلطنة بروناي دار السلام رسميا إلى مجموعة الآسيان.

وبالنسبة للأحوال الداخلية بدولة ماليزيا ، فقد أجريت الانتخابات العامة ست مرات وذلك منذ إعلان الاستقلال في عام ١٩٥٧م . وقد ظل حزب التحالف محافظا على تفوقه وسيطرته على مقاليد الأمور على المستوى الفيدرالي منذ انتخابات عام ١٩٦٩م . كما أنه ظل محافظا على نجاحه الدائم كحزب حاكم منذ عام ١٩٩٥ م .

وقد تلى انتخابات عام ١٩٦٩م بعض أحداث العنف والاضطرابات العنصرية الداخلية ، وقد عرفت باسم حوادث مايو وهي ما اضطرت الحكومة إلى فرض إعلان حالة الطوارئ وتشكيل مجلس وطني للعمليات للسيطرة على الأحداث وإدارة البلاد وفي عام ١٩٧٠م أصبح

السيد «تون عبد الرازق بن الحاج حسين» ثانى رئيس وزراء لماليزيا ، وذلك عندما تنازل له عن الرئاسة «تنكو عبد الرحمن بوترا الحاج» رئيس وزراء ماليزيا السابق.

وفى عام ١٩٧١م أعيد انعقاد البرلمان الماليزى وقدمت بعض التعديلات الدستورية تقضى بمنع المناقشات العامة لبعض المسائل التى قد تحدث وتثير عوامل العنصرية فى البلاد . وفى نفس الوقت اتخذت بعض الإجراءات لضمان قدرة الشعب الأصلى على الاشتراك فى الحياة الاقتصادية للبلاد .

وقد نجح حزب التحالف وبمبادرة منه فى تكوين الجبهة الوطنية والتى كان من بينها كثير من الأحزاب السياسية المعارضة . وفى ٢٤ أغسطس عام ١٩٧٤م أجريت الانتخابات العامة فى ماليزيا للمرة الرابعة والتى خرجت منها الجبهة الوطنية بنجاح ساحق حيث فازت بـ ١٣٥ مقعدا من ١٥٤ مقعد فى البرلمان .

وفى ١٥ يناير عام ١٩٧٦م توفى السيد «تون عبد الرازق» ثانى رئيس وزراء وخلفه تون حسين عون كثالث رئيس وزراء ماليزيا. كما أجريت الانتخابات العامة للمرة الخامسة عام ١٩٧٨م . وفى ١٦ يوليو عام ١٩٨١م وبعد أن بلغ «تون حسين عون» سن المعاش أصبح «داتوسرى» دكتور محضير محمد» رئيسا لوزراء ماليزيا كرابع رئيس وزراء .

وقد أجريت انتخابات جديدة فى ماليزيا فى شهر أبريل عام ١٩٨٢م فاز فيها حزب الجبهة الوطنية الحاكم بأغلبية ساحقة ، ثم أجريت انتخابات أخرى عام ١٩٨٦م حقق فيها أيضا حزب الجبهة الوطنية الحاكم نفس النجاح بأغلبية الثلثين . ثم عقدت الانتخابات العامة للمرة الثامنة فى أكتوبر عام ١٩٩٠م وفاز فيها الحزب الحاكم «حزب الجبهة الوطنية بـ ١٢٨ مقعدا من ١٨٠ مقعد .

وسكان وشعب ماليزيا يبلغ عددهم بناء على إحصاء عام ١٩٩٣م ١٩,١ مليون نسمة ، وتتميز بتعداد أجناسها الذين يؤلفون فى النهاية اتحادا شعبيا يوحد ما بين الملايويين والأجناس الأصلية الأخرى التى هى الطوائف الآتية : الدياق البحرى «إيبان» الدياق الأرضى «بيدايوه» الكادازان، كينياه، ميلانوز ، موروتس المعروف باسم بومى بوترا ، كما يوجد أيضا الصينيون (نسبتهم ٣٣,٩ ٪ من عدد السكان) والهندوس (ونسبتهم ١٠,٢ ٪ من عدد السكان) ، والأوراسيان ، وغيرهم كثيرون يعيشون ويعملون فى وحدة وتآلف وإخاء .

واللغة القديمة والرسمية للبلاد هي «بهاسا ملايو Bahasa Melayu » ولكن في دولة متعددة الجنسيات مثل ماليزيا تتواجد لغات أسيوية كثيرة كما تتعدد اللهجات ، وتعم الإنجليزية جميع المعاملات التجارية والصناعية .

وينص الدستور في ماليزيا على أن الدين الرسمي للبلاد هو الدين الإسلامي وهو يكفل حرية العبادة لمعتنقي الديانات الأخرى، وجميع المؤسسات الدينية في ماليزيا لها الحق في امتلاك وإدارة منظماتها الخاصة بها .

وشعب ماليزيا المتعدد الجنسيات يمارس عباداته ودياناته الخاصة به تبعا لما درج عليه وتوارثه من الأجناس الأصلية في البلاد. وجميع الملايويون وبعض من الهنود والصينييون يعتنقون الدين الإسلامي، ومعظم الصينيين بوذيون أو تاويون في حين معظم الهنود هندوس مع وجود أقلية من السيخ وهناك بعض الصينيين والهنود والأوراسيان وأبناء البلاد الأصليين في سرواك وصباح يعتنقون الدين المسيحي .

وملك ماليزيا جلالة الملك «اليانج دى بريتوان أجونج» يمثل أعلى سلطة في دولة ماليزيا فهو ملك يتم انتخابه عن طريق الوزراء ، ويقوم بتعيين قضاة المحكمة الفيدرالية أو المحاكم العليا التي تقوم بسن القوانين . ويشتمل البرلمان في ماليزيا على اليانج دى بريتوان أجونج ومجلسين : ديوان راكيات (مجلس النواب) ، وديوان نيجارا (مجلس الشيوخ) . يتكون مجلس النواب من ١٨٠عضوا ، ويتكون مجلس الشيوخ من ٦٥ عضوا .

سنغافـــورة

وحيث كانت سنغافورة جزءاً من اتحاد ماليزيا بعد الاستقلال ، كان لابد من الإشارة إليها ، إذ أنها تقع عند الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الملايو ، ويفصلها عن شبه جزيرة الملايو مضيق جوهور الذي لايعتبر فاصلا كبيرا لأن المواصلات البرية والحديدية تربط بين سنغافورة والملايو عنده وتشرف سنغافورة على مضيق ملقا الواقع بين الملايو وسومطرة ، ومن ثم أصبحت أهم الموانئ التجارية في جنوب شرقي آسيا لوقوعها على خطوط الملاحة بين حوض البحر المتوسط وغربي أوروبا من جهة وبين الشرق الأقصى من جهة أخرى .

وتتألف جمهورية سنغافوة من جزيرة سنغافورة وبعض الجزر الصغيرة الواقعة في المضايق البحرية المجاورة لها وتبلغ مساحتها ٦٢٠ كيلو مترا مربعا . وعدد سكانها حوالي ٣ ملايين

نسمة ، وأرضها منخفضة السطح بوجه عام . إلا أن بعض التلال تنتشر فى الشمال الغربى وفى الجنوب الشرقى ، مع انتشار الغابات على التلال ، ومناخها استوائى رطب . وأمطارها وفيرة وتسقط بكميات كبيرة فى شهر ديسمبر حيث يكثر الحاصلات الاستوائية مثل المطاط وجوز الهند مما ساعد على قيام صناعات تمويلية باستخدام رؤوس أموال يابانية وبريطانية وأمريكية ومن هونج كونج وعاصمة جمهورية سنغافورة هى مدينة سنغافورة التى تقع وسط الساحل الجنوبى وتضم معظم سكان الجزيرة ، وهى مدينة صناعية وتجارية مهمة ، والسكان خليط من عدة عناصر بشرية ٧٥٪ من أصل صينى ، ١٤٪ من أصل ماليزى ، و٩٪ من الهنود والباكستانين والإندونيسيين، وتعتبر اللغة الإنجليزية اللغة الأساسية رغم تعدد اللغات حسب عناصر السكان .

والمعتقدات الدينية تتمثل فى البوذية والكنفوشية والطوطمية والمسيحية ويعتنق الإسلام ١٥٪ من مجموع السكان بعضهم من أصول عربية والباقى من الماليزيين والهنود التاميل والباكستانين والإندونيسيين، ويتعرضون لعدم المساواة فى المعاملة فى الوظائف العليا بالدولة. ويوجد ٦ أعضاء مسلمين فى البرلمان كما يوجد حزبان للمسلمين ، غير أن الدولة تعاملهم على أساس التفرقة العنصرية ، وكثيرا ما يتعرضون لحملات تفتيشية واعتقالات . وإن كان يسمح للجمعيات الإسلامية فى سنغافورة بالعمل لخدمة المسلمين ، ولهذه الجمعيات صلات بمثيلاتها فى ماليزيا وإندونيسيا وبرونى والفلبين .

الباب الثالث

أقطار شمال آسيا

- مقدمة .

الفصل الأول : روسيا

الفصل الثاني : أقطار القوقاز

الفصل الأول

روسيا

مقدمة - إمارة موسكو- روسيا القيصرية- الثورة الروسية الكبرى- روسيا الاشتراكية بين الحربين العالميتين- السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي بالنسبة لآسيا- الاتحاد السوفيتي والحرب العالمية الثانية

مقدمة

روسيا القيصرية ثم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ثم روسيا الاتحادية ، دولة أسيوية أوروبية تقع معظم أراضيها فى قارة آسيا رغم أنها تحسب نفسها دولة أوروبية سياسيا ، وتشارك فى السياسة العالمية مع أحداث القارة الأوروبية.

إلا أن ذلك لم يمنعها من المشاركة فى الأحداث الآسيوية باعتبارها تجاور أكبر دولة آسيوية وهى الصين، كما تجاور اليابان من خلال إشرافها على بحر اليابان والمحيط الهادى ، وتجاور إيران من خلال ما أصبح يعرف الآن بجمهوريات وسط آسيا الإسلامية ، كما تجاور تركيا . ولذلك كان علينا معالجة تاريخ هذه الدولة منذ أن بدأت إمارة ثم إمبراطورية يحكمها قياصرة انتهى حكمهم بقيام الثورة البلشفية بزعامة الحزب الشيوعى الشورى ، تلك الثورة المعروفة بثورة أكتوبر / نوفمبر عام ١٩١٧م ، حيث توسعت الدولة لتشمل دولا فى أوروبا وليصبح اسمها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الذى تألف من ١٥ جمهورية ، ولكن الاتحاد ما لبث أن تفكك عام ١٩٩١م لتظهر إلى الوجود جمهورية روسيا الاتحادية القائمة الآن.

وإذا كانت الإمارة الروسية التى انطلقت من كييف ثم من موسكو فى القرن الثالث عشر قد توسعت لتصبح مملكة، فإن توسعها جاء على حساب جاراتها فى آسيا وأوروبا ، ثم توسعت المملكة لتصبح امبراطورية على حساب الأقطار الآسيوية حتى ضمت كل ما عرف ببلاد القوقاز وبلاد تركستان الغربية (وسط آسيا) وأصبحت تجاور بريطانيا المسيطرة على شبه القارة الهندية وحتى أفغانستان .

إذا كان الأمر كذلك ، فإن روسيا فى مرحلتها الثانية من تاريخها وأعنى مرحلة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية قد سعت لنشر الفكر الماركسى فى بلاد أصبحت ظهيراً قويا للاتحاد السوفيتى مثل الصين وكوريا وعن طريق الصين إلى شبه جزيرة الهند الصينية ، ولعب الاتحاد السوفيتى دوراً كبيراً في السياسة العالمية بتزعم الكتلة الشرقية فى مواجهة الكتلة الغربية التى تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان ظهور كتلتين رئيسيتين فى السياسة الدولية بعد انتهاء معارك الحرب العالمية الثانية قد أسهم فى عدة أمور هامة هى :

١- ظهور كتلة عدم الانحياز والحياد الإيجابى والتعايش السلمى التى تمثلت فى الدول التى خضعت لسنوات لطويلة للاستعمار الأوروبى وكان على رأسها الهند وهى دولة أسيوية ومصر وهى دولة أفريقية أسيوية ويوغوسلافيا وهى دولة أوروبية.

٢- الصراع مع الكتلة الغربية التى تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل السيطرة على العالم ومد النفوذ على الدول الأخرى وأعنى بها الدول التى عرفت بالدول النامية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ذلك الصراع الذى امتد من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٩١م، والذى عرف باسم الحرب الباردة بين الكتلتين الكبيرتين .

٣- وجود القطبية الثنائية على مسرح السياسة الدولية أوجد توازنا فى العلاقات الدولية ، حيث لم تنفرد قوة أو قطب أوحد بالهيمنة على العالم خلال ٤٥ سنة هى فترة الحرب الباردة ، وقد أحسها العالم الآن بعد أن تفكك الاتحاد السوفيتى وبقاء القوة الغربية قوية ومهيمنة بمفردها على العالم، وهو ماشاهدناه فيما عرف بالحرب أو العدوان ضد العراق فى مارس ٢٠٠٣م، حيث انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقرار العدوان دون أن تحفل بهيئة الأمم المتحدة أو حتى بروسيا الاتحادية وبعض حلفائها التقليديين فى أوروبا مثل فرنسا وألمانيا وبلجيكا .

لذلك كان لزاما علينا معالجة تاريخ روسيا فى مراحلها هذه وحتى المرحلة الثالثة- وأعنى مرحلة روسيا الاتحادية - القائمة بعد عام ١٩٩١م ، وسوف نركز على الدور الأسيوى لروسيا مع الاشارة إلى الدور الأوروبى والعالمى.

كما لايفوتنا أن نتناول أقطار القوقاز باعتبارها تقع في شمال آسيا وتجاور روسيا وقد تأثرت بكل مراحل التاريخ الروسى حتي تم استقلال ثلاث دول منها هى چورچيا وأرمينية وأذربيجان ، وبقيت جمهوريات ذات حكم ذاتى مثل الشيشان والأنجوش والداغستان وغيرها تتطلع إلى الاستقلال أسوة باخوتها فى القوقاز وفى وسط آسيا .

إمارة موسكو

يمكن التأريخ لقيام روسيا بتأسيس مدينة موسكو، حيث أشارت المصادر التاريخية إلى أن اسم موسكو يعنى القلعة، سجله التاريخ فى أبريل ١١٤٧م، وأن مؤسس المدينة هو «يورى دولجوروكى» عند مصب نهر «نيجلينايا» أحد فروع نهر «ياوزا» وأظهرت الحفريات الأثرية أنه وجد فى موسكو فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر حى كامل للحرفيين والنشاط التجارى ، وأن موسكو فى هذين القرنين كانت مدينة كبيرة لها كنائسها وأديرتها والقرى الغنية في ضواحيها .

وجاورت الدولة الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز حدود إمارة موسكو مما جعل للإسلام طريقه إلى الأراضى الروسية، ولكن النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى شهد هجوما على الأراضى الروسية من الشرق من جانب المغول والتتار فى أعداد لاحصر لها، كما هجم عليها من الغرب الفرسان الصليبيون الألمان، وجاء الغزو المغولى بعد أن توحد المغول والتتر عام ١٢٠٦م تحت إمرة القائد العسكرى «تيموتشين» الذى تلقب بلقب «جنكيز خان» ومن ثم بدأت عمليات الغزو المغولى لسيبريا وشمال غرب الصين وأقطار وسط آسيا الإسلامية وأقطار القوقاز (أذربيجان وأرمينية وجورجيا) .

استمرت عمليات الغزو المغولى والتترى باتجاه الغرب حيث ألحقوا بالروس هزيمة كبيرة عام ١٢٢٣م على نهر «كالكا» عند بحر آزوف ، وضموا سهوب مناطق بحر قزوين ، واقتحموا أراضى بلغاريا والفولجا بجيش كبير قاده «باتو» أحد أحفاد جنكيز خان وذلك عام ١٢٣٦م، وفى العام التالى - ١٢٣٧م - استولى المغول على إمارة «ريازان» حيث دمروا المدينة الرئيسية «ريازان» وفتكوا بجميع سكانها أسوة بما فعلوه فى كل المدن والإمارات التى غزوها، ثم اتجه المغول غربا فاستولوا على مدن «كولومنا» و«فلاديمير» وأخيرا «موسكو» حيث سقطت فى أيديهم بعد ذلك «تورجوك» وأراضي «سمولبنسك» و«تشيرنيجون» .

وفى عامى ١٢٣٩-١٢٤٠م أخضع المغول جميع الأراضى الروسية التى أضعفتها منازعات الأمراء الروس، كما احتلوا مدينة «كييف» وأحرقوها وهلك من سكانها خلق كثير، ثم توقف الزحف المغولي أمام مقاومة جيوش المجر والتشيك. وبعد موت جنكيز خان انقسمت امبراطوريته إلى عدة دول ، فوقعت الأراضى الروسية فى قبضة «القبيلة الذهبية» [١]، التى اتخذت من مدينة «ساراى» - الفولجا السفلى- عاصمة لها، وامتدت الأراضى التابعة لخانات

١- بيفانوف وفيدوسوف ، ترجمة خيرى الضامن وآخر: تاريخ الاتحاد السوفيتى موسكو د.ت ، ص٧٧ .

«القبيلة الذهبية» من «أرتيش» حتى الدانوب ، بما فيها بلغاريا الفولجا ومناطق الأورال والقرم وشمالى القوقاز .

انتشر الإسلام فى الأراضى الروسية ، أثناء حكم دولة «القبيلة الذهبية» وظلت سيطرة «القبيلة الذهبية» قوية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، الذى شهد توقف الزحف المغولى أمام قوة المماليك فى مصر والشام عام ١٢٦٠م، كما شهد قيام الإمارة العثمانية عام ١٢٩٩م، فى هضبة الأناضول ، وفى نفس الوقت تأخر التطور السياسى والاقتصادى للروس، حيث لم تشهد الأراضى الروسية وحدة سياسية ، كما شهدت الأراضى الروسية غزوات من الغرب وخاصة الألمان والسويديون ، فى ظل إعلان بابا روما أن الروس أعداء الصليب لتبرير سياسة الفتوحات التى سار عليها الألمان .

وفى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ارتفع شأن إمارة موسكو بين الامارات الروسية الأخرى وتعززت قوتها العسكرية والسياسية ، وصارت موسكو مركز تكاتف القوى الوطنية للشعب الروسى فى نضاله ضد أعدائه فى الشرق - المغول والتتار - وفى الغرب - الألمان- حيث ظهرت الدولة الروسية ذات الحكومة المركزية القوية، وقد أصبحت موسكو من أغنى وأكبر مدن روسيا ، حيث بلغ عدد سكانها فى منتصف القرن الرابع عشر حوالى ٤٠ ألف نسمة كما أنشئ الكرملين (قصر الحكم) عام ١٣٦٧م، الذى لعب دوراً كبيرا فى الدفاع عن روسيا ضد الأعداء الخارجيين ، وإن حرصت إمارة موسكو على عدم إثارة خانات القبيلة الذهبية .

ويعتبر الأمير «دانييل الكسندروفيتش» هو مؤسس سلالة أمراء موسكو، وازدادت إمارة موسكو قوة واتساعا فى عهد الأمير «إيفان دانيلوفيتش» الذى حكم فى الفترة من ١٣٢٥-١٣٤٠م ، الذى حصل من خان القبيلة الذهبية على براءة الإمارة الكبرى، ومنذ ذلك الحين أصبح لقب الكبير ينسب فقط إلى أمراء موسكو، ورغم محاولات الروس التخلص من سلطة خان القبيلة الذهبية بالإلتحام الحربى بين الطرفين عام ١٣٨٠م، إلا إن تبعية روسيا لخانات القبيلة الذهبية ظلت مائة عام كاملة أخرى[١].

وفى النصف الثانى من القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تكونت الدولة الروسية المركزية ذات القوميات المتعددة ، ففى هذه الفترة نفضت شعوب روسيا عن نفسها سلطة خانات المغول والتتار التى استمرت قرونا ، وتم توحيد الإمارات والأراضى الروسية حول

١- المرجع السابق، ص٨٧ .

موسكو، وازداد نظام الاقطاع فى الأراضى الزراعية توحشا، حيث صار الاقطاعيون النبلاء كثيرو العدد الذين كانوا فى خدمة الجيش أو الدولة سندا رئيسيا لسلطة الأمير، وأيدت الكنيسة الروسية أيضا سلطة الأمير الكبير .

وقد استمرت عملية توحيد الأراضى الروسية فى إطار دولة واحدة طوال القرنين الخامس عشر والسادس عشر على يد أمراء موسكو «إيڤان فاسيليفيتش الثالث ١٤٦٢-١٥٠٥» والأمير الكبير «فاسيلى إيڤانوڤيتش الثالث ١٥٠٥-١٥٣٣» كما تم نهائيا إسقاط نفوذ خانات القبيلة الذهبية عام ١٤٨٠م ، بعد سيطرة للخانات على أمراء روسيا لعدة قرون، وصار «إيڤان» الثالث يسمى نفسه فى الوثائق الرسمية باسم «قيصر عموم روسيا» ، وأخذ جهاز الإدارة المركزية والمحلية يتكون، وتشكل ما عرف باسم مجلس الدوما (البرلمان) غير أن الأمير كان يعالج أهم القضايا مع أقرب مستشاريه ونظم جيشا حديثا وأنشأ مصانع للسلاح، ووضع نظاما قضائيا .

وبعد أن فتح العثمانيون مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣م وصار اسمها «إسلام بول» ازداد دور مطران موسكو بوصفه رئيسا للكنيسة الأرثوذكسية ، وأكد زواج «إيڤان» الثالث من «صوفيا باليولوج» ابنة أخى آخر امبراطور بيزنطى دور دولة موسكو كوريثة للإمبراطورية البيزنطية ، وتكون الشعب الروسى على أساس وحدة الأراضى والاقتصاد واللغة والثقافة وانبعثت العلاقات الثقافية بين روسيا وبلدان الشرق والغرب، وصارت موسكو عاصمة الدولة الروسية السائرة فى طريق التكوين حاملة راية التقاليد الثقافية القومية الشاملة.

وبتتويج إيڤان الرابع قيصرا لروسيا عام ١٥٤٧م وحتى عام ١٥٨٤، والذى عرف باسم إيڤان الرهيب بدأت الدولة الروسية فى ترسيخ قواعد الحكم فى الداخل بوضع القوانين والأنظمة والقيام باصلاحات من أجل تركيز السلطة فى يد القيصر ، والوقوف أمام الأخطار الخارجية التى تتعرض لها الدولة الروسية من الشرق والجنوب ، إلى جانب انضمام شعوب مناطق الفولجا والأورال إلى الدولة الروسية، وخانية قازان واستراخان ، وصارت إمارة «كبارديا» وقسم من قبائل «الأديغيين أو الشركس» من محميات روسيا ، وتعززت الصلات مع «كابارديا» بزواج إيڤان الرهيب من ابنة أمير كابارديا .

وبعد ضم دويلة خان كازان إلى روسيا ، اعترف خان سيبيريا بتبعيته لروسيا ، وأثناء حكم خليفته تأزمت العلاقات مع سيبيريا بسبب إخضاع الخان «كوتشوم» الخانتين «الاوستياكيين

والمانسيين الفوغوليين» الذين كانوا يعيشون فى غرب سيبيريا وفرض عليهم الجزية، وبدأت فصائل تتار سيبيريا غاراتها على الحدود الروسية ، وصار هذا دافعا لتوجيه حملة إلى سيبيريا، انتهت مع بداية القرن السابع عشر بدخول شعوب سيبيريا الغربية ضمن الدولة الروسية وقد ساهم القوزاق[١] فى هذه الجهود، باعتبارهم جنود القيصر المخلصين .

وقد تأسست بطريركية روسيا عام ١٥٨٩ وانتخب المجمع الكنسى المطران «إيوف» وهو من أنصار «بوريس غوردونوف» قيصر روسيا (١٥٩٨-١٦٠٥م) بطريركا لروسيا ، ونتيجة لهذا الاصلاح استقلت الكنيسة الروسية عن بطريرك القسطنطينية، وساعدت تقوية الكنيسة على رفع شأن سلطة القيصر المطلقة، مما ساعد على أن يزيد الفاتيكان خطط التدخل ضد روسيا بهدف فرض الكاثوليكية على الشعوب السلافية في شرق أوروبا ومنها الشعب الروسى، خاصة بعد ظهور البروتستانتية فى غرب أوروبا .

وقد شهدت روسيا عدة انتفاضات وثورات قام بها الفلاحون ضد الاقطاعيين ، كان منها ثورة عامى ١٦٠٦-١٦٠٧م المسلحة التى شملت معظم أنحاء روسيا تقريبا، حيث حمل الفلاحون والأرقاء السلاح ردا على اشتداد سطوة الإقطاعيين ، ولكن القيصر بمساعدة الإقطاعيين نجح فى القضاء على تلك الثورات، وإن تحولت الحركة الوطنية فى السنوات التالية فى مواجهة الغزوات البولونية والسويدية حتى تم عام ١٦١٣ انتخاب «ميخائيل فيودورفتيش رومانوف من جانب مجمع الأقاليم فى موسكو قيصرا لروسيا ، وقد استمر فى الحكم من ١٦١٣ حتى ١٦٤٥م، لعب خلالها دوراً كبيراً فى إعادة تنظيم جهاز الدولة الإقطاعية وفى إتمام مواجهة الغزو الخارجي : وأثناء حكم القيصر «إلكسى ميخائيلوفتيش» من ١٦٤٥-١٦٧٦م كانت سلطة القيصر تجسد صفات الاستبداد أى النظام الملكى غير المحدود، مما أوجد تذمرا بين الناس ظهر فى صورة ثورات فى عام ١٦٤٨ فى موسكو وفى غيرها من المدن ، وثورة عام ١٦٥٠م فى «بسكوف» و«نوفجورود» وثورة أخرى فى موسكو عام ١٦٦٢م، واستمر النضال المسلح بين الثوار وقوات القيصر من ربيع عام ١٦٧٠ حتى خريف عام ١٦٧١م[٢].

١- القوزاق هم : جماعة الفلاحين وفقراء المدن الذين هربوا إلى حدود الدولة الروسية ، وفى القرن السابع عشر قامت بعض فصائل القوزاق بحراسة الحدود الجنوبية لروسيا، ومنذ القرن الثامن عشر حتي عام ١٩١٧م خدم القوزاق فى القوات المسلحة للإمبراطورية الروسية بصفتهم نوعا خاصا من الخيالة غير النظامية ، وكان للقوزاق عدة امتيازات منحتها لهم القيصرية الروسية ، وفى أوائل القرن العشرين كان عدد القوزاق يربو على أربعة ملايين شخص منهم حوالى ٤٥٠ ألف شخص يخدمون فى الجيش ، استخدمتهم القيصرية فى مكافحة الحركة الثورية.

٢- بيفانوف . فيدرسوف ، المرجع السابق، ص١٥٨ .

وفى النصف الثانى من القرن السابع عشر انضمت شعوب سيبيريا الشرقية إلى روسيا إلى جانب كييف ومعظم أراضى أوكرانيا وبيلا روسيا ، وأثناء حكم بطرس الأول الملقب بالكبير (١٦٨٢-١٧٢٥م) تم إجراء إصلاحات كبيرة فى مجالات الاقتصاد والثقافة والشئون العسكرية والإدارية للدولة ، وقد هيأ لهذه الإصلاحات كل التطور السابق للمجتمع الروسى اجتماعيا واقتصاديا، وقد اعتمد بطرس الكبير على فئة التجار والاقطاعيين فى إجراء الاصلاحات لمصلحة الفئات المسيطرة ، ولكن هذه الاصلاحات ضمنت فى نفس الوقت تعزيز الدولة القومية الروسية[1] .

لقد كانت روسيا بحاجة إلي طرق المواصلات البحرية لكى تتطور بصورة طبيعية، وكان بطرس الكبير يقول: إن روسيا بحاجة إلى البحر، إلا أن تركيا كانت تسيطر عندئذ على البحر الأسود، والسويد القوية كانت تسيطر على بحر البلطيق ، ومنذ عام ١٦٩٥م، بدأت الاصلاحات الداخلية، وتزامن ذلك مع احتلال قلعة آزوف القوية التى تقع عند مصب نهر «الدون» على البحر الأسود، والتى كانت قاعدة تركية، وذلك بمساعدة الأسطول الذى أنشأه بطرس الكبير، وقد أرسل بطرس بعثات إلى أوروبا انجلترا وهولندا والنمسا لتعلم الفنون الحربية والبحرية ، وبعودة البعثات افتتح بطرس فى موسكو مدرستين : مدرسة للمدفعية ، ومدرسة للعلوم الرياضية والبحرية ، وبدأ إنشاء مصانع الحديد فى الأورال .

وكان من إصلاحات بطرس الكبير بداية حساب السنين فى روسيا يجرى اعتبارا من ميلاد السيد المسيح كما فى بلاد أوروبا الأخرى، أما حساب أشهر السنة فمن الأول من يناير ، بعد أن كان حساب السنين يجرى سابقا من «خلق العالم»، أما السنة الجديدة فكانت تبدأ فى الأول من سبتمبر ، وقد سهل هذا الإصلاح كثيرا العلاقات مع الدول الأوروبية.

وتحقيقا لرغبة روسيا فى الوصول لبحر البلطيق ، دخلت فى حروب ضد السويد بالتحالف مع الدانمرك ، وذلك عام ١٧٠٠م، واستمرت المعارك بين فشل الجيش الروسى ثم نجاحه آخر الأمر عام ١٧٠٢م باحتلال الجيش الروسى لمدينة «نوتيبورج» فى مصب نيفا ، وسميت هذه القلعة باسم «شليسيلبورج – قلعة بطرس فيما بعد- وفى ربيع عام ١٧٠٣م أسست على نهر نيفا مدينة «سانت بطرسبورج» التى صارت عاصمة للدولة بعد ذلك بعدة أعوام، وتلى ذلك بناء أسطول البلطيق ، كما أعقب ذلك مواجهة غزو الجيش السويدى الزاحف نحو الأراضى الروسية، حيث دارت عدة معارك فى أعوام ١٧٠٦ حتى ١٧٠٩م وكانت نتيجتها هزيمة السويديين ، ونتيجة للصلح بين البلدين دخلت ضمن الدولة الروسية الأراضى التى يسكنها

١- جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم، بيروت ١٩٧٥، ص١٩٢ .

«اللاتفيون» و«الأستونيون» . ووضع ذلك روسيا في صف دول أوروبا الكبرى ، وفى عام ١٧٢١م أعلنت روسيا امبراطورية واتخذ بطرس الكبير لقب الإمبراطور ، وكانت تركيا قد أعلنت الحرب على روسيا عام ١٧١١م، نتج عنها اضطرار بطرس الكبير لعقد صلح مع تركيا والتنازل لها عن آزوف على البحر الأسود[1].

وخلال سنوات حكم بطرس الكبير قامت عدة ثورات شعبية ضد سيطرة ملاك الأراضى الزراعية وتسلط الإدارة على مقدرات الناس ، منها ثورات «استراخان» عامى ١٧٠٥-١٧٠٦م، وفى «باشكيريا» خلال الأعوام من ١٧٠٥ إلى ١٧١١م، إلى جانب ثورات مماثلة فى مناطق «الدون» ، وروافده ، ومدن نهر«الفولجا» ، ولكن هذه الثورات تم قمعها بقسوة بالغة.

وتمثلت إصلاحات بطرس الكبير الداخلية ، فى تأسيس الهيئات التى حلت محل الدوائر ، وصارت كل هيئة تدير شئون فرع معين من فروع إدارة الدولة، فكانت هيئة الشئون الخارجية تدير شئون السياسة الخارجية، والهيئة العسكرية تدير شئون الجيش البرى، وهيئة الأميرالية تدير شئون الأسطول البحرى، وهيئة العدل تدير شئون المحاكم المدنية والجنائية ، وهكذا بما يعنى بداية إنشاء ما صار بعد ذلك يعرف بالوزارات . وكان يرأس كل هيئة رئيس ونائب رئيس وعدد من المستشارين، كما كان للبوليس السرى مكان خاص فى نظام الأجهزة المركزية، وتم إلغاء البطريركية وأحيلت إدارة الكنيسة إلى الهيئة الدينية المكونة من رجال الدين الكبار الخاضعين لإرادة بطرس الكبير.

وقد أسس بطرس الكبير فى الريف وظيفة عمدة لكل قرية، وأسس فى موسكو مجلس العمد، وفى عام ١٧٢٠م تم فى بطرسبورج تأسيس المأمورية الرئيسية التى كانت تخضع لها المأموريات المحلية ورؤساؤها من العمديات والمستشارين المنتخبين من بين سكان المدن ، وانقسم جميع المواطنين إلى قسمين : المنتظمين أى التجار الأغنياء وأصحاب المهن الحرة، ثم الحرفيون والباعة ، والقسم الثانى هم الرعاع أو السفلة ، وهكذا وسع بطرس الكبير القاعدة الاجتماعية للحكم المطلق فى المدن، وأنشأ له سنداً أكثر متانة وتنظيما من بين «المواطنين المنتظمين» بتقديمه العون لفئة التجار التى كانت تنمو حينذاك.

١- المرجع السابق ، ص٢١٦ .

كما تمثلت الاصلاحات الداخلية فى تقسيم البلاد كلها إلى ثمانى محافظات ، وذلك لتقوية جهاز السلطة المحلى ولتكوين إدارة أكثر مرونة ومركزية، ثم زاد عدد المحافظات بعد ذلك ، يرأس المحافظ كل محافظة توضع فى يده جميع السلطات الادارية والعسكرية والقضائية ، ثم قسمت كل محافظة إلى أقضية ، وكل قضاء إلى أقاليم، وساعد على القيام بهذه الإصلاحات شخصية بطرس الكبير وتميزه بالإدارة الحازمة والأفق الواسع سياسيا واقتصاديا ، إلى جانب قسوته المفرطة ضد المعارضين له حتى ولو كان ابنه الأمير «ألكس» الذى حكم عليه بالاعدام عام ١٧١٨م بتهمة الخيانة العظمى[1].

وبعد وفاة بطرس الكبير (الأول) عام ١٧٢٥م نصبت على العرش زوجته «يكاترينا أليكسيفينا الأولى» لمدة عامين (١٧٢٥-١٧٢٧م) ، ثم خلفها لثلاث سنوات القيصر بطرس الثانى ابن الأمير ألكس، وحفيد بطرس الكبير (١٧٢٧-١٧٣٠م) ، وقد خلفته فى عرش روسيا الامبراطورة «أنا يوانوفنا» (١٧٣٠-١٧٤٠م) خلفتها «يليزافيتا بتروفنا» فى حكم روسيا فى الفترة من ١٧٤١ إلى ١٧٦١م ، شاركت خلالها روسيا فى حرب السنوات السبع (١٧٥٧-١٧٦٣م) حيث نجح الجيش الروسى فى إلحاق الهزائم بالجيش البروسى - الذى لايقهر كما كان يقال- حتى دخلت القوات الروسية برلين. إلا أن الإمبراطورة «يكاترينا الثانية» التى تولت العرش عام ١٧٦٢ تنازلت عما احتلته روسيا فى حرب السنوات السبع.

وأثناء حكم الإمبراطورة «يكاترينا الثانية» ١٧٦٢-١٧٩٦ ، شهدت روسيا كثيرا من ثورات الفلاحين والعمال، مثل حركة فلاحى الأديرة ، وفلاحى الملاك الزراعيين الكبار وعمال مصانع الأورال، وأوكرانيا، وقد نجحت السيطرة القوية للحكم فى عهد «يكاترينا الثانية» فى إخضاع هذه الثورات بقسوة شديدة من خلال تقسيم البلاد إلى ٥٠ محافظة وتقسيم كل محافظة إلى أقضية جميعها يحكمها حكام عسكريون [2].

وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر تعززت سمعة روسيا الدولية كواحدة ، من دول العالم الكبرى، وقد استغلت الدبلوماسية الروسية التناقضات بين الدول الأوروبية، خاصة بين بريطانيا وفرنسا لتنفيذ أهداف روسيا فى السياسة الخارجية، التى تطمح إلى امتلاك سواحل البحر الأسود وتقوية نفوذها فى البلاد الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية ، غير أن دول أوروبا

١- المرجع السابق، ص٢٢٢ .

٢- جواهر لال نهرو : المرجع السابق، ص١٩٣ .

الكبرى حالت دون ذلك فقد حاولت أن تحد من استمرار نمو قوة روسيا ودفعها للاصطدام مع أقرب جيرانها : السويد وبروسيا وبولندا ، وسارت الحكومة القيصرية المستندة إلى جيش وأسطول قويين على سياسة خارجية نشيطة لمصلحة البورجوازية الروسية النامية .

وقد دارت الحرب بين روسيا وتركيا للسيطرة على سواحل البحر الأسود، على فترات، كانت الحرب الأولى بين عامى ١٧٦٨-١٧٧٤م، والحرب الثانية بين الطرفين بين عام ١٧٨٧-١٧٩١م ، ففى الحرب الأولى التى انتهت بهزيمة الأتراك وعقد معاهدة بين تركيا وروسيا فى بلدة «كيوتشك- كانيارجى» عام ١٧٧٤م ضمت روسيا بموجبها الأراضى الواقعة بين «بوجى الجنوبى» و«الدنيبر» مع قلعة «كينبورن» وكذلك قلعتا «كيرتش» وينيكاله» عند بحر «آزوف» وفى شمال القوقاز ضمت روسيا «كاباردا» كما اعترفت تركيا باستقلال دولة خانات القرم، وبحق مرو السفن الروسية الحر عبر البوسفور والدردنيل، كما نتج عن هذه المعاهدة ضم شبه جزيرة القرم نهائيا إلى روسيا، ونشأت ظروف أكثر مناسبة للعلاقات الاقتصادية والثقافية بين روسيا وشعوب جورجيا وأرمينيا وأذربيجان .

وعندما اشتعلت الحرب الروسية التركية الثانية عام ١٧٨٧م واستمرت أربعة أعوام انتهت بهزيمة الأتراك وعقد صلح «ياسى» عام ١٧٩١م وضع مناطق البحر الأسود فى القوقاز تحت السيطرة الروسية ، مما فتح طرق التجارة البحرية بين روسيا والبلاد الأخرى ، وظهرت فى جنوب روسيا المدن الجديدة التالية: «سيباستبول» و«خيرسون» و«أوديسا» و«روستوف» على نهر الدون وأنشأت روسيا فى البحر الأسود أسطولا بحريا حربيا قويا، وعززت بذلك مواقعها فى الجنوب.

وفى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر شاركت روسيا فى الاتحاد الأوروبى المناوئ للثورة الفرنسية التى اندلعت عام ١٧٨٩م، وعندما حاولت القوات الفرنسية بقيادة الامبراطور نابليون الأول غزو الأراضى الروسية عام ١٨١٢م، اندحرت أمام قوات القوزاق الروسية وبرودة مناخ روسيا وثلوجها بحيث عادت فلول الجيش الفرنسى وعددها ١٠٠ ألف جندى من أصل ٦٠٠ ألف غزت الأراضى الروسية ، وكانت تلك بداية النهاية للامبراطور نابليون الأول[1].

وفى مارس عام ١٨٠١م كان قد ارتقى عرش روسيا «ألكسندر الأول» فى المدة من ١٨٠١ حتى ١٨٢٥م، على أثر انقلاب فى البلاط، وقد اتصف القيصر ألكسندر بالمراوغة

١- المرجع السابق، ص٢٩٢ .

والنفاق ، أصدر خلال حكمه ما عرف بقانون «الفلاحين الأحرار» عام ١٨٠٣م، كما تشكلت الوزارات بدل الهيئات القديمة التى صار الوزير فيها المدير المطلق للوزارة ، ونتيجة لحروب روسيا مع إيران وتركيا فى بداية القرن التاسع عشر ثم ضم داغستان، وشمال أذربيجان ، وجورجيا، ورسخت روسيا أقدامها فيما وراء القوقاز رسوخا قويًا ، وأقامت القيصرية فى تلك الأراضى حكم المستعمرات وأخذ الموظفون الروس المتزايدة أعدادهم والذين أرسلوا إلى بلاد القوقاز ينهبون السكان المحليين، ويعملون على «ترويس» السكان أى صبغهم بالصبغة الروسية ، ويعرقلون تطور ثقافتهم الوطنية.

وقد اتجه الزحف الروسى نحو هضاب القرغيز وصحاريها ، وتلك بلاد إسلامية تيوارد ذكرها في روايات المسلمين بل كانت فى فترات كثيرة مركزا للحضارة الإسلامية ، وكانت تركستان خلاء فسهل غزوها من جانب الروس، وانحدروا بعد ذلك للسيطرة على كل الأراضى الواقعة بين البحرين الأسود وقزوين ، ومن ثم أطلوا علي فارس (١).

وفى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، شهدت روسيا حركة تحررية تسعى لإحلال الديموقراطية فى الحكم بدل الدكتاكورية التي تمارسها القيصرية ، وقد مرت هذه الحركة بثلاث مراحل هي:

١- المرحلة الأولى من عام ١٨٢٥ إلي عام ١٨٦١م ، خاض النضال فيها ضد القيصر فريق غير كبير من أفضل ممثلى طبقة الدفوريان، عمل من أجل تحرير الشعب.

٢- المرحلة الثانية من عام ١٨٦١ إلى عام ١٨٩٥م، عرفت بالمرحلة الثورية الديموقراطية ، إذ اشتركت فى النضال أوساط أوسع من المثقفين ، فكانوا أقرب إلى الشعب، وقدموا برنامجا أوسع للتحويلات الثورية ، وإن كان هذا لم يكن بعد حركة ثورية جماهيرية .

٣- المرحلة الثالثة وتبدأ من عام ١٨٩٥م حيث قادت البروليتاريا الروسية النضال التحررى وانتهت المرحلة الثالثة فى عام ١٩١٧م بانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى.

وقد تكونت خلال مراحل الحركة الثورة الروسية جمعيات منظمة لعبت دورا كبيرا فى إثارة الجماهير وفى قيادتها وتوجيهها ، مثل «اتحاد الانقاذ» التي تحولت إلي منظمة «اتحاد الإقبال» والتى عرفت باسم «جمعية أبناء الوطن المخلصين والأمناء» والجمعية الجنوبية فى

١- د. حسين مؤنس : الشرق الإسلامى فى العصر الحديث، القاهرة ١٩٣٨، ص٤٩ .

أوكرانيا، و«الجمعية الشمالية» فى بطرسبورج. وكلها كانت تنادى بوضع دستور للبلاد يحدد اختصاصات القيصر وحكومته التى تكون مسئولة أمام برلمان يضم ممثلى الشعب الروسى.

وقد توفى القيصر ألكسندر الأول فى نوفمبر ١٨٢٥م ليخلفه القيصر نيقولاى الأول الذى استطاع قمع الحركة الثورية فى مرحلتها الأولى لتعود السياسة الرجعية للحكم القيصرى المطلق فى المدة من ١٨٢٥ حتى ١٨٥٥م، الذى خنق البلاد وجرها إلى كارثة حربية ، ومع ذلك فقد تطورت الصناعة الرأسمالية بالتحول إلى الانتاج الآلى باحلال الآلات محل العمل اليدوى، مما أدى إلى انقلاب اجتماعى يتلخص فى ظهور وتطور علاقات إنتاج جديدة وفى نشوء طبقتين جديدتين- طبقتى المجتمع الرأسمالي- البورجوازية، والبروليتاريا . كما أسهم نمو التجارة فى إثراء البورجوازية الروسية الناشئة، ساعد على ذلك نشوء الملاحة النهرية بواسطة البواخر ، إلى جانب بناء السكك الحديدية، واستخدام الآلات فى مجال الزراعة[1].

وقد شهدت سنوات القرن التاسع عشر حروبا لروسيا مع إيران وتركيا ، كما شهدت نضال شعوب جبال القوقاز من أجل استقلال بلادهم عن الحكم الروسى، إذ هب سكان جبال داغستان، والشيشان والأديغ ، فى حرب تحررية شعبية ضد الجيوش القيصرية ، حيث أبدوا أمامها مقاومة ضارية استمرت فترة طويلة أرهقت الجيوش الروسية وقد ظهر أثر ذلك واضحًا فى فشل روسيا المشين فى حرب القرم، فرغم انتصار الأسطول الروسى على الأسطو التركى فى البحر الأسود عام ١٨٥٣م ، إلا أن تدخل بريطانيا وفرنسا إلى جانب تركيا عام ١٨٥٤م قد غير موازين القوى لغير صالح روسيا . مما أضطر روسيا لعقد معاهدة الصلح فى باريس فى مارس ١٨٥٦م ، حيث فقدت روسيا بموجبها مصب الدانوب والقسم الجنوبى من بسارابيا ، وحرمت من امتلاك أسطول حربى فى البحر الأسود، وتم تصفية القلاع على البحر الأسود الذى أصبح محايدا ومفتوحا للسفن التجارية لكل بلاد العالم .

وبعد وفاة القيصر نيقولاى الأول عام ١٨٥٥م. اعتلى عرش القيصرية ابنه الأكبر «ألكسندر الثانى» الذى حكم الفترة من ١٨٥٥ إلى ١٨٨١م ، وكان القيصر الجديد رجعيا ولكنه لم يستطع فى ظل ظروف تعاظم الحركة الثورية أن يحكم بأساليب كانت متبعة فى الماضى، باستخدام العصى والتدريب العسكرى كما كان يفعل أبوه، إذ اضطر إلى التصديق على مشاريع القوانين المتعلقة بتحرير الفلاحين فى ١٩ فبراير ١٨٦١م، وإن كانت طبقت فقط

١- يبيفانوف وفيدوسوف : المرجع السابق، ص٣٠٤ .

بالنسبة للفلاحين التابعين لملاك الأراضى والعقارات ولم تشمل فلاحي الدولة والعائلة القيصرية[١].

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ضمت روسيا أراض واسعة من آسيا الوسطى تمتد من بحر قزوين حتى جبال «تيان - شان» ومن بحر آرال حتى حدود أفغانستان، وكان لاشتداد توسع القيصرية فى آسيا الوسطى سببان : أولا : تزايد حاجة الصناعة الرأسمالية النامية إلى أسواق جديدة للتصريف ، وإلي مصادر جديدة للخامات ، وثانيا: تفاقم التناقضات بين روسيا وبريطانيا في الشرق الأوسط.

وكان على حدود روسيا من الجنوب الشرقى قوميات عديدة فى آسيا الوسطى : أوزبكية ، وطاجيكية، وتركمانية ، وقره كالباكية، وقرغيزية ، وكان الأوزبك والطاجيك يعمل معظمهم بالزراعة ، بينما كان التركمان والقرغيز يعملون بالرعى، وكانت فى آسيا الوسطى فى القرن التاسع عشر قبل الغزو الروسى ثلاث دول كبيرة هى إمارة «خوكند» وامارة «بخارى» وإمارة «خيوة» . إلى جانب عدد من الإمارات الصغيرة والقبائل التى لم تكن تمثل دولا. وكان لهذه الامارات كبيرة وصغيرة علاقات اقتصادية نشطة مع روسيا، وكان قسم من قازخستان قد أصبح جزءا من الإمبراطورية الروسية منذ القرن الثامن عشر .

بدأ هجوم روسيا على دول وسط آسيا الإسلامية فى العقدين السابع والثامن للقرن التاسع عشر عندما دخلت روسيا فى مرحلة التطور الرأسمالى، ونظرا لحاجة أصحاب رءوس الأموال الروس إلى أسواق فى آسيا الوسطى لتصريف البضائع الصناعية، والمنتجات الزراعية، إلى جانب ما يتوفر فى دول وسط آسيا من خامات مثل القطن اللازم لمصانع النسيج الروسية ، هذا بالإضافة إلى أن روسيا راقبت محاولات بريطانيا من شبه القارة الهندية التوجه لدول وسط آسيا كسوق للبضائع والمنتجات التى تنتجها المصانع البريطانية .

وانطلاقا من قازاخستان ومركزها «ألما- أتا» المدينة التى تكونت حول قلعة «فيرنويه» التى بناها الروس، زحفت القوات الروسية نحو دول وسط آسيا حيث سيطرت على كل قازاخستان ، واعترف قسم كبير من قبائل القرغيز بسلطة روسيا، عام ١٨٨٤م، ومن ثم بدأ غزو القوات الروسية لكل من إمارة خوقند وبخارى حيث سقطت طقشند - مركز بخارى - عام ١٨٦٥ فى يد الجيش الروسي ، مما أدى إلى اعتراف كل من إمارتى خوقند وبخارى بتبعيتها

١- يبيفانوف وفيدوسوف : المرجع السابق، ص٣٦٧ .

لروسيا وذلك عام ١٨٦٨م . ثم اعترف أمير «خيوة» عام ١٨٧٣م ، بالتبعية لروسيا ، أعقبتها دخول القبائل التركمانية، وبذلك دخلت كل آسيا الوسطى تقريبا تحت السيطرة الروسية.

وقد نظرت روسيا إلى أقطار وسط آسيا باعتبارها مستعمرة، ومن ثم خضعت أسواقها لاحتكار الصناعات الروسية مما أدى إلى تدهور الصناعات المحلية والمنتجات الحرفية ، ومع ذلك سعت الرأسمالية الروسية إلى استثمار أموالها فى أقطار وسط آسيا باستغلال الخامات المتوفرة معدنية وزراعية، إلى جانب وفرة الأيدى العاملة الرخيصة، والأسواق الواسعة لتصريف منتجات المصانع لصالح أصحابها الروس[1].

وفى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر دخلت روسيا فى حرب ضد تركيا لمؤازرة السلاف شعوب صربيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك، وبلغاريا ثم رومانيا الثائرة ضد الحكم التركى، منذ عام ١٨٧٥م، واشتركت القوات الروسية فى العمليات العسكرية فى البلقان ضد القوات التركية- والتى كانت تؤيدها بريطانيا- فى أبريل ١٨٧٧م، تلك الحرب التى انتهت بمعاهدة «سان ستيفانو» فى مارس ١٨٧٨م نتج عنها تكوين دولة مستقلة فى بلغاريا ، واعتراف تركيا باستقلال صربيا والجبل الأسود ، وبرومانيا دولة مستقلة ، ونالت روسيا الجزء الجنوبى من «بسارابيا» ومنطقة «قرص» فى القوقاز ، ثم تعدلت بعض الشروط فى معاهدة برلين صيف ١٨٧٨م[2].

وفى نفس الفترة تولى العرش فى روسيا ألكسندر الثالث (١٨٨١-١٨٩٤م) وهو الابن الأكبر لألكسندر الثانى، وفى عهده ظهرت الحركة العمالية الثورية بقوة على الساحة الداخلية الروسية . وظهرت كتابات لمفكرين روس تندد باستغلال أصحاب رءوس الأموال للعمال، ونتج عن ذلك أن نشأت فى روسيا عدد من الجماعات والحلقات الماركسية الثورية السرية ، وشهدت روسيا إضرابات للعمال مطالبين بحقوقهم، كما شهدت بداية نشاط لينين (فلاديمير إيليتش لينين (أوليانوف) (١٨٧٠-١٩٢٤م) الثورى، من أجل تحرير الطبقة العاملة، حتى تم تأسيس حزب العمال الاشتراكى الديموقراطى الروسى.

١- المرجع السابق ، ص٣٩٥ .

٢- بيير رنوفان ترجمة د. جلال يحيي : تاريخ العلاقات الدولية ، القاهرة ، ص٣٦٨ .

وفى السنوات الأولى من القرن العشرين حدثت تطورات داخلية فى روسيا قوّت من الحركة الماركسية والنشاط العمالى فى مواجهة الاحتكارات الرأسمالية ، وتأثر روسيا بالأزمة الاقتصادية العالمية حيث انخفض بناء السكك الحديدية بشكل واسع وهبطت أسعار البضائع وانخفضت استثمارات الأموال فى الصناعة، ودور البنوك الأجنبية فى تبعية روسيا للرأسمال الأجنبى، مع تخلف الزراعة، حتى حدثت أول ثورة شعبية فى عصر الإمبريالية بين عامى ١٩٠٥ و ١٩٠٧ ، بعد خروج روسيا من حربها مع اليابان منهزمة خلال عامى ١٩٠٤-١٩٠٥م[1].

وكانت نتائج ثورة ١٩٠٥م التمهيد للثورة الاشتراكية الكبرى عام ١٩١٧م ، حيث نشطت الحركة الثورية بزعامة لينين، وقد أدت الحرب العالمية الأولى إلى بؤس الجماهير الروسية ، كما بلغ الخراب الاقتصادى حد الكارثة خاصة فى عام ١٩١٦ / ١٩١٧م، واتساع الحركة الثورية فى جميع أنحاء روسيا، والتى انتهت بقيام ما عرف بالثورة الروسية الكبرى عام ١٩١٧ .

الثورة الروسية الكبرى ١٩١٧:

كان دخول روسيا الحرب العالمية الأولى خطأ كبيراً من جانب القيصرية ، فروسيا لم تكن عسكريًا واقتصاديًا معدة إعداداً كافيًا للدخول فى حرب كالحرب العالمية. كانت تنقصها مصانع الأسلحة والمعدات ووسائل الحرب الحديثة. وفى خلال الثلاث سنوات الأولى من الحرب جندت الحكومة الروسية ١٥ مليونًا من الجنود وهو عدد لم تستطع الحكومة بما لديها من إمكانيات حربية ضعيفة أن تجهزهم فى ميادين القتال من مؤنة وأسلحة فلم تستطع أن تنتفع بأغلب هؤلاء المجندين لأنهم وهم على حالتهم من نقص الذخيرة كانوا عالة على الميدان وعاملا من عوامل الهزيمة، ثم كان من شأن تجنيد الملايين من الفلاحين أن حرمت الأرض من اليد العاملة فيها فأثر ذلك فى المحصول الزراعى السنوى الذى كان من الواجب أن يتضاعف ليسد حاجة البلاد فى وقت الحرب . وكان الفساد موجوداً فى حكومة القيصرية قبيل الحرب ولكن الحرب والهزائم التى لحقت الجيش الروسى أوضحته بشكل صارخ ، فأخذ الوطنيون ، ينددون بالفساد الذى استشرى فى دواوين الحكومة وانتشرت الإشاعات عن فساد الأسلحة ومتاجرة

١- جواهر نهرو : المرجع السابق، ص٢٠٠ .

النبلاء فيها وكان من أشد مظاهر هذا الفساد وقوع الأسرة المالكة تحت تأثير ألماني أفاق جاهل منحل هو جريجوري راسبوتين[١].

بدأ الاضطراب بعد هزيمة روسيا في غاليسيا ١٩١٥ إذ قامت المظاهرات في أوائل سنة ١٩١٦ في بترو غراد ترمي الحكومة بالإهمال والفساد اللذين سببا الهزيمة وتطالب بمحاكمة القواد الروس وكبار رجال الحكومة وأسرع القيصر بتعيين Boris Sturmer رئيسًا لوزرائه لمواجهة هذا الموقف المضطرب وقد كان محافظًا من كبار الإقطاعيين المحافظين ولذلك أدى تعيينه إلى تعقيد الموقف إذ اتهمه الشعب الروسي بميول ألمانية بل التآمر مع ألمانيا ضد الروسيا والجيش الروسي وازدادت الاضطرابات طوال سنة ١٩١٦م كما ازدادت الحالة الاقتصادية سوءًا بسبب نقص الفحم مما أدى إلى إغلاق بعض المصانع وتسريح عمالها بسبب اشتداد أزمة الفحم ثم إن حاميات كبيرة من الجيش من التي استدعيت إلى المدن الكبرى عقب ظهور الاضطرابات ولاسيما في بترو غراد أخذت تعمل على الاتصال بالعمال فتسرب إلى الجنود الكثير من الأفكار الثورية المعادية للقيصرية.

وفي أوائل سنة ١٩١٧ انتشرت المظاهرات تطالب بانفراج أزمة التموين وشعارها «الخبز» وانضم إلى المظاهرات حوالي ٢٥ ألف جندي من حامية العاصمة ثم ما لبثت عناصر الثورة من جنود وعمال أن سيطرت على العاصمة سيطرة تامة. وازاء فشل القيصرية ووزارة سترمر في مواجهة الموقف قرر مجلس الدوما أن يعمل منفرداً ليحاول إنقاذ روسيا من ثورة العمال والجنود فاجتمع أعضاؤه اجتماعًا غير رسمي وقرروا تعيين لجنة مؤقتة برياسة Rodzinako لتتسلم السلطة . وفي الوقت نفسه قام العمال والجنود في بترو غراد بتكوين مجلس أي سوفييت من العمال والجنود وانتخب ذلك السوفييت لجنة تنفيذية مؤقتة لتسلم السلطة أيضًا ، وهكذا أصبح في المدينة لجنتان خارجتان عن القيصرية إحداها معتدلة (لجنة الدوما المؤقتة) والأخرى المتطرفة (وهي اللجنة التنفيذية السوفيتية) وكانت السيطرة في هذه اللجنة السوفيتية بل وفي سوفيت بترو غراد أيضًا للحزبين الديموقراطي (المنشفك) والشوري الاشتراكي «البلشفيك»[٢].

١- د. محمد أنيس: أوربا بين الحربين العالميتين ، القاهرة ١٩٥٧م.

٢- جواهر لال نهرو: المرجع السابق، ص٢١٦ .

ثم بدأت المحاولات لإدماج اللجنتين فى حكومة واحدة مؤقتة وعارض الحزب الديموقراطى الاشتراكى «البلشفيك» فى الاشتراك فى حكومة مؤقتة ولكن الحزب الاشتراكى الثورى قبل الاشتراك فيها فتألفت الحكومة المؤقتة من غالبية الاكتوبريين والحزب الديموقراطى الدستورى ومثل سوفيت بترو غراد Kerensky من الحزب الثورى الاشتراكى وزيراً للعدل وتولى رئاسة الحكومة الأمير جورج لفوف Lvov . ولايجب أن يفهم من هذا أن السوفيت قد أصبح مواليًا للحكومة بل على العكس أخذ الديموقراطيون الاشتراكيون يعملون للسيطرة عليه ودفعه لاتخاذ مواقف عدائية من الحكومة فالحكومة المؤقتة فى الواقع كانت تتلقى عداوة السوفيت من ناحية وعداوة القيصرية من ناحية أخرى ذلك أنها طالبت القيصر نيقولا الثانى بالتنازل عن العرش وأقامت ميشيل وصيًا على العرش حتى يصل ولى عهد القيصر إلى سن الرشد وقاوم القيصر أول الأمر وأرسل إلى بترو غراد جيشًا بقيادة جنرال ايفانوف للاستيلاء على العاصمة ولكن أغلبية هذا الجيش انحاز إلى جانب الثوار فأضطر القيصر إلى قبول اقتراح الحكومة وأعلن تنازله مبديًا رغبته فى أن يلى العرش من بعده أخوه ميشيل بدلا من انتقاله إلى ابنه . غير أن سوفيت بترو غراد أخذ يعمل على إثارة الجماهير للمطالبة بالغاء نظام الملكية فى روسيا وإعلان الجمهورية . وأسرع وفد من نواب الدوما إلى الدوق ميشيل يبلغه أن الشعب يطلب منه التنازل عن الوصاية وتسليم الحكم إلى الحكومة المؤقتة حتى تجتمع جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير نوع ونظام الحكم الذى سيتبع فى المستقبل وازاء هذا اضطر الدوق إلى التنازل عن الوصاية على العرش مناشداً الشعب الروسى أن يخضع للحكومة المؤقتة حتى يتم عقد الجمعية التأسيسية[١].

وبتولى الحكومة المؤقتة تبدأ الثورة الروسية دورها البورجوازى، فالحكومة برجوازية فى شكلها وفى أهدافها رئيسها الأمير جورج لفوف ووزير خارجيتها بول موليكوف زعيم الديموقراطيين الدستوريين ووزير حربيتها Guchkov جوتشكوف زعيم الاكتوبريين والحكومة فى شكلها العام تمثل أصحاب المصالح والرأسماليين وأصحاب الأعمال، ثم هى تهدف إلى تأسيس دولة دستورية برلمانية كما تهدف إلى حماية الملكية الخاصة وتسوية مسألة الأرض بتعويض أصحابها عما يغتصب منهم وكذلك مواصلة الحرب إلى جانب الحلفاء وأخيراً ألا يقرر نظام الحكم فى روسيا إلا عن طريق جمعية تأسيسية ينتخبها الشعب . واعتقد الناس خارج

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

روسيا أن الأمر قد انتهى وأن روسيا أصبحت ديموقراطية على النمط الغربى وسرعان ما اعترفت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان بالنظام الجديد فى روسيا غير أن حكومة لفوف لم تكن مسيطرة على الموقف فى الداخل فتصرفاتها لم ترض العمال والفلاحين : العمال يهدفون إلى طرد الرأسماليين وتأسيس نظام اشتراكى يضمن سيطرة العمال أنفسهم على المصانع ، والفلاحون يريدون الاستيلاء على الأملاك الواسعة وتقسيمها دون إعطاء أى تعويض لملاكها.

وقد عبرت هذه الطبقات عن وجهة نظرها فى مؤتمر جماعات السوفييت الذى انعقد فى إبريل سنة ١٩١٧ وكانت السيطرة فيه للحزبين الديموقراطى الاشتراكى (المنشفيكى) والثورى الاشتراكى (البلشفيكى) وقد اتخذ هذا المؤتمر قرارات عدة منها المطالبة بعقد صلح عادل لايرمى إلى ضم بلاد جديدة ولاتخسر فيه روسيا شيئًا من أراضيها ولاتدفع تعويضًا ينزل الخراب بماليتها ، كما كان من مطالبه أن تتخلى روسيا عن فكرة الاستعمار وتعتنق مبدأ حق تقرير المصير، وأخيراً قرر المؤتمر تأييد الحكومة المؤقتة على أن تسير وفق هذه المبادئ التى قررها المؤتمر. غير أن الحكومة القائمة تجاهلت هذه القرارات بل أرسل وزير الخارجية مذكرة إلى الحلفاء يؤكد عزم روسيا على الاستمرار فى الحرب فى صف الحلفاء وعدم عقد صلح منفرد . وأثارت مذكرة وزير الخارجية معارضة سوفييت بترو غراد وقامت المظاهرات تطالب بسقوط ميليكوف وكان من نتيجة هذه الأزمة سقوط وزيرى الخارجية والحربية. ثم دعت الحكومة سوفييت بترو غراد للاشتراك فى الحكومة فوافق المنشفيك والثوار الاشتراكيون باشترك ثلاثة منهم مع بقاء لفوف رئيسًا للوزارة كما أصبح كرنسكى وزيراً للحربية فى التعديل الوزارى الجديد. كان من أهم أهداف الوزارة الجديدة مراجعة سياسة ميليكوف الخارجية، فأعلنت فى منشور يعرف بمنشور مايو عن سياسة جديدة هى نبذ فكرة الاستعمار وإقرار سلام عام دون سيطرة على الأمم أو الاعتداء على أراضيها وأخيراً قبول الصلح دون تعويضات وقائم على تقرير مصائر الأمم [١].

وكان السبب الرئيسى فى قبول المنشفيك وثوار الاشتراكيين التعاون مع الحكومة المؤقتة الحكومة التى كانت حتى ذلك الوقت تتكون من أحزاب بورجوازية هو ازدياد نشاط البلشفيك فحتى قيام الحرب العالمية كان الحزب الديموقراطى الاشتراكى البلشفيكى فقيراً من الناحية التنظيمية لم يلعب دوراً يذكر فى عزل القيصر ولكن نشاطه بدأ بشكل جدى منذ وصول

١- د. محمد أنيس: المرجع السابق.

نيكولاس لينين فى ١٦ إبريل إلى روسيا وخطابه لأعوانه من حزبه لدى وصوله فى محطة السكة الحديد وهو الخطاب الذى انصب على ضرورة قيام ثورة ثانية لإنهاء دولة البرجوازية الجديدة التى قامت على أشلاء القيصرية[١].

ولد لينين سنة ١٨٧٠ فى أواسط وادى نهر الفولجا من أب كان مفتشا للتعليم وكان له أخ إرهابى حكم عليه بالإعدام لاشتراكه فى المؤامرة التى انتهت بمقتل القيصر اسكندر الثالث سنة ١٨٨٧، وقد أثرت هذه الحادثة وهى إعدام أخيه فى نفسه أثرًا بالغًا فقد كان لينين معجبًا بأخيه وهو إن لم يكن يميل إلى الوسائل الإرهابية، إلا أنه كان يشارك أخاه فى آرائه . وقد تجلت ميول لينين المتطرفة عندما كان طالبًا فى كلية الحقوق بجامعة كازان فقد طردته الجامعة لاتهامه بتحريض الطلبة على الإضراب وإثارتهم على الحكم القيصرى فى سنة ١٨٨٧م واضطر لينين إلى الرحيل إلى بطرسبرج ليتم دراسته هناك حيث سنحت له الفرصة حتى يشبع ميوله فاتصل بالجماعات التى كانت تعتقد فى المبادئ الماركسية . وطرد كغيره من المتطرفين وحكم عليه بالنفى إلى سيبيريا ٣ سنوات، بسبب نشاطه الثورى، وعندما انتهت مدة سجنه سنة ١٩٠٠ فضل الرحيل إلى سويسرا حيث أسس صحيفة سماها اسكر Iskra «الشرارة» لينشر فيها آراءه ويهربها إلى روسيا . وقد قضى سنة من حياته فى لندن ١٩٠٢-١٩٠٣م حيث واصل هناك إصدار صحيفته بمعاونة بعض الديموقراطيين الاشتراكيين الإنجليز وفى أغسطس سنة ١٩٠٣ حضر مؤتمر الحزب الديموقراطى الاشتراكى الذى انعقد خارج روسيا وحدث فيه الانقسام الكبير بين البلشفيك والمنشفيك . ولينين يتزعم حركة البلشفيك فى الحزب ولذلك يسمى أبو البلشفية الروسية وعاد إلى روسيا سنة ١٩٠٥م وعمل على إثارة البغضاء ضد الدوما والأحزاب المعتدلة وعندما فشلت ثورة سنة ١٩٠٥م اضطر إلى الخروج من روسيا وعاش فى الخارج من ١٩٠٦-١٩٠٧م ولم يفقد نشاطه فى منفاه بل أخذ يعمل فى المنظمات السرية كثورى محترف ولما قامت ثورة سنة ١٩١٧م كان لايزال فى زيورخ فى سويسرا [٢].

وعندما أعلنت الحكومة المؤقتة العفو عن المجرمين السياسيين أصبح المجال مفتوحًا له للعودة إلى روسيا وسهلت له ألمانيا العبور فى أراضيها أملا فى أن يسبب وصوله اثارة

١- جواهر لآل نهرو : المرجع السابق، ص٢٢٠ .

٢- نفس المرجع السابق ، ص٢٢١ .

خلافات فى روسيا تؤدى إلى تسليمها فى النهاية، وبمجرد وصول لينين فى روسيا بدأ هجومه العنيف على الحكومة القائمة فكانت مشكلة الغذاء فى روسيا وروسيا لاتزال فى حالة حرب والحكومة تتهرب من إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية وأهم من هذا كله أن الناس بدأوا يفقدون ثقتهم فى المنشفيك والثوار الاشتراكيين بعد اشتراكهم فى الوزارة وتورطهم فى سياسة التعاون مع الأحزاب البرجوازية وأعلن لينين عن برنامج حزبه الذى يتلخص فى النقط التالية:

١- صلح عام فوراً .

٢- مصادرة الأراضى الإقطاعية الزراعية دون تأخير ودون تعويض.

٣- امتلاك العمال للمصانع وإدارتها .

٤- تكوين نقابة قومية للإنتاج والتوزيع الاقتصادى[١] .

٥- أن تحل سوفيتيات العمال والجنود والفلاحين محل إدارات الحكومة .

وكان من الطبيعى أن يلقى هذا البرنامج تأييداً شعبيًا كبيراً فارتفعت أسهم الحزب البلشفيكى لدى العمال وأخذوا طريقهم للسيطرة على السوفيتيات وأخذ مركز الحكومة يزداد حرجًا .

واعتقد كرنسكى وزير الحربية والعقلية المفكرة فى الوزارة أنه لو نجح فى إحراز الانتصار فى الجبهة النمساوية لأدى ذلك إلى تقوية مركز الحكومة من ناحية وإلى رفع معنوية الجند والمواطنين من ناحية أخرى، واختيار الجبهة النمساوية فى الجنوب له مبرراته فهى أضعف من الجبهة الألمانية فى الشمال والجيش الروسى فى الجبهة النمساوية كان محتفظًا بشئ من النظام والتماسك ، غير أن بعض الفارين من الجيش الروسى أطلعوا الألمانى على خطة كرنسكى فأرسلت المساعدات الألمانية للجبهة النمساوية، وقامت القوات الألمانية فى الشمال من جانبها بهجوم أدى إلى انهيار الجيش الروسى فى الشمال وفشل الهجوم الروسى فى الجنوب وبذا فشلت خطة كرنسكى وفى نفس الوقت ازداد الموقف سوءاً فى الداخل فقد استولى البلشفيك على منظمات العمال فى بترو غراد ، وبدأوا يوجهون الثورة فى العاصمة ضد الحكومة وانضم إلى صفوفهم عدد كبير من حامية بترو غراد وقامت الثورة بقيادة البلشفيك فى يولية تنادى بسقوط وزارة الرأسمالية وسقوط الحرب وإعطاء السوفيتيات السلطة وأسرع كرنسكى باستدعاء ٦٠ ألف من الجنود الموالين للحكومة ونشبت معارك دموية بين الثوار وجنود

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق، ص٤٢ .

كرنسكى استمرت يومين وهزم بعدها الثوار . وكان من نتيجة هذه الهزيمة أن عدل لينين من خطوطه السياسية فلم يعد يطالب بإسقاط الحكومة المؤقتة فوراً بل بضرورة بذل الجهد لضم القوات العسكرية الروسية القاطنة خارج العاصمة إلى الثورة (١).

على أنه كان من نتيجة اضطرابات يوليه وهزيمة الجيش الروسى أمام الألمان أن وقعت الوزارة في أزمة عنيفة انتهت باستقالة لفوف وتولى كرنسكى رئاسة الوزارة وقد واجه موقفا معقدا فإلى جانب ثورة البلاشفة كانت بعض عناصر اليمين من القادة العسكريين ومن التى قبلت على مضض قيام الحكومة المؤقتة على أنها السبيل الوحيد لانقاذ الموقف- قد نفذ صبرها واعتقدت أن سياسة الحكومة المؤقتة ليست حازمة بما فيه الكفاية فبدأت تعلن سخطها على الحكومة بعد اضطرابات يوليو فبينما كان البلاشفة ينادون بدكتاتورية الطبقة العاملة كانت هذه العناصر تنادى بدكتاتورية عسكرية وكان يتزعم هذه العناصر القائد الروسى كورنيلوف الذى انسحب فى سبتمبر بقواته من جبهة القتال واتجه نحو العاصمة كما أرسل إنذارا إلى رئيس الوزارة يطالبه بالاستقالة وإعلان الأحكام العرفية فى العاصمة . ولكن كرنسكى رفض الإنذار ومنحته الوزارة سلطات استثنائية لمواجهة الموقف الذى أطلق عليه بالمؤامرة الرجعية وتمكن من القبض على كورنيلوف وأفسد عليه خطته (٢).

وأهمية المؤامرة الرجعية تنحصر فيما تركته من أثر فعال فى جماهير العمال والفلاحين والجنود الذين اعتراهم الخوف من احتمال نجاح الحزب اليمينى من العسكريين فى إرجاع الحكم القيصرى فى شكل دكتاتورية عسكرية وفى نفس الوقت أخذ الشك يتطرق إلى أذهانهم عن موقف كرنسكى من المؤامرة فاعتقدوا أنه كان يعطف على هذه المؤامرة واعتقدوا أنه غير موقفه تحت ضغط سوفيت بترو غراد، ومع أن هذا الاعتقاد لايستند إلى شئ من الصحة إلا أن البلاشفه استغلوه أسوأ استغلال حتى فقد الناس كل الثقة فى الحكومة . ثم جاء تأجيل كرنسكى لانتخابات الجمعية التأسيسية مؤكدا لسوء نية الحكومة وعدم رغبتها فى تقديم مشروعات الإصلاح التى طالما نادى بها الشعب الروسى. وكان من مظاهر نجاح البلاشفة سيطرتهم على سوفيت بترو غراد. كما سيطروا على معظم السوفيتات الروسية وكانت نداءاتهم: السلام للجيش والأرض للفلاحين والمصانع للعمال(٣).

١- جواهر لال نهرو: المرجع السابق، ص٢٢٢ .

٢- د. محمد أنيس: المرجع السابق.

٣- جواهر لال نهرو : المرجع السابق ، ص٢٥٠ .

وبسيطرة البلاشفة على السوفيتات لاسيما سوفيت بترو غراد بدأت مقدمات ثورة نوفمبر ففى أواخر أكتوبر عقد لينين لجنة الحزب وقررت اللجنة القيام بثورة مسلحة ضد الحكومة المؤقتة فوضعت خطة الثورة وأرسل مندوبون إلى بقية المقاطعات فى روسيا وقيادة الثورة هناك وتنسيق الخطط مع ثورة بترو غراد. كما تكونت فى العاصمة لجنة من سوفييت بترو غراد سميت باللجنة العسكرية الثورية لتكون بمثابة مركز القياده للثورة وكانت هذه تستمد توجيهاتها من ستالين .

وتسربت أنباء قرار الثورة إلى كرنسكى ففكر فى إخلاء بترو غراد وانتقال الحكومة إلى موسكو وترك العاصمة للألمان الذين كانوا على مقربة منها ليحتلوها وليخمدوا الثورة فيها . ولكن سوفييت بتروغراد أجبر الوزارة على البقاء . وكان البلاشفة قد قرروا القيام بالثورة فى ٧ نوفمبر يوم إنعقاد المؤتمر الثانى للسوفيتات الروسية فلما أحسوا أن الحكومة على علم بخططهم قرروا تغيير موعد الثورة بيوم سابق لاجتماع المؤتمر ورغم ذلك فقد تسربت أنباء التأجيل إلى كرنسكى فقام فى صباح ٦ نوفمبر بتوجيه ضرباته فهاجمت قوات الحكومة مقر جريدة الحزب البلشفى واسمها «طريق العمال» ولكن الحرس الأحمر- وهو تنظيم عسكرى خاص بالحزب - والجنود الموالون للثورة تمكنوا من صد الهجوم وحوالى الساعة الحادية عشر صباح ذلك اليوم نزلت «طريق العمال» إلى الأهالى تعلن قرار اللجنة المركزية ببدء الثورة فقامت وحدات من الحرس الأحمر والجنود الموالين للثورة بمحاصرة قصر الشتاء مقر الحكومة واستمر الحصار إلى اليوم التالى ، وفى نفس الوقت احتل الثوار محطات السكك الحديدية ومكاتب التلغراف والبريد والوزارات وبنك الدولة ، وفى صبيحة ٧ نوفمبر كانت بتروغراد قد سقطت فى يد السوفييت فأخذت قطع الأسطول الموالية للثورة فى ضرب قصر الشتاء وفى المساء تمكنت قوات العمال والبحارة والجنود من التغلب على القوات المدافعة عن قصر الشتاء واحتلاله [١].

وفى نفس الليلة وعقب سقوط مقر الحكومة اجتمع مؤتمر السوفيتات وأسفر عن أغلبية ساحقة للحزب البلشفى فانسحب المنشفيك كما انسحب الجناح اليمينى من الثوار الاشتراكيين وقرر المؤتمر إنهاء الحكومة المؤقتة واستيلاء السوفيتات على السلطة وفى اليوم التالى اتخذ ثلاثة قرارات حاسمة وهى:

١- د. محمد أنيس: المرجع السابق .

١- قرار السلم وهو نداء إلى الدول المتحاربة لإعلان الهدنة تمهيد المفاوضات الصلح.

٢- قرار الأرض ويقضى بإلغاء الملكية بدون تعويض واعتبار جميع الموارد المعدنية والغابات ملكا للشعب .

٣- القرار الخاص بتكوين أول حكومة سوفيتية التى أطلق عليها مجلس مندوبى الشعب والتى تتكون كلها من الحزب البلشفى وعلى رأسها لينين.

وفيما بين نوفمبر سنة ١٩١٧ وفبراير سنة ١٩١٨ امتدت الثورة إلى أجزاء واسعة من روسيا تمكنت من القضاء على العناصر البرجوازية وحلفائها من المنشفيك والثوار الاشتراكيين وكذلك اتفق الجناح اليسارى من الثوار الاشتراكيين مع البلاشفة لتكوين جبهة شعبية متحدة كان لهؤلاء أى للثوار الاشتراكيين السيطرة على الفلاحين وهو أمر أغرى الحزب البلشفى بالتحالف معهم ومنحهم مراكز فى مجلس مندوبى الشعب ولو أن هذا التحالف لم يستمر إلى أبعد من صلح روسيا مع ألمانيا وانسحابها رسميا من الحرب فقد أعقب ذلك ظهور الخلاف بين الحزبين وقد كان متوقعا ودار حول الإصلاح الزراعى وكان حزب الثوار الاشتراكيين يمثل إلى حد كبير مصالح طبقة الكولاك التى تكونت فيما بين ١٩٠٦-١٩١٤ والتى تمثل صغار الملاك من الفلاحين فخرجوا على الجبهة المشتركة واستطاعوا بنفوذهم فى الريف أن يقوموا بثورة الكولاك أو صغار الملاك من الفلاحين ضد الحكومة البلشفية وهى ثورة عاتية هزت الحكومة البلشفية هزة عنيفة، ولو أنها فشلت إلا أنها تدل على أن البلاشفة حتى وصولهم إلى الحكم لم تكن لهم السيطرة إطلاقا فى الريف والحق أن مشكلة الأرض كانت من أعقد المشاكل التى واجهتها روسيا بعد الثورة . والتى تخبطت الحكومة الروسية فى سبيل حلها [١].

ومن الممكن أن نتبين عدة أسباب لنجاح ثورة نوفمبر :

١- واجهت هذه الثورة عدوا ضعيفا نسبيا وهى البورجوازية الروسية فمن الناحية الاقتصادية كانت لاتزال البورجوازية الروسية ضعيفة نسبيا . يضاف إلى ذلك قلة الخبرة السياسية وهذه الخبرة لاتعدو ما بين وصولها إلى الحكم فى مارس وسقوطها فى نوفمبر ، وكان من أبرز مظاهر عجزها السياسى اتباعها نفس الخطط التى كانت تسير عليها القيصرية فأيدت الحرب وأبقت على سيطرة أصحاب الأعمال فتلكأت فى حل مشكلة الأرض وفى انتخابات الجمعية التأسيسية فليس غريبا إذن أن لايجد الشعب الروسى فرقا بينها وبين القيصرية ،

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

وليس غريبا أن تنتقل كراهيته للقيصرية إلى الحكومة المؤقتة. إن الشئ الوحيد الذى استطاعت القيام به والذى يدل على نوع من المهارة السياسية تمثل في اتخاذها من المنشفيك والثوار الاشتراكيين حلفاء لها فهذه الأحزاب كانت تتمتع بتأييد شعبى كبير .

٢- قامت ثورة نوفمبر على يد الطبقة العاملة فى روسيا وهى طبقة اكتسبت كثيرا من الخبرة فى كفاحها الطويل ثم هى ثورية بطبيعتها . حقيقة كانت الأحزاب الممثلة لها منقسمة على نفسها غير أن قيادة ثورة نوفمبر كانت قطعا فى يد الحزب الاشتراكى الديموقراطى البلشفيكى . ومهما يكن من قيمة النقد الموجه إلى هذا الحزب فلاريب أنه كان الحزب الوحيد فى روسيا فى سنة ١٩١٧ الذى برهن لطبقة العمال والفلاحين على أنه جاد فى عدائه للبورجوازية الروسية فلم يشترك فى الحكومة المؤقتة وعارض فكرة الاستمرار فى الحرب، ولم يتخذ مواقف مترددة مائعة كما فعل المنشفيك والثوار الاشتراكيون ، كما تمكنت قيادة الحزب البلشفى الحازمة من العمل على تماسك التحالف بين الفلاحين والعمال على الأقل حتى نجاح ثورة نوفمبر .

٣- أن ثورة نوفمبر حدثت فى فترة كانت الحرب الاستعمارية على أشدها فهناك انقسام فى الدول البورجوازية إلى معسكرين وانشغال كل منهما فى الحرب العالمية الأولى جعلها أعجز من أن تتدخل تدخلا حاسما فى صالح الحكومة المؤقتة[١].

وفى ٢٥ نوفمبر أجريت إنتخابات الهيئة التأسيسية فجاءت النتيجة مخيبة لآمال البلاشفة إذ أسفرت عن أغلبية للجبهة المعارضة لهم رغم تفوقهم على أحزاب هذه الجبهة فى إجراء صلح منفرد. ومن وجهة النظر البرلمانية البحتة كان على البلاشفة التنازل عن الحكم لجبهة المعارضة ولكن حين اجتمعت اللجنة التأسيسية فى ١٨ يناير سنة ١٩١٨ انسحب البلاشفة وفى صبيحة اليوم التالى حلوا الجمعية بالقوة وهذه المسألة أى موقف البلاشفة من الجمعية مثار خلاف بين المؤرخين والكتاب كما قلنا من وجهة النظر البرلمانية كان يجب أن يتنحى البلاشفة ولكن هؤلاء يقدمون وجهة نظر من الممكن إيجازها فى النقاط التالية:

أولا : المطالبة بالجمعية التأسيسية تمثل فى النظام الجمهورى البورجوازى أعلى مراحل الديموقراطية ولكن الجمهورية البورجوازية قد سقطت وبذلك تصبح الجمعية التأسيسية من وجهة نظر البلاشفة غير ذات موضوع .

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

ثانيا : فبعد سقوط الرأسمالية فى روسيا تكونت جمهورية مكونة من السوفيتيات أنسب للوضع الجديد من ديموقراطية بمجلس تأسيسى، حقيقة أن الثورة قد نجحت ولكن كان هناك بناء جديد اشتراكى لابد من إتمامه وجمهورية من سوفيتات العمال والفلاحين هى الشكل الوحيد القادر على القيام بهذا البناء . وأخيرا هم يرون أن انتخابات الجمعية التأسيسية قد أجريت قبل أن يتمكن الناخبون ولاسيما خارج بتروغراد من تفهم ثورة نوفمبر تفهما دقيقا وما تحمله فى طياتها من تغيير أساسى لشكل الدولة السياسى والاقتصادي .

ولاريب فى أن حجة البلاشفة منطقية للغاية لكن السؤال يبقى لماذا قبلوا إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية؟ ولماذا قبلوا الدخول فيها؟ وبعد أسبوعين من قيام الثورة بدأ وزير الخارجية فى الحكومة البلشفية تروتسكى بمفاوضات الهدنة مع ألمانيا تلك التى انتهت ٣ مارس سنة ١٩١٨م بصلح برست ليتوفسك Prest letovsk وبمقتضاها تنازلت روسيا عن كثير من ممتلكاتها فى بحر البلطيق وبحر الشمال وأوكرانيا. وبهذه الخسارة الفادحة كسبت روسيا الخروج من الحرب لتبدأ أضخم تجربة فى تاريخ البشرية وهى إقامة دكتاتورية الطبقة العاملة .

وقد كان الموقف الحربى فى أوائل سنة ١٩١٨م غير حاسم، ففى الجبهة الغربية فشلت حرب الغواصات الألمانية غير المقيدة ورغم ذلك كانت ألمانيا بسبب انسحاب روسيا تأمل فى أن تتمكن من الانتصار السريع لتركيز جميع قواتها فى الجبهة الغربية ولذلك حين جاء إعلان ولسون عن أهداف الحلفاء من الحرب بما يعرف بنقاط ولسون ١٤ رفضتها الدول المركزية بشدة. جاءت هذه النقاط فى خطاب الرئيس الأمريكى فى أوائل يناير سنة ١٩١٨ أمام الكونجرس الأمريكي وهى النقاط التى سيقدر لها أن تلعب دورا هاما كمبادئ فى تسويات الصلح النهائية، وهذه النقاط هى:

١- مواثيق علنية للصلح أى نبذ المعاهدات السرية.

٢- حرية الملاحة المطلقة فى البحار خارج المياه الاقليمية فى حالتى الحرب والسلم.

٣- إزالة جميع الحواجز الاقتصادية وإقامة المساواة فى شئون التجارة بين جميع الدول.

٤- الجلاء عن روسيا وبلجيكا وفرنسا ورومانيا والصرب والجبل الأسود.

٥- إعطاء فرصة حرة للحكم الذاتى للشعوب الخاضعة للحكم التركى.

٦- تأليف عصبة أمم لتوفير الضمانات المتبادلة بين جميع دول العالم [1].

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

روسيا الاشتراكية بين الحربين العالميتين :

ونستطيع أن نقسم هذه الفترة إلى:

أولا : الحرب الأهلية وتدخل الدول الحربى ١٩١٨-١٩٢١م .

ثانيًا : فترة الانتقال للاستقرار الاقتصادى ١٩٢١-١٩٢٥م .

ثالثًا : مشروعات السنوات الخمس ١٩٢٨-١٩٣٧م .

بالنسبة للفترة الأولى ١٩١٨-١٩٢١م، ضايق الحلفاء صلح برست ليتوفسك لسببين :

أولا : لأنه يخلى ألمانيا من الجبهة الشرقية تمامًا ويجعلها تركز قوتها فى الجبهة الغربية ضد الحلفاء.

ثانيا: لأنه يتيح للثورة البلشفية فى روسيا فرصة هادئة للنجاح وإتمام القضاء على أعدائها وأعداء الثورة وهم حلفاء دول الوفاق ونجاح الثورة العمالية تجربة خطيرة بالنسبة لدول الوفاق لأنها بمثابة نموذج قد يشجع العمال فى هذه البلاد على الثورة أما فى الداخل فأعداء الثورة يتمثلون فى الأحزاب المعارضة للبلاشفة فى الثوار الاشتراكيين والبورجوازيين الوطنيين والديموقراطيين الدستوريين والمنشفيك ثم يتمثلون فى طبقة القوزاق وهم طبقة حربية من دعائم القيصرية والكولاك طبقة صغار الملاك من الزراعيين ورجال المال وغير ذلك وهذه الطبقات المعارضة يعوزها المال والسلاح، والحلفاء على استعداد لمدهم بالمال والسلاح ولكن إلى حد لأن الحلفاء أنفسهم مشغولين فى الحرب ضد ألمانيا والنمسا وكانت فكرة الحلفاء من التدخل الحربى إرجاع الطبقة البرجوازية إلى الحكم لتواصل نضالها ضد ألمانيا من ناحية ولفشل ثورة العمال من ناحية أخرى . وفى أوائل ١٩١٨ تم الاتحاد بين الجبهة الداخلية المعارضة للثورة وبين الحلفاء وبدون إعلان حرب على الحكومة البلشفية أنزلت بعض الدول مثل فرنسا وانجلترا واليابان بعض قواتها فى أنحاء روسيا وكانت أهم الجبهات المعادية للثورة ثلاث[٢]:

١- الجبهة الشرقية فى سيبيريا حيث تكثر طبقة الكولاك وهناك تمكن الثوار الاشتراكيون من إقامة حكومتين إحداهما فى Samara والثانية فى Omsk .

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

٢- جواهر لآل نهرو : المرجع السابق، ص٢٤٦ .

٢- الجبهة الجنوبية فى شمال القوقاز حيث تمكن Denikin بتأييد الفرنسيين والبريطانيين من تكوين جيش من المتطوعين ضد هذه الثورة هناك.

٣- فى حوض نهر الدون تمكن الجنرال Krasnov بمساعدة ألمانيا السرية من السيطرة [١].

كيف واجهت الثورة الموقف ؟

أولا : واجه لينين الموقف بحزم وسياسة تركيز قوى البلاد لدفع الخطر وعرفت هذه السياسة بسياسة War Communism فأشرفت الدولة على الصناعات الصغيرة وأدخلت نظام احتكار الدولة لتجارة الحبوب ثم التجنيد الإجبارى للعمال . أما العناصر البورجوازية فاتبع معها العمل الجثمانى الإجبارى سيرا على مبدأ «الذى لايعمل لايأكل».

ثانيًا : نشر الثورة العمالية بقصد عرقلة نشاط الحلفاء ضد روسيا وخصوصًا وأن الحرب انتهت فى هذا العام وكان لانتهائها مزايا ومساوئ بالنسبة لروسيا أما مساوئها فهى أن دول الوفاق تستطيع الآن أن تتفرغ للتدخل الحربى فى روسيا وأما محاسنها فهى قيام الثورة فى ألمانيا وسقوط معاهدة برست ليتوفسك والقوة الألمانية فى الغرب بحيث تستطيع روسيا الآن أن توقف التعويضات التى تدفعها وأن تسترجع الأراضى التى تنازلت عنها لألمانيا ، ثم أن الثورة اجتاحت أواسط أوربا فانتصرت الثورة الاشتراكية فى النمسا ونجحت فى المجر فتكونت جمهورية سوفيتية هناك وأسرع الحزب الشيوعى الروسى إلى عقد مؤتمر من الأحزاب الشيوعية فى العالم ليكون الدولية الثالثة فى مارس ١٩١٩م وأصدر المؤتمر إعلان الدولية الثالثة يحض بها الطبقة العاملة فى جميع البلاد ويدعوها إلى الثورة لتكوين دكتاتورية الطبقة العاملة ونجاح السوفيتات فى جميع العالم [٢].

ثالثًا : تعديل الخط السياسى للثورة إذ لما كانت الثورة المضادة تقوم أساسًا على أكتاف الكولاك ألد أعداء الثورة وهم الذين يتمثلون فى حزب الثوار الاشتراكيين فقد نظمت الحكومة السوفيتية لجان من جماهير الفلاحين سميت لجان فقراء الفلاحين لتعمل ضد الكولاك وأما الطبقة المتوسطة من الفلاحين فقد حدث خلاف حول موقفها وكانت هذه المسألة من أهم المسائل التى دار خلاف حولها فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى فى مارس ١٩١٩م فهذه الطبقة حسب قرار الأرض زادت فى عددها حتى أصبحت تكون غالبية الفلاحين ولذلك فمصيرها يقرر

١- د. محمد أنيس: المرجع السابق .

٢- جواهر لآل نهرو: المرجع السابق، ص٢٤٧ .

مصير الثورة فنجاح الكولاك وغيرهم من أعداء الثورة فى حوض نهر الفلجا وفى وسط روسيا مثلا كان نتيجة تأييد هذه الطبقة المتوسطة ولذلك رأى المؤتمر بأن هذه الطبقة فيها من المد الثورى ما يجعل الثورة تتخذ منها حليفا طبيعيًا ضد الكولاك وأعداء الثورة ، وتبع ذلك تنازل الحكومة عن السياسة الاشتراكية فى الريف وقد كان نتيجة ذلك أن وقفت الطبقة المتوسطة هذه موقف المحايد [١].

سقطت ألمانيا والنمسا وتفرغت دول الوفاق لروسيا فلما انسحب الألمان من أوكرانيا والقوقاز احتلتها قوات فرنسية بريطانية ودخلت أساطيل الدولتين فى البحر الأسود وبدأت هذه الدول سياسة محاصرة روسيا وعلقت هذه الدول آمالها على حكومة الأدميرال Kolchac فى Omsk فى سيبيريا وأصبحت جميع الجبهات تابعة له. وفى صيف ١٩١٩م بدأ هجوم الجيش الأحمر على الجبهة الشرقية وهى أهم جبهة وانهار Kolchac كلية فلما أحس الحلفاء بانهيار هذه الجبهة الهامة بدأوا الانسحاب من أودسه وشجعهم على الانسحاب أن بوادر التمرد أخذت تظهر فى فرقهم العسكرية نفسها ومن أمثلة ذلك تمرد البحارة الفرنسيين فى أودسة بقيادة Andre Marty وبهذا انتقلت الأهمية لجبهة Denikin فى منطقة كوبان جنوب القوقاز ونجح هناك بمساعدة الحلفاء نجاحًا باهرًا وبدأ يزحف حتى قارب موسكو فأعلن الحزب الشيوعى أن الوطن فى خطر وظهر المبدأ القائل «الجميع لمحاربة Deijkin» وعزل تروتسكى من قيادة هذه الجبهة وحل محله ستالين فوضع خطته الحربية التى وافق عليها الحزب، وفى أكتوبر ١٩١٩م هزم الجيش الأحمر الجنرال دينكين وفى أوائل ١٩٢٠م كانت كل من أوكرانيا وشمال القوقاز قد طهرت من أعداء الثورة وإزاء هذا وإزاء المعارضة القوية التى ظهرت فى أوربا بين العمال ضد موقف الدول الغربية من الحكومة السوفيتية قررت كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا إنهاء الحصار فى أوائل ١٩٢٠م بهذا انتهى الجزء الأكبر من التدخل الأجنبى والحرب الأهلية[٢].

ولكن فى الفترة ما بين ١٩٢٠-١٩٢١م حدث تدخل عن طريق بولندة وتحت قيادة Pil-sudski الجنرال البولندى والجنرال Wrangel الذى جمع شتات الجنود المبعثرة من قوات الجنرال دينيكين وكانت خطة بولندة توسيع رقعة دولتها باحتلال أوكرانيا وبيلوروسيا حتى تمد الدولة من دانزج إلى أودسه ومساعدة رانجل الذى تركز فى القرم لتحطيم الحكومة السوفيتية وفشلت محاولة الحكومة السوفيتية للتفاهم مع بولندة ، ففى أبريل ١٩٢٠م احتل البولنديون أوكرانيا

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

٢- جواهر لال نهرو: المرجع السابق، ص٢٤٨ .

السوفيتية واستولوا على كييف وفى نفس الوقت هاجم رانجل حوض الدنتز وتمكن الجيش الأحمر من هزيمة البولنديين وطردهم من أوكرانيا حتى غاليسيا ولكنه عاد فارتد وفى أكتوبر ١٩٢٠م عقد صلح Riga وفى هذا الصلح تنازلت بولندة عن المطالبة بأراضى أوكرانيا غرب الدينيبر فلما استراح الاتحاد السوفيتي من بولندة بدأ يوجه همه نحو Wrangel وفى نوفمبر ١٩٢٠م تمكن الجيش الأحمر من مطاردة رانجل فى شبه جزيرة القرم وتحطيم قوته وبذلك دخلت القرم فى نطاق الاتحاد السوفيتي وفى نهاية ١٩٢٠م بدأت روسيا فى تحرير ما وراء القوقاز : أذربيجان وجورجيا وارمينيا وكانت قد قامت فى كل منها حكومات مستقلة من أعداء الثورة[١].

الفترة الثانية ١٩٢١-١٩٢٥م :

خرجت روسيا محطمة من الثورة الأهلية فمن الناحية الاقتصادية بلغ الانتاج الزراعى فى ١٩٢٠م نصف ما كان عليه قبل الحرب وزاد من سوء الحالة فشل المحصول فى ١٩٢٠م فى كثير من المقاطعات فحدثت المجاعة فى هذا العام، أما الصناعة الكبيرة فانخفضت إلى سبع ما كانت عليها قبل الحرب وأغلق الكثير من المصانع والورش والمناجم وكانت صناعة الحديد أسوأ أنواع الصناعات فبلغ إنتاج الحديد فى ١٩٢١م ٣٪ من إنتاج ما قبل الحرب وكان هناك نقص فى الفحم وفسدت المواصلات ولاسيما السكك الحديدية كما ظهر النقص فى جميع المواد الأولية كالخبز والسمن واللحم والملابس والكبريت والملح والصابون، وأكثر من ذلك الاستياء الذى ظهر بين الفلاحين من سياسة «شيوعية الحرب» واستيلاء الحكومة على الفائض من الإنتاج الزراعى فبدأ تذمر الفلاحين بل الأسوأ من هذا أن يصل هذا الاستياء إلى طبقة العمال الصناعيين أنفسهم وهى دعامة الحكومة السوفيتية إزاء المجاعة الاقتصادية فهم يتعطلون وانصرفوا إلى الأعمال الفردية الصغيرة لكسب العيش واستغل الكولاك والعناصر البورجوازية الوطنية سوء الحالة وبدأوا ثوراتهم فى سيبيريا وفى أوكرانيا وأكبر هذه الثورات ثورة Kron-stad وكان شعارها «السوفيت بدون الشيوعيين» ولكنها أخمدت بسرعة[٢].

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

٢- جواهر لأل نهرو: المرجع السابق ، ص٢٥٢ .

السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي بالنسبة لآسيا:

تشكلت هذه السياسة فى فترات متعددة الفترة الأولى ١٩١٧-١٩٢٠م وسياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية كانت تهدف إلى انهيار الدول الرأسمالية فقد كانت الفكرة الأصلية أنه لايمكن للنظام الشيوعى أن يبقى في وسط عالم رأسمالى ولذلك كانت الفكرة أن انهيار هذا النظام الرأسمالى أساس لبقاء نظامهم ولذلك فالسياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى فى هذه السنوات الثلاث كانت تنصب على الدعاية الثورية وكان من أساليب هذه السياسة أن عقد زعماء البلشفية فى روسيا فى ١٩ مارس الدولية الثالثة The 3d International وهى التى أطلق عليها Comintern (الدولية الأولى كانت ١٨٦٤م نظمها كارل ماركس نفسه ليقدم حقوق العمال فى جميع البلاد فهى ليست من الأحزاب الشيوعية ولكن من منظمات العمال International Woorkringmen Association وهذه انفصم عراها فى ١٨٧٤م) (أما الدولية الثانية فكانت فى ١٨٨٩م من مختلف الأحزاب الاشتراكية والعمالية وجاءت الحرب العالمية فوضعت حدا لنشاطها) . وكانت أهداف الدولية الثالثة :

١- الاستمرار فى نشر الدعاية البلشفية.

٢- استمرار تقوية الأحزاب الشيوعية فى جميع البلاد .

٣- كسب قيادة جميع الحركات العمالية والاشتراكية.

٤- تطوير الحوادث ناحية الثورة العالمية[١].

وعن طريق هذه الدولية الثالثة حاولت الحكومة الروسية فى السنوات الأولى القيام بهجوم ضد الرأسمالية فى بلاد مختلفة فى أوربا فلعبت دورا هاما فى الثورة الألمانية فى ١٩١٨م ، ١٩١٩م وفى تأسيس نظام شيوعى فى المجر فى ١٩١٩م وفى التجارب الشيوعية فى إيطاليا فى ١٩٢٠م وفى بعض الاضطرابات فى بعض الجمهوريات البلطيقية كما وجهت جهودها لاقامة علاقات قوية مع عمال بريطانيا وفرنسا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وان كانت هذه المجهودات قد باءت بالفشل كما فشلت أيضا فى الحصول على تعاون الشعوب الآسيوية على أمل إيجاد تحالف بين الشيوعية فى روسيا والحركة القومية فى آسيا ضد الاستعمار. وخلاصة القول أن الدولية الثالثة فشلت فى الثورة العالمية[٢].

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق، ص١١٣ .

٢- جواهر لآل نهرو: المرجع السابق، ص٣٧٩ .

وفى ١٩٣٧م حدث اعتداء اليابان فى شمال الصين وقامت الحرب بين البلدين وكان الاتحاد السوفيتى هو الدولة الوحيدة التى أسرعت للعمل فعقدت فى ٢١ أغسطس مع الصين ميثاق عدم اعتداء واتبعت فى ذلك إرسال المساعدة الحربية للصين وكانت الصين فى جلسة عصبة الأمم لعام ١٩٣٧م قد طلبت من العصبة اعتبار اليابان معتدية وأنه من الضرورى مساعدتها أدبيًا وماديًا ولكن انجلترا وفرنسا عارضت هذا، وكذلك فى نوفمبر فى مؤتمر بروكسل للدول التى وقعت فى واشنطن معاهدة الدول التسع (فبراير ١٩٢٢م) وعارضت روسيا رغبة كل من أمريكا وانجلترا للتوسط مع اليابان على أساس منحها بعض المطالب فى الصين وفى سبتمبر ١٩٣٨م عادت الصين تطلب من عصبة الأمم المساعدة ومع أن العصبة قررت تأييد الصين أدبيًا واعتبرت اليابان معتدية إلا أنها رأت أن الوقت غير مناسب لعمل جماعى، وكان لنتيجة طلب الصين أن المجلس دعا الأعضاء إلى تقديم المساعدة المنفردة.

وفى عام ١٩٣٨م المعروف بعام ميونيخ تميز الموقف الدولى للاتحاد السوفيتى بالاستعداد للتسلح للدفاع عن أراضيه مما يدل على إحساس السوفيت القوى بقدوم حرب عالمية ثانية[١].

الاتحاد السوفيتى والحرب العالمية الثانية :

تأزمت الأمور في أوروبا بين فريقين : الفريق الأول يتكون من ألمانيا وإيطاليا ، ثم انضمت إليهما اليابان فيما عرف بدول المحور أو دول الدكتاتوريات: دكتاتورية الحزب النازى فى ألمانيا ودكتاتورية الحزب الفاشى فى إيطاليا ، والدكتاتورية العسكرية فى اليابان ، والفريق الثانى يتألف من بريطانيا العظمى وفرنسا ، ثم انضم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية لهذا الفريق والذى عرف بالحلفاء.

واشتعلت الحرب العالمية الثانية، حيث شارك الاتحاد السوفيتى فى معاركها وتلقى الغزو والقتال من اليابان فى الشرق ومن ألمانيا فى الغرب، وعندما انتهت الحرب باستسلام كل من ألمانيا واليابان عام ١٩٤٥م للحلفاء كسب الاتحاد السوفيتى أرضا جديدة فى آسيا وأوروبا، ولكنه دخل فيما عرف بالحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين فى أوروبا .

١- د. محمد أنيس: المرجع السابق.

كانت آسيا ضمن مجالات الحرب الباردة بين المعسكر الغربى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى ، حيث دارت حروب محلية وظهرت أحزاب شيوعية هنا وهناك فى أقطار أسيوية ، فإن نجاح الحزب الشيوعى الصينى فى الاستيلاء على السلطة عام ١٩٤٩م بدعم من الاتحاد السوفيتى وطرد الحكم الموالى للولايات المتحدة بزعامة جنرال تشان كاى تشيك كان بداية للسياسة السوفيتية النشطة فى آسيا.

وكانت الحرب فى شبه الجزيرة الكورية بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٥٣م مظهرا آخر لنشاط السوفييت فى آسيا، حيث قامت جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية (الشيوعية) فى الجزء الشمالى من شبه الجزيرة الكورية شمال خط عرض ٣٨ درجة شمالا، بينما قامت الجمهورية الكورية فى الشطر الجنوبى من شبه الجزيرة الكورية بحماية الولايات المتحدة الأمريكية.

كما كانت الحرب الفيتنامية مظهراً آخر لنشاط السوفيت ورفقائهم الصينين الشيوعين فى الهند الصينية ، حيث نجح الشيوعيون فى إقامة دولة فيتنام الديموقراطية الشعبية (الشيوعية) .

ونجح الاتحاد السوفيتى خلال فترة عدة سنوات السيطرة على أفغانستان من خلال حكم عميل، إلا أن المجاهدين الأفغان بدعم أمريكى نجحوا فى طرد السوفييت، وكانت هذه بداية النهاية للاتحاد السوفيتى الذى انهار وتفكك لتظهر الجمهوريات المستقلة فى وسط آسيا والقوقاز .

الفصل الثانى

أقطار القوقـاز

مقدمة- أولاً : الغزو الروسى- ثانيا : جمهوريات القوقاز المستقلة : ١- جمهورية أذربيجان ٢- جمهورية أرمينيا ٣- جمهورية چورچيا ٤- جمهوريات ذات حكم ذاتى ٥- أقاليم ذات حكم ذاتى ٦- مقاطعات ذات حكم ذاتى.

مقدمة :

تقع منطقة القوقاز على سلسلة جبلية تمتد من بحر قزوين شرقا إلى البحر الأسود غربا، وهى الحد الفاصل بين الحضارتين الإسلامية والأوربية (اليهودية المسيحية) ، وهى من الناحية الجيوبوليتكية تمتد لتشمل أحواض بحرى قزوين والأسود ، وتتداخل وتتكامل مع وسط آسيا وشمال شرق البحر المتوسط (تركيا والبلقان) ، ومعظم سكان هذه البلاد مسلمون منذ الفتح الإسلامى وقبل الغزو الروسى.

وتضم منطقة القوقاز جمهوريات وأقاليم خضعت لروسيا القيصرية ، ثم للاتحاد السوفيتى حيث صارت من جمهوريات الاتحاد، ثم صار منها ثلاث مستقلة؛ وما زال الباقى يسعى للاستقلال ، وهذه الجمهوريات والأقاليم هى[1]:

١- جمهورية أرمينيا : وتقع فى الجزء الجنوبى من القوقاز على حدود تركيا وإيران ، ويزيد عدد سكانها عن المليونين ونسبة المسلمين فيهم حوالى ١٢٪ .

٢- جمهورية أذربيجان : وتقع إلى الجنوب الشرقى من القوقاز ، وبها مدينة باكو العاصمة التى تنتج البترول وعدد سكانها حوالى أربعة ملايين ونصف ونسبة المسلمين فيهم ٧٨٪ وكانت أكثر من ذلك قبل دخول الروس إلى هذه المنطقة .

٣- جمهورية جورجيا : وتشغل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز ، ويبلغ عدد سكان جورجيا حوالى أربعة ملايين ونصف نسمة ونسبة المسلمين فيهم ١٩٪ ، ويعرفون باسم

١- محمود شاكر : قفقاس ، ص٤٦ .

الكرج والعاصمة مدينة «تفليس» . وتضم أقساما إدارية هى «جورجيا» و«أبخازيا» و«آجاريا» .

وتوجد أيضا جمهوريات ذات حكم ذاتى وهى [١]:

١- جمهورية «كبارديا بلكاريا» وكل سكانها مسلمون وهم من العناصر الشركسية .

٢- جمهورية «أوسيتيا الشمالية» وبعض السكان يعتنقون المسيحية والبعض الآخر مسلمون .

٣- جمهورية «شاشان أنغوشيا» وسكانها يدعون أنهم من أصل عربى ، ويبلغ عددهم ما يقارب المليون يتمسكون بالإسلام .

٤- جمهورية أبخازيا : وتقع شمال غربى جورجيا على ساحل البحر الأسود وعاصمتها مدينة «سوخوم» وبعض سكانها مسلمون والبعض الآخر مسيحيون خاصة الذين يقيمون على الساحل .

٥- جمهورية آجاريا : وتقع على ساحل البحر الأسود أيضا بين «جورجيا» و«تركيا» وعاصمتها مدينة «باطوم» وهى مدينة بترولية تصدر بترول «باكو» .

٦- جمهورية داغستان وتقع بين جبال القوقاز وبحر قزوين وعدد سكانها حوالى مليون ونصف وكلهم من المسلمين على اختلاف أجناسهم فيما عدا الروس الوافدين إلى البلاد والعاصمة مدينة «محج قلعة» التى تعرف اليوم باسم «ماخاتشكالا» .

٧- جمهورية ناخشيشيفيان، وهى من الجمهوريات الواقعة إلى الجنوب من أرمينيا على الحدود الإيرانية ، ومن ثم فسكانها من أصل إيرانى ويتمسكون بالإسلام .

وتوجد كذلك مقاطعات ذات حكم ذاتى وهى :

١- كراتشاى الشركسية : وهى مقاطعة ذات حكم ذاتى وتابعة لإقليم «ستافروبول» وسكانها من المغول وكلهم مسلمون .

٢- قره باخ الجبلية : وهى تقع فى جمهورية أذربيجان فى سفوح جبال أرمينيا .

٣- أوسيتيا الجنوبية : والأوستين اسم قبيلة شركسية تقطن القسم الأوسط من جبال القوقاز وتقع إلى الجنوب من جمهورية أوسيتيا الشمالية ، وهى تتبع جمهورية جورجيا.

١- محمود شاكر : نفس المرجع ، ص٤٧ وما بعدها .

٤- الأديغة : وتقع عند ساحل البحر الأسود الشرقى وأهم مدنها ميناء سوخى .

وهذه التقسيمات للبلاد التى يسكنها مسلمون فيما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتى الذى له مخططاته التى تتفق مع نظرة الماركسية إلى الإسلام وإلى كل دين باعتباره مخدر الشعوب كما يقولون ، ومن ثم جاءت هذه التقسيمات لكى تحارب الوجود الإسلامى بين المسلمين وفى نفوسهم . ورغم وجود تشكيلات دينية ومفتى أعظم فى تركستان مركزه طاشقند ، ورغم وجود مفتى أعظم لمسلمى القوقاز ، ومفتى لمسلمى القرم . كان المسلمون يجدون العنت فى القيام بالشعائر الإسلامية[1].

أولا : الغزو الروسى :

عندما تفككت امبراطورية التيموريين وخلفائهم الإسلامية ظهرت دولة روسيا المستقلة وعاصمتها موسكو عام ١٤٨٠م التى أخذت تنتقم من المسلمين فى كل بقعة تتوسع فيها ، فعلى سبيل المثال فقد طرد الروس من مدينة «كازان» التى استولوا عليها عام ١٥٥٢م جميع أهلها المسلمين وذلك ليحلوا مكانهم أبناء جلدتهم من الروس ، ولكن أثناء نزوح هؤلاء المسلمين انتشر الإسلام على أيديهم طوال الطريق التى سلكوها وبين جميع القبائل التى جاوروها[2].

أخذ الروس يتوسعون على حساب الملوك والخانات المجاورين لهم وكانوا يضطهدون المسلمين فى كل بلد يجدونهم فيها ، ففى عام ١٥٨٠م استولى الروس على مدينة «سبير»[3] عاصمة التتار ، وفى عام ١٧٢٢م استولى بطرس الأكبر قيصر روسيا على «الدربند»[4] وسائر سواحل بحر قزوين الغربية ، وفشل شاهات إيران فى إزاحة الروس من هذه المناطق ، حتى انتهى الأمر عام ١٨١٣ بتنازل الإيرانيين عن كل ادعاء لهم فى هذه المناطق [5].

١- محمود شاكر : تركستان ، المرجع السابق، ص١١٧ .

٢- محمود شاكر : تركستان ، ص٣٨-٣٩ .

٣- أطلق الروس اسم سيبيريا على كل البلاد التى تقع إلى الشرق من جبل الأورال وهى مشتقة من اسم عاصمة التتار .

٤- الدربند منطقة تقع بالقرب من بحر قزوين فى آسيا الوسطى .

٥- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص١٨٩ .

وكانت إيران قد وقعت عدة معاهدات مع روسيا لإنهاء الحرب التى دارت أثناء الغزو الروسى لمناطق تركستان والقوقاز أهمها معاهدة «كلستان» التى عقدت بعد حروب لا طائل من ورائها استمرت عشر سنوات من ١٨٠٣-١٨١٣م عقدت بوساطة انجليزية فى معسكر «كلستان» بمنطقة «قراباغ» والتى نصت على تطبيق اصطلاح القانون الدولى : الوضع الراهن StatusQuo بمعنى أن المناطق التى كانت تحت سيطرة حكومة إيران حتى ذلك التاريخ تبقى تابعة لروسيا . ونتيجة لمعاهدة كلستان عام ١٨١٣ م ضمت روسيا إليها نهائيا كرجستان (جورجيا) وشيروان وشكن وكنجة وقراباغ ومغان وقسما من طالش ودربند وباكو [١]. كما فقدت «نجوان» فى معاهدة تركمان جاى التى عقدت بين روسيا وإيران عام ١٨٢٨م ونجوان تعرف الآن باسم ريفان عاصمة أرمينيا .

ويتواكب وجود قبيلة الأتراك العثمانيين بزعامة أرطغرل فى آسيا الصغرى مع إسلام قبيلة «التون أوردا» أى القبيلة الذهبية المغولية ، عندما أسلم خان هذه القبيلة وهو من أحفاد جوجى بن جنكيزخان ويدعى «بركة خان» الذى عقد علاقات ودية مع الظاهر بيبرس سلطان المماليك فى مصر والشام الذى تزوج ابنته لتوحيد أواصر الصداقة بين الطرفين .

وفى حوالى عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨٠م أسلم شقيق أباقان بن هولاكو من الأسرة الالخانية وسمى نفسه أحمد ، وأسلم أتباعه باسلامه ، وتوالى إسلام المغول ، حتى استطاع الإيلخانيون إسقاط دولة سلاجقة الروم فى قونية عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وأدخلوا شبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول) تحت نفوذهم وفرضوا الضرائب على الإمارات التركمانية هناك ومنها إمارة آل عثمان .

ومع نهاية حكم التيموريين - بعد وفاة تيمورلنك - عام ١٤٠٤م / ٨٠٧هـ وفتح القسطنطينية على يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م / ٨٥٧ هـ لتصبح عاصمة لهم باسم «إسلام بول» أصبحت قبلة أتراك ممالك ما وراء النهر وخراسان والقوقاز وباعتبارها مركز الخلافة الإسلامية وسلطانها هو خليفة العالم الإسلامى السنى وحامى الحرمين الشريفين .

ولكن قيام الدولة الصفوية عام ١٥٠٠م / ٩٠٦هـ فى تبريز التى جعلت من نفسها حامية للمذهب الشيعى فى المنطقة التى تفصل شرقى الأناضول عن ممالك وسط آسيا ، قطع الطريق

١- تاريخ إيران ترجمة آقاى سيد محمد تقى فخر داعى كيلانى ص٤٩٢ .

الذى عبره الأتراك السلاجقة فى فتوحاتهم الأولى ، واجتازه تيمورلنك متوجها إلى أنقرة ، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر على علاقة ممالك ماوراء النهر وخراسان والقوقاز بالدولة العثمانية. ومنذ ظهور الدولة الصفوية لم تتوقف عن محاولات نشر المذهب الشيعى فى شرقى الأناضول وجنوب القوقاز غربا وفى خراسان وممالك ما وراء النهر شرقا ، الأمر الذى جعلها -الدولة الصفوية- تخوض حروبا متصلة فى الشرق مع خانات آسيا الوسطى وفى الغرب مع سلاطين الأتراك العثمانيين .

وفى الوقت الذى كانت فيه دولة القبيلة الذهبية- التون أوردا- الإسلامية فى شمال غرب آسيا تتجه نحو الإنهيار عام ١٤٨٠م كان أمير موسكو «إيفان الكبير» الذى حكم فى الفترة من ١٤٦٢-١٥٠٥م - يحاول بسط سيطرته على المناطق المجاورة له حيث ضم كافة الإمارات الإسلامية المستقلة التى كانت تحيط بإمارة موسكو ، ومنذ ذلك الوقت بدأت سياسة روسيا التوسع على حساب الممالك الإسلامية فى القوقاز ووسط آسيا ، مما أدخل دولة الأتراك العثمانيين فى الصراع ضد الاعتداءات الروسية على ممالك الأتراك فى وسط آسيا .

وكانت الدولة العثمانية قد نجحت فى أن تلعب دورا هاما فى المنطقة الشمالية بناء على طلب حاكم القرم «حاجى كراى خان» وتقيم علاقات مباشرة مع خانات القبجاق ، وفى عهد «منكلى كراى خان» ١٤٧٨-١٥١٤م توطد النفوذ العثمانى فى بلاد القرم وتوفير الحماية العثمانية لها ضد مملكة «التون أوردا» التى كانت تسعى لاستعادة القرم ، وإمارة موسكو التى كان لها أطماع فى أملاك «التون أوردا» وقد خرج خان القرم «إسلام كراى» على الدولة العثمانية وأعلن استقلاله عنها عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م .

وقد اتخذ الصراع بين العثمانيين والروس ميدانا له مملكة القرم ، حيث كان الروس ينتهزون فرص خروج بعض خانات القرم على نفوذ الدولة العثمانية لبسط نفوذهم على المناطق الشمالية، وخاصة القازان ١٥٥٢م و استراخان عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م، وبذلك فتحت أمام الروس أبواب آسيا ، وبدأو يضعون الخطط للسيطرة على كل نواحى الفولجا حتى بحر الخزر (قزوين) شرقا . ورغم أن الدولة العثمانية استمالت إلى جانبها جماعات الجركس فى القوقاز، وجماعات كيجى نوغاى فى سهول القبجاق ، إلا أن الروس نجحوا فى استقطاب جماعات من القازان والجركس استخدموا فى الغزو الروسى لسواحل البحر الأسود .

ويمكن القول أن عصر قوة العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى ظهرت بعد امتلاك الدولة العثمانية لأقطار العراق والشام ومصر والحجاز ، وبعد أن أصبح السلطان

العثمانى حامى الحرمين الشريفين وخليفة المسلمين ، وبعد أن قامت فى فارس دولة شيعية تحاول نشره شرقا وغربا على حساب العالم الإسلامى السنى الذى تتزعمه الدولة العثمانية ، وقد ساعد كل ذلك على التقارب بين الدولة العثمانية وبين خانات آسيا الوسطى والقوقاز والممالك السنية هناك التى كانت تتجه صوب إسلامبول فى مواجهة الخطر الصفوى الشيعى ، مثل خانات الأوزبك من الأسرة الشيبانية فى بخارى وسمرقند ، وفى الوقت نفسه كانت إسلام بول ترسل مساعدات عسكرية إلى خانات الأوزبك فيما وراء النهر .

وكانت روسيا أسبق الدول الأوروبية فى معاداة الدولة العثمانية ، وفى السيطرة على المناطق الإسلامية فى القوقاز وتركستان ، من ذلك أنها انتهزت فرصة اضطراب القيادتين العثمانية والقرمية المشتركة فى القرم وبدأت فى بسط سيطرتها على مملكة «التون أوردا» فى استراخان ، ومنها إلى شبه جزيرة القرم مستغلة الخلافات داخل الأسرة الحاكمة فى القرم والخلاف بين بعض أفراد هذه الأسرة مع الدولة العثمانية ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية - كما ذكرنا- تعانى من اعتداءات الدول المجاورة مثل امبراطورية النمسا والمجر .

وفى الربع الأخير من القرن الثامن عشر نجحت روسيا بالتآمر وعن طريق معاهدة «كوجك قينارجة» عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م فى إرغام الدولة العثمانية على التنازل عن أراضى شاسعة أغلب سكانها من المسلمين السنة ، وكان أن دخل الجيش الروسى القرم عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م وبعد خمس سنوات (١٧٨٣م) اعتبرت القرم ولاية من الولايات الروسية ولاقى سكانها المسلمون الاضطهادات والعنت من الروس ، مما اضطر الكثيرين منهم إلى الهجرة إلى أراضى الدولة العثمانية .

وبسقوط القرم فى يد الروس أصبح الطريق مفتوحا أمام الروس لاحتلال القوقاز ، وكانوا قد أرسلوا حملة إلى هناك عام ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، ومنذ ذلك الوقت أخذ الروس يوطدون علاقاتهم مع المجموعات النصرانية هناك كالأرمن والكرج فعقدوا تحالف معهم ضد الدولة العثمانية وضد فارس ، ثم سقط فى يد الروس الشاطئ الغربى لبحر الخزر (قزوين) وميناته فى «دربند» فى عام ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م ، ثم احتلوا مدينة «باكو» بعد عامين (١٧٢٤م) ، هذا فى الوقت الذى رحب فيه الشاه «طهما سب» شاه فارس باحتلال الروس لمدن «دربند» و «باكو» وتعهد بالتنازل لروسيا عن جيلان ومازندران واستراباد بشرط مساعدته فى البقاء على عرش إيران .

ونتيجة للضعف الذى أصاب الدولة العثمانية ، أواخر القرن الثامن عشر تنازلت لروسيا عن «قابارتاى» شمالى القوقاز بموجب معاهدة كوجك قينارجة المشار إليها ، وفشلت قوات الدولة فى مساندة كفاح مسلمى القوقاز ضد الغزو الروسى، الذى تمكن عام ١٧٩١م / ١٢٠٥هـ من احتلال «أنابا» ، ثم تمكن الروس من هزيمة القوات العثمانية فى شمال القوقاز خلال معارك حربية عام ١٨٢٨ - ١٨٢٩م / ١٢٤٤هـ وبسطوا نفوذهم على قسم كبير من القوقاز .

ونتيجة لحركة الشيخ شامل فى الشيشان والقوقاز ضد روسيا ونتيجة لحرب القرم الأوروبية عام ١٨٥٦م فشلت الدولة العثمانية فى المحافظة على ممتلكاتها فى القوقاز ، حيث انسحبت القوات العثمانية من المناطق التى استعادتها من روسيا أثناء حرب القرم ، كما اعتبرت روسيا جميع أراضى القوقاز - بعد القضاء على ثورة الشيخ شامل عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م مركز الروس العسكرى فى المنطقة للإنطلاق إلى ممالك آسيا الوسطى [١].

وعندما حاولت الدولة العثمانية تقديم المساعدات للثورة الإسلامية التى كان يقودها الشيخ شامل فى القوقاز ، أعاق الإنجليز والفرنسيون وصول هذه المساعدات بالتفاهم مع الروس ، باعتبار أن هاتين الدولتين كان يهمهم انشغال روسيا بتوسعاتها فى القوقاز ووسط آسيا حتى لاتتجه بأطماعها إلى أوروبا أو الشرق العربى .

ونتيجة لهذه السياسة الاستعمارية استطاعت روسيا القيصرية الاستيلاء على بقية ممالك القوقاز ثم على خانات وسط آسيا الواحدة تلو الأخرى . فسقطت خانية «خوقند» فى يد

١- كانت الدولة العثمانية قد استطاعت أن تمد حدودها الشرقية إلى سواحل بحر الخزر خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى/ القرن العاشر الهجرى على أثر انهيار دولة «التون أوردا» ، حيث ضمت كل هذه المناطق بما فيها القوقاز ، إلا أن الدولة اضطرت فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى للتنازل عن قسم من هذه المناطق لإيران وبقيت القوقاز الغربية فقط تخضع للحكم العثمانى ، حيث تشكلت فى المناطق العثمانية هناك ثلاث إمارات هى : آجيق باس ، وميتجرة لى - دادبانده، وكوريل . وكانت هذه الإمارات الكورجية الثلاثة يشرف عليها والى «جيلدر» العثمانى ، وتدير شئونها الداخلية بصفة مستقلة . وكانت الدولة العثمانية قد أقامت على سواحل البحر الأسود الشرقية من ناحية القوقاز عدة قلاع لحمايتها من تعديات الروس .

د. سيد محمد السيد : لمحات من تاريخ العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية بحث من أبحاث مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز جامعة الأزهر .

الروس أخيرا في عام ١٨٧٦م، وكل من «سمرقند» و«بخارى» و«طاشقند» و«خيوة» ثم «عشق أباد» و «مرو» و«سرخس» الواحدة تلو الأخرى ، في الوقت الذى انشغلت فيه الدولة العثمانية بمواجهة مؤامرات انجلترا وفرنسا للاستيلاء على ممتلكاتها في البلقان والأقطار العربية في شمال أفريقيا والمشرق العربي .

ونتيجة للسيطرة الروسية على القرم وممالك القوقاز وآسيا الوسطى والاضطهاد الذى لاقاه المسلمون في تلك البلاد على يد الروس الذين فرضوا عليهم التنصير أو الإبادة ، هاجر كثير من مسلمي تلك البلاد إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى في الأناضول والروميلي ، حيث بدأت هجرة أهل القرم منذ ضمها ضما مباشرا إلى روسيا عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، وبلغ عدد المهاجرين من القرم في الفترة من ١٨٥٦ و ١٨٦٤ م ٥٥٠ ألف مسلم ، كما بدأت هجرة أهل القوقاز الجماعية عقب فشل حركة الشيخ شامل هروبا بدينهم من محاولات التنصير الروسية منذ عام ١٨٦٢م واستمرت حتى سنوات الحرب العالمية الأولى. وتبلغ جملة الهجرات الإسلامية من القرم والقوقاز وغيرها إلى الأراضي العثمانية حوالي ثلاثة ملايين مسلم، وفي المقابل هاجر من الدولة العثمانية إلى الأراضي الروسية حوالي ١٥٠ ألف من الأرمن و ٧٠ ألف من البلغار .

وعندما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م حاولت استمالة مسلمي القرم والقوقاز ووسط آسيا من باب فضح النظام القيصري وتعرية سياسته لتبرير قيام البلشفيك بالثورة ضد القيصرية ، فأعلن كل من لينين وستالين الإعلان التالي : «أيها المسلمون في روسيا القيصرية، يا تتار سواحل الفولجا والقرم ، يا قيرغيز وصغد سيبيريا وتركستان ، أيها الترك والتتار في نواحي القوقاز يا ججن القوقاز ، أيها الداغستانيون ، يامن هدمت مساجدهم ومنابرهم بيد ظلمة قياصرة الروس ، يا من سحقت أديانهم وعاداتهم نتوجه إليكم جميعا بالخطاب ، إننا نعلن من الآن أن عقائدكم وعاداتكم وجميع مؤسساتكم القومية والمدنية حرة ومصونة من كل تعدى وتجاوز ، قوموا وأقيموا حياتكم القومية بحرية وبدون أي اعتراض ، ولكم حق في ذلك ، واعلموا أن حقوقكم وحقوق كل الأمم التي تعيش في روسيا تحميها قوى الثورة البلشفية والسوفيت من ممثلي العمال والجنود والفلاحين الذين هم أعضاء في هذه الثورة، فقدموا يد العون للثورة البلشفية وللحكومة البلشفية [1]».

١- المرجع السابق . و د. محمود متولي : المسلمون والحكم الشيوعي السوفيتي دراسة تاريخية مؤتمر المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز . جامعة الأزهر .

ثانيا : جمهوريات القوقاز المستقلة :

كانت اتفاقية «منسك » - عاصمة بيلاروسيا - فى ٨ ديسمبر ١٩٩١م البداية القانونية لتفكك الاتحاد السوفيتى القائم منذ عام ١٩٢٢م، حيث قررت الجمهوريات الثلاث الكبرى فى الاتحاد السوفيتى وهى روسيا الاتحادية وبيلاروسيا (روسيا البيضاء) وأوكرانيا تشكيل رابطة بينها تحل محل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، عرفت باسم «كومنولث الدول المستقلة». وقد أعلنت جمهوريات وسط آسيا الخمس وجمهوريات القوقاز الثلاث : أرمينيا ، أذربيجان ، چورچيا ، انضمامها للكومنولث الجديد شريطة حصولها على حقوق متساوية واعتبارهم دولا مؤسسة .

فكيف تمزق أو تفكك الاتحاد السوفيتى ؟ نستطيع تلخيص العوامل المسئولة عن هذا التفكك فى الآتى:

١- تخلى الاتحاد السوفيتى منذ منتصف عام ١٩٦٠م عن فكرة الحرب الحتمية بين الماركسية والرأسمالية ، حتى حدث الانفراج بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى للحد من التسلح ، وفيما عرف بالوفاق الدولي.

٢- ضغط الولايات المتحدة الأمريكية على الاتحاد السوفيتى اقتصاديا فى السبعينات من القرن العشرين فيما عرف بالهجوم المتواصل بعد طرد الخبراء السوفييت من مصر عام ١٩٧٢م، وتأييد الصومال ضد النظام الماركسى فى أثيوبيا ، ومساعدة الأفغان لطرد السوفييت من أراضى أفغانستان ، وكل هذا تسبب فى أزمات اقتصادية حادة للاتحاد السوفيتى .

٣- الاختلافات العرقية داخل جمهوريات الاتحاد السوفييتى، إلى جانب الاختلافات الدينية. وتطلع شعوب الجمهوريات إلى النموذج الأفغانى حيث نجح المجاهدون الإسلاميون فى إرغام القوات السوفيتية على الخروج من أفغانستان ، وتطلع الشعوب الإسلامية إلى استعادة هويتها الإسلامية المعطلة فى ظل الحكم الشيوعي .

وبالنسبة لجمهوريات القوقاز يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

أ- جمهورية أذربيجان [١]:

دخل الإسلام إلى هذه البلاد فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، وفى عهد الأمويين اتحدت أذربيجان مع كردستان فى ولاية عربية إسلامية واحدة، وتدعمت سلطة المسلمين هناك وخاصة بعد اتخاذ مدينة تبريز مركزا للولاية فى عهد العباسيين، ومنها انطلقت الفتوحات الإسلامية فى شمال القوقاز.

وحدود أذربيجان تبدأ من إيران فى الناحية الشمالية الغربية، وسواحل بحر قزوين، وروسيا شمالا ، ومع كردستان ومع العراق جنوبا ، وعاصمتها مدينة «باكو» التى تقع غرب سواحل بحر قزوين وأكثر أهلها من المسلمين سنة وشيعة ، ومنهم ذوى أصول إيرانية، وتركية وتركمانية وأرمن ويهود .

ويبدأ التاريخ الحديث لأذربيجان فى القرن السادس عشر الميلادى حينما دخلت تحت حكم الصفويين الشيعة فى إيران الذين اتخذوا من مدينة تبريز عاصمة لهم ، وقد شكل الأتراك الأذريون النواة الأساسية للجيش الصفوى ، وقد وقعت أذربيجان بين كل من الدولة الصفوية الشيعية والدولة العثمانية السنية، وقد استولى العثمانيون عليها من عام ١٥١٤ حتى عام ١٦١١م، وقد أدى الصراع العثمانى الإيرانى إلى تمكن الروس من الاستيطان فى نواحى الفولجا واستولوا على استراخان عام ١٥٥٦م فجاوروا بذلك أذربيجان .

وبانتهاء الصراع حول أذربيجان فى منتصف القرن الثامن عشر أنشأ الأتراك الأذريون خانات : شيروان ، شاكى، قراباغ، طاليس ، قوبا ، كنجة ، باكو ، فى محاولة منهم أن يتجمعوا ويشكلون كيانا واحدا، وبدأوا يعيشون حياة شبه مستقلة تحت حكم أمرائهم المرتبطين بايران[٢].

ومع بدايات القرن التاسع عشر بدأ الغزو الروسى لإذربيجان ، الذى تمخض عن توقيع المعاهدة الإيرانية الروسية (توكمان جاى) عام ١٨٢٨م التى قررت ترك الإيرانيين الجزء الكبير

١- تذكر بعض المصادر أن اسم أذربيجان جاء نسبة إلى «أذرباز» من أحفاد نوح عليه السلام، أو نسبة إلى النار «آزار آتسن» التى كانت تعبد هناك قبل الإسلام ، د. أحمد محمد الهوارى: أتراك أذربيجان والاحتلال الروسى ، من أبحاث مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر .

٢- المرجع السابق .

من أذربيجان لحكم الروس، ومن ثم توافد الروس للاقامة فى أذربيجان ، ولكن الآذاريين قاوموا الاستغلال الروسى، وقاد المقاومة «حركة قاجن» فى أواخر القرن التاسع عشر ، فى الوقت الذى اتفقت فيه كل من إيران وروسيا على تقسيم أذربيجان بينهما، حتى إذا قامت الحرب العالمية الأولى وثورة أكتوبر ١٩١٧م انسحبت القوات الروسية من كل القوقاز ، وكان هذا سعادة للآذاريين.

ولكن الروس استعادوا سيطرتهم باسم الاشتراكية على كل أذربيجان وجعلوا عاصمة أذربيجان مدينة باكو رغم محاولة أذربيجان عام ١٩١٨م إعلان الاستقلال، وأقام الروس فى أذربيجان حكومة شيوعية ، وأعلنوا قيام أذربيجان السوفيتية الاشتراكية فى ٢٨ أبريل عام ١٩٢٠م، ولكن فى ١٢ مارس ١٩٢٢م منحوا أذربيجان العضوية فى جمهورية القوقاز الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية ، ودخلتا أيضا جمهوريتا أرمينيا (أرمنستان) وجورجيا (جورجستان) [١]. حتى صارت كل من الجمهوريات الثلاث دولا مستقلة عام ١٩٣٨ م فى إطار الاتحاد السوفيتى.

وتبلغ مساحة أذربيجان ٨٦٦٠٠ كيلو مترا مربعا ، وعدد سكانها الحاليين حوالى ثمانية ملايين نسمة أكثر من ٨٠٪ منهم مسلمون أكثرهم شيعة ، إلى جانب أرمن وروس وإيرانيون ويهود يتركزون فى العاصمة باكو. وتشتهر أذربيجان بوجود البترول والغاز الطبيعى إلى جانب أخشاب الأشجار والقطن والتبغ والفواكه والخضروات والأغنام والخيول، بالإضافة إلى المعادن المتنوعة التى تستخدم فى الصناعات المتعددة.

ب- أرمينية :

تقع جمهورية أرمينية فى الجزء الجنوبى من القوقاز ولها حدود مشتركة مع كل من تركيا وإيران وأذربيجان وجورجيا ، وعاصمة أرمينية مدينة «بريفان» وعدد سكانها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة يمثل المسلمون فيهم حوالى ١٢٪ من عدد السكان، والمدلول الجغرافى لكلمة أرمينية يقصد به المنطقة الأكثر ارتفاعا فى غرب قارة آسيا، تحدها آسيا الصغرى من الغرب ، وهضبة أذربيجان من الشرق والجنوب الشرقى، وجبال القوقاز من الشمال، وبلاد حانيق ولازستان الواقعة على البحر الأسود من الشمال الغربى، وأرض الجزيرة بين نهرى دجلة والفرات من الجنوب .

١- نفس المرجع السابق .

وأراضي جمهورية أرمينية جبلية في جملتها يفصلها نهر كورا في الشمال عن جبال القوقاز، ونهر راس يفصلها من ناحية الجنوب عن إيران وتركيا وأعلى جبال أرمينية جبل أرارات وارتفاعه ٤٠٩٠ متر، وقد عرف عند الجغرافيين العرب باسم الحارث [١].

والأرمن مقسمون حاليا بين ثلاث دول : قسم يتبع تركيا ، والقسم الثاني يتبع إيران، والقسم الثالث هو جمهورية أرمينية التي كانت عضوا بالاتحاد السوفيتي قبل الاستقلال وهذا يدل على تأثر أرمينية عبر تاريخها الحديث بسياسة كل من تركيا وروسيا بصفة خاصة نحو أرمينية .

وهناك خلاف بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم ناجورنو قره باخ ذي الأغلبية الأرمينية والواقع ضمن أراضي جمهورية أذربيجان ، حيث لجأت أرمينيا إلى غزو أراضي أذربيجان والسيطرة على إقليم ناجورنو قره باخ .

ج- چورچيا :

تقع چورچيا إلى الشرق من البحر الأسود ، وتشغل السفوح الجنوبية لجبال القوقاز ، وتشترك حدودها مع كل من روسيا الاتحادية وأرمينية ، وأذربيجان ، وبعض الجمهوريات ذات الحكم الذاتي مثل الشيشان والأنجوش والداغستان، وكان العرب يسمون تلك البلاد باسم «كرجستان» وأهلها باسم «الكرج» ، وعاصمتها مدينة «تفليس» وأقسامها الإدارية: چورچيا، أبخازيا ، آجاريا، أوسيتيا الجنوبية، وتشتهر بالحاصلات الزراعية وأهمها الفاكهة والشاي إلى جانب المعادن والمراعي [٢].

د- جمهوريات ذات حكم ذاتي في القوقاز :

من أهم هذه الجمهوريات والتي تسعى للانفصال عن روسيا الاتحادية كل من :

١- جمهورية شيشان - أنجوش :

تقع جمهورية الشيشان - الأنجوش في شمال غرب القوقاز إلى جوار جمهورية چورچيا ، وتتمتع بأراضي جبلية وعرة شأنها شأن بقية أقطار القوقاز ، وعاصمة الجمهورية مدينة

١- عمر محمد الصادق : اقتصاديات الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى المحور الجغرافي مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر .

٢- المرجع السابق .

جروزنى، ويبلغ عدد سكان الجمهورية حوالى مليون ونصف المليون نسمة معظمهم مسلمون، وبأراضى الجمهورية ثروات اقتصادية هامة مثل البترول وأخشاب الأشجار والأراضى الزراعية ، وقيام كثير من الصناعات الكيميائية والهندسية.

وعندما تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م تطلع الشيشان إلى إعلان بلادهم دولة مستقلة أسوة بكل من أذربيجان وأرمينية وجورجيا ، وقاد «جوهر دواديف» الذى صار رئيسا للجمهورية فى نوفمبر ١٩٩١م حركة الاستقلال ، وقد عارضت روسيا هذا الاستقلال، ومن ثم بدأت حرب شرسة وقاسية بين قوات الحركة الاستقلالية الشيشانية وبين القوات الروسية مازالت مستمرة حتى الآن[١].

٢- جمهورية بشكيريا (بشكورتوستان):

تقع الجمهورية فى منطقة جبال أورال ومساحتها حوالى ١٤٣٦٠٠كم٢، وعاصمتها مدينة «أوفا» وعدد سكانها حاليا حوالى خمسة ملايين نسمة منهم حوالى ٦٠٪ مسلمين، وهى غنية بالثروة البترولية وبالصناعات الكيمائية والهندسية والحاصلات الزراعية.

وكانت بشكيريا قد خضعت لروسيا عام ١٥٥٧م ، ثم تمتعت بالحكم الذاتى فى ٢٣ مارس عام ١٩١٩م، وعلى الرغم من إعلانها الاستقلال التام عن روسيا عام ١٩٩٠م، فان السلطة المركزية فى موسكو تسيطر على أمورها السياسية ، رغم أن لها دستور خاص بها وتتمتع بالاستقلالية فى قراراتها الاقتصادية ، وتحاول أن تنفض عنها السيطرة الروسية[٢].

٣- جمهورية تتارستان:

تقع الجمهورية إلى الشرق من موسكو وعاصمتا مدينة «كازان» وعدد سكان الجمهورية حاليا حوالى خمسة ملايين نسمة غالبيتهم مسلمون إلى جانب جالية روسية كبيرة، ومساحة الجمهورية حوالى ٦٨ ألف كيلو متر مربع . ويتوفر بالجمهورية البترول والغاز بكميات كبيرة.

وكان الروس قد نفوا كثيرا من التتار إلى القرم وإلى سيبيريا وجبال الأورال وموسكو وسان بطرسبرج وغيرها عند احتلالهم للبلاد حتى يضعفوا من مقاومتها لهم، وكان ذلك عام ١٥٥٠م.

١- المرجع السابق.

٢- المرجع السابق.

والجمهورية تتمتع بحكم ذاتى داخل روسيا الاتحادية، وإن كان سكانها يتمنون استعادة هويتهم الإسلامية ، ويتطلعون إلى الاستقلال .

٤- جمهوريات داغستان ، شمال أوسيتيا ، كابردين البلكار، ناخيشيفان ، أبخازيا ، أجار، الداغستان تقع بين بحر قزوين وجمهورية الشيشان ، ومعظم سكانها مسلمون. أما أوسيتيا الشمالية فعدد سكانها حوالى المليون، تبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٣٪ وبها صناعات معدنية وتعدين وزراعة ، وكان بها حوالى ٥٠٪ من السكان أنجوش تم طردهم بمعرفة الرئيس السوفيتى ستالين عام ١٩٤٤ م فلجئوا إلى جمهورية الشيشان المجاورة . أما جمهورية كاباردين البلكار فيبلغ نسبة المسلمين فيها ٧٥٪ من جملة عدد السكان وأما جمهورية ناخيشفيان فتقع ضمن أراضى جمهورية أذربيجان وتقع على الحدود مع تركيا وإيران وعدد سكانها نصف مليون نسمة وتجاور إقليم ناجورنو قره باخ ذا الحكم الذاتى. وأما جمهوريتى أبخازيا وأجار فتقعان داخل أراضى جمهورية چورچيا ، ومعظم سكانها من المسلمين[١].

هـ- أقاليم ذات حكم ذاتى: وتتمثل فى:

١- إقليم الأديج ٢- إقليم كارشاى الشركسى.

٣- إقليم استراخان ٤- إقليم أورنبرج نسبة المسلمين فيها ٥٣٪ .

و- مقاطعات ذات حكم ذاتى :

١- إقليم أوسيتيا الجنوبية الواقع ضمن أرض جمهورية چورچيا.

٢- إقليم ناجورنو قره باخ ، ويقع فى داخل أرض جمهورية أذربيجان ومساحته حوالى ٤٤٠٠كم٢ وعدد سكانها حوالى ٢٠٠ ألف نسمة ٧٠٪ منهم من الأرمن و٢٥٪ من الأذريين، ويتميز الإقليم بوفرة مياهه، وأراضيه الزراعية الخصبة ، والإقليم متنازع عليه بين أرمينيا المجاورة وبين أذربيجان منذ عام ١٩٩٠م، حيث احتلت أرمينيا الاقليم ومازالت المشكلة قائمة بين البلدين رغم تدخل هيئة الأمم المتحدة[٢].

١- المرجع السابق.

الباب الرابع

أقطار العالم التركى الإيرانى

مقدمة

يطلق اصطلاح العالم التركى الإيرانى على سكان هضبة الأناضول والهضبة الإيرانية الممتدة حتى نهر سيحون (سرداريا) وجيحون بل وحتى غرب الصين ، نظرا لأن سكان تلك المناطق تربطهم بعضهم ببعض علاقات اجتماعية وثقافية إلى جانب العوامل الجغرافية والتاريخية ، فأتراك الأناضول جاءوا من بلاد ما وراء النهر أى من تركستان ومروا بالهضبة الإيرانية وتأثروا بأحوالها الاجتماعية والثقافية ، ومن ثم نجد كثيرا من مفردات اللغة التركية ذات أصول فارسية إلى جانب العادات والتقاليد المتشابهة بين سكان هضبة الأناضول والهضبة الإيرانية.

وسكان الهضبة الإيرانية أثروا فى أقطار وسط آسيا (تركستان) تأثيرات اجتماعية وثقافية ، ومنها التأثير الشيعى منذ أن اتخذت الدولة الصفوية فى إيران مذهب التشيع لعلى بن أبى طالب وبنيه مذهبا رسميا للدولة عام ١٥٠٠م، ومن ثم نجد أعدادا ليست بالقليلة فى أقطار تركستان قد اتخذوا من التشيع مذهبا دينيا لهم- ومن ثم نجدهم يتعاطفون مع قضايا الشعب الإيرانى وحكامه ولعل هذا ما دعا إيران- بعد تفكك الاتحاد السوفيتى - من النظر إلى تلك الأقطار ومحاولة ترويج فكرة العالم الإيرانى فى مواجهة مصطلح العالم التركى.

وفى محاولة لاستيضاح التاريخ الحديث بأحداثه فى تلك المنطقة من قارة آسيا، لابد لنا أن نعالج تاريخ الدولة العثمانية منذ كانت قبيلة تركية وفدت من وسط آسيا (تركستان) حتى أصبحت دولة كبرى (امبراطورية) ضمت كثيرا من البلاد الأوروبية والعربية.

وبالمثل نتناول تاريخ إيران (فارس) وخاصة فى العصر الحديث الذى يبدأ من قيام الدولة الصفوية الشيعية عام ١٥٠٠ على يد الشاه اسماعيل الصفوى حفيد الشيخ صفى الدين صاحب المذهب الصوفى الشيعى، وتطور الحكم فى إيران خلال القرون السادس عشر حتى القرن العشرين.

كما نتناول تاريخ (تركستان) بعد الأحداث التى مرت بها على يد جنكيز خان وأبناؤه وخاصة بعد الغزو الروسى لتلك الأقطار وما صحبه من سياسات لسحق الهوية الإسلامية، لشعوب تلك الأقطار، حتى تهيأ لها الاستقلال الكامل بعد تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م.

الفصل الأول

تركيـــــــا

أصل الأتراك - الدولة العثمانية - تركيا المعاصرة - دولة الأتراك العثمانيون فى خدمة الحضارة الإسلامية .

أصل الأتراك

يعود أصل الأتراك سكان تركيا- شبه جزيرة آسيا الصغرى- إلى السلاجقة الذين ينتمون إلى «الغز» الذين كان موطنهم يمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر الخزر (قزوين) وكانوا على اتصال مستمر ببلاد ما وراء النهر خاصة مناطق التركستان الشرقية .

ويرجع تاريخ الأتراك الذين سكنوا هضبة الأناضول إلى أوائل القرن السابع الهجرى الموافق لأوائل القرن الثالث عشر الميلادى عندما هاجرت مجموعة من أتراك وسط آسيا هربا من الفظائع التى ارتكبها جنكيزخان وأولاده ضد المسلمين هناك ، وهذه المجموعة سارت حتى وصلت إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى ، بزعامة «أرطغرل» الذى انضم إلى أحد فريقين من سكان الأناضول يتقاتلان ، وعندما انتصر الفريق الذى نصره أرطغرل ورجاله منحهم السلطان السلجوقى المنتصر- وكان سلطانا على قونيه - أرضا خصبة متسعة تقع على الضفة اليسرى لنهر سقاريا وسفوح جبال أرمينيا وهضابها على حدود الإمبراطورية البيزنطية ، ثم نصبه أميرا على مقاطعة «إسكى شهر» .

العثمانيون :

وترجع تسمية الإمارة التركية هذه باسم إمارة عثمان أو الإمارة العثمانية إلى عثمان بن أرطغرل الذى يرجع تاريخ ميلاده إلى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ومن الصدف أن يكون مولد عثمان فى نفس السنة التى غزا فيها المغول بقيادة هولاكو بغداد عاصمة الخلافة العباسية وفى عام ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م نجح عثمان فى صد هجوم المغول على آسيا الصغرى خاصة بعد أن هرب من وجههم آخر سلاطين السلاجقة حيث قتل فى بلاط امبراطور الدولة البيزنطية ؛ ومن ثم بسط عثمان سلطانه على الإمارات التركية الأخرى فى آسيا الصغرى، وضرب السكة باسمه

وجعل الدعاء في الخطبة له واستمر في التوسع على حساب الدولة البيزنطية حتى بلغ شواطئ البحر الأسود وبحر مرمرة ، وفتح له ابنه أورخان مدينة بروسة فاتخذها عاصمة له وتوفي بها عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦ م .

وتوالى على حكم الدولة العثمانية سلاطين عظام لمدة قرنين ونصف تقريبا أمثال أورخان بن عثمان الذي أنشأ فرق الانكشارية للمساعدة في محاربة جيوش الإمبراطورية البيزنطية ، والذي نزلت قوات دولته لأول مرة في الأراضي الأوروبية واستولت على تراقيا ومات عام ٧٦١هـ / ١٣٥٩هـ.

ومراد الأول بن أورخان الذي دخلت قواته مدينة أدرنة- واستولت عليها من أيدي القوات البيزنطية وأصبحت هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية ابتداء من عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م، إلى جانب الاستيلاء على مقدونيا وسالونيك ومدينة صوفيا حاضرة الصرب وبلغاريا كما استولى مراد الأول على كل الإمارات الباقية والتي قامت على أنقاض الأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى ومنها أنقرة وقونية وقرمان وقرمه سي .

وعندما قتل مراد الأول غدرا على يد أمير صربي خلفه ابنه بايزيد الأول عام ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، الذي هزم تحالف الصليبيين من الألمان والفرنسيين والروس بقيادة ملك المجر سيجسموند ، ذلك التحالف الذي تشكل بهدف طرد العثمانيين المسلمين ، كما أن تيمورلنك بدأ الإغارة على أطراف الدولة في الأناضول واستولى على بعض بلادها حتى وفاة بايزيد الأول عام ١٤٠٣ م .

وبوفاة بايزيد الأول خلفه ابنه محمد الأول الذي قضى عشر سنوات يقضي على الفتن الداخلية سواء تلك التي حدثت بين أخوته للوصول إلى الحكم أوالدراويش أدعياء التصوف حيث ارتقى الحكم في عام ٨١٦هـ / ١٤١٣م وإن لقي بعض الهزائم في بحر إيجه على يد أسطول البندقية أو أمام صلابة أهل المجر ، وقد توفي عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م .

وخلفه مراد الثاني الذي قضى مدة حكمه في القضاء على ثورة القرمانيين باسيا الصغرى، وفي محاربة أمراء الصرب والبشناق والأفلاق والمجر بزعامة القائد المجري الشهير «هونياد» تلك الحرب التي انتهت عام ١٤٤٨م بخضوع الصرب كلها للسلطان العثماني، كما حارب مراد الثاني الألبان بزعامة قائدهم اسكندر بك الذي ظل يقاتل العثمانيين في عهد كل من مراد الثاني ومحمد الثاني .

وكان محمد الثانى المشهور باسم الفاتح قد خلف أبوه مراد الثانى الذى مات ودفن بأدرنة عام ١٤٥١م ، وقد انصرف إلى القضاء على فتنة القرمانليين بآسيا الصغرى التى لم تكن قد خمدت نهائيا فى عهد مراد الثانى، كما أنه عزم على فتح القسطنطينية ليتخلص من مؤامرات الإمبراطور البيزنطى، وقد استطاعت الجيوش العثمانية دخول المدينة من فتحة بالسور وتحولت كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد ، وأطلق عليها اسم «إسلام بول» أى مدينة الإسلام ورفع عليها العلم التركى ذو الهلال . كما نجح محمد الثانى فى إخضاع بلاد المورة وبلاد الصرب وألبانيا، كما سلمت له كل جزر الأرخبيل اليونانى واهتم بأعمال العمران والعلم والفن حتى توفى عام ١٤٨١م .

وبعد وفاة محمد الثانى خلفه ابنه بايزيد الثانى ، وكانت أهم الأحداث فى عهده تأزم العلاقات بينه وبين سلاطين المماليك فى مصر والشام بسبب التجاء «جم» أخ بايزيد الثانى إلى مصر ، وقيام الأسطول العثمانى بقيادة «كمال ريس» بنجدة مسلمى غرناطة الفارين بدينهم من ملاحقة الأسبان الكاثوليك المتعصبين والدخول فى حرب مع أساطيل البندقية وأسبانيا والبابوية .

وفى أوائل القرن السادس عشر الميلادى قفز سليم بن بايزيد إلى الحكم بعد أن خلع والده من عرش السلطنة العثمانية ، وكانت أهم أحداث عهده ما يلى:

١- تعقب معتنقى المذهب الشيعى فى أملاك الدولة الشرقية وقضى عليهم .

٢- تخلص من منافسيه على الحكم : إخوته وأمراء الأسرة .

٣- شن حرب ضد الشاه اسماعيل الصفوى شاه فارس الشيعى عام ١٥١٤م وهزيمة الأخير فى موقعة «جالديران» وهربه أمام تقدم سليم الأول إلى العاصمة الفارسية تبريز ، ثم العودة إلى استانبول .

٤- شن حرب ضد سلطنة المماليك بالاستيلاء على الشام عام ١٥١٦ م ومقتل قانصوه الغورى سلطان المماليك فى مرج دابق قرب حلب، ثم التقدم إلى مصر والاستيلاء عليها عام ١٥١٧م، وشنق السلطان طومان باى .

وبعد وفاة سليم الأول خلفه فى السلطنة ابنه سليمان عام ٩٢٦هـ ١٥٢٠م ، وقد شهدت الدولة فى عهده عدة أحداث أهمها الاستيلاء على جزيرة رودس وطرد محتليها فرسان القديس

يوحنا ، واقتحام مدينة بلغراد عاصمة الصرب والاستيلاء على مدينة فينا عاصمة النمسا بعد أن هزم النمساويين عام ١٥٢٩م، ولكنه فشل . إلى جانب تأييد عمليات الجهاد البحرى الإسلامى ضد الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى الحوض الغربى للبحر المتوسط بقيادة بابا عروج وخير الدين باباروسا وسنان باشا وطرغود باشا وغيرهم ، بالإضافة إلى إرسال سفن حربية عثمانية لمساعدة مسلمى الهند ضد البرتغاليين . كما يرجع الفضل إلى سليمان فى وضع نظام حكم للدولة بتقسيمها إلى ولايات ، ومن ثم عرف بالقانونى أو المشرع .

وتوفى سليمان القانونى فى ٥ أغسطس عام ١٥٦٦ م أثناء معاركه مع المجريين فخلفه ابنه سليم الثانى الذى تم فى عهده الاستيلاء على جزيرة قبرص بعد هزيمة أساطيل أسبانيا والبندقية والبابوية ، وإن اتسم عهده بالضعف حتى ترك لليهود فرصة التحكم فى الأمور الاقتصادية .

وجاء بعد سليم الثانى ابنه مراد الثالث الذى رغم استمرار مظاهر ضعف الحكم فى عهده إلا أن الجيش العثمانى حقق انتصارات على الفرس بعد اختراق القوقاز والاستيلاء على تفليس ، مما اضطر الشاه عباس الكبير إلى التنازل للعثمانيين عن أذربيجان والكرج والكف عن مهاجمة الخلفاء الراشدين الثلاثة أبوبكر وعمر وعثمان فى بلاده .

وخلف مراد الثانى سلاطين ضعاف لم يسجل لهم التاريخ أحداثا مهمة مثل محمد الثالث ، وأحمد الأول ، وعثمان الثانى ، ومصطفى الأول .

ثم تولى الأمر السلطان مراد الرابع الذى قضى على ثورة لجند الانكشارية واسترد بغداد من الفرس وقضى على ثورة الأمير فخر الدين المعنى الدرزى بلبنان وتوفى عام ١٦٤٠م ، وبعده عاشت الدولة عصرا من الهزائم بسبب ضعف السلاطين أمثال إبراهيم ، ومحمد الرابع، وسليمان الثانى، ومصطفى الثانى . وقد هيأ الله لسلاطين آل عثمان الضعاف هؤلاء أسرة ألبانية عرف رجالها بالكفاية والحزم والذكاء هى أسرة كوبريلى «التى تولت زمام الأمور فى استانبول فى منصب الصدارة العظمى لمدة ٥٠ سنة من عام ١٦٤٠م إلى عام ١٦٩١م، وقد استطاع أفراد هذه الأسرة الحفاظ على كثير من مكاسب الدولة فى حروب متصلة مع فارس ومع الدول الأوربية .

وبظهور السلطان مصطفى الثالث عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م يستمر الصراع العثمانى مع روسيا وفارس وفيه خسر الأتراك العثمانيون كثيرا من ممتلكاتهم فى أوربا لصالح روسيا-

مثل القرم- وإقرار الامتيازات الأجنبية للروس فى الدولة العثمانية واستمر هذا الوضع فى عهد السلطان عبد الحميد الأول الذى حدثت فى عهده عقد معاهدة «كجوك قينارجه» بين الدولة وروسيا بعد هزيمة العثمانيين ، وذلك عام ١٧٧٤ م .

وقد بدأ عصر الإصلاح فى الدولة العثمانية المعروفة باسم التنظيمات وبدأ الأخذ بهذه التنظيمات فى عهد السلطان سليم الثالث وفى عهد السلطان محمود الثانى الذى خلف سليم الثالث الذى قضى على ثورة الانكشارية ، واستقلت فى عهده كل من صربيا واليونان ، ورغب محمد على الاستقلال بمصر بعد تدمير الأسطولين المصرى والعثمانى فى حرب المورة عام ١٨٢٧ م، وحدثت فى عهده ما عرفت باسم حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا .

وفى عهد السلطان عبد العزيز عام ١٨٦١م استقلت رومانيا عن الدولة وحصل إسماعيل باشا حاكم مصر على لقب خديوى وبعض الامتيازات التى ميزته عن بقية باشوات الدولة .

وعندما تولى الحكم السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٨٧٦م كلف وزيره مدحت باشا بإعداد دستور لحكم البلاد ولكنه مالبث أن عزل الوزير وألغى الدستور ، كما فقدت الدولة فى عهده أراضى كثيرة من البلقان والقوقاز ، وبدأ الغزو الاستعمارى لأملاك الدولة فاحتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١م بعد استيلائها على الجزائر عام ١٨٣٠م واحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢م، وحتى حدثت ثورة حزب تركيا الفتاة عام ١٩٠٨ م وأرغموا السلطان عبد الحميد الثانى على إعادة الدستور ، ثم مالبث أن عزل عام ١٩٠٩ م .

تم اختيار السلطان محمد رشاد الخامس خلفا للسلطان عبد الحميد الثانى ، وفى عهده ثارت شعوب البلقان ضد الدولة من جديد حيث لحقت هزائم بالدولة لولا وقوف قادة تركيا الفتاة أمثال أنور باشا ومصطفى كمال، كما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا حيث خرجت منهزمة لتفقد بقية ممتلكاتها فى المشرق العربى إلى جانب فقدها لولاية طرابلس الغرب بموجب معاهدة لوازن عام ١٩١٢ م.

وبعد الحرب العالمية الأولى تولى السلطان محمد وحيد الدين مقاليد الأمور فى الدولة العثمانية خلفا للسلطان محمد رشاد وفى عهده خاض قادة تركيا الفتاة النضال ضد غزاة بلادهم الفرنسيين والروس وإيطاليا ، وذلك بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٢٣ م، حيث استطاعوا انتزاع أراضيهم واعتراف الجميع بذلك فى معاهدة لوازن عام ١٩٢٣ م حيث تم جلاء اليونان والحلفاء عن استانبول وتراقيا الشرقية ، وألغيت الامتيازات الأجنبية التى كان يتمتع بها

الأجانب . وفى مارس ١٩٢٤ م اتخذت الجمعية الوطنية التركية قرارا بإلغاء الخلافة وإخراج السلطان عبد المجيد خان آخر الخلفاء من البلاد ، وقد أثار إلغاء الخلافة الإسلامية موجة من السخط والغضب فى البلاد الإسلامية ، كما ثار الأكراد بأراضى تركيا الشرقية ولكن قضى على ثورتهم .

ويذكر البعض أن الضعف حل بالدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر الميلادى عندما بدأ الغزو الأوروبى الاستعمارى لممتلكات الدولة فى أفريقيا وآسيا أى فى الوقت الذى أطلق فيه الكتاب الأوروبيون صفة «رجل أوروبا المريض» على الدولة العثمانية .

ويذكر البعض الآن أن الدولة العثمانية ظهر ضعفها واضحا فى القرن الثامن عشر الميلادى عندما بدأت تظهر حركات استقلالية فى ولايات الدولة فى البلقان وفى الأقطار العربية ، مثل حركة على بك الكبير فى مصر وحركة ظاهر العمر فى فلسطين وحكم المماليك فى العراق، وحكم الأسرة القرمانلية فى ليبيا (ولاية طرابلس الغرب العثمانية) ، وحكم الأسرة الحسينية فى تونس وهكذا .

والواقع أن الضعف حل بالدولة العثمانية اعتبارا من النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى وخاصة بعد وفاة السلطان سليمان المشرع عام ٩٧٤هـ الموافق لعام ١٥٦٦م حيث بدأ عصر الضعف والتفكك والمنافسات الداخلية التى ساهمت فى ضعف الدولة العثمانية وتدهور الأوضاع فيها حتى أصبحت مستهدفة لأعدائها فى الداخل والخارج وأصبحت فى موقف الدفاع بعد أن كانت فى موقف الهجوم .

فقد تفشت فى الإدارة مظاهر الفساد وعدم الانضباط ، وقادة الجيش العثمانى يشتركون فى حياكة المؤامرات الداخلية وتنصيب سلطان وعزل آخر ، بعد أن كان الجيش هو الذى فتح أقطار أوروبية تحت راية الجهاد الإسلامى. وبعد أن كان العامل الدينى هو المحرك الأول للفتوحات العثمانية فى أوروبا لم يعد كما كان حيث أصبح رجال الدولة من سادة وضباط مهتمون بجمع المال والسعى إلى المناصب والملذات ، وأصبح النفوذ السلطانى فى أيدى نساء القصر ، وزادت أطماع الدول الأجنبية فى أملاك الدولة [١].

كما أن بعض السلاطين العثمانيين قاموا بقتل إخوانهم ومنافسيهم على العرش وازدياد سلطة القادة العسكريين ، والقضاء على محاولات الإصلاح التى حاول أن يقوم بها بعض

١- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ، ص١٢٩ .

السلاطين ، ففى عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م قتل السلطان وزيره الصدر الأعظم، وشهد عام ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م إعدام السلطان إبراهيم وتولية ابنه الصغير محمد الرابع . وخلال الثمانى سنوات التالية عانت الدولة من تمرد فرق الانكشارية والسباهية [١].

ونتيجة للأمور الداخلية السيئة فى الدولة العثمانية تمكن أهل مدينة البندقية الإيطالية من التحكم فى شواطئ البحر المتوسط . وحاصروا المضايق وساحل بحر إيجة وموانى شبه جزيرة المورة واستطاعوا هزيمة الأسطول العثمانى وأستولوا على بعض جزر الحوض الشرقى للبحر المتوسط مثل «كريت» و«تيندوس» و«ليمنوس» وهددوا خطوط الملاحة الموصلة بين موانى الدولة العثمانية وبين مصر [٢].

كما كان من نتيجة الضعف الذى حل بالدولة العثمانية فى النصف الثانى من القرن السادس عشر حدوث ثورة أمير ترسلفانيا «راكوزى» ضد السلطان العثمانى عام ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م . وثورة حسن أباظة فى سوريا والأناضول ضد السلطان العثمانى عام ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م، وإذا كانت الدولة قد استطاعت بفضل الله ثم بفضل الصدر الأعظ محمد كوبريللى القضاء على هذه الثورات وغيرها إلى حين ، فإن الأمور لم تستقر تماما للسلطنة العثمانية[٣].

ومع ذلك فلايمكن إنكار الدور الحضارى للدولة العثمانية ، وكانت اللغة العربية سواء قبل الفتح العثمانى للبلاد العربية أو بعده هى لغة الثقافة والأدب عند العثمانيين كتبوا بها كل شئ من كتب الفقه أو الفتاوى أو الدين اصطلاحات العلوم العثمانية كانت كلها عربية ، كما كتبوا بها التراجم مثل الشقائق النعمانية لطاشكبرى زاده وكتبوا بها التاريخ مثل جامع الدول لمنجم باش أحمد دده ، وتاريخ : العيلم الزاخر فى علوم الأوائل والأواخر للعالم التركى جنابى، وكتبوا بها المقامات مثل مقامات عيدى [٤].

١- د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ١ ص٢١٠ .

٢- د. جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية فى العصور الحديثة ، ص٤٣٨ .

٣- اسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص١٧٠ .

٤- د. محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، ص٣١٢ .

انهزمت الدولة العثمانية أمام اتحاد الشعوب البلقانية ، وفقدت طرابلس الغرب (ليبيا) قبيل قيام الحرب العالمية الأولى مباشرة . فكان من المنطقى والحالة هذه ، أن تبقى الدولة بعيدة عن تلك الحرب، تضمد جراحها ، وتعيد بناء قواتها ، وتحاول إيجاد الحلول لمشاكلها الداخلية . وقد تغلب جانب التعقل فى أول الأمر ، فأعلنت الدولة عند بداية الحرب بأنها ستلزم جانب الحياد ، وتقف بمنأى عن هذا الصراع الدولى الرهيب .

ولكن سرعان ما تغير موقف الدولة العثمانية بعد شهرين من بدء الحرب وذلك لعدة عوامل ، منها التقارب بينها وبين الألمان منذ أواخر القرن التاسع عشر، وعدم وجود أطماع للألمان فى ممتلكات الدولة العثمانية ، فألمانيا هى الدولة الكبرى الوحيدة التى لم تأخذ شيئا من ممتلكاتها .

هذا بالإضافة إلى تأثير البعثة العسكرية الألمانية ، التى تشرف على تدريب وتنظيم الجيش العثمانى وعلى كبار رجال الحرب من المسئولين فى الدولة ، مثل أنور باشا .

كانت الدولة العثمانية تحتفظ بالضباط الألمان ، وبسفينتين حربيتين ألمانيتين فى أسطولها البحرى . وحدث فى ذلك الوقت أن انقضت السفينتان الألمانيتان على الأسطول الروسى فى مياه البحر الأسود ، فتورطت الدولة العثمانية فى هذا الأمر. واستغل أنصار الحرب هذا الحادث وطالبوا بدخول الدولة الحرب إلى جانب صديقتها ألمانيا ضد عدوتها التقليدية روسيا .

ومهما يكن من شئ فقد وجدت الدولة العثمانية نفسها مدفوعة لخوض حرب عالمية لم تكن على استعداد لها، ولم تعد نفسها أى إعداد لمثل تلك الحرب الطويلة خصوصا وأن الدولة العثمانية كانت محاطة بالأعداء من كل جانب، فلها جبهة مع روسيا فى القوقاز ، ومع انجلترا وفرنسا فى مصر وقناة السويس ، وفى العراق على الخليج العربى. هذا بالإضافة إلى تهديد أساطيل الحلفاء لشواطئها المترامية ، مع ضعفها وعجزها فى الناحية البحرية .

ولقد منيت الدولة بهزائم متكررة فى ميدان القوقاز ضد روسيا ، وفى العراق ثم لم تلبث الدولة أن واجهت خطرا جديدا لم يكن فى الحسبان ، ألا وهو انضمام العرب إلى جانب انجلترا فى الحرب، فواجهت الدولة ثورة عارمة فى الحجاز والشام، وخرجت قواتهم مع القوات الإنجليزية تحت قيادة آللنبى ، وقضت على القوات العثمانية فى الشام بعد فشلها فى مهاجمة الانجليز فى قناة السويس .

وإزاء تلك الهزائم المتعددة لم تجد الدولة مناصا من إنهاء الحرب، وقبول هدنة جزيرة مدروس Mudros فى سنة ١٩١٨ .

كانت ممتلكات الدولة العثمانية قد قسمت بين الحلفاء وأوار الحرب ما زالت مستمرة ، ففى سنة ١٩١٥ وقعت اتفاقية سرية فى لندن بين انجلترا وفرنسا وروسيا ، تعترف فيها بأن تكون منطقة المضايق وما يحيط بها من أراض من نصيب روسيا بعد نهاية الحرب، وذلك ترغيبا لها على مواصلة القتال إلى جانب الحلفاء .

وفى مايو سنة ١٩١٦ عقد الحلفاء معاهدةسرية ثانية ، وهى التى عرفت باسم معاهدة سايكس بيكو . أخذت روسيا بمقتضاها معظم بلاد أرمينيا ، وفرنسا سوريا ولبنان ، وانجلترا العراق وفلسطين توضع تحت إشراف دولى .

وعندما دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب الحلفاء منحوها ميناء أزمير وجزءا كبيرا من ساحل الأناضول الغربى، علاوة على مجموعة جزر الدوديكانيز . ثم أكملت بريطانيا هذه السلسلة من اتفاقيات التقسيم باصدار وعد بلفور لليهود فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

ومن حسن حظ الدولة العثمانية ، أن قامت الثورة البلشفية فى روسيا فى مارس سنة ١٩١٧ ، وأعلن القائمون على أمرها بأن العهد الجديد فى روسيا قد نفض يده من كل المعاهدات العدوانية التى عقدتها روسيا القيصرية مع غيرها من الدول الأجنبية وأن هذا العهد إنما يريد أن يقيم علاقاته مع سائر الدول على أساس المساواة والتعاون المثمر بين الشعوب ، واستنكار اغتصاب الدول الكبرى لأراضى الدول الصغرى .

تنازلت إذن روسيا عن نصيبها فى ممتلكات الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة لندن السرية فى سنة ١٩١٥ . وانفردت انجلترا وفرنسا بالتقسيم .

وفى معاهدة سيفر أغسطس سنة ١٩٢٠ مزقت أوصال الدولة العثمانية أيما تمزيق ، فقد وضعت منطقة المضايق بما فيها العاصمة الأستانة تحت إشراف لجنة دولية . أما إيطاليا فقد حصلت على نصيبها فى الغنيمة بالاستيلاء على جزر الدوديكانيز وأضاليا واحتلت اليونان تراقيا وجزر الأرخبيل وميناء أزمير مدة ٥ سنوات . كما منحت أرمينيا وكردستان الاستقلال، وحصلت فرنسا على منطقة كيليكيا . وتألفت لجنة دولية للإشراف المالى على البلاد. أما عن الولايات العربية ، فقد استقلت الحجاز ونجد واليمن، وانفصلت الولايات العربية الباقية عن الدولة العثمانية وبذلك نجحت الدول الأوروبية أخيرا فى تحقيق الحلم الذى راودها سنين طويلة فى تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية .

استياء المناضلون الأتراك لاستسلام السلطان العثمانى لشروط الحلفاء ، وقرروا القيام بحركة مقاومة لتحرير البلاد من قوات الاحتلال. انبعثت حركة المقاومة من قلب الهضبة (هضبة آسيا الصغرى) تحت زعامة مصطفى كمال ، الذى أخذ على عاتقه توحيد صفوف المناضلين والساخطين على ما وصلت إليه الدولة من العزلة والاستكانة . فأخذ ينادى بالقومية التركية ، وبالتفاف الأتراك حول رايته ثم دعا إلى عقد مجلس فى مدينة أنقرة ، سمى بالمجلس القومى فى سنة ١٩١٩ ، أقر «الميثاق القومى» الذى نص على بذل الجهود لتأمين سلامة الدولة وطرد المعتدين .

وعندما علم السلطان العثمانى محمد السادس بنبأ هذه الحركة ، أعلن معارضتها ومنافاتها لتعاليم الدين الإسلامى. والحقيقة أن السلطان العثمانى لم يشأ أن يدخل فى صراع جديد مع الدول الأوروبية ، فى الوقت الذى تحتل فيه كل منها جزءا من أرض بلاده هذا بالإضافة إلى اعتقاده بعدم جدوى الحركة وفشلها فى نهاية الأمر ولهذا لم يحاول مقاومة حركة مصطفى كمال الداعية لإقامة الجمهورية التركية .

واصلت قوات حكومة الجمهورية تقدمها نحو منطقة الدردنيل التى كانت خاضعة لإشراف دولى بموجب معاهدة سيفر ، وكانت ترابط فيها حامية فرنسية وانجليزية . ولما كانت فرنسا لاترغب فى الحرب مع الاتراك ، وقد سلمت لهم من قبل منطقة كيليكيا ، فقد آثرت عدم الاحتكاك بهم . ووجدت انجلترا نفسها فى مركز دقيق بعد تخلى فرنسا ونظرا لرفض دول الدومنيون الدخول فى حرب ضد الأتراك ، رضخت انجلترا للأمر الواقع ، فاحتلت قوات مصطفى كمال استانبول وفر السلطان هاربا .

استتب لحكومة الجمهورية التركية الأمر فى الأناضول نتيجة عزوف كل من فرنسا وإيطاليا فى الحرب، لاعتقادها بأن نتيجتها ستكون لصالح انجلترا وحدها ، ولهذا أثرتا التسليم بالأمر الواقع ، وحل النزاع بالطرق السلمية .

وفى معاهدة ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣ توقع حكومة الجمهورية التركية معاهدة لوزان مع الدول الكبرى لتحل محل معاهدة سيفر السابقة ، وبمقتضاها أصبح للجمهورية الجديدة السيادة الكاملة على شبه جزيرة الأناضول بعد طرد الفرنسيين من كيليكيا والإيطاليين من أضالياوالبونانيين من أزمير ، واستعادة سيادتها على استانبول كما استردت تراقيا الشرقية بما فى ذلك مدينة أدرنة . وكذلك جزيرتى امبروس Imbros وتينيدوس Tenedos اللتين

تحميان مدخل منطقة المضايق ليتيسر للحكومة التركية تأمين سلامتها. أما البنود الأخرى من معاهدة سيفر ، وهى الخاصة بوضع البلاد العربية وبجزر بحر إيجة ، فلم يتناولها أى تعديل .

ومما تجب الإشارة إليه أثناء عقد مؤتمر لوزان أن تدعى دول الحلفاء روسياالتى لم تكن بينها وبين هذه الدول فى ذلك الوقت أية علاقات سياسية أو اقتصادية لإبداء رأيها فى مشكلة المضايق . فحضر ممثلها المؤتمر وكان من أقوى المدافعين عن مصالح تركيا ضد الحلفاء .

وفى خلال المؤتمر نادت انجلترا بنظرية جديدة تغاير تلك التى سخرت جهودها من أجل تحقيقها طوال القرن التاسع عشر . فانجلترا التى نادت بحق السلطان العثمانى فى إغلاق المضايق أمام جميع السفن الحربية ، لتمنع بذلك الأسطول الروسى من النزول إلى مياه البحر المتوسط وتهديد مصالحها فيه جاءت إلى المؤتمر لتنادى بعكس ذلك، ولتطلب بقوة إقرار مبدأ حرية الملاحة فى البحار والمضايق ، وتحرم تحصينها أو تسليحها لتظل منطقة محايدة حرة .

لم يكن هذا فى صالح تركيا بأى حال من الأحوال ، كما أنه - فى نفس الوقت- يهدد روسيا تهديدا خطيرا . فمنع تركيا من تحصينها يعرضها لهجوم أعدائها فى نقطة حساسة وهامة من أراضيها ، وخصوصا من قبل انجلترا وحليفاتها. ويسهل فى نفس الوقت لهذه القوات المعادية من الوصول إلى البحر الأسود وضرب روسيا .

ورغم معارضة المندوب الروسى لهذا المبدأ ، إلا أنه لم ينجح فى زحزحة انجلترا عنه. كما أن تركيا لم تشأ التشبث بهذا الطلب بعد أن حققت الكثير من أهدافها ولكنها استطاعت - مع موافقتها على حيدة المضايق - أن تحصل على موافقة أعضاء المؤتمر على حقها فى تحصين استانبول واتخاذها قاعدة بحرية تتولى الدفاع عنها قوة عسكرية قوامها ١٢,٠٠٠ جندى .

وقد ساعد موقف المندوب الروسى من تركيا على استمرار العلاقة الودية بين الدولتين ، فى وقت كانت دول الغرب تقاطع روسيا مقاطعة تامة خوفا من خطر الثورة الشيوعية .

كذلك مما يجب التنويه عنه أثناء انعقاد المؤتمر ، موقف تركيا من البلاد العربية، التى انتزعت منها، فلم يطالبوا بها، بل لم يهتموا بمصيرها أو مصير العالم الإسلامى. لقد كانت فى نفوس الأتراك مرارة من موقف العرب من دولتهم خلال الحرب العالمية الأولى، وما دروا هؤلاء أن هذا الموقف من صنع أيديهم ، فالعرب لم ينضموا إلى جانب خصومهم إلا بعد أ

يئسوا كلية من الوصول إلى تفاهم مع الأتراك يحقق مصلحة الطرفين . وظلت الدولة العثمانية تتمسك بحق سيادة الأتراك على غيرهم من العناصر حتى فى ظل الحكم النيابى .

على أى حال ، صمم المسئولون الأتراك على أن ينفضوا أيديهم كلية من مشاكل العرب وأن يتخلصوا من عبء الخلافة الإسلامية التى لم يكن لها من أثر سوى عداء الدول الغربية لهم. أى أنهم قرروا انتهاج سياسة جديدة لاتعتمد على السياسة التقليدية الرجعية التى سار عليها السلاطين من قبل . ولهذا أداروا ظهورهم لسياسة الجامعة الإسلامية ، وأخذوا يفكرون فى تقرير مصير الخلافة العثمانية الإسلامية .

لم يكن هذا بالأمر الهين على العالم الإسلامى ، الذى كان يسوده القلق على مصير السلطنة العثمانية والخلافة بعد الحرب العالمية الأولى. ولم يكن المسلمون يتصورون أن يكتب لعالمهم البقاء إذا دالت دولة العثمانيين أو قضى على الخلافة . وخصوصا مسلمو الهند الذين كانوا يخشون على الخلافة من انتصار الحلفاء .

وإذا كانت السلطنة العثمانية والخلافة قد نجت من عبث الحلفاء ، فإنها لم تَنج من يد الكماليين (أنصار مصطفى كمال) . فبما أنهم أصبحوا أصحاب السيادة الحقيقية فى البلاد ، فلم يعد إذن لبقاء السلطنة أى مبرر فالغيت فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، واختيارمصطفى كمال قائد الجيش ، وزعيم حركة التحرير أول رئيس للجمهورية .

وفى ٣ مارس سنة ١٩٢٤ ألغى المجلس الوطنى الكبير الخلافة ، فهى لم تعد تمثل قوة حقيقية ، كما أن بقاءها على هذا النحو لم يعد ملائما للنظام الجمهورى، بل بات وجودها مصدر متاعب للحكومة الجديدة لاقبل لها بها .

وإذا كان الكماليون ألغوا الخلافة عام ١٩٢٤م، فقد سبق ذلك التاريخ عدة خطوات أدت إلى إلغاء الخلافة كانت على النحو الآتى :

أولا : نزع السلطنة عن الخلافة وتحويل الخليفة إلى مجرد رمز لايمثل سلطة وليس له أدنى تأثير رسمى أو روحى .

ثانيا : الفصل بين السلطنة والخلافة ، حيث ألغى مصطفى كمال السلطنة العثمانية عام ١٩٢٢م وخلع السلطان محمد وحيد الدين ونفيه .

ثالثا : المناداة بابن أخى السلطان وحيد الدين ، وهو عبد المجيد خليفة للمسلمين ولكنه خليفة مجرد من كل سلطان ونفوذ حيث ألغيت جميع مظاهر الأبهة التى تمتع بها الخلفاء، وتخفيض راتبه إلى الحد الأدنى .

رابعا : فى ٣ مارس ١٩٢٤ م تقدم مصطفى كمال أتاتورك إلى الجمعية العمومية بمرسوم يقضى بالغاء الخلافة وطرد الخليفة وفصل الدين عن الدولة ، ومن ثم خلع الخليفة عبد المجيد إيذانا بنقل السلطة من آل عثمان إلى مصطفى كمال أتاتورك [١].

ويجب أن نشير إلى دور يهود الدونمة[٢] فى إسقاط الخلافة الإسلامية فى تركيا المعاصرة لأن الذين قاموا بمؤامرة بيع الخلافة الإسلامية فى عواصم أوروبا هم جماعة الاتحاد والترقى ، وقد ظهر ذلك واضحا فى مؤتمر الصلح الذى انعقد بمدينة لوزان السويسرية ، وقد مثل تركيا فيه كل من الحاخام «ناحوم» اليهودى المعروف باسم «قره صو» رئيس الوفد ، وهو نفسه الذى قدم للسلطان عبد الحميد الثانى قرار عزله ويشاركه العضوية كل من «رضا نور» وعصمت أينونو» ويعترف رضا نور فى كتابه (حياتى وذكرياتى) بأنه هو الذى أعلن علمانية تركيا فى مؤتمر الصلح بقوله : لقد أصبحت تركيا علمانية ، ولقد انفصل الدين عن الدولة وإذا تم الصلح فإننا سنقوم بوضع القوانين المدنية [٣].

ولقد قام نزاع بين تركيا والجلترا بشأن منطقة الموصل التى احتلتها الأخيرة منذ عام ١٩١٨ ، وذلك لأن تركيا قد وافقت فى معاهدة لوزان على التنازل عن الولايات العربية ، فى مقابل احتفاظها بالعناصر غير العربية المسلمة فى منطقة الموصل ويقصد بالذات العناصر الكردية التى منحت بمقتضى معاهدة سيفر التى لم يقدر لها النفاذ ، حق الاستقلال عن الدولة العثمانية .

رفضت انجلترا أن تجلو عنها بعد أن ضمتها لحدود دولة العراق ، وعرض هذا النزاع على مجلس عصبة الأمم للنظر فيه . فكلفت العصبة لجنة دولية لبحث الموضوع وتقديم توصياتها

١- د. محمد محمد زغروت : دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية . القاهرة ، ص١١٧ .

٢- دونمة كلمة تركية مركبة من جزئين : «دو» بمعنى اثنين ، و«نمة» بمعنى نوع ومعنى الكلمة كلها الفرقة القائمة على نوعين من الأصول : النوع اليهودى ، والنوع الإسلامى ، وقد أطلقها الأتراك على اليهود الذين هاجروا من أسبانيا إلى تركيا بعد اضطهادهم وطردهم على أيدى محاكم التفتيش الأسبانية . المرجع السابق ، ص٩ .

٣- نفس المرجع ، ص١١٦ .

بخصوصه . وبناء على توصيات اللجنة قررت العصبة ضم الموصل إلى العراق . وكان لخذلان تركيا أثر سئ على نفوس الأتراك ، فأشاحوا بوجوههم عن دول الغرب .

وقد صادف فشل الأتراك على يد الدول الأوروبية هوى فى نفوس الروس الذين أسرعوا إلى مد يد الصداقة إلى تركيا وعقدوا معها محالفة جديدة فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ تنص على أن يلتزم كل منهما جانب الحياد المشوب بالعطف إذا هاجم أحدهما دولة أو عدة دول أجنبية . على أن يقبل الطرفان تسوية مشكلاتهما بطريق المفاوضات .

وبناء على تلك المعاهدة اطمأنت تركيا على مستقبلها ، وأخذت تتفرغ بكليتها إلى تنفيذ برامجها الاصلاحية ، وجعل مبدأ «تركياللأتراك» حقيقة واقعة .

سياسة كمال أتاتورك الداخلية :

فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٢٤ فرغ المجلس الوطنى الكبير من وضع دستور الدولة الجمهورية الديموقراطية الذى نص على الحرية الفردية وحرية الرأى والعقيدة والصحافة والغاء الفوارق بين الطبقات ، والتسامح الدينى .

والمجلس الوطنى الكبير له سلطات تشريعية وتنفيذية ، ومدة العضوية فيه أربع سنوات ، وله حق انتخاب رئيس الجمهورية ووضعت السلطة التنفيذية فى يد رئيس الجمهورية والوزارة ، وهى مسئولة أمام البرلمان . ولقد حاول الدستور الجديدأن يبنى تركيا على أساس فكرة القومية التركية ، ونبذ سياسة التوسع والفتح ، لما جرته على الدولة من خسارة فادحة .

أنشأ الكماليون حزب الشعب رمزا لحركتهم فى سبتمبر سنة ١٩٢٣، وألقى على كاهله إعادة بناء تركيا الحديثة . وحاول هذا الحزب الجديد الاستفادة من أخطاء حزب الاتحاد والترقى القديم، كما أنه أنتج سياسة جديدة تتمشى مع طبيعة التطور الحديث. فلم تحبذ فكرة الجامعة الإسلامية التى جرت على الدولة العثمانية من المشاكل أكثر مما أفادتها . كذلك لم يرحب الحزب بالمضى فى حركة الجامعة الطورانية حتى لايثير غضب روسيا التى كانت تحكم إقليم تركستان ، وكانت الحركة تدعو إلى ضمه إلى الوطن الأم تركيا .

لقد نادى حزب الشعب بمبادئ ستة ، عمل على تحقيقها بكل الوسائل وهى :

أولا : العمل على قيام جمهورية قومية على أساس المواطنة لاعلى أساس الجنس أو الدين.

ثانيا : المساواة أمام القانون .

ثالثا : إشراف الدولة على الاقتصاد القومى .

رابعا : استبعاد العنصر الدينى .

خامسا : القضاء على الفوارق الاجتماعية .

سادسا : الثورة .

كان الهدف من تلك الاصلاحات جعل تركيا دولة غربية حديثة فى كل مظاهر حياتها السياسية، والاجتماعية والثقافية . وذلك عن طريق الاقتباس من النظم الغربية ، والاهتمام بالشئون المالية والاقتصادية وأمور التصنيع .

كان من أهم العوامل التى ساعدت على تثبيت دعائم حكم الكماليين نجاحهم فى تحرير بلادهم من الاحتلال الأجنبى، وخصوصا الاحتلال اليونانى الذى كانت تسانده انجلترا . ولم تحاول الدول الأوروبية بعد انتهاء تلك الحرب أن تتدخل فى شئون تركيا نظرا لانقسامها على نفسها فيما يتعلق بشئون الشرق الأدنى .

مبدأ تركيا للأتراك :

كان مبدأ تركيا للأتراك من أهم المبادئ التى سعى مصطفى كمال إلى تحقيقها وجعلها حقيقة ملموسة ، لامجرد شعارات تقال ويرددها الجماهير فالدولة العثمانية لم تلق احترام الدول الأوروبية عندما تطرق إليها الضعف والانحلال وعندما أصبح السلطان العثمانى ألعوبة فى أيدى تلك الدول. فالدولة العثمانية كانت آخر امبراطوريات الشرق الأدنى التى كانت تحكم شعوبا متعددة الأجناس واللغات ، لم تحقق لهم الوحدة القومية التى ينشدونها والتى تعتبر عنصرا هاما من عناصر الدولة الحديثة .

كان لابد إذن لهذه الإمبراطورية أن تسقط إذا أرادت أن تصبح دولة قومية بمعنى الكلمة تضم العناصر التركية فحسب ، بعد أن تتخلص من العناصر غير التركية . وهذا ما حدث بالفعل فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

قامت الإمبراطورية العثمانية على أساس محاربة النزعات القومية حربا لاهوادة فيها . ولكن ما أن بدأ القرن التاسع عشر إلا وأخذت دول البلقان تنسلخ عن الدولة الواحدة تلو الأخرى، واضطر الأتراك الذين كانوا يقيمون فى تلك البلاد أن يغادروها إلى موطنهم الأصلى.

وإذا كانت بعض أجزاء الدولة العثمانية لاتعرف وحدة فى الجنس ، فإن شبه جزيرة الأناضول بما تضمه من غالبية تركية كانت تصلح لأن تكون نواة الدولة القومية الحديثة . ولكننا لاننسى فى نفس الوقت أن شبه الجزيرة كان يضم عناصر أخرى غير تركية مثل اليونانيين والأرمن والأكراد، وهؤلاء جعلوا تحقيق مبدأ «تركيا للأتراك» تواجهه صعوبات خطيرة ، لاسيما وأن كلا من اليونانيين والأرمن كانوا يرغبون فى إقامة وطن قومى لهم فى الأناضول ، وكانت هذه الرغبة تلقى تأييدامن بعض دول أوربا ، وخاصة بعد سنة ١٩١٨ .

وإذا رجعنا إلى الوراء بضع قرون نجد أن شبه جزيرة الأناضول قد تنازعتها أجناس متعددة ومختلفة منذ الغزو التركى لها . هذا الغزو الذى صبغها بالصبغة التركية لغة ودينا . ومما لاشك فيه أنه رغم فتح تلك البلاد بحد السيف ، فلم يقض الأتراك على سكانها الأصليين أو يرغموهم على اعتناق الإسلام . ولم يكن من الضرورى أن تقترن اللغة التركية بالإسلام ، فكثيرون من اليونانيين والأرمن قد تركوا لغتهم الأصلية وتكلموا التركية بحكم الإقامة فى هذا المحيط التركى ولكنهم ظلوا على ديانتهم الأصلية وهى المسيحية . وإذا نظرنا إلى سكان جزيرة كريت نجد أنه رغم إسلامهم فهم لايتكلمون - فى وقت من الأوقات - غير اللغة اليونانية . أما مسلمو البوسنة فكانوا يتكلمون التركية فقط . وفى شبه جزيرة الأناضول - باستثناء الأكراد - كان جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم يتكلمون اللغة التركية . ومن هذا نرى أن شبه جزيرة الأناضول كانت أصلح الأمكنة لقيام دولة قومية جديدة .

ومنذ حصل اليونانيون على استقلالهم زاد شعورهم بالقومية وبدأوا يطالبون بقيام دولة يونانية تشمل اليونانيين داخل شبه جزيرة البلقان السفلى ، واليونانيين المقيمين خارجها فى الأناضول، على أن تكون استانبول عاصمة الدولة المقترحة .

كانت هذه المشروعات تهدد كيان الدولة العثمانية تهديدا خطيرا ، ولهذا فثورات اليونانيين كانت الدولة تنظر إليها على أنها عمل عدائى من أعداء أجانب بينما كانت تنظر إلى حركات الأرمن الوطنيين على أنها تمرد على سياسة الدولة . وهذا ما دفع الدولة فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى طرد عدد كبير من الأرمن من قلب الأناضول ، فى نفس الوقت الذى أبقت فيه على اليونانيين وكانت مقاومة الأرمن بالذات للغة والعادات والتقاليد التركية مبررا لفرضها بالقوة من قبل الدولة ، وترتب على ذلك ما سمى فى التاريخ «بمذابح الأرمن» . وإن كان الكثيرون من الكتاب قد هاجموا الأتراك لارتكابهم هذ

العمل، ولكن مما لاشك فيه أن الأرمن كانوا يعملون على تحطيم الدولة العثمانية والقضاء عليها .

كانت القومية التركية آخر القوميات العثمانية ظهورا بين شعوب الإمبراطورية العثمانية، وهذا راجع إلى أن الطبقة العثمانية الراقية كانت تأنف من أن يطلقوا على أنفسهم لفظ «الترك» لأن هذا اللفظ يطلق على الفلاحين البسطاء من أهالى الأناضول ولم تكن الطبقة الأرستقراطية العثمانية ترضى بأن تكون فى مستوى واحد مع هؤلاء الفلاحين .

وعندما أخذت الحركة القومية التركية فى الظهور فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، اضطرت الطبقة الأرستقراطية الحاكمة أن تنزل إلى مستوى الفلاحين ، وأن يصبح هؤلاء فخورين ومؤمنين بقوميتهم التركية .

ومنذ بداية الربع الأخيرمن القرن التاسع عشر ظهر عدد من المثقفين العثمانيين الذين أخذوا يرددون فى أقوالهم وكتاباتهم اعتزازهم بتركيتهم ، ولكن مما يؤسف له أن هذه الفئة لم يكن لها نفوذ سياسى ، كما أنهم لم يكونوا يمثلون ميول غالبية العثمانيين الأتراك . ولم تلبث الدعوة إلى التركية أن اتسع نطاقها ، واتسع مدلولها فتطورات إلى حركة الجامعة الطورانية التى نادت باعتبار كل من يتكلمون التركية شعب واحد مهما اختلفت أوطانهم .

ولكن هذه الفكرة القومية لم تنتشر كثيرا بين الأتراك العثمانيين ، ذلك لتمسك هؤلاء بالتقاليد الإسلامية وهى عالمية لاتعترف بالقوميات . أما الدافع الرئيسى لنشأة الحركة القومية التركية هو شعور القلة المثقفة من الأتراك العثمانيين بأن القومية التركية هى الرباط الوحيد الذى يستطيع لم شمل الأجزاء المفككة وتعمل على تقوية الدولة فى مواجهة الخطر الأوروبى. وكان هدف الحركة القومية إقامة حكومة دستورية تحقيقا للعدالة بين الأجناس المختلفة فى الدولة .

ولم تستطع الحركة القومية التركية أن تجد طريقها إلى الظهور فى يسروسهولة بعد انقلاب سنة ١٩٠٨ لوجود اتجاهات عملت الحكومة الجديدة على السير فيها فى وقت واحد مع تعارضها مع بعضها البعض . فقد حاولوا الدعوة إلى حركة الجامعة الطورانية ، وحركة الجامعة الإسلامية مع اختلاف كل منهما فى الهدف والغاية . ولهذا يمكننا القول بأن جيل ثورة سنة ١٩٠٨ لم يكن يفهم القومية التركية بمدلولها الحقيقى .

وقد حارب السلطان عبد الحميد الحركة القومية التركية ، كما حارب الحركات القومية الأخرى، ثم اضطر بعدفترة من الزمن أن يؤيد حركة الجامعة التركية ورغم محاولته منع تسرب الأفكار الغربية إلى بلاده ، فإن محاولته لم تنجح لدخول النظم الغربية فى الجيش العثمانى، هذه النظم التى خلقت طبقة من العسكريين الشبان المتشبعين بالثقافة الغربية والمتحمسين لها. ومن هؤلاء كمال أتاتورك وعصمت إينونو وعدد من قادة الفكر والرأى فى الدولة . وقد عاصر كمال أتاتورك بالذات - وهو لم يزل ضابطا صغيرا - اتصال بلاده بالغرب فى عهد السلطان عبد الحميد ، ووجدت الآراء والأفكار الغربية طريقها إلى نفسه ، فانفعل بها.

وتعتبر هزيمة الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى، هزيمة للثقافة والمثل العليا لهذه الدولة . وقد أسهم مصطفى كمال فى بناء المثل التى نادى بها أعضاء تركيا الفتاة ، ولكنه لم يسهم فى النشاط السياسى للحزب ، فلم يتلوث كما تلوث زملاؤه الذين انغمسوا فى الأساليب الحزبية ومناوراتها ودسائسها . كما أنه لم يكن أقل من زملائه كفاءة من الناحية العسكرية . هذا بالإضافة إلى قوة شخصيته وعمق ثقافته ، وإلمامه التام بظروف بلاده ومشكلاتها .

ثار مصطفى كمال ثورته المشهورة ونجح فى تخليص بلاده من الاحتلال الأجنبى، وتحقيق مبدأ تركيا للأتراك . ومن أجل تحقيق الوحدة القومية، استبعد كل العناصر غير المسلمة من بلاده . وبذلك أصبحت تركيا خالصة للأتراك المسلمين ، فيما عدا قلة من الأكراد المسلمين ، وأقلية أخرى غير مسلمة تخلفت عن الخروج . ويمكننا القول بأن ٩٨٪ من سكان تركيا يدينون بالإسلام ، ٩٠٪ منهم يتكلمون اللغة التركية ، وأن شبه جزيرةالأناضول قد باتت تضم قوما موحدين دينا ولغة .

ولما كان مبدأ تركيا للأتراك قد خلق دولة موحدة ، إلا أنها لم تكن وحدة كاملة ، نظرا للفوارق الواسعة التى كانت تفصل بين القلة العثمانية المتعلمة، التى تعتبر نفسها طبقة أرستقراطية حاكمة ، وبين الأغلبية الساحقة من الفلاحين الجهلة المتأخرين من سكان الأناضول المسلمين . وهذه الظاهرة جعلت بعض المفكرين لايعتبرون تركيا دولة حديثة موحدة، رغم كل ما لها من مقومات . فلايكفى أن تصبح تركيا للأتراك بل لابد من العمل على خلق شعب تركى جديد ، متحد المشارب ، قادر على منح تركيا الجديدة الحياة . وكانت هذه المشكلة بالذات هى التى شغلت كل تفكير مصطفى كمال طوال فترة حكمه .

وما من شك فى أن مصطفى كمال نجح فى خلق جيل جديد من الأتراك ، جعلوا تركيا تعيش فى القرن العشرين ، ولكن هذا النجاح لم يرق إلى مرتبة النجاح الذى أحرزه فى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك . فخلق جيل جديد كانت مسألة على جانب كبير من الصعوبة ومن التعقيد، وتحتاج فى نفس الوقت إلى وقت طويل ، كى تصبح حقيقة واقعة ملموسة .

ومن هنا أخذ خصوم مصطفى كمال يوجهون إلى جهوده فى خلق جيل جديد مصبوغ بالصبغة الغربية نقدا شديدا ، ويتهمونه بالقصور ، وبأنه لم يفعل شيئا سوى تغيير بعض المظاهر السطحية للشعب التركى ، بينما ظلت الخصائص الجوهرية للتفكير والحياة دون أن تمس أو أن يتناولها أى تغيير أو تطوير . ويدللون على صدق أقوالهم بأنه عند موت مصطفى كمال سنة ١٩٣٨ كانت أغلبية الفلاحين مازالت تعيش فى نفس المستوى القديم، رغم كل ما بذل من جهود . ويرى أنصار مصطفى كمال للرد على هؤلاء أن جهود مصطفى كمال نجحت فى أن تخلق طبقة عثمانية راقية تتفهم الحياة الغربية ، وبأن فلاحى الأناضول يسيرون فى نفس الطريق ، وإن كان بشئ غير قليل من البطء .

وإذا نظرنا إلى دعوى الفريقين نظرة محايدة منصفة واضعين فى اعتبارنا ظروف البيئة التركية ، وخصائص المجتمع التركى ، نجد أن محاولة مصطفى كمال فرض الثقافة الغربية والروح القومية فى وقت واحد ، على كل أفراد الشعب التركى من القمة إلى القاعدة ، قد نجحت فى أن تحول طبقة المثقفين إلى الحياة الجديدة. وقد لعب التعليم دورا إيجابيا فى هذا التحويل . كما أن سرعة انتشار التعليم أدت إلى زيادة عدد المثقفين، وبالتالى إلى نقص عدد الجهلة الذين يتمسكون بالقديم .

وفى نفس الوقت لايجب أن يغيب عن أذهاننا أن الظروف الجديدة قد أتاحت لطبقة الفلاحين فرصة جديدة وإمكانيات واسعة لم تكن متاحة لهم قبل ذلك . ولكن بالرغم من ذلك ظل الفارق كبيرا بين هذه الطبقة وغيرها من الطبقات الأخرى. ولايعنى ذلك أن طبقات المجتمع التركى لاترتبط برابطة قومية واحدة . فجميع هؤلاء يدينون بالاخلاص والولاء لوطنهم وقوميتهم ولكن بدرجات متفاوتة . فالفلاحون أكثر إخلاصا لإقليمهم من إخلاصهم للوطن جميعه . والقومية التركية اليقظة لاتتوافر إلا لدى المسلمين من الطبقة المثقفة .

وبناء على ذلك يمكننا القول بأن دعوى الطرفين مغالى فيها وأن الأمر الوسط ، هو الحكم الصحيح القائم على عدم التحيز لأحد الطرفين . فمصطفى كمال لم ينجح كل النجاح فى

تحويل المجتمع تحويلا جذريا إلى الحياة الغربية ، كما أن جهوده كانت بعيدة كل البعد عن الفشل .

لقد بذل كمال أتاتورك جهودا جبارة واستخدم كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة فى سبيل تغيير الحياة التى ألفها الأتراك تغييرا كاملا . فلم يكن هؤلاء الأتراك يتصورون فى يوم من الأيام أن تعزل الأسرة العثمانية الحاكمة وأن يفصل بين الدين والدولة كنظام حكم، وأن تلغى الخلافة الإسلامية ، وأن يباعد بين الشعب وبين مظاهر الحياة الإسلامية ، لتحل محلها المظاهر الغربية .

وفى سبيل تنفيذ تلك النظم الغربية ربط مصطفى كمال بينها وبين القومية التركية ، فمن لايؤمن بهذه النظم يعد خارجا عن القومية ، غير مؤمن بها . وأحل القومية محل الدين الإسلامى فى كل مظاهر الحياة . وترتب على ذلك حل جميع الهيئات الدينية بحجة أنها مراكز رجعية ، لاتتفق مع روح ومقتضيات الحياة فى العصر الحديث .

وبهذا لايصبح الدين الإسلامى أساس الحياة فى عصر مصطفى كمال ، كما كان الشأن فى عهد سلاطين آل عثمان . وانحصر الدين الإسلامى فى نطاق ضيق محدود لا يعدو أن يكون عقيدة شخصية لدى الطبقة المثقفة ولكنه مازال لدى الفلاحين عقيدةراسخة الجذور ، وإن كان قد تطرق إليه الضعف نتيجة لسياسة الحكومة اللادينية .

وترتب على إهمال الدين الإسلامى والعمل على إضعافه إلى خلق جيل جديد لايهتم بالقيم الأخلاقية العليا التى كان يرعاها الإسلام ، بصورة لفتت أنظار المفكرين الحديثين إلى خطورة هذه المظاهر على الدولة، وأوضحوا بأن علاج هذه الحالة ، يتطلب الرجوع إلى إحياء الروح الإسلامية فى نفوس الناس ، على ألا يمتد أثره إلى شئون الدولة . والواقع أن الدين قد فقد تأثيره على نفوس الطبقة الراقية بصفة خاصة ، وأن وجوده يستند على أنه الركن الثانى بعد اللغة فى كيان القومية التركية.

أما الأقلية غير المسلمة فليس لوجودها أى أثر فى حاضر الدولة أو مستقبلها ، ورغم أن القانون لايفرق بينهم وبين المسلمين فى المعاملة ، إلاأن واقع الأمر شئ آخر. فلازال هؤلاء يتعرضون لأنواع من المضايقات لايمكن القضاء عليها إلا باتخاذ أحد حلين لاثالث لهما: فإما الهجرة ومغادرة البلاد ، وهذا الأمر غير مطلق ، بل مقيد بشروط منها عدم السماح له بنقل كل ثروته . وإما الإندماج الكامل فى الجماعة التركية لغة ودينا .

وهناك أقلية مسلمة، هى الأقلية الكردية ، ويبلغ عددهم $\frac{١}{١٠}$ من مجموع السكان وهؤلاء يشتغلون بالرعى ويقطنون الجبال ، وهم شديدوا المراس ولايتكلمون التركية وهذا الحاجز اللغوى جعلهم لايندمجون مع الأتراك، ولو أنهم لايشعرون بأن لهم قومية تختلف عن القومية التركية.

ورغم ما يثيره هؤلاء من متاعب للدولة ، فلم تحاول الحكومة التخلص منهم، وإنما اتبعت حيالهم سياسة بناءة ، الهدف منها تحطيم الحواجز التى تفصلهم عن المجتمع الذى يعيشون فيه، وإدماجهم مع الأتراك فى وحدة واحدة . ومن هذه الخطوات التى اتخذتها الحكومة فى هذا السبيل القضاء على النظام القبلى للأكراد والتخلص من رؤساء القبائل وتشجيع الشباب الكردى على الالتحاق بالجيش على قدم المساواة مع إخوانهم من الأتراك . وقد أتاحت لهم هذه الفرصة تعلم اللغة التركية وإجادتها . وبذلك زال الحاجز الذى كان يفصلهم عن الأتراك المسلمين ولم يعد هناك حائل بينهم وبين الاندماج الكلى وإن كان الأكراد الآن يمثلون شوكة فى جنب الحكومة التركية .

استهدف مصطفى كمال من الحركة القومية التركية على أساس المبالغة فى الناحية التاريخية من فكرة الجامعة الطورانية . وتتركز حول دعامتين الأولى نظرية القومية التاريخية، والثانية نظرية لغة الشمس . ومضمون هاتين النظريتين أن الأتراك أصل التاريخ ، وأصل النوع البشرى، وأنهم مبعث كل حضارات العالم .بهذا التعصب الأعمى لفكرة العنصرية ربط كمال أتاتورك بين ماضى الأتراك فى أواسط آسيا وحاضرهم ، وأثار فى نفوسهم العزة والثقة. وصبغ التعليم فى الدولة بهاتين النظريتين .

ولاشك فى أن مصطفى كمال قد نجح نجاحا كبيرا فى فرض القومية على تركيا الحديثة، وفى توجيه أنظار مواطنيه نحو أوربا ، وقد وجد فى هذا الأمر معارضة شديدة من قبل الشعب، بذل كل طاقته فى تذليلها والتغلب عليها . وسر نجاحه يرجع إلى أنه لم يكشف عن خطته كاملة منذ أول الأمر ، وإلا وجد معارضة من أقرب الناس إليه . وقد استطاع إقامة جمهورية أساسها العلم والثقافة بسرعة كبيرة .

ويمكننا أن ندرك مدى نجاح هذه التجربة بمقدار ما حققه من أهداف فمن ناحية التعليم وفقت إلى حد بعيد فى اكتساب الثقافة الغربية ، ومن ناحية إرساء قواعد الحياة النيابية فى البلاد ، فهذا أمر لاشك فيه وناحية التركيز على النزعة القومية ، فلاجدال فى أن القومية قد تغلغلت فى الطبقات العليا من الشعب وبدأت تمد جذورها إلى الطبقات الدنيا بنسب متفاوتة.

وخلاصة القول فإن تركيا الحديثة قد اتخذت القومية التركية قوة دافعة لبناء الدولة من جديد واستغلتها إلى أبعد الحدود .

دور الأتراك العثمانيون فى خدمة الحضارة الإسلامية :

تعرضت الدولة العثمانية لهجوم من البعض، واتهموها بأنها سبب تخلف الأقطار العربية ، وسبب ضعفها حتى استطاعت الدول الأوروبية السيطرة على الأقطار العربية دون أن تستطيع المقاومة، ومن هنا كان لابد أن نسجل دور الدولة العثمانية فى خدمة الحضارة الإسلامية.

ورث الأتراك العثمانيون منطقة آسيا الصغرى التى عاش فيها أجدادهم (سلاجقة الروم) والذين كان لهم الفضل فى إرساء مجموعة من النظم الحضارية فى شتى جوانب الحضارة وكان على الأتراك العثمانيين الذين ترامت أطراف دولتهم لتشمل ثلاث قارات عالمية (آسيا وأوروبا وأفريقيا »[١]. أن يكملوا هذا الدور الحضارى خاصة وأنهم قد ورثوا بحكم توسعهم فى ربوع هذه القارات مجموعة كبيرة من حضارات هذه الدولة مثل الحضارة المملوكية فى مصر والشام والعراق وفى غيرها من البلدان الأخرى[٢].

فمثلا بالنسبة لنظم الحكم استمر السلطان هو القوة المؤثرة الأولى سياسيًا وعسكريًا ، ففى البداية تبع الأمراء العثمانيون سلاطين قونية من السلاجقة [٣].

وما لبث أن استقل سلاطين بنى عثمان بدولتهم فضربوا السكة وخُطب لهم على منابر بلادهم وكان هذا النظام امتداداً لنظم الحكم فى دولة سلاجقة الروم.

ولقد حافظ الأتراك العثمانيون على بعض التقاليد العربية فقد تلقبوا بالسلاطين بعد موافقة الخليفة العباسى فى القاهرة بصفة رسمية وهذا دليل على ولائهم للخلافة واستمر هذا اللقب متداولاً حتى أواخر عصر الدولة.

وكان الوزير الذى يساعد السلطان فى أعماله والذى أطلق عليه العثمانيون الصدر الأعظم، هو استمرار لهذا المنصب منذ أن بدأت الحضارة الإسلامية ، كما عرف العثمانيون نظام ولاية

١- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج١،ج٢ . وأبى السرور البكرى : نضرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان . تحقيق د/ يوسف الثقفى، مكة المكرمة ، مطابع الصفا ، ص٢٠ .

٢- ربيع حامد خليفة : أثر الفن والعمارة العثمانية على مصر والبلاد العربية. عين شمس، بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى الأدب والتاريخ التركى المصرى، دار الفكر العربى ١٩٨٩، ص١٧٧ .

٣- على حسون : الدولة العثمانية، بيروت ، المكتب الإسلامى ط٣ ، ١٩٨٣ ، ص٣٢٩ .

العهد فولوا عهودهم لأولادهم [١]. كما عرف العثمانيون الأوائل نظام الديوان الذى تحول إلى ما يشبه المجلس الوزارى وكان السلطان فى البداية يرأس جلسات هذا الديوان [٢].

ولقد ساهمت الدولة العثمانية مساهمة كبيرة فى تكامل الحضارة الإسلامية لأنها دولة دينية قامت على أساس دينى فقد كان للهيئة الإسلامية فيها وضع معترف به، ومركز مرموق وكان يطلق على رئيسها المفتى أو شيخ الإسلام وكان هذا المفتى يُصدر فتوى تُجيز الحرب التى تخوضها الدولة دفاعًا أو هجومًا إلى جانب عقد الصلح ، وكانت الدولة تقوم بنشر التعبئة الروحية بين أفراد قواتها وإثارة عاطفتهم الدينية قبل خوض المعارك[٣].

وكان هذا امتداداً للدعوة الإسلامية منذ بدأت ، ولم يقتصر دورهم على هذا فقط ، بل أنشأ العديد من سلاطين هذه الدولة الكثير من المساجد الكبرى التى غدت رمزاً مجسداً للفن المعمارى العثمانى .

ولم يقتصر دورهم على هذا فقط بل قاموا ببناء المساجد فى البلدان الأخرى وليست العاصمة فقط، حيث كان سلاطين بنى عثمان يعهدون إلى ولاتهم بإصلاح وتجديد المساجد وعلى رأسها الجامع الأزهر بالقاهرة[٤].

كما حافظت الدولة العثمانية على التقاليد الإسلامية، فلم تكن تسمح لأحد بانتهاك حرمة شهر رمضان، ولذلك لم يكن يجرؤ أحد مهما كان مركزه سواء أكان مسلمًا أو غير مسلم على أن يأكل أو يشرب فى ميدان عام أثناء النهار، فقد كانوا يوقعون عليه عقربة التجريس [٥].

كما توالت قوافلهم الرسمية لأداء الحج بحيث اعتبرت الدولة هذا العمل واجبًا يقع على عاتقها ، كما أنشأت الآبار على طول الطرق إلى الحجاز وأقامت حصون لحراستها ، وكانت

١- على حسون: المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

٢- على حسون : المرجع نفسه، ص٣٣١ .

٣- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية. مرجع سابق، ج١ ، ص٥٤ .

٤- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ص٢٩٥-٢٩٨ .

٥- كان التجريس عقوبة مقررة ومعترف بها، فكانوا يحلقون نصف لحية المذنب ونصف شاربه ثم يضعونه على ظهر حمار ووجهه متجه إلى ذيل الحمار ويعممون هذا الشخص بأمعاء ذبيحة ويضعون على كتفه جلدها، ويطوفون على هذه الصورة المنكرة الشوارع والطرقات ورجال أشداء يصفعونه ويضربونه بالنعال. عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج١، ص٥٧ .

تتحرك كل سنة أربعة قوافل حج رئيسية من كافة أنحاء الدولة فى مواعيد محددة ووفق نظام مرتب وفى رفقة قوة عسكرية [١]. يقودها أحد كبار العسكريين يسمى أمير الحج . ولقد شجع سلاطين الدولة العثمانية ظاهرة التصوف التى كانت قد انتشرت فى العالم الإسلامى كله قبل ظهورهم [٢].

وإلى جانب الطرق الصوفية وجد فى الدولة نظام الفتوة الذى كان الطابع الإسلامى للفروسية العربية ، وكان هذا النظام موجوداً فى الأناضول قبل قيام الدولة العثمانية وأخذ مظهراً جديداً على يد الأتراك العثمانيين ، وعُرف باسم الأخية الفتيان الذين كانوا مثلاً فريداً فى الشهامة والكرم وقضاء الحوائج[٣].

ولم يكتف سلاطين الدولة العثمانية بذلك بل اختاروا اسمًا إسلاميًا للقسطنطينية هو أسلامبول، وهى كلمة تركية معناها دار الإسلام، ولايخفى المغزى الدينى لهذا الاسم الإسلامى الذى أطلقه السلطان محمد الفاتح فى ٢٩ مايو ١٤٥٣م على عاصمة دينية وسياسية ظلت قرونا طويلة عاصمة ومقراً للكنيسة الشرقية الأرثوذكية [٤].

كما اهتموا اهتمامًا كبيراً ببلاد الحجاز حتى حملوا لقبين دينيين هما حامى حمى الحرمين الشريفين أو خادم الحرمين وهى ألقاب كانت موجودة فى الحضارة الإسلامية عند سلاطين السلاجقة وسلاطين المماليك من قبل ، أما اللقب الثانى فهو لقب خليفة حيث جدد بنو عثمان نظام الخلافة الذى عرفته الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول « صلي الله عليه وسلم» واتخذوا من الخلافة وإحياء مجدها واسترداد ما كان لها من هيبة ونفوذ وسيلة للضغط على أعدائهم[٥].

١- على حسون : المرجع السابق، ص٣٠٥ ، ص ص٣١٤-٣١٥ .

٢- محمد فؤاد كوبريلى: قيام الدولة العثمانية. ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٩٥، ص٢٠٠ .

٣- ابن بطوطه : تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، بيروت، دار صادر، ١٩٦٤ ، ص١٥٦ ، ص١٦٦ ، ومحمد فؤاد كوبريلى : مرجع سابق، ص٢٠١ .

٤- كان هذا العمل امتداداً لنظام الحواضر الإسلامية منذ بداية الإسلام.

٥- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة / نبيه فارس ومنير البعلبكى ، بيروت ، دار العلم، ١٩٨٤ ، ص١٠٤ ؛ عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية . مرجع سابق، ج١ ، ص ص٦٣-٧٥ .

كما كان للأتراك أيضًا دور فى تكامل الحضارة الإسلامية من الناحية الاقتصادية حيث ورثوا وضموا الكثير من الأراضى الزراعية كما ورثوا الكثير من النظم الزراعية والاقتصادية التى كانت موجودة قبلهم ، ويأتى على رأس هذه النظم النظام الإقطاعى[١] الذى انبث عنه نظام الالتزام والذى طبقته الدولة العثمانية فى الأقاليم التى لم تخضع لنظام الإقطاع العسكرى ولم تكن الدولة العثمانية مبتكرة لنظام الإلتزام ، فقد وجدته معمولاً به فى بعض الأقاليم التى خضعت لها خاصة فى الأناضول وشمال العراق وهو ما يُعرف فى عهد خلفاء الدولة العباسية بنظام التضمين أو القبالات [٢].

ويقتضى هذا النظام كانت الدولة تعهد إلى شخص من ذوى النفوذ والثراء بجباية الضرائب المربوطة على الأراضى الزراعية والمقررة على الفلاحين فى قرية أو أكثر فى مدة زمنية محددة وكان يُطلق على هذا الشخص اسم الملتزم والذى مارس سلطاته عن طريق مزاد يرسو على من يعرض أكبر مبلغ من المتزايدين [٣]. وكان يساعده أعوان هم شيخ البلد والمباشر الذى ينفذ أوامر شيخ البلد والشاهد والصراف والمساح والوكيل والخولي والكلاف والساقى وغيرها من الوظائف [٤].

ولكن هذا النظام تدهور فى كثير من الولايات نظراً لتعسف الملتزمين مع الفلاحين .

ولم يقتصر هذا التكامل الذى أحدثه العثمانيون فى الحضارة الإسلامية على هذه النواحى فقط بل شمل أيضًا فن العمارة الذى أكمل فيه الأتراك ما بدأه غيرهم من المسلمين من بناء المساجد والمدارس والأضرحة والتكايا التى كانت تلحق غالبا بالمساجد ويقيم فيها دراويش الصوفية[٥].

١- اختلف النظام الاقطاعى الإسلامى عن النظام الاقطاعى الأوروبى الذى وجده الأتراك فى أوروبا عند فتحها ، فقد كان الإقطاع الإسلامى استغلالاً للأرض بعكس الاقطاع الأوروبى الذى كان استغلالاً للأرض ومن عليها وكان يورث .

٢- كان من وسائل حياته الخراج خلال العصر السلجوقى وهو يعنى ضمان الأراضى أو حاصلاتها فى بلد من البلاد وهو ما يعرف فيما بعد بنظام الإلتزام والذى عممه العثمانيون فى كل البلاد التى استولوا عليها . راجع : إبراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص٤٧٦ .

٣- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج١، ص١٤٧ .

٤- المرجع نفسه، ص ص١٤٥-١٨١ .

٥- انظر : على حسون: المرجع الاسبق، ص٣٠٥ .

كما بنوا العديد من القصور ذات الامتداد الواسع والحدائق المزينة بآيات القرآن الكريم علي شواطئ نهر البسفور وكان بناء القصور امتداداً لحلقة إسلامية بدأت منذ القرن الأول الهجرى فى العصر الأموى(١).

ونظراً لأن الدولة العثمانية دولة عسكرية الطابع فقد كان عليها أن تكمل الدور الذى بدأه حكام الدولة الإسلامية فى حماية بلادهم من غارات الأعداء ، فبنت القلاع والحصون واهتمت بالثغور، وكانت القلاع التركية بمثابة درع يقى العالم الإسلامى من الشمال والغرب فضلاً عن كونها قواعد انطلاق لنشر الإسلام فى الأناضول غربا وشبه جزيرة القرم شمالاً (٢).

ولقد تأثر الأتراك بالحضارة الإسلامية وروافدها خاصة فى مجال المعاهد العلمية التى اقتصرت على المساجد فى البداية وتحولت فى عهد السلاجقة إلى أكاديميات وعُرفت بالمدارس النظامية التى اهتم بها حكام السلاجقة ومن بعدهم العثمانيون، فأوقفوا عليها الأحباس (الأوقاف) ، كما حرصوا على توفير الجو العلمى اللازم للدرس والتحصيل وعلى تطوير العلوم بها، فكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة ديوانه ولها مكانًا لاقامة الطلبة وآخر للإداريين والأساتذة وقاعة للمكتبة (٣).

وقد ورث العثمانيون الهيكل التنظيمى لهذه المعاهد العلمية وكانت تسمى فى عهدهم بالمدرسة أيضًا ، وقد حافظت على بقائها طوال العصر العثمانى، فكانت تدرس فيها العلوم العقليه كالرياضة والفلك إلى جانب العلوم الدينية (٤).

كما كان للمدارس التى أكثر من بنائها سلاطين الدولة العثمانية والتى قامت على أسس المدارس النظامية التى أوجدها السلاجقة فى آسيا الصغرى الأثر الأكبر فى نشر التعليم إلى جانب الكتاتيب ومدارس تعليم القرآن (٥).

١- نبيه عاقل : خلافة بنى أمية، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص١٣٤ .

٢- محمد عبد اللطيف هريدى : مرجع سابق، ص١٩ .

٣- يحيى الخشاب : نظام الملك والمدارس النظامية ، بحث مستخرج من مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، الرياض ، جامعة الإمام، العدد الخامس ٩٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ص٧٥-٧٦ .

٤- محمد عبد اللطيف هريدى: المرجع الاسبق، ص ص٣٢-٣٣ .

٥- على حسون : المرجع السابق، ص٣١٨ . ومحمد عبد اللطيف هريدى : المرجع السابق، ص ص١٩-٢٠ .

وقد اشتهرت بعض الفنون فى العصر العثمانى مثل الخط الذى أبدع فيه الأتراك وهو خط الطغراء أو الطغرى، والذى أصبح مادة لكتابة كتبهم ورسائلهم والذى عرف بالخط الهمايونى أو العثمانى.

ولم يقتصر دورهم فى هذا التكامل على المجال الدينى فقط بل أمتد أيضًا إلى المجال العسكرى ، فقد اشتهر الأتراك منذ القدم بأنهم فرسان بارعين ، ولهذا اهتموا بالجيش وتنظيمه وفرقه وتدريبه وانتقاء قواده وعناصره ، كما اهتموا بالأسطول وسفنه التى كان لها الفضل فى الكثير من الانتصارات على شواطئ بحر إيجه والبحر المتوسط والبحر الأسود.

ومن الناحية الاجتماعية فقد ورث العثمانيون النظام الطبقى الذى كانت عليه الدولة السلجوقية، فقد كانت هذه الدول والدولة العثمانية تضم أفراداً من العبيد أو الأرقاء وأفراداً من الأحرار، وكانت الهيئة الحاكمة العثمانية بأكملها من أصغر فرد فيها إلى الصدر الأعظم- ما عدا أفراد الأسرة السلطانية- عبيداً للسلطان ، ويطلق عليهم جميعًا المصطلح التركى قولار (العبد)، وكان هؤلاء الأفراد يوصفون فى أوراق الدولة الرسمية بصفة العبد وكانوا لايشعرون بغضاضة فى إلصاق هذه الصفة بهم ، بل كانوا فخورين بها [١].

وهذا الوضع الطبقى ورثته الدولة العثمانية من سلاجقة الروم، بل كان فى دماء الأتراك أنفسهم الذين وفدوا من بيئة اتسمت بعدم الخضوع للغير مهما كان .

وهكذا لعب الأتراك دوراً فى تكامل الحضارة الإسلامية التى ورثوها من غيرهم فأمدوها وأمدتهم فيما يُعرف بمظاهر الحضارة الإسلامية فى العصر العثمانى .

١- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، المرجع السابق، ج١ ، ص١١٩ .

مظاهر الحضارة الإسلامية فى الدولة العثمانية

هذه المظاهر شملت جميع جوانب الحضارة سواء الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والعلمية، وسوف نتناول باختصار كلا من النظم السياسية للدولة العثمانية، والنظام الاداري، والنظام الحربى، والوظائف المدنية.

أولاً : النظم السياسية:

أ- السلطنة (السلطان) (١).

وهو ما يُعنيه هذا اللقب من معانى القوة حيث ورث العثمانيون فى آسيا الصغرى نظم حكم سلاجقة الروم وبحكم التركيبة لكلا الدولتين كانت تمجد من شخص الحاكم، فالسلطان لقب تلقب به حكام السلاجقة بصفة عامة (٢). وهو لقب يدل على القوة والانفراد (٣). وكان السلطان العثمانى رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات العثمانية ورئيس الهيئة الحاكمة- القولار - وفى ذات الوقت رئيس الهيئة الدينية الحاكمة وله الهيمنة على رؤساء الملل المختلفة غير الإسلامية فى الدولة ، وكان رئيس حكام الولايات والمقاطعات ، وحامى ومنفذ الشريعة الإسلامية وله هيمنة على جميع موارد الدولة (٤).

١- السلطان : كلمة سريانية الأصل ، تعنى المتحكم تُقال لحكام المسلمين السنيين وحتى عهد السلطان محمد الفاتح كان يطلق على العاهل العثمانى لقب (بيك) كما أطلق لقب (سلطان) على أمراء وأميرات ووالدات وأخوات السلاطين فى الدولة العثمانية. وقد خلع الخليفة العباسى فى القاهرة هذا اللقب على بلديزم بايزيد. بعد انتصاره فى إحدى المعارك ، وبذلك يكون بايزيد هو أول من حمل هذا اللقب من سلاطين آل عثمان .

انظر: Medhat Sertoglu . Resmli Osmanli Tarihi Ansiklopedisi. ISTANPUL, 1958 , S. 298 / 1 .

٢- حسين أمين: نظم الحكم فى العصر السلجوقى. مقال منشور بمجلة سومر، بغداد ، ١٩٦٤ ، العدد العشرون، ص٢١١ .

٣- حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار. القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨، ص ص١٠٣-١٠٦ .

٤- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص٩٣ . وعبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مرجع سابق، ج١ ، ص ص٣٤٣-٣٤٤ .

ولم تقتصر سلطات السلطان العثمانى على ذلك ، بل تعدتها إلى أنه كان له نفوذ مطلق على رعاياه أكثر مما كان لأى حاكم معاصر له فى أوروبا [١].

ويمكن تفسير هذه السلطات المطلقة التى مارسها السلطان العثمانى بالبيئة التى نشأ فيها الأتراك؛ والتى وفدوا منها، وهى بيئة حربية تنظر إلى القائد بإجلال وتقديس [٢]. كما ترجع هذه السلطات إلى بعض العادات والتقاليد التى درج عليها العثمانيون ومن قبلهم السلاجقة من حيث الطاعة العمياء للرئيس أو القائد، مما ترتب عليه وجود سلطة مطلقة لاتقبل جدلاً أو نقاشًا [٣].

ب- ألقاب السلطان :

كانت تطلق على السلطان العثمانى عدة ألقاب منها خنكار أو خندكار [٤]، أو بادشاه[٥] أو باد شاه الإسلام، أو باد شاه آل عثمان . وبعد أن استولى السلطان مراد الأول (٧٦١هـ-٧٩١هـ) على مدينة أدرنة سنة ١٣٦٠م [٥]. واتخذ منها عاصمة للدولة العثمانية سنة ١٣٦٦م. تلقب بلقب خليفة الله [٦].

١- كارل بروكلمان : المرجع نفسه ، ص٩٤ .

٢- سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية . الاسكندرية ، بحث منشور فى مجلة كلية الآداب، العدد العاشر، ديسمبر ١٩٥٦ ، ص ص٣٢-٣٤ .

٣- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية. مرجع سابق ، ج١ ، ٣٤٤ . ويوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان . تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى، دمشق ، دار البصائر ، ط٣ ، ١٩٨٥ ، ص ص١٣-١٩ .

٤- ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور (المعروف بتاريخ مصر) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج٥ ، ١٩٨٢ ، ص ص٢٣٣-٢٣٤ .

٥- باد شاه : كلمة فارسية الأصل ، تعنى الملك أو الحارس أو صاحب العرش، وقد خلع هذا اللقب على سلاطين آل عثمان ، فكانت هذه الكلمة تتردد على ألسنة العوام فحسب ، واللقب الرسمى الذى كان يُطلق على حكام آل عثمان ه : سلطان، خان وخنكار.

انظر: Medhat SERTOGLU . Resimli Osmanli Tarihi Anciklopedisi, S. 260 / 1-2 .

٦- يوسف أصاف : المرجع السابق ، ص ص٣٥-٣٦ .

٧- تلقب حكام الدولة العثمانية بلقب خليفة رغم علمهم بأن الخلافة واحدة يجب ألا تتعدد وكان هذا اللقب اسمى وظيفة فى الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وسلم» ، حسن الباشا : المرجع السابق، ص ص٨٠-٨١ .

ولما فتح السلطان محمد الثانى (الفاتح) (٨٥٥هـ - ٨٨٦هـ) مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وجعلها عاصمة للدولة اتخذ لنفسه لقب (سلطان البرين والبحرين) [١]. ولما بسط السلطان سليم الأول السيادة العثمانية على إقليم الحجاز وأصبح هذا الاقليم ولاية عثمانية أضاف إلى ألقابه العديدة لقبًا جديداً اعتز به هو وخلفاؤه من بعده، وهو لقب حامى حمى الحرمين الشريفين، وكان السلاطين يُعلقون أهمية كبرى على هذا اللقب لأنه يؤكد ويُدعم رعايتهم للعالم الإسلامى[٢].

ثم تمسكوا بلقب خليفة وخاصة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نظراً للظروف السياسية التى عاشت فيها الدولة[٣].

ج- ولاية العهد :

كان للسلطان العثمانى الحق فى أن يختار من يخلفه من بين أبنائه أو من أخوته دون أن يتقيد باختيار الابن الأكبر، أى أنه لم يكن هناك قانون يُحدد نظام وراثة العرش فى الدولة العثمانية، وكانت الحرية التى مارسها السلاطين لاختيار ولى العهد هى الباب الذى نفُذت منه المؤامرات لإبعاد شخص وتقريب آخر وكانت معظم هذه المؤامرات تأتى فى الغالب من جانب زوجات السلاطين اللاتى أنجبن أولاداً- وكُن يُلقبن قادينات [٤]- ولقد كانت كل زوجة تحرص على أن يكون ابنها وليا للعهد مما خلق مراكز قوى داخل الدولة، حيث كان كل ابن من أبناء السلطان يرى أنه الأحق بالحكم وارتقاء عرش أبيه [٥].

١- يوسف أصاف : المرجع السابق، ص ص٥٦-٦٣ .

٢- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية . مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٤٥ . ومحمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية. بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٧ ، ص ص٦٢-٦٣ .

٣- راجع : على حسون، المرجع السابق.

٤- القادنيات : هن الحريم السلطانى اللاتى كان لهن مراكز قوى داخل القصور العثمانية نظراً لتعدد زوجات السلاطين من أجنبيات ولقد لعبن دوراً خطيراً فى الدولة. وكانت هذه عادة فى خلفاء الدول السابقة، عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق، ص٥٢٢ .

٥- انظر : أبى السرور البكرى، المصدر السابق، ص ص٥٩- ٦٠ . ويوسف أصاف : المرجع السابق، ص٨٩ .

د- الوزارة (الصدر الأعظم) [١].

عُرف نظام الوزارة قبل الإسلام وبعده فى كل الدول التى قامت فى ظله ، وكان لمنصب الوزير أهمية خاصة فى أول عهد الدولة العثمانية ، فقد كان بمثابة المستشار الأول للسلطان. فى عهد السلاطين الأوائل لم يطلق عليه لقب سلطان بل أطلق عليه برفان [٢]. وكانت اختصاصاته تنفيذ أوامر السلطان، ولما اتسعت الدولة اتساعًا كبيراً إزدادت أهمية الوزير وسيطر على إدارات الحكومة ، وانشأ منصب الوزير الأوب [٣]. ثم استبدلت الدولة بهذا اللفظ مصطلحا جديداً هو الوزير الأعظم تمييزاً له عن حكام الولايات الأخرى، وهذا المصطلح يعنى أنه أعظم كبار الموظفين فى الدولة العثمانية .

فهو مطلق الصلاحية ، يفصل فى جميع شئون الدولة ويحمل أختام السلطان ومفاتيح الخزانة السرية والخزن العامة للمحفوظات وغيرها من الأعمال ، مثل هيمنته على شئون الجيش وقيادة المعارك بنفسه ، وحمل راية النبي «صلى الله عليه وسلم» فى الحرب، بل له رئاسة المحكمة العليا ورئاسة الفيالق العثمانية وشرطة المدينة[٤].

ثانيا : النظام الإدارى :

أعطى السلطان سليم الأول (٩١٨هـ- ٩٢٦هـ) الدولة العثمانية نظامًا إداريًا طبقته على جميع ولاياتها التابعة لها، وهذا النظام يُعتبر من أهم الأنظمة الموجودة سواء فى الدولة العثمانية أو فى غيرها ، ثم جاء السلطان سليمان القانونى ووضع قانون «نامه» الذى سارت عليه الولايات العثمانية بما فيها مصر [٥].

١- الصدر الأعظم : هو رئيس الحكومة فى عهد الدولة العثمانية وهو يلى السلطان فى منزلته ويدون ما يصدر عن السلطان من قرارات، وهو يرأس الديوان السلطانى، وكان الصدر الأعظم حين يخرج على رأس الجيوش العثمانية يُسمى (سردار أكرم) ويطلق على ديوانه اسم باب الباشا .

انظر: Medhat SERTOGLU . Osman Tarihi Lugati ,

٢- برقان : مصطلح فارسى اقتبسه العثمانيون من سلاجقة الروم وهو يعنى الوزير الأكبر، عبد النعيم حسانين : سلاجقة ايران والعراق، مرجع سابق، ص١٣٢ .

٣- يوسف أصاف : مرجع سابق، ص ص١٣٦-١٤٤ .

٤- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية . مرجع سابق، ج١، ص ص٣٥٦-٣٦٥ .

٥- عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر ، ط١ ، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٨٢ ، ص٦١ .

ويتكون النظام الإدارى من :

١- الكاخيا بك: وهو من الموظفين الهامين التابعين للوزير الأعظم [١].

٢- الوزراء: وهو لقب تلقب به مجموعة من موظفى الدولة فى استانبول الذين نابوا عن الصدر الأعظم أثناء غيابه أو غياب السلطان، وهم من يطلق عليهم وزراء القبة[٢].

٣- القيزلر أغاس [٣]: وتتعلق وظيفته بالإشراف على الحريم السلطانى، وقد قويت سلطته فى القرن الثامن عشر حين أوكلت إليه إدارة أوقاف الحرمين الشريفين ، وأيضًا بسبب ازدياد تسلطه على الحريم والسلطان العثمانى [٤].

ومن أهم الوظائف الإدارية فى الدولة العثمانية :

أ- الديوان :

استخدمت كلمة الديوان عند العثمانيين للدلالة على الاجتماع الرسمى الذى كان يرأسه السلطان، كما أطلق أيضًا على اجتماعات الأشخاص الرسميين .

واستمر السلاطين يظهرون علنًا فى الديوان حتى عهد السلطان محمد الفاتح من عام ١٤٥١ : ١٤٨١ م الذى خلع الحق فى رئاسة جلسات الديوان على الصدر الأعظم [٥].

وكان الديوان يعقد اجتماعات دورية أربع مرات فى الأسبوع ويحضر الاجتماعات أشخاص معينون مثل الوزراء والدفتردار وأغا الإنكشارية وشيخ الإسلام ، وتناقش فى هذه الاجتماعات شئون الإدارة والحكم فى السلطنة وولاياتها [٦].

١- أحمد جودت : تاريخ جودت ، ج١ ، ترجمة / عبد القادر الدنا، بيروت ، ١٣٠٨هـ . ص٩٠ .

وليلى عبد اللطيف : الإدارة فى مصر فى العصر العثماني ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ص٥-٦ .

٢- ليلى عبد اللطيف : المرجع الاسبق، ص٥ .

٣- هو رئيس الخصيان السود فى القصر السلطانى ورتبته كانت تعادل رتبة الصدر الأعظم، ولقبه الرسمى هو (دار السعادة الشريفة) .

انظر: Medhat Sertoglu . Resimli Osmanli Tarihi Ansiklopedisi A, 177 /1-2.

وانظر كذلك: حسين مجيب المصرى: معجم الدولة العثمانية . القاهرة ، الأنجلو المصرية ، د.ت ، ص٢٥ .

٤- هاملتون جب ، هارولد بوون: المجتمع الإسلامى والغرب. ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠ ، ص٥٤ .

٥- هاملتون جب، هارولد بوون: المرجع نفسه، ص١٦٦ . ويوسف أصاف : مرجع سابق، ص٨٦ .

٦- ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص٦ .

ب- الدفترخانة:

وهى إدارة استانبول ، تعنى بشئون المقاطعات وسُمى رئيسها (بالدفتر أمينى أو أمين الدفتر) وكانت الدفتر خانة مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : يختص بالوثائق التى ترسم حدود الولايات .

القسم الثانى: يختص بوثائق مشابهة فيما يتعلق بالملكيات الخاصة.

القسم الثالث: يختص بالتعديلات التى تجرى فى ملكية الاقطاعات. أما إدارة الشئون المالية، فقد عُرفت بالدفتردارية ، ويرأسها موظف يُسمى بالدفتردار ويعنى بحساب واردات ومصروفات الدولة والوقف [١].

ج- الباشا أو الوالى:

وهو الذى كانت ترسله الدولة العثمانية إلى إحدى ولاياتها لحكمها نيابة عن السلطان مثل ولاية مصر وغيرها ، فهو ممثل السلطان ونائبه فى الحكم والإدارة[٢]. وكان من حق السلطان عزل الباشا ومحاسبته ، خاصة عند اعتلاء سلطان جديد أو نظراً لسوء تصرفات الباشا أو لمؤامرة الحاميات العسكرية ضده [٣].

د- القائمقام :

وهو من معاونى الباشا الذى كان يحل محله خلال فترة خلو منصب الباشوية نظراً لعزل الباشا أو وفاته أو قدوم باشا جديد [٤].

هـ- الكتخدا [٥]:

كلمة فارسية الأصل تعنى وكيل أو نائب معتمد، ويعينه السلطان ويلازم الباشا ملازمة دائمة [٦].

١- ليلى عبد اللطيف : المرجع نفسه، ص٧ .

٢- أحمد جلبى عبد الغنى: أوضح الإشارات فيمن ولى مصر من الوزراء والباشات . تقديم وتحقيق وتعليق د/ فؤاد محمد الماوى، القاهرة ، دار الأنصار، ١٩٧٧ ، ص ص١٧٦-١٧٧ .

٣- ليلى عبد اللطيف : المرجع الاسبق، ص ص١٠١-١٠٦ .

٤- الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج١ ، بولاق ، ١٢٩٧ هـ ، ص٣٧ .

٥- انظر : Midhat Sertoglu . Resimi Osmanli Tarihi Ansiklopedisi, S. 173 / 2 .

٦- ليلى عبد اللطيف : المَرجع الاسبق، ص١١٥ .

إلى جانب مجموعة وظائف إدارية أخرى ساعدت السلطان والباشا مثل: كاتب الديوان والسنجق دار أى حامل علم الباشا فى مواكبه، والخازندار المختص بالعناية بخزينة الدولة[١].

ثالثًا : النظام الحربى:

اعتبر الجيش عماد السلطنة، وبما أن العثمانيين محاربون من الطراز الأول، فقد اهتموا اهتمامًا كبيراً بالجيش والأسطول، وكان الجيش العثمانى ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- الجنود الاقطاعيون :

أى الفرسان وهم الذين يُمنحون إقطاعات من أراضى الدولة مقابل خدمتهم فى الجيش وتجهيز جنود تابعين لهم [٢].

٢- الإنكشارية :

وهى كلمة تركية تعنى الجند الجديد، وهي اسم أطلق على الجيش المنظم الذى استحدثه الأمير أورخان غازى فى القرن ١٤م ، وكان هذا الجيش يتألف من الأسرى النصارى الذين ينشئون تنشئة إسلامية ، ويُعلمون اللغة التركية، وقد كان لهذا الجيش دور عظيم فيما حققته الدولة العثمانية إبان ازدهارها من انتصارات عسكرية. ثم فسد نظام الإنكشارية وكثرت تمرداتهم واعتداءتهم علي السلطان وأجهزة الدولة. وفشلت كل محاولات إصلاحهم ، فأبادهم السلطان محمود الثانى سنة ١٨٢٦م فيما عُرف(بالواقعة الخيرية) [٣].

٣- الجند المرتزقة :

الذين كانت الدولة تعتمد عليهم من البلدان الأخرى مقابل أجر [٤].

وقد اهتمت الدولة العثمانية بالجيش وأسلحته اهتمامًا كبيراً لأنها دولة عسكرية جهادية . ففى عام ١٧٠٠م كانت المدفعية العثمانية أقوى مدفعية فى العالم، بل إننا نجد أنه فى عهد محمد الفاتح أن الطبخانة... وهى تعنى المدفع المتحرك يُنقل على ١٢٠٠٠ جمل يتحرك من

١- لمزيد من التفاصيل : راجع : المرجع نفسه ، ص ص١١٩-١٢٢ .

٢- عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر . المرجع السابق، ص ص٦٣-٦٤ .

٣- انظر : المرجع السابق -Midhet Sertogu. Resimli Osmanli Tarihi Ansikopedisi, S. 341 / 1 2 - 432 / 1 .

٤- ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص١٠ .

استانبول حتى ألبانيا ، وقد استخدم محمد الفاتح مدافع الهاون لأول مرة فى التاريخ لفتح القسطنطينية [١].

وبالنسبة للأسطول فلقد اهتم به سلاطين الدولة العثمانية حيث كان فى زمنهم أقوى أسطول فى العالم نظراً لكثرة بناء الترسانات فى الموانئ مثل السويس والبوسفور وبحر إيجة وغيرها[٢]. حتى أن السلطان العثمانى كان يُلقب بسلطان البر والبحر[٣].

رابعًا : الوظائف المدنية :

جمعت الدولة العثمانية بين مجموعة كبيرة من ممثلى الهيئة الإسلامية.

١- المفتى أو شيخ الإسلام :

وهو صاحب أعلى رتبة علمية فى أوائل عهد الدولة العثمانية إذ كان يُسمى قاضى العسكر . وفى عهد السلطان محمد الفاتح كان يُعرف بالمفتى، وظل يُعرف بهذا اللقب حتى أواخر القرن ١٧م . ثم أصبح يُعرف بشيخ الإسلام[٤].

وقد اعتمدت عليه الدولة فى إعلان الحرب، وعقد المعاهدات بل كان له الحق فى إصدار فتوى بعزل السلطان نفسه [٥].

٢- القاضى: ويُعرف بقاضى عسكر أفندى لمرافقته للجيش العثمانى، وكان من أهم الوظائف فى جهاز الدولة ويعين القضاة فى الولايات الأخرى[٦].

٣- الإمامان : كان هناك الإمامان للسلطان، يؤم كل منهما السلطان فى صلاته سواء فى داخل القصر أو المساجد السلطانية[٧].

٤- نقيب الأشراف : وهم أشراف البيت النبوى، وكان لنقيب الأشراف فى استانبول سلطة على نقباء الأشراف فى الولايات، وكان يستمر فى منصبه مدى الحياة، ويتمتع بامتيازات كثيرة ويحمل لقب سيد[٨].

١- محمد حرب : المرجع الاسبق، ص ص٣٠٦-٣٠٧ .

٢- المرجع نفسه، ص٣٠٧ .

٣- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية، المرجع السابق، ج١ ، ص ص٣٤٤-٣٤٥ .

٤- انظر : مرجع سابق Midhat . Sertoglu . Resimli Osmainli . Tarihi Ansiklopedisi . S. 304
1304 / 2 .

٥- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية . المرجع السابق،ج١ ، ص٣٩٧ .

٦- انظر : المرجع نفسهض ، ص ص٣٢١-٣٣٤ .

٧- يوسف أصاف : المرجع السابق، ص١٣٢ . وعبد العزيز الشناوى: المرجع نفسه، ص. ٤٣٥

٨- ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص١١ .

الفصل الثانى

إيـــران

مقدمة - إيران عبر التاريخ - الشيعة فى إيران: أولا : الشيعة الإثنا عشرية ، ثانيا : الدولة الشيعية - العلاقات الإيرانية العربية - علاقات إيران بالدول الأجنبية .

كانت هضبة إيران يسكنها الفرس الذين يمثلون عدة مجموعات قبلية هى : الميدى Medes والفرس أو الإيرانيين Persian والبارثيان Parthians والبختياريان Bakgtarians والسوغديان Soghdins والساسان Sacian والسيثيان Sythian ، وقد شكل الفرس عبر القرون الأربعة التالية للقرن الأول قبل الميلاد نواة القوة داخل مناطق معينة ، وامتصوا النفوذ الحضارى للحضارات الموجودة ، وقد تمكنوا من تكوين أول امبراطورية [١].

ويشغل الفرس الأجزاء الشمالية الغربية من النطاق الغربى لإيران وجزءا فقط من الجنوب ، بينما تشغل العناصر الأخرى باقى الجهات الإيرانية ، وتتميز حياتهم فى القرى بأنها لم تتغيرإلا قليلا عما كانت عليه فى العصور الوسطى، على حين تتقدم حياة المدن بخطى واسعة[٢].

وهناك عناصر أخرى تسكن فى إيران هم الشاهسفان Shahsevan الذين يشكلون جماعات قبلية فى إيران بعضهم يعمل بالزراعة والبعض الآخر مازال يمارس حياة البداوة ، وكذلك البختياريون Bakhtari ويتميزون بخاصيتين البداوة والقبلية [٣].

وحدود إيران الحالية تمتد من جبال القوقاز وبحر قزوين ونهر سيحون شمالا ومن الجنوب يحدها الخليج العربى والمحيط الهندى، ومن الشرق جبال الهندكوش والسند ، ومن الغرب وادى دجلة والفرات .

١- السيد خالد المطرى : دراسات فى سكان العالم الإسلامى : ص٣٢٥ / ٣٢٦ .

٢- نفس المرجع ، ص٣٢٦ .

ولفظة إيران – وهو الاسم الذى تعرف به هذه البلاد اليوم والذى اتخذته أسرة بهلوى إسمًا رسميًا لهذا القطر- كانت شائعة فى الزمن القديم كذلك وتذكر بعض المصادر التاريخية بأنها مشتقة من لفظ «آريا» وتعنى الشريف، أو هى نسبة إلى قبائل الرعاة الذين كانوا يعرفون باسم «إيريان»[١].

ويتحدث أهل مقاطعة فارس اللغة الفارسية ، وتكتب اللغة الفارسية كشكل معدل للغة العربية ، وتكتب بحروف عربية، مع إضافة بعض الحروف التى لاتوجد فى اللغة العربية مثل حروف «G . Z . C . P» .

وقد نشأت اللغة الفارسية الحديثة كلغة للأدب فى عام ٩٠٠م، وفى إقليم فارس أخذت الشكل الذى سمى بالفارسى ، وهو الاسم الذى لايزال يطلق عليها فى إيران الحديثة. أما فى شرق هضبة إيران فقد أخذت شكلا آخر عرف باسم دارى Dari أو لغة «قصر البلاط» وهو شكل أكثر قدما وأقل زخرفة ، كما أن اللغة العربية أقل تسربا فيه ، وقد فقد هذا الشكل أهميته الأدبية منذ القرن السابع الميلادى[٢].

وتنتشر اللغة الفارسية بين الطبقات الوسطى والدوائر الرسمية الإيرانية ، وتكتسب أهميتها وشعبيتها من كونها لغة التعليم الإجبارى ومن برامج التنمية الإقليمية الحكومية التى تتم بواسطتها ، ولذلك فإنها تعتبر لغة الأدب والثقافة والإدارة والتجارة فى إيران كما تعتبر اللغة الرسمية فى البلاد [٣].

إيران عبر التاريخ

عاشت إيران فى التاريخ القديم تحت حكم الآشوريين والبابليين حتى ظهرت فيها الدولة الأكمينية «وكانت تعرف أيضا باسم «الهخمانشية» بزعامة الملك كورش ، وبعده ابنه قمبيز الذى توسع فى الشام ومصر وآسيا الصغرى، وقد انتهت هذه الدولة فى عهد الملك دارا الثالث الذى هزمه الإسكندر الأكبر المقدونى . حتى استطاع الساسانيون بعد خمسة قرون من

١- د. أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص١٢٧ .

٢- نفس المرجع ، ص٤٥٩ .

٣- المرجع السابق، ص٤٦٠ .

سقوط دولة الأكمينيين «إقامة دولة لهم فى إيران جعلوا من «المدائن» على نهر دجلة عاصمة لملكهم [١].

وفى عهد الدولة الساسانية ازدهرت الديانة الوضعية التى تنتسب إلى «زرادشت» بعد أن كان الإسكندر الأكبر قد ألحق بها ضربات كبيرة ، كما ظهر مصلح دينى فارسى كبير يدعى «مانى» دعى الفرس لاعتناق مبادئ وضعها لخدمتهم ، كما ظهر داعية آخر يدعى «مزدك» يبشر بالمساواة وينتقد الطبقية التى دعا إليها مانى .

ويعد عهد كسرى الأول «أنوشروان» أزهى عهود الدولة الساسانية ، فقضى على فتنة «مزدوك» وقد دخل فى حروب متصلة مع الروم ومع الترك ، حتى وصلت حدود دولته إلى اليمن التى كانت تخضع آنذاك للأحباش ، وفى عهد كسرى الثانى «برويز» بعث محمد بن عبدالله نبيا ورسولا فى مكة . وفى عهد يزدجر الثالث دخل المسلمون فارس واستولوا عليها بعد هزيمة الفرس فى واقعة القادسية ، حيث انتهى عهد الدولة الساسانية وسارع الفرس يدخلون دين الله أفواجا [٢].

عاشت إيران فى ظل الدولة الإسلامية إقليما من أقاليمها ، حتى إذا بدأ الضعف يدب فى أوصال دولة الخلافة العباسية خاصة فى عهدها الثانى ، ظهرت دويلات إسلامية هناك مثل الدولة الطاهرية التى تنسب إلى طاهر بن الحسين فى خراسان التى حكمت قرابة قرن ونصف قرن من عام ١٩٥هـ/ ٨١٠م والدولة الصفارية ومؤسسها يعقوب بن الليث الصفار ابتداء من منتصف القرن الثالث الهجرى . والدولة السامانية أول دولة فارسية كبيرةحكمت إيران ، وكانت عاصمتها فى بخارى ببلاد ما وراء النهر ، وكان فى حوزتهم خراسان وسجستان وجرجان والرى وطبرستان ، وفى عهد السامانيين نجح البويهيون فى إقامة دولة لهم فى غرب إيران - وكانوا شيعة- وصار لهم نفوذ عظيم فى بغداد نفسها فى الفترة الممتدة من عام ٣٣٤-٤٤٧هـ [٣].

١- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق، ص١٢٧ -١٥٨ .

٢- نفس المرجع ، ص١٣٨ - ١٤٠ .

٣- المرجع السابق، ص١٤١-١٤٣ .

وحكم إيران بعد السامانيين الترك الغزنويون الذين اتخذوا من مدينتغزنة ببلاد الأفغان عاصمة لهم ، وكان أعظم حكامهم السلطان محمود الذى حارب فرق القرامطة والباطنية وغيرهم من أعداء السنة، وتوسع فى الفتوحات باسم الإسلام فى شبه القارة الهندية .

وبعد الغزنويين خلفهم فى حكم إيران الأتراك السلاجقة الذين بسطوا نفوذهم على كافة الأراضى الممتدة من حدود الهند حتى الشام وحدود بلاد الروم وكانت عاصمتهم نيسابور بخراسان ، وفى عهدهم ظهرت طائفة الحشاشين أتباع حسن الصباح الملاحدة من الباطنية حتى إذاضعف أمر السلاجقة دخلت إيران فى حوزة سلاطين خوارزم حتى مجئ المغول بزعامة جنكيز خان .

فقد تعرضت الدولة الإسلامية فى المشرق لهجمات المغول بقيادة زعيمهم جنكيز خان فاستولى ودمر بلاد ما وراء النهر وهى بخارى وسمرقند وخوارزم ثم إيران ، وفى عهد هولاكو استمر الغزو المغولى لبلاد إيران حيث تم القضاء نهائيا على طائفة الحشاشين ، ثم دخول بغداد عاصمة الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، واستمروا فى زحفهم حتى هزمهم المماليك فى «عين جالوت» بفلسطين بعد ذلك بعامين . وظل المغول يحكمون إيران حتى عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٨م ولئن بدأ عهد المغول- إلا يلخانيون أبناء وأحفاد هولاكو - وثنيا فإنهم مالبثوا أن اعتنقوا الإسلام وصاروا من دعاته وعاملين على نهضته الثقافية [١].

وحين ضعفت دولة المغول فى وسط آسيا نجح زعيم تركى يدعى تيمور لنك فى الاستيلاء على كل أقاليم إيران ابتداء من عام ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م ، ثم استولى على العراق وانتصرعلى العثمانيين فى آسيا الصغرى وأسر سلطانهم بايزيد الثانى، كما اجتاح الأراضى الروسية حتى بلغ موسكو، كما مد ملكه حتى ضفاف نهر الكنج فى الهند ، وقد اتخذ من سمرقند عاصمة الدولة المعروفة بالتيمورية ، وكان الإسلام دين الدولة الرسمى .

وعندما ضعفت الدولة التيمورية تغلب التركمان بقيادة زعيمهم «أوزون حسن» على كل نفوذ للتيمويين فى معظم إيران . وفى أواخر القرن التاسع الهجرى / آخر القرن الخامس عشر الميلادى ظهر زعيم قوى ينتمى إلى القبائل التركية ويقول بامتداد نسبه إلى الإمام على من

١- المرجع السابق، ص١٤٤-١٤٩ .

جهة وإلى يزدجر الساسانى من جهة أخرى ، ذلك هو الشاه إسماعيل الصفوى ، الذى أسس دولة شيعية فى إيران من عام ١٥٠٠م حتى انتهت عام ١٧٣٥م على يد نادرشاه[١] .

وينتسب الشاه إسماعيل الصفوى إلى الشيخ صفى الدين صاحب طريقة صوفية فى أردبيل بأذربيجان ، من بين عدة طرق صوفية انتشرت هناك أثناء الاضطراب الذى عم إيران والعراق عقب سقوط دولة المغول الكبرى، وقد أصبح لهذه الحركة قوات عسكرية تتخذ لباسا للرأس عبارة عن تاج أحمر ذا اثنى عشر ذؤابة كناية عن الإثنى عشر إماما ، ولهذا أطلق عليهم العثمانيون «قزل باش» أى الرؤس الحمراء [٢].

اتخذ الشاه اسماعيل الصوفى سياسة عنيفة لإرغام الناس قسرا على التشيع ، كما أنه دخل فى حروب متصلة مع العثمانيين عند الحدود الغربية لبلاده، ومع الأوزبك عند الحدود الشمالية لإيران ، وكانت حروب الصفويين مع العثمانيين ومع مسلمى وسط آسيا فرصة لإضعاف الجانب الإسلامى لمصلحة الدول الأوربية ، حيث كانت قد اتسعت ممتلكات العثمانيين المسلمين فى أوروبا كما اتسعت ممتلكات الأوزبك إلى مناطق كثيرة فى روسيا .

ولقد لقى الشاه إسماعيل الهزيمة فى جالد يران عام ١٥١٤م بأيران على يد السلطان سليم الأول العثمانى، الذى واصل تقدمه حتى دخل تبريز عاصمة الشاه واستولى على كنوز الشاه ونسائه ، ثم عاد إلى دولته . ورغم انتصار العثمانيين على الصفويين عام ١٥١٤م فأن ذلك لم ينه العداء بين الفريقين بل استمر طويلا ، وكان العراق ميدانا للصراع والمعارك بين الطرفين، مما جعل العراق موزعا توزيعا متوازنا بين السنة والشيعة [٣].

وعندما ضعفت الدولة الصفوية التى شهدت عصرا من القوة والإزدهار الحضارى فى عهد الشاه عباس الكبير وفى عهد خلفائه استولى على الحكم أحد قادة الجيش الصفوى هو نادر شاه عام ١١٤٩هـ / ١٧٣٥م . وقد شهد عهده انتصارات على العثمانيين فى العراق وعلى الروس واستولى على بلاد بخارى وخيوة ومنها إلى الهند حيث انتصر على الدولة المغولية القائمة هناك وكان سلاطينها من سلالة تيمورلنك .

١- المرجع السابق، ص١٥٢ .

٢- د. محمد أنيس : المرجع السابق، ص .

٣- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق، ص٦٣-٦٤ .

وعندما قتل نادر ميرزا عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م بتدبير من ملوك الزند ثم القاجاريين فى جيشه . بدأ حكم القاجاريين الوراثى وكان القاجاريون أعظم القبائل الإيرانية التركية التى ساندت الدولة الصفوية . ودخل زعيم القاجاريين «أقا محمد خان» العاصمة طهران عام ١٧٧٩م. وأمسك بزمام الأمور فى إيران بيد قوية . حيث أخضع جميع القبائل الإيرانية فى الشمال والجنوب لسيطرته[١] .

وتوالى على حكم إيران شاهات من الأسرة القاجارية طوال القرن التاسع عشر الميلادى اتصفوا بالضعف مما جعل إيران مسرحا للتنافس الدولى الفرنسى- زمن نابليون - وبريطانيا وروسيا ، حيث صارت هناك امتيازات بريطانية روسية فى إيران فى عهد كل من «فتح على شاه» «وناصر الدين شاه» الذى حكم فترة طويلة امتدت من عام ١٨٤٨ إلى عام ١٨٩٦م، وفى عهد «الشاه مظهر الدين» الذى حكم فى الفترة من ١٨٩٧ إلى عام ١٩٠٦م ، وعهد خلفه محمد على شاه الذى شهد ثورة شعبية ضده . كما شهدت المنطقة معارك الحرب العالمية الأولى، التى أسفرت فى إيران عن سقوط حكم الأسرة القاجارية وظهور الأسرة البهلوية بدءا بالشاه رضا شاه بهلوى .

وتمثل النفوذ الأجنبى فى إيران خلال القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن العشرين حتى سنوات الحرب العالمية الأولى فى احتكار بريطانيا لتجارة الدخان (الطباق) ثم للبترول الإيرانى من خلال شركة البترول الفارسية الإنجليزية ، والاستيلاء على أراضى من إيران مجاورة للمستعمرة البريطانية فى بلوخستان . أما الروس فقد استولوا على مساحات من الأرض الإيرانية فى الشمال مجاورة لبلادهم .

كما شهدت إيران حركة لادينية تسمى بالبابية يتزعمها من يدعى «ميرزا على محمد» الذى كان يتلقب بالباب ، إشارة إلى أنه الباب إلى الحياة الروحية الخالصة بزعمه ، وتعرف هذه الدعوة أيضا بالبهائية ، وهى دعوة لاتعترف بدين من الأديان بل تزعم أنها ترمى إلى توحيد أصحاب العقائد جميعا تحت رايتها وقد قضى على كثير من أتباع هذه الحركة وزعيمهم ميرزا عام ١٩٥٠م حيث قتل منهم أربعون ألفا [٢].

١- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق ، ص١٥٣-١٥٥ .
٢- المرجع السابق ، ص١٥٦ .

أولا : الشيعة الإثنا عشرية

تعتبر إيران المعقل الرئيسى للشيعة فى آسيا الإسلامية ، وقد اكتسب المذهب الشيعى فيها شعبية كبيرة بسبب مضمونه القومى ، إذ أنه يفرق الإيرانيين عن العرب . وهنا يؤمن الشيعة بالحظ الكامل للأئمة الإثنا عشر وهم يتبعون تعاليم جعفر الصادق الإمام السادس أو تعاليم المذهب الإثنا عشرى أو الجعفرى من مذاهب الشيعة .

وفى المذهب الإثنا عشرى تتوالى الإمامة بين اثنى عشر إمامًا من نسل الحسين بن على بن أبى طالب . وقد أصبح التشيع المذهب الرسمى للدولة فى إيران منذ عام ١٥٠٠م على يد الدولة الصفوية بزعامة الشاه اسماعيل الصفوى، ويشكل الشيعة فى إيران حوالى ٩٣٪ من إجمالى المسلمين فيها ، ويتركز الشيعة فى شمال إيران ووسطها [١].

وكان التشيع فى العقود الأولى من تاريخ الإسلام اتجاها سياسيا فظهر ما عرف بشيعة على - بمعنى حزب أو فرقة على- وهكذا ، ويعرف الشهرستانى[٢] التشيع بقوله : إن الشيعة جماعة انضموا إلى على بن أبى طالب صهر النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، واعترفوا له بالحق المطلق فى الإمامة والخلافة ، ويعتقد أهل التشيع فى أن حق الإمامة منحصر فى أخلاف على وفاطمة الزهراء ولايتعداهم ، كما يعتقدون فى أن حق الإمامة لايرتبط بفرق هذا الشخص أو ذاك. بل يتعلق أساسا بالوراثة ، وأن ماهية الدين والإيمان وجوهرهما قائم على ذلك [٣].

والإمامة الاثنى عشرية تعتمد اثنا عشر إماما هم على النحو الآتى -

١- على بن أبى طالب المرتضى	وقتل عام ٤١هـ
٢- الحسن بن على	وتوفى عام ٤٩هـ
٣- الحسين بن على الشهيد	وقتل عام ٦١هـ .
٤- على زين العابدين بن الحسين	وتوفى عام ٩٦هـ
٥- محمد الباقر	وتوفى عام ١١٤هـ .

١- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق، ص٥١٤ .

٢- الشهرستانى ، أبو الفتح : الملل والنحل ، بحاشية ابن حزم ، مصر ١٣١٧ هـ .

٣- بطروشوفسكى ، الإسلام فى إيران ترجمة وتعليق د. السباعى محمد السباعى ، القاهرة ، ص١٨٧ .

٦- جعفر الصادق	وتوفى عام ١٤٨هـ.
٧- موسى الكاظم	وتوفى فى السجن عام ١٨٣هـ .
٨- على بن موسى الرضا	توفى عام ٢٠٣هـ .
٩- محمد التقى (الجواد)	توفى عام ٢٢١هـ .
١٠- على النقى	وتوفى فى السجن عام ٢٥٨هـ .
١١- حسن العسكرى	وتوفى عام ٢٦٠ هـ [١].
١٢- محمد المهدى	واختفى بين عام ٢٦١ هـ وعام ٢٦٥ هـ .

واسم الإمام الثانى عشر بالكامل هو محمد بن حسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وتروى المصادر أنه ولد قبل وفاة والده بأربعة أو خمسة أعوام ، وقد اختفى هذا الطفل الذى نال مقام الإمامة حين بلغ السادس من عمره . وهنا روايات مختلفة عن ظروف اختفاء وأحوال غيبته فتذكر إحدى الروايات أنه اختفى فى سرداب منزله .

وعلى أية حال فلم يعد للأئمة وجود ظاهرى بعد ذلك . ويعتقد بعض أتباع مذهب الإمامة الاثنى عشرية أن الدنيا لايمكن أن تظل دون إمام ، وإذا لم يوجد الإمام الظاهر يكون هناك الإمام المستتر . الذى يحفظه الله ، وأنه يدير أمور جماعة الشيعة ويحفظ مصيرها وهو غائب عنها ، وحين يعود فإنه المهدى .

ويعتقد الشيعة الاثنى عشرية بالإمام الغائب محمد المهدى بن الحسن العسكرى وهذا الإمام الغائب هو الإمام الثانى عشر الذى اختفى ، ويطلقون عليه ألقابا متعددة مثل : الحجة ، والمهدى المنتظر ، وصاحب الزمان [٢]. وبعد مضى مايزيد عن ستين عاما من اختفاء الإمام

١- اسم الحسن العسكرى مشتق من اسم مدينة سامرا التى أمضى فيها الكثير من عمره، وكانوا يسمون مدينة سامرا غالبا باسم العسكر وتحمل معنى الجند أو المعسكر، لأن جند الخليفة كانوا مستقرين بها ، ومن هنا أتت كلمة العسكرى التى لقب بها الإمام. وقد ولد عام ٢٣٢هـ وتوفى عام ٢٦٠هـ ولم يكن عمره آنذاك قد تجاوز سبعة وعشرين عاما، وتعده الروايات الشيعية من الشهداء ، كذلك يقولون أنه قد دس له السم بأمر من الخليفة المعتمد العباسى ، وقد أنجب ابنه محمد المهدى من جارية تسمى نرجس .

٢- الإسلام فى إيران ، المرجع السابق، ص٢١٢-٢١٣ .

الثانى عشر حتى عام ٣٢٩ هـ- ترأس جماعة الشيعة الإثنا عشرية خلفاء سمى كل واحد منهم باسم النائب الخاص، الذى كان نائبا عن الإمام الغائب فى عصر الغيبة الكبرى التى أعقبت اختفاء الإمام الثانى عشر، ومنذ ذلك التاريخ لم يرأس جماعة الشيعة الإثنا عشرية رئيس ظاهر قوى يقبله جميع الشيعة الاثنا عشرية [1].

ويمكن أن نحدد أسس الإمامة الاثنى عشرية السائدة فى إيران فيما يلى :-

١- التقية : عقيدة دينية عند الإمامة الاثنى عشرية تبيح لأتباعها التظاهر بغير مايبطنون فينخدع سليم القلب من أهل السنة بما يتظاهرون له به من رغبتهم فى التفهم والتقارب وهم لايريدون ذلك ولايرضون به ولايعملون له .

٢- اعتبار جميع الحكومات الإسلامية من يوم وفاة النبى محمد صلى الله عليه وسلم إلى هذه الساعة عدا سنوات حكم على بن أبى طالب ، حكومات غير شرعية ، ولايجوز لشيعى أن يدين لها بالولاء والإخلاص عن صميم قلبه ، وأن الحكام الشرعيون هم الأئمة الاثنى عشر وحدهم ، وغيرهم مغتصبون .

٣- الحقد على أبى بكر وعمر وعثمان ولعنهم هم وكل من حكم الدولة الإسلامية عدا على ابن أبى طالب ، وأطلقوا على أبى بكر وعمر بن الخطاب ألقاب «الجبت» و«الطاغوت» . ويدعون بدعاء يقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والعن صنمى قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما .. الخ ، ويريدون بابنتيهما أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وأم المؤمنين حفصة بنت عمر الفاروق رضى الله عن الجميع .

٤- عقيدة الرجعة من عقائد الشيعة الاثنا عشرية الأساسية ، إذ يؤمنون برجعة الإمام الثانى عشر [2].

٥- أن الإمامة من أركان عقيدة الشيعة الاثناعشرية ، بل أنها أهم ما يميز الشيعة الاثنا عشرية عن غيرها من فرق الشيعة الأخرى، حيث يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى لايخلى الأرض من حجة على العباد من نبى أو وصى ظاهر مشهور أو غائب مستور ، وأن الإمامة استمرت بالنص من على بن طالب حتى الإمام الثانى عشر المهدى المنتظر .

١- نفس المرجع ، ص٢١٥ .

٢- السيد محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، الدوحة- قطر ، ١٣٨٦هـ ، ص٨-١٨ .

٦- اعتمد المذهب الشيعى الاثنى عشر على التقليد الواجب على الأتباع ، بحيث يبطل عمل الفرد إذا أصدر من غير تقليد لأحد الفقهاء المعروفين الأحياء أو حتى الأموات . وقد أكد مبدأ التقليد على دور المرجعية الفقهية أى الرجوع لأحد الفقهاء المعترف بهم كمراجع دينية . والمرجع يتعلم فى «الحوزة العلمية» بمدينة «قم» الإيرانية ، وهى أشبه ما تكون بالأزهر كمؤسسة دينية وإن اختلفت عن الأزهر فى ترتيب الدرجات الفقهية ، لخريجيها من طالب مبتدئ إلى ثقة الإسلام ، إلى آية الله عندما يجوز له الاجتهاد ، إلى آية الله العظمى عندما يؤسس قاعدة[1] شعبية فى الحوزة .

٧- أن النبى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم عهد بالخلافة إلى على بن أبى طالب بنصوص ظاهرة وأخرى مستترة . واستندوا فى النصوص الظاهرة إلى حديث «غدير خم» الذى يتلخص فى نزول النبى فى «غدير خم» فى السنة العاشرة للهجرة وسأل من كان معه : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، فأخذ بيد على بن أبى طالب وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه .

وحيث«غدير خم» من وجهة نظر الشيعة الإمامية وصية واضحة لم ينفذها الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من يبايعنى على روحه وهو وصى وولى هذا الأمر بعدى ؟ فلم يبايعنى إلا على . وهذا فى رأى الشيعة الإمامية تأكيد بأن على بن أبى طالب هو الذى يخلف النبى صلى الله عليه وسلم [2].

ثانيا : الدولة الشيعية :

يعتبر الشاه إسماعيل الصفوى مؤسس الدولة الشيعية فى إيران ، وقد أسس أسرة وراثية حكمت إيران أكثر من قرنين من الزمان واتخذت من المذهب الشيعى الاثنا عشرى مذهبا رسميا للدولة ، وعمل شاهات الأسرة على نشر المذهب الشيعى بين الإيرانيين بالقوة والفرض .

والشاه إسماعيل حفيد للشيخ صفى الدين أبواسحاق الأردبيلى الذى ولد عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م وتوفى عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٤ م ودفن بمدينة أردبيل بشمال غرب إيران حيث تقوم

١- د. آمال السبكى : التيارات الدينية فى الثورة الإيرانية ١٩٧٧-١٩٨٩ ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٥٧ / ٥٩ .

٢- ابن خلدون : عبد الرحمن ، المقدمة ، جـ١ ، ص١٥٥ .

مقبرته إلى اليوم [١]. وكان شيخا صوفيا أسس فرقة الدراويش التى قامت بنشر أفكار الشيعة فى إيران، وكان الشيخ صفى الدين سنى المظهر على مذهب الإمام الشافعى ، شيعى المخبر على مذهب الإمام جعفر الصادق خامس الأئمة الشيعة الإثنا عشرية ، وجهر بالدعوة الشيعية [٢].

وحينما استقرت الأسرة الصفوية على عرش إيران عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٠م نسبت نفسها إلى سلسلة السادات وبالتالى إلى العرب وادعت نسب الشيخ صفى الدين إلى الإمام السابع للشيعة الإمام موسى الكاظم عبر واحد وعشرين رجلا ، وقد ثبت الآن أن هذه خرافة، وظهر بعد ذلك أن تاريخ الأسرة الصفوية يرجع إلى ما بعد أواسط القرن التاسع الهجرى والغالب أن الأسرة الصفوية كانت من الأكراد أصلا، وأنهم كانوا يميلون إلى التركية ، ولغتهم الأم هى الأذربيجانية ، التى كان الشاه اسماعيل يكتب بها [٣].

وكان عمر الشاه اسماعيل ١٤ سنة فقط عندما تسلم فى عام ١٤٩٩ قيادة القزلباش[٤] وفى عام ١٥٠٠-١٥٠١م دخل فى معارك ضد أمراء المقاطعات القريبة من مدينة باكو الحالية وأزاح قوات الآق قونيلو واستولى على جنوب أذربيجان واحتل مدينة تبريز التى اتخذها عاصمة له، واتخذ فى عام ١٥٠١م لقب شاهنشاه إيران. وإصدار عملة باسمه وظهور كيان سياسى مستقل وفرض المذهب الشيعى كمذهب رسمى فى إيران ووحيد كأساس للسياسة الصفوية . وكان وراء كل ذلك دوافع سياسية للمحافظة على كيان الدولة الصفوية ، ودوافع قومية يسعى من خلالها لصهر السكان فى بوتقة وطنية واحدة ، ودوافع خارجية يسعى من خلالها الوقوف ضد خطر العثمانيين والأوزبك .

وقد أسس الشاه إسماعيل الصفوى دولة كبرى وقوية ، حيث دخل فى صراع عسكرى مع القوى المجاورة ، حيث جرد جيوشه على عراق العجم وقاتل مراد بيك الآق قونيلو ، واستولى

١- د. محمد علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام ، القاهرة ، ص٦٣٩ .

٢- د. أحمد الخولى : الدولة الصفوية : تاريخها السياسى والاجتماعى ، القاهرة ، ص٣٧ .

٣- الإسلام فى إيران : المرجع السابق ، ص٣٦١ .

٤- سمى مريدو الشيخ صفى الدين وبخاصة القبائل الصحراوية باسم «القزل باش» باللغة الأذربيجانية أى الرأس أو القلنسوة الحمراء . وكان القزل باشيون يحلقون لحاهم ويطلقون شواربهم متبقين خصلة من شعر رأسهم الحليق ،عدد القبائل القزل باش تسعة يربط بينها أنهم من مريدى الأسرة الصفوية وأنهم تعاملوا مع الشاه إسماعيل باعتباره مرشدا كاملا .

على مدينة شيراز ، وفارس وكرمان والعراق العربى والحويزة وخوزستان ، إلى جانب إقليم خراسان من الأوزبك عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م وقلعة مرو. وبعد فتح مرو من الوقائع الهامة لآسيا الوسطى لأن من هذا الوقت انتهت فتنة عظمى كانت تتهدد إيران والهند من جانب الأتراك ، ونجا مذهب التشيع من خطر عظيم [1].

واستمرت معارك الشاه إسماعيل الصفوى فى مناطق ما وراء النهر، ودخل فى حرب مع الدولة العثمانية عام ١٥١٤م على عهد السلطان العثمانى سليم الأول حيث خسر الشاه إسماعيل الحرب لأول مرة بهزيمته فى جالديران أمام السلطان سليم الذى دخل العاصمة الصفوية تبريز وخربها ، ثم عاد إلى بلاده ، ليعود الشاه إسماعيل إلى عاصمة ملكه ليستكمل سياسة بناء الدولة والمذهب الشيعى حتى توفى فى ١٩ رجب عام ٩٣٠هـ / ١٥٢٣ م ولم يكن قد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره وحكم ٢٤ سنة ، ودفن بمقبرة الشيخ صفى الدين فى مدينة أردبيل.

ومما تجب ملاحظته أن الصفويين كانوا سنة ثم تحولوا منذ عام ١٥٠١م على يد الشاه اسماعيل الصفوى ، وأخذ قادة الصفويين يدعون أنهم خلفاء الله فى الأرض عبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإمام على بن أبى طالب إلى الأئمة الشيعة الاثنى عشرية ، وقد اعتمد الشاه اسماعيل ومن بعده الشاه طهماسب نفسيهما بأنهما من القداسة لدى الشيعة ، حتى أطلق على كل منهما «ظل الله فى الأرض» وعليهم إعداد القوة لمواجهة القوى السنية سواء فى الشرق بوسط آسيا أو فى الغرب فى الدولة العثمانية السنية[2] .

وبعد وفاة الشاه اسماعيل تولى عرش الشاه ابنه طهماسب الأول الذى ولد فى ٢٤ رجب ٩١٩ هـ / ١٥١٣م وتسلم الحكم وعمره ١٣ سنة عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م مما جعل كبار القادة يستأثرون بالسلطة ، وقد واجهته ثورات وحروب متعددة مع الأوزبك فى الفترة من ٩٣٠ إلى ٩٤٠هـ / ١٥٢٣- ١٥٣٣م . وثورة أخيه القاصى ميرزا من عام ٩٤٤ - ٩٥٣هـ / ١٥٣٧ - ١٥٤٦ م . ثم حاول التصالح مع السلطان العثمانى سليمان القانونى، وتوفى طهماسب فى ١٥ صفر ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦ م [3].

وتوالى على حكم إيران الشاهات إسماعيل الثانى من عام ٩٨٤-٩٨٥هـ الموافق لعام ١٥٧٦-١٥٧٧م ، وسلطان محمد خدابنده من عام ٩٨٥-٩٩٦هـ الموافق ١٥٧٧-١٥٨٧م ،

١- د. محمد علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام المرجع السابق ، ص٦٤١-٦٤٣ .

٢- Michael M. J. Fischer : Iran , London , 1980 , pp. 28-29 .

٣- د. محمد علاء الدين منصور : المرجع السابق، ص٦٤٨-٦٥٢ .

والشاه عباس الكبير من عام ٩٩٦-١٠٣٨هـ الموافق ١٥٨٧- ١٦٢٨م والذى شهد عصره الحرب مع الأوزبك وهزمهم هزيمة منكرة عام ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م . وفتح البحرين وهرمز وقشم .

واستمرت شاهات الأسرة الصفوية يحكمون إيران بعد عباس الكبير، كان منهم الشاه صفى من عام ١٠٣٨-١٠٥٢هـ/ ١٦٢٨- ١٦٤٢م، والشاه عباس الثانى من عام ١٠٥٢-١٠٧٧هـ / ١٦٤٢-١٦٦٦م، والشاه سليمان من عام ١٠٧٧-١١٠٦هـ الموافق ١٦٦٦-١٦٩٤م ، والشاه سلطان حسين من عام ١١٠٦-١١٢٥هـ / ١٦٩٤-١٧١٣م، من عام ١١٤٤-١١٤٨هـ / ١٧٣١-١٧٣٥ م . حيث سقطت الأسرة الصفوية .

تسلط على الحكم فى إيران نادر شاه من قبيلة أفشار وهم جماعة من التركمان الذين استوطنوا أذربيجان ، وهو من قادة الصفويين مكونا أسرة وراثية ، حكم نادرشاه إيران من عام ١١٤٨-١١٦٠هـ/ ١٧٣٥-١٧٤٧م، وعادل شاه وابراهيم شاه ولدا أخى نادر وحكما فى الفترة من عام ١١٦٠-١١٦١هـ/ ١٧٤٧-١٧٤٨م، شاهرخ شاه من عام ١١٦١-١٢١٠هـ/ ١٧٤٨-١٧٩٥م ، ونادر ميرزا من ١٢١٠-١٢١٨هـ / ١٧٩٥-١٨٠٣م .

وجاء بعدهم ملوك الزند الذين حكموا فى المدة من ١١٦٣- ١٢٠٩ هـ/ ١٧٤٩- ١٧٩٤م أولهم كريم خان الزند . وبعدهم جاء القاجاريون لحكم إيران كان أولهم أغا محمد خان فى ١١ جمادى الآخرة ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م حيث تم تتويجه فى طهران حتى مقتله فى عام ١٢١١هـ، الموافق لعام ١٧٩٦م . ثم فتح على شاه الذى حكم فى الفترة من ١٢١٢-١٢٥٠هـ / ١٧٩٧-١٨٣٤م ، ثم محمود شاه من ١٢٥٠-١٢٦٤ هـ / ١٧٩٧-١٨٤٧م، وناصر الدين شاه الذى حكم فى الفترة بين ١٢٦٤-١٣١٣هـ / ١٨٤٧-١٨٩٥م ، ثم مظفر الدين شاه من ١٣١٣-١٣٢٤هـ/ ١٨٩٥-١٩٠٦م ، ثم محمد على شاه من ١٣٢٤-١٣٢٧ هـ / ١٩٠٦-١٩٠٩ م ، ثم أحمد شاه من ١٣٢٧-١٣٤٣هـ/ ١٩٠٩-١٩٢٤ م، ثم جاءت الأسرة البهلوية: رضا بهلوى، ومحمد رضا بهلوى حتى حدوث الثورة الإسلامية عام ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م .

وفى كل هذه العصور كان التشيع هو المذهب الرسمى للدولة فى إيران .

العلاقات الإيرانية العربية

شهد التاريخ الحديث أحداثا متلاحقة بين الأقطار العربية وفارس (إيران) منذ تأسست الدولة الصفوية عام ١٥٠٠م فى فارس حتى مجئ الأسرة البهلوية إلى الحكم عام ١٩٢٥م . كما شهد التاريخ المعاصر أحداثا متسارعة بين الطرفين فى عهد الأسرة البهلوية من ١٩٢٥ إلى عام ١٩٧٩م ، وفى عهد الثورة الإسلامية الخومينية من ١٩٧٩ م حتى الآن .

أولا : العلاقات من ١٥٠٠-١٩٢٥ م :

تمتد هذه الفترة بين قيام الدولة الصفوية الشيعية المذهب فى فارس عام ١٥٠٠م ، وتنتهى بانتهاء الأسرة القاجارية فى حكم فارس لتقوم الأسرة البهلوية . وعلى الجانب الآخر كانت الأقطار العربية فى الهلال الخصيب ومصر وجزء من منطقة الخليج واليمن والحجاز تحت السيادة العثمانية منذ عام ١٥١٤ حتى قيام الحرب العالمية الأولى وانتهاء الوجود العثمانى فى كل الأقطار العربية .

ومن ثم فأن علاقات فارس فى تلك الفترة تركزت أساسا مع الدولة العثمانية ، فمنذ أن ضم الشاه اسماعيل الصفوى العراق عام ١٥٠٨م وتلامست حدود الدولتين الصفوية والعثمانية بدأ الصراع بين الطرفين كانت أراضى العراق ميدانا لهذا الصراع الذى استمر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . والذى حاول أثناءها شاهات فارس الإستعانة بملوك الفرنجة ضد العثمانيين .

وبالنسبة للخليج ، فقد تعرضت مشيخاته العربيات للغزو البرتغالى أوائل القرن الحادى عشر، وقد تعاون العرب والفرس مع قوات شركة الهند الشرقية البريطانية فى تحرير مملكة هرمز العربية من أيدى البرتغاليين، ولكن ليعنعها شاه فارس تحت سيادته عام ١٦٢٢م فكانت بذلك أول أرض عربية تفقد هويتها لصالح التوسع الفارسى فى الخليج ، تلتها احتلال القوات الفارسية جزر البحرين بينما كان حاكمها العربى يؤدى فريضة الحج عام ١٧٣٦م ، ثم تطلعت فارس إلى ضم عُمان . حيث استطاع الفرس السيطرة على بقاع واسعة فى عُمان ، ولكن ظهور أطماع شركة الهند الشرقية البريطانية من ناحية وقيام دولة البوسعيد فى عمان أنهيا السيطرة الفارسية على البحرين وبلاد سلطنة عمان [1].

وكانت الاتفاقيات المانعة التى عقدتها بريطانيا مع مشيخات الخليج بدءا من عام ١٨٢٠م سدا أمام الأطماع الفارسية فى الساحل العربى للخليج ، واكتفت فارس بتقديم الاحتجاج بدعوى أن تلك المشيخات من ممتلكاتها، وبعد الاتفاقيات المانعة عقدت معاهدات حماية بريطانية مع كل من سلطنة عمان ومشيخات الساحل العمانى وقطر والبحرين والكويت ، فى الوقت الذى قامت فيه دولة عربية قوية فى نجد بزعامة آل سعود على أساس المذهب السلفى السنى ، والذى واجه عداء سافرا من نظام الحكم الفارسى الشيعى المعادى .

١- أ . د . عبد العزيز نوار : الصراع العثمانى الفارسى والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى- مجلد العلاقات العربية الإيرانية ١٩٩٣ ، ص٥٠-٥٦ .

وفى خلال القرن التاسع عشر كان العراق ميدان صراع بين الفرس والعثمانيين وعقدت عدة اتفاقيات لتحديد الحدود بين العراق العثمانى وبين فارس منها معاهدة أرضروم الأولى فى أغسطس ١٨٢٣م ، ومعاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٤٧م ، وبروتوكول الآستانة عام ١٩١٣م، وكانت نتائج هذه الاتفاقيات العثمانية الفارسية تحديد المشكلات بين الطرفين فى مسألة الحدود بين العراق العثمانى وفارس ، وزيادة عدد الشيعة فى العراق حتى كاد العدد يصل إلى نصف عدد سكان العراق .

ثانيا : العلاقات من ١٩٢٥-١٩٧٩م :

تمتد هذه الفترة منذ أصبح رضا شاه بهلوى امبراطورا على إيران وأثناء حكم ابنه محمد رضا بهلوى لإيران حتى سقوطه وقيام الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩م . وعلى الجانب العربى حصلت مصر على استقلالها بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م وخضعت كل من سوريا ولبنان للانتداب الفرنسى حتى استقلتا عام ١٩٤٦م ، وخضعت كل من العراق وفلسطين للانتداب البريطانى حتى استقلت العراق بموجب معاهدة ١٩٣٠م ، وقامت على أرض فلسطين دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م ، وقامت المملكة العربية السعودية التى امتدت أراضيها من الخليج حتى البحر الأحمر ، وازدادت سيطرة بريطانيا على إمارات الخليج العربية خاصة بعد ظهور النفط حتى حصلت تلك الإمارات على استقلالها بدءا بالكويت عام ١٩٦١م ثم بقية الإمارات عام ١٩٧١م . وفى الوقت الذى انكفأت فيه تركيا الحديثة العلمانية على نفسها وألغت الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م لتدير ظهرها للأقطار العربية وتتجه بكليتها للدول الأوربية .

أ- مصر :

وبالنسبة لمصر وإيران فقد كانت فارس الدولة الشرقية الوحيدة التى لها وجود تمثيلى فى مصر قبل صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م ، وكان هذا التمثيل على مستوى القنصل العام والمعتمد السياسى، وتغيرت وضعية هذا التمثيل بعد استقلال مصر، وأصبح لفارس تمثيل دبلوماسى بدرجة وزير مفوض . وبالمقابل فإن أول دولة شرقية أنشأت مصر فيها تمثيلا دبلوماسية كانت إيران وذلك انطلاقا من مبدأ تمثيل بتمثيل .

وفى أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين كانت هناك خطوة أخرى للتقارب بين مصر وإيران عندما وصل إلى القاهرة فى صيف عام ١٩٣٨م وفد إيرانى عالى المستوى برئاسة رئيس وزراء إيران يحملون طلبا من الامبراطور الإيرانى يتقدم به لخطوبة الأميرة فوزية شقيقة الملك

فاروق لولى عهد إيران الأمير محمد رضا ، ورغم وجود فوارق مذهبية وأسرية حيث كان العريس شيعى المذهب بينما كانت العروس سنية المذهب ، وحيث أن العروس كانت من أسرة ذات تاريخ طويل فى الحكم ، بينما العريس ابن ضابط وصل للحكم بانقلاب ولاينتمى لأسرة مالكة عريقة [١].

رغم كل ذلك فقد تم الزواج (فوزية ومحمد رضا بهلوى) فى ربيع عام ١٩٣٩م ، وفى سبتمبر ١٩٤١م تنازل الإمبراطور رضا شاه بهلوى عن العرش لولى العهد محمد رضا شاه بهلوى ليصبح امبراطورا على إيران وتصبح عروسه المصرية الإمبراطورة فوزية ، ولكن هذه الزيجة لم تعمر طويلا حيث تم الطلاق فى نوفمبر ١٩٤٨م بسبب عدم تقبل الإيرانيين خاصة أعضاء الأسرة الإمبراطورية لفوزية . واستمرت العلاقات المصرية الإيرانية غير مستقرة بسبب تأييد مصر لفكرة القومية العربية وضغطها للتخلص من القواعد الأجنبية فى المنطقة ومن النفوذ الأجنبى- الغربى- والذى تمثل فى مشروعات الدفاع الغربية مثل مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ، وحلف بغداد الذى كانت إيران عضوا فيه .

ب- العراق :

وعن العلاقات بين إيران وكل من العراق والخليج ، فقد استمرت العلاقات الإيرانية العراقية متوترة بسبب مشكلة شط العرب والحدود بين الطرفين والتى حسمتها إلى حد ما اتفاقية عام ١٩٣٧م ، التى رفضتها حكومة الشاه بعد ذلك وقيامها بدفع أكراد شمال العراق بالثورة ضد حكومة العراق حتى تم الاتفاق بين الشاه وبين صدام حسين - نائب رئيس الجمهورية العراقية إذ ذاك عام ١٩٧٥م فى الجزائر على اعتراف العراق بمناصفة كيان شط العرب بين إيران والعراق فى مقابل توقف إيران عن دعم ثورة أكراد العراق ، حتى قيام الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨١م ، حتى عام ١٩٨٨م .

وفى نفس الفترة أى من عام ١٩٢٥م حتى عام ١٩٧٩م استمرت الإدعاءات الإيرانية على البحرين ولم تسقط هذه الادعاءات إلا بعد أن احتلت جزيرتى طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزيرة أبوموسى ، وهذه الجزر الثلاث تابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة .

١- د. يونان لبيب : العلاقات الإيرانية بمصر والعراق على عهد الأسرة البهلوية ١٩٢٥-١٩٧٩م ، مجلد العلاقات العربية الإيرانية، ص١٠٦ - ١١١ .

وقد حدث غزو إيرانى لإمارة عربستان العربية الواقعة فى الجنوب الإيرانى التى استمرت دور الدولة الحاضرة بين أرضى كل من الدولة الفارسية والسلطنة العثمانية ، ولكن أطماع رضا شاه بهلوى فى ضم امارة عربستان قد دفعه بارسال جيش قوى إلى إمارة عربستان العربية استولى عليها فى أبريل ١٩٢٥م من حاكمها العربى الشيخ خزعل ، ولعل هذا الإنجاز كان من بين الأسباب التى أدت إلى تمهيد الطريق أمام رضا خان للجلوس على عرش الطاووس [١].

جـ- السعودية وأقطار الخليج العربية :

بدأت العلاقات الإيرانية السعودية بحضور مندوب من شاه إيران رضا بهلوى المؤتمر الإسلامى الذى دعا لعقده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بمكة المكرمة فى شهر ذى القعدة ١٣٤٤هـ يونيو ١٩٢٦م . وجاء حضور ممثل إيران أول علاقات بين البلدين المملكة العربية السعودية والإمبراطورية الإيرانية. وإن توترت العلاقات لفترة بعد توقيع معاهدة جدة عام ١٩٢٧م المملكة العربية السعودية وبريطانيا والتى نصت على إقامة علاقات حسن الجوار مع إمارات الكويت والبحرين وقطر وإمارات الساحل العمانى، فى الوقت الذى كانت لإيران ادعاءات بالسيادة على البحرين بصفة خاصة .

ولكن الاتصالات بين الطرفين مالبثت أن عادت إلى سابق عهدها منذ منتصف عام ١٩٢٨م بوصول حبيب الله خان إلى جدة موفدا من حكومة طهران حاملا رسالة من شاه إيران ، أعقبها وصول وفد سعودى رفيع المستوى إلى طهران برئاسة الشيخ عبدالله الفضل فى ١٢ أغسطس ١٩٢٩ م ، وعلى أثر هذه الزيارة تم عقد معاهدة صداقة وحسن جوار واعتراف بين البلدين فى ٢٤ أغسطس ١٩٢٩م . وزيارة الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى طهران فى يوليو عام ١٩٣٢م ، التى عملت على تأكيد الصداقة وحسن الجوار بين البلدين [٢].

وقد ظلت مسألة السيادة الإيرانية عل البحرين مثار خلاف شديد بين المملكة العربية السعودية وإيران ، إذ تدعى إيران بأن جزر البحرين ملك لها ، بينما تقف المملكة العربية السعودية ضد هذا الادعاء . وأن البحرين إمارة تحت حكم آل خليفة، كما أن تصرفات الحجاج

١- المرجع السابق، ص١١٧ .

٢- أمل ابراهيم الزيانى : علاقات المملكة العربية السعودية فى النطاق الإقليمى ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص١١٤ .

الإيرانيين فى موسم عام ١٩٤٣م، أوصلت العلاقات الدبلوماسية بين إيران والسعودية إلى قطيعة ، وأكدها الخلاف المذهبى بين أهل المملكة السنة وأهل إيران الشيعة . ولم تستأنف العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وإيران حتى عام ١٩٥١م ، وكانت خلال فترة التوقف تدار هذه العلاقات من السفارة الإيرانية بالقاهرة [١].

ونظرا لتمسك السعودية ومصر وبقية الأقطار العربية بعروبة الخليج ثارت الخلافات بين إيران والعرب حول تسمية الخليج . هل يسمى بالخليج العربى أو الخليج الفارسى ، وهذه التسمية أثيرت على مستوى العديد من الدراسات العربية والإيرانية والأجنبية . خاصة أن إيران سعت لغرس النفوذ الإيرانى فى أقطار الخليج العربية حتى بعد استقلالها لها بارسال أعداد كبيرة من الإيرانيين للإقامة والعمل فى تلك الأقطار العربية الخليجية حتى وصل بعضهم إلى مناصب قيادية فى تلك الأقطار .

ومنذ أواخر عام ١٩٦٨م بدأت الأمور تشير إلى تقارب إيرانى مع كل من السعودية والكويت، حتى أن الشاه قبل دعوة وجهت إليه من الملك فيصل بن عبد العزيز فى عاصمته بالرياض ، غير أن الوضع لم يسلم من حدوث بعض الأزمات الدبلوماسية التى اتسمت بقدر كبير من الهدوء والاعتدال ، وقد لعبت وساطة الملك الحسن الثانى عاهل المملكة المغربية فى نوفمبر ١٩٦٨م دورا كبيراً فى عودة التقارب بين المملكة العربية السعودية وإيران[٢] إلى جانب الدور الأمريكى باعتبار استقرار منطقة الخليج وأمنها فى مواجهة التهديد السوفيتى فى أفغانستان مسئولية مشتركة بين السعودية وإيران خاصة بعد الانسحاب البريطانى من الخليج، ومن هنا ظهر التعاون السعودى الإيرانى ضد الاتجاهات اليسارية فى المنطقة مثل ثوار ظفار بسلطنة عمان ، واليمن الجنوبية فى عدن، هذا التعاون الذى باركته الولايات المتحدة الأمريكية وزودت الطرفين السعودية وإيران بكميات هائلة من الأسلحة .

١- أمل الزيانى : المرجع السابق، ص١١٥ .

٢- د. جمال زكريا : العلاقات الإيرانية بالسعودية والخليج العربى على عهد الأسرة البهلوية ١٩٢٥-١٩٧٩م ، مجلد العلاقات العربية الإيرانية ، ص١٤٧-١٥٢ .

ثالثا : العلاقات فى ظل الثورة الإيرانية :

اجتمعت عدة أسباب أدت فى النهاية إلى انهاء حكم الأسرة البهلوية التى حكمت إيران لأكثر من نصف قرن (١٩٢٥-١٩٧٩م) كان من بين هذه الأسباب الاضطرابات العنيفة التى قام بها العمال والشباب فى أنحاء إيران ، وكان منها تخلى الجيش الإيرانى عن الإمبراطور محمد رضا رغم ما أغدقه على قيادات الجيش من دلائل التكريم والترقى وعلى وحدات الجيش من أسلحة متطورة وكثيرة ، ومن الأسباب أيضا تخلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عن الشاه صديقها بعد أن أدركت رغبة الشعب الإيرانى فى التغيير ولم تسانده كما فعلت أيام أزمة حكومة الدكتور محمد مصدق (١٩٥١-١٩٥٣م) .

كان رد فعل الإمبراطور محمد رضا بهلوى هو محاولة امتصاص غضب الشعب الإيرانى، فاختار سياسيا معتدلا هو شاهبور بختيار رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٧٩م ، وأعد الشاه نفسه للتخلى عن سلطته إلى مجلس وصاية على العرش والاستعداد لمغادرة إيران ، وقد باركت الحكومة الأمريكية هذه الخطوات وشجعته على الرحيل ، ومن ثم غادر إيران لآخر مرة فى ١٦ يناير ١٩٧٩م ، لتبدأ أحداث الثورة الإسلامية فى إيران بزعامة آية الله الخومينى الذى عاد إلى طهران فى الأول من فبراير ١٩٧٩م بعد نفى فى العراق وفى فرنسا استمر من عام ١٩٦٤م ، وأعلن أول شهر أبريل ١٩٧٩ م يوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية [١].

وبالنسبة للعلاقات الإيرانية العربية فى ظل الثورة الإسلامية ، فقد كانت عدائية مع العراق التى دخلت معها فى حرب استمرت حوالى ثمانى سنوات من عام ١٩٨١م حتى عام ١٩٨٨م ، اعتمدت فيها العراق على مؤازرة الأقطار العربية خاصة المملكة العربية السعودية والكويت وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والبحرين ، ومصر أيضا التى دعمت العراق بالأسلحة التى تنتجها المصانع الحربية المصرية، بينما دعمت السعودية وأقطار الخليج العراق بالأموال لشراء الأسلحة وتعمير ما خربته الحرب مع إيران .

وبالنسبة للعلاقات الإيرانية مع السعودية فقد تحسنت فى عهد حكومة مهدى باذرجان المعتدل والذى أظهر روح التعاون وحسن الجوار ، الذى قطع العلاقات مع إسرائيل التى أقامها

١- د.محمد السعيد عبد المؤمن : إيران وآفاق المستقبل ، القاهرة ١٩٩٦، ص٥٦ .

الشاه منذ عام ١٩٦٠م ، ومن ثم أرسلت الحكومة السعودية رسالة تهنئة لحكومة مهدى بازرجان ، وبرقية تهنئة بمناسبة الإعلان عن قيام الجمهورية الإسلامية فى إيران .

إلا أن سقوط حكومة مهدى بازرجان المعتدلة دفع بالمتطرفين الإيرانيين إلى تسلم السلطة فى إيران وإظهار روح السيطرة والرغبة فى فرض هيمنة إيران على منطقة الخليج مما دفع المملكة العربية السعودية تتخذ موقفا متشددا من الادعاءات الإيرانية المتجددة على البحرين، بل وتدبير محاولة لقلب نظام الحكم فى البحرين لصالح الشيعة البحرانيين الموالين لإيران ومن ثم يقوم مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى عام ١٩٨١م الذى يضم ست دول هى المملكة العربية السعودية ودولة الكويت ودولة قطر ودولة البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان .

ومن مظاهر تطرف المسئولين الإيرانيين بدفع عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين إلى بيت الله الحرام للقيام بمظاهرات صاخبة ضد حكومة المملكة العربية السعودية وإشادة بحكومة الثورة الإيرانية الإسلامية تلك المظاهرات التى واجهتها حكومة المملكة العربية السعودية بكل حزم حتى التزمت الحكومة الإيرانية بآداب مناسك الحج ومراعاة حرمة المسجد الحرام وحجاج بين الله الحرام .

وقد نظرت حكومة طهران الإسلامية إلى قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية نظرة عداء لأنها اعتبرت قيام هذا المجلس حجر عثرة فى طريق فرض هيمنتها على منطقة الخليج العربية ، وسدا منيعا أمام محاولات ثورة وسياسة الخومينى فى تصدير الثورة إلى أقطار المجلس ، ومازالت حتى الآن تنظر إلى هذا المجلس نظرة عدائية .

وبالنسبة لعلاقات إيران الثورة بكل من سوريا ولبنان ، فأنها تتسم بروح المودة وعدم العداء ، وذلك لأن الحكم فى دمشق ينتسب إلى العلويين إحدى فرق الشيعة ، ولذلك كانت سوريا أثناء الحرب العراقية الإيرانية(١٩٨٠-١٩٨٨م) هى الدول العربية الأكثر تعاونا وتأييدا لإيران ضد العراق ، ومازالت العلاقات ودية جدا بين إيران وسوريا . أما لبنان فأن علاقات إيران معها ودية أيضا نظرا لوجود عدد لابأس به من السكان شيعة ، إلى جانب جماعة حزب الله الشيعية الموالية لإيران والتى تعمل فى الجنوب اللبنانى ضد إسرائيل .

وبالنسبة لعلاقات إيران الثورة مع مصر ، فقد توترت وقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين نظرا لعقد مصر اتفاقية كامب ديفيد وتأييد مصر قيام مجلس التعاون الخليجى، ودعم

مصر للعراق بالأسلحة فى حربه مع إيران ، وإعلان مصر أن أمن الخليج وأقطاره العربية هو أمن لمصر، ومن هنا استمرت حملة إعلامية إيرانية ضد مصر . وقد بذلت محاولات عدة لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإيران ، ولكن مصر طلبت أن تعلن إيران التخلى عن سياسة فرض الهيمنة الإيرانية على أقطار الخليج العربية، وإعلانها عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية ، وتنظر إيران إلى هذه المطالب المصرية والعربية على أنها تعنى التخلى عن سياسة تصدير الثورة الإسلامية والتخلى عن ادعاءاتها على أجزاء من الخليج العربى. كما تطالب مصر إيران بالتخلى عن سياسة تدعيم الجماعات الإرهابية التى تسعى لزعزعة الأمن فى مصر وفى غيرها من الأقطار العربية باسم الإسلام والإسلام منها براء .

العلاقات الإيرانية مع الدول الأجنبية

تتمثل الدول الأجنبية التى كانت لها علاقات إيجابية أو سلبية فى الاتحاد السوفيتى فى الشمال وكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص . وتتمثل علاقات إيران بالاتحاد السوفيتى منذ عهد روسيا القيصرية عندما بدأ الغزو الروسى لمنطقة وسط آسيا الإسلامية ولامست الحدود الروسية الحدود الإيرانية، وكان العدو المشترك للطرفين الدولة العثمانية ، ومن ثم تبادل الجانبان السفارات مثل سفارة الشاه عباس إلى القيصر الروسى بورسيل فى السادس من شهر رجب ٩٩٨هـ ، وسفارةأخرى برئاسة حاج خسرو إلى موسكو عام ١٠٠٢هـ الموافق ١٥٩٣م ، وسفارة روسية إلى البلاط الإيرانى عام ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م ، وسفارة إيرانية أخرى عام ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م . وكل هذه السفارات كانت تحمل روح المودة بين الطرفين والرغبة فى التعاون المشترك وحسن الجوار .

وقد استمرت العلاقات الطيبة بين إيران وروسيا القيصرية فى عهد القيصر ميخائيل أول قيصر من أسرة رومانوف، وتعددت السفارات بين إيران وروسيا وكلها تحمل روح الود والرغبة فى التعاون لما فيه مصلحة الطرفين ، وكان القياصرة الروس يحبذون استمرار الخصومة العثمانية الإيرانية .

وعندما نجحت الثورة البلشفية فى روسيا وعمل الاتحاد السوفيتى على إحكام قبضته على وسط آسيا ، بدأت العلاقات بين الطرفين تسير نحو التأزم بسبب أطماع الاتحاد السوفيتى فى الوصول بنفوذه إلى منطقة الخليج العربى عبر إيران وقد ظهرت هذه الأطماع فى مذكرة أرسلها الاتحاد السوفيتى إلى برلين فى ٢٧ نوفمبر ١٩٤٠م على اعتراف دول المحور بأن المنطقة

الواقعة جنوبى باطوم وباكو ، فى اتجاه الخليج هى مركز مطامع السوفيت وآمالهم التوسعية بغية ضمها إلى الاتحاد السوفيتى[١].

وعندما هاجم هتلر أراضى الاتحاد السوفيتى، اضطر الإمبراطور رضا شاه بهلوى إلى إعلان حياد إيران ، وعادت السياسة الإيرانية إلى إعلان حيادها فى ٢٢ يونيو ١٩٤١م، مما جعل الروس يتمسكون بعزل الشاه ، وبالفعل تنازل عن العرش لابنه محمد رضا فى صيف ١٩٤١م، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهرت مطامع السوفيت فى شمال غرب إيران حيث أقيمت حكومات شيوعية عميلة لموسكو ولكنها انهارت بسبب موقف الولايات المتحدة الأمريكية المعادية لمطامع السوفييت الذين أخذوا يشجعون على إقامة حزب شيوعى فى إيران ، فكان ذلك فى الأحداث التى أدت إلى الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩ م.

وبالنسبة لعلاقات إيران بالولايات المتحدة الأمريكية ، فقد استمرت جيدة طوال حكم الأسرة البهلوية ، واعتبرت الولايات المتحدة إيران شريكة فى الوقوف ضد الأطماع السوفيتية فى إيران ذاتها وفى منطقة الخليج حيث الاستثمارات البترولية الهائلة للولايات المتحدة وحلفائها خاصة بريطانيا . فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة اعترفت بعد الحرب العالمية الثانية بالنفوذ الأعلى لبريطانيا فى إيران بسبب شركة البترول الإنجليزية الفارسية ، إلا أن الولايات المتحدة أسهمت فى إسقاط حكومة الدكتور محمد مصدق (١٩٥١-١٩٥٣م) الذى كان قد أمم بترول إيران لصالح إيران ومن ثم اقتسمت امتيازات البترول الإيرانى مع بريطانياوغيرها عام ١٩٥٣م .

ونتيجة لوجود مصالح بترولية أمريكية فى إيران وفى شركة بترول العراق وفى المملكة العربية السعودية ، فقد دعمت الولايات المتحدة الحكم فى إيران بالتسليح والتأييد السياسى لمواجهة «الخطر» السوفيتى الشيوعى ، ومن ثم أمدت الحكومة الأمريكية بالأسلحة المتطورة والكثيرة الجيش الإيرانى، كما أمدته بالخبراء الأمريكيين فى مجال التسليح ومجال التصنيع .

كما ضمت الولايات المتحدة الأمريكية إيران إلى حلف بغداد عام ١٩٥٥م الذى تحول إلى ما عرف بالحلف المركزى بعد خروج العراق منه بعد ثورة عام ١٩٥٨م، ويضم تركيا وإيران والباكستان هدفه العسكرى الوقوف ضد أطماع الاتحاد السوفيتى باقامة شبكة من اتفاقيات

١- جان جاك بيربى : الخليج العربى ، ص٧٥ .

الدفاع والقواعد العسكرية ، وهدفه السياسى الوقوف ضد امتداد فكرة القومية العربية من مصر إلى منطقة الخليج العربى .

أما العلاقات الإيرانية البريطانية فقد تدعمت منذ أوائل القرن العشرين حيث حصلت بريطانيا على احتكار الطباق الإيرانى ، كما حصلت على امتياز استخراج النفط الإيرانى من جنوب إيران . والذى كان منطقة نفوذ بريطانية لإشرافها على مياه الخليج طريق التجارة والمواصلات بين الهند درة التاج البريطانى وبين بريطانيا وأوروبا ، وكانت بريطانيا عضوا مع إيران فى حلف بغداد (المركزى بعد عام ١٩٥٨م) وكانت بريطانيا تؤيد حكم الأسرة البهلوية فى إيران، إلى أن أعلنت بريطانيا عن رغبتها فى الانسحاب من منطقة الخليج بحلول عام ١٩٧١م فأعلنت إيران أنها تنوى احتلال البحرين ، ولكن بريطانيا نجحت فى إنهاء ادعاءات إيران على البحرين مقابل احتلال إيران لجزر أبوموسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى وهى تابعة للإمارات العربية . وانتهى الدور البريطانى السياسى ليحل محله الدور الأمريكى .

الفصل الثالث

أقطار وسط آسيا

أولا : جغرافية وتاريخ المنطقة

ثانيا : الجمهوريات المستقلة

ثالثا: العالم التركى

أولا الجغرافيا

تعرف أقاليم آسيا الوسطى باسم بلاد ما وراء النهر- نهر جيحون- وتعرف أيضا باسم تركستان الغربية تمييزاً لها عن تركستان الشرقية التى صارت تحت السيطرة الصينية ، وهذه الأقاليم تضم أحواض نهرى سيحون وجيحون وبحر آرال الذى كان يعرف أيضا باسم بحر خوارزم .

وتضم هذه الأقاليم ست مناطق هى :

١- فرغانة وقصبتها أخسكيت .

٢- أسبيجاب ومركزها أسبيجاب .

٣- الشاش وهى فى الأغلب اسم مدينة طشقند وقصبتها بنكث أو طاشقند .

٤- أشروسنة وقصبتها بنجكث .

٥- الصغد وقصبتها سمرقند .

٦- بخارى وقصبتها بخارى [١].

وتشكل أرض تركستان (آسيا الوسطى) شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهملايا ومن الجنوب الغربى هضبة البامير ومن الغرب جبال تيان شان ومن الشمال جبال الألتارى ويابلونوى وستانوفورى ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور . وتبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالى ستة ملايين كيلو متر مربع ، وإذا استثنينا الصينيين الذين يسكنون آسيا الوسطى أمكن القول بأن العنصرين اللذين يعمران تلك المناطق هما العنصر التركى والعنصر المغولى[٢].

١- محمود شاكر : تركستان ، بيروت ، ١٩٧٠، ص٢٦ .

٢- د. بارتولد المستشرق الروسى : ترجمة أحمد السعيد سليمان : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص٩ .

وهى -أى أرض تركستان أو آسيا الوسطى- إلى جانب الأقاليم الستة تضم جزءا كبيرا من خراسان . وهى الواقعة فى جمهورية تركمانستان ، التى تحدها غربا إيران وجنوبا أفغانستان ، وشرقا أوزبكستان ، وشمالا الجزء الشمالى الغربى من قازاخستان وبحر الخزر أو قزوين [١].

وهذه المنطقة- منطقة وسط آسيا- تنتشر فيها بعض الأودية وتحدها سلسلة جبلية مثل تيان شان وألتاى ، ومن أهم الأنهار التى تسير فيها سيحون وجيحون وأترك والميرغاب ، وتسكنها عدة قبائل هى :

أ- القازاق أو القرغيز : والكلمة تعنى الفرسان ، ويسكنون فى المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى جبال تيان شان . وهم فريق من الأوزبك انشقوا على قومهم وسموا من أجل ذلك قازاق، وكان البدو يطلقون هذا الاسم على الجماعات التى تنشق على أقوامها وتحاربها[٢].

ب- القلمق : وينتشرون فى المنطقة الواقعة بين نهر الفولجا وأنهار أمبا، وأور ، وأرال .

جـ- التركمان : مجموعة من القبائل مغولية الأصل تنتشر فى المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى الحدود الإيرانية الشرقية ، ولم تتمكن من إقامة دولة خاصة بهم ، ومع ذلك خرج منهم مؤسسو أكبر امبراطوريتين تركيتين وهما الإمبراطورية السلجوقية والإمبراطورية العثمانية . ومنذ القرن السادس عشر كان بعض أقسام التركمان يخضع للأوزبك فى خوارزم وبعضهم للقجاريين وبعضهم للفرس وكانوا فى أثناء الحروب التى تقوم بين هذه الدول ينضمون أحيانا إلى هؤلاء وأحيانا إلى هؤلاء وأحيانا يحارب بعضهم بعضا . ولكنهم مع هذا كانوا يغلبون أعداءهم ، وكان التركمان أشد الناس مقاومة للروس وآية هذا أن جيوش الروس لم تفقد العلم والمدافع إلا فى حربها مع التركمان عام ١٨٨٠م[٣].

د- الأوزبك : أمتد وجودهم ما بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا حتى بحر آرال ، كما امتد نفوذهم إلى بخارى وطشقند وسمرقند وخيوة وخوقند [٤].

١- د.محمد على البار: المسلمون. فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ، جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، ص٣٤٣.

٢- و . بارتولد : المرجع السابق ، ص٢٤١ .

٣- نفس المرجع : ص٢٤٦-٢٤٧ .

٤- د. محمد حسن العيلة : أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسى والحذر البريطانى ، الدوحة ، ١٩٨٦ ، ص١٧-٢٢ .

وتضم منطقة وسط آسيا أربعة عشر مجموعة سلالية هي :

١- الشعوب المتحدثة بالتركية : والمعتقد أن الموطن الأصلي لهم هو القطاع الشرقى من السهل الأوراسى . والوضع الحالى للأتراك وانتشارهم جاء نتيجة لمجموعة الهجرات التى خرجت من الموطن الأصلى، وكان أهم هذه الهجرات تلك التى تسللت داخل الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوروبا وأحدثت تأثيرا هاما فى تاريخ العالم فهى الهجرات الأربع : الهون - الأتراك- الأجوز- الكيبشاك - المغول .

٢- التتار Tatars وتعنى رامي السهام ، والاسم أعطاه الروس لمجموعة متنوعة من الشعوب المتحدثة بالتركية وغيرها قبل وصول الإسلام بوقت طويل . وبعد وصول الإسلام مال الروس إلى تسمية كل المسلمين باسم التتار ، وهم يعيشون فى حوض الفولجا- كاما وأوزبكستان وقازاخستان ، وتتاريا ، وبشكيريا ، إلى جانب انتشارهم فى سيبيريا وأوكرانيا .

٣- الأيجور Aigur : ويعيشون فى إقليم سينكيانج المتمتع بالحكم الذاتى فى الصين ، وفى الصين ، وفى أوزبكستان وقرغيزيا وطشقند .

٤- الأزيرى Azeri : وهم الأذربيجانيون ويعيشون فى إيران وفيما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتى إلى جانب العراق جنوب منطقة كردستان . وحضارتهم الأصلية فارسية أكثر منها تركية [١].

٥- الباشكير Bashkir : وبلادهم هى باشكيريا إحدى الجمهوريات السوفيتية السابقة وهم ينتشرون خارجها أيضا فى قازاخستان وأوزبكستان وطاجكستان وأوكرانيا وغيرها .

٦- الأوزبك Uzbek : وقد تحدثنا عنهم كقبيلة تسكن وسط آسيا . وينتشرون الآن إلى جانب أوزبكستان فى كل من قازاخستان وأقلية بشمال أفغانستان ، والجزء الغربى من تركستان الشرقية ويعتبرون أكبر جماعة تركية فى الاتحاد السوفيتى السابق . والثانية من حيث الكبر فى العالم بعد أتراك تركيا .

١- د. السيد خالد المطرى : دراسات فى سكان العالم الإسلامى ص٣٠٠-٣٠٣ .

٧- القازاق Kazakh : وموطنهم التقليدى الذى يمتد من بحر قزوين فى الغرب إلى بحيرة بلكاش فى الشرق ، وتحده الضفة اليسرى من نهر سرداريا فى الجنوب وغابة التايجا الروسية فى الشمال. ومعظمهم فى جمهورية قازاخستان ، وتوجد أقليات منهم فى تركستان الشرقية الصينية ، وفى أفغانستان، وفى جمهورية منغوليا الشعبية وغيرها.

٨- التركمان : وقد تحدثنا عنهم كقبيلة لم تكون دولة فى تاريخهم، وهم مسلمون سنيون على المذهب الحنفى، ويعيشون فى تركمانستان وفى العراق وسوريا وتركيا كأقليات[١].

٩- الطاجيك : Tajik ويعتبرون أقدم الجماعات السلالية فى آسيا الوسطى وينتسبون بدرجة قوية إلى الإيرانيين والأفغان فى الجنوب ، ويعيش نصفهم الآن فى جمهورية طاجيكستان ، والنصف الآخر فى جمهوريات وسط آسيا الأربع ، أوزبكستان ، قازاخستان، قرغيزيا ، تركمانستان . بالإضافة إلى أقلية تعيش فى تركستان الشرقية.

١٠- القرغيز Kirgiz : وتكلمنا عنهم كقبيلة ، وهم من الناحية السلالية منغول ، يتكلمون لهجة تركية شمالية غربية ويسكن ٩٠٪ من القرغيز الآن فى جمهورية قرغيزيا ، وتوجد أقليات قرغيزية فى جمهوريات أوزبكستان ، طاجيكستان ، قازاخستان وغيرها ، ويوجد خلط فى استخدام كلمة القرغيز ، حيث كان الروس يشيرون إلى كل من القرغيز والقازاق باعتبارهم قرغيزا ، ويلحقون الصفة كارا Kara أى الأسود - بالقرغيز فيسمونهم كارزاك Karsak . وقد حدث ذلك بسبب وجود بعض التشابه فى استخدام الكلمات قازاخ Kazakh وكازاك Kazak وتعنى فى الروسية قازاخ Kazakh وكاساك Cassck [٢].

١١- الكاراكالباك Karakalpak : يرجع الاسم فى أصوله إلى الشعب التركى الذى عاش على رافد من نهر الدنيبر فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وتعنى هذه التسمية «لابس القبعة السوداء» وينتسبون بدرجة قوية إلى كل من القازاق والأزوبك وبخاصة إلى القازاق ويعيشون متفرقين فى تركيا وإيران وأفغانستان ، وتركمانستان وأوزبكستان ، وقازاخستان ، إلى جانب وجودهم فى أو بالقرب من واحات كاراكلباك .

١- المرجع السابق، ص٣٠٤-٣٠٦ .

٢- المرجع السابق ، ص٣٠٧-٣٠٩ .

١٢- العناصر القوقازية Ibero - Caucasian : وهم مسلمون يعيشون فى المنطقة الممتدة بين البحر الأسود وبحر قزوين ، ويطلق عليهم اسم القوقازيين ، ويسكنون الأودية الجبلية المرتفعة المشهورة فى السفوح الشمالية ، وقد هاجرت أعداد كبيرة من القوقازيين من موطنهم الأصلى ليعيشوا فى جيوب منعزلة عبر آسيا الجنوبية الغربية ، بينما لاتزال الأغلبية الساحقة تعيش فى المنطقة التى نظمتها الحكومة السوفيتية عام ١٩٢١م كجمهورية مستقلة ذاتيا داخل الاتحاد السوفيتى السابق هى «جورسكايا»، ثم انقسمت هذه الجمهورية إلى وحدات سياسية عديدة تغيرت حدودها باستمرار بحيث أصبح القوقازيون المسلمون يقسمون إلى ثلاثة أنواع :

أ- الداغستانيين : يتكون من ٣٢ جنسية مستقلة على طول الشاطئ الغربى لبحر قزوين .

ب- الشاشان / ألجوش : غرب داغستان ، وكانوا دائمى الثورة ضد الروس .

جـ- الشركش / الأبخاز ، الأباز أو الابخاز يعيشون فى إقليم قرتشاى / شركس ، والشركس يعيشون على الشاطئ الشمالى الشرقى للبحر الأسود ، وسفوح التلال الشمالية للقوقاز [1].

١٣- القرتشاى Karachay : وهم جماعة قوقازية من ناحية السلالة ويسكنون سفوح التلال الشمالية لجبال القوقاز ، وأصلهم مختلط وينتمون تاريخيا إلى الهون والبلغار والخازار والكيبشاك .

١٤- الغجر Gypsies ، أو النور Nawar ، وهم منتشرون فى كثير من دول الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والقوقاز ، وأفريقيا الشمالية وجنوب البلقان والقطاع الشمالى الغربى من شبه القارة الهندية .

وإقليم القوقاز مجموعة من المرتفعات والسهول تنقسم جغرافيا إلى :

١- مرتفعات القوقاز العظمى فى شمال الإقليم وهى الممتدة من شبه جزيرة تامان الواقعة بين البحر الأسود إلى بحر آزوف وإلى بحر قزوين . وتعتبر مرتفعات القوقاز العظمى هذه وخط تقسيم المياه بها هما الحد الفاصل بين قارتى أوروبا وآسيا .

١- المرجع السابق ، ص٣٠٩-٣١٢ .

٢- مرتفعات القوقاز الصغرى وتمتد بين منخفض «كولخيدا» فى الغرب ومنخفض «كورا» فى الشرق ، وهذه المرتفعات يحدها نهر «كورا» الذى يجرى إلى شمالها ، ورافده نهر «أراكس» الذى يمتد إلى جنوبها وكأنها تمتد بين أحضان هذين النهرين .

ويتحدث سكان آسيا الوسطى عدة لغات أهمها اللغة التركية ، وتنتشر بلجهاتها العديدة فى الوقت الحاضر فى آسيا الوسطى من شمال غرب الصين عبر الاتحاد السوفيتى السابق إلى إيران، إلى جانب آسيا الصغرى وأجزاء من أوروبا الشرقية ، وتنقسم اللغة التركية إلى عدة فروع هى العثمانية والأزرية فى جنوب غرب المنطقة ، والأزبكية والتركية فى جنوبها الشرقى، والقازاقية والناجاى Nagai والفولجاترتار فى شمالها الغربى، والأيجورية والباقونية فى الشمال الشرقى .

ومن فروع اللغة التركية كذلك ، اللغة الأزرية وهى اللغة الرئيسية لجمهورية أذربيجان والمقاطعات الشمالية الغربية من إيران ، كما تستخدم لغة قومية فى شرق ما وراء القوقاز وجنوب داغستان . واللغة التركمانية التى تنتمى إلى المجموعة الجنوبية الغربية من اللغات التركية أو لغة الأيجور ، ولغة الأوزبك التى تعتبر اللغة الرئيسية لجمهورية أوزبكستان الروسية . وتشكل ثانى أكبر اللغات التركية بعد التركية الأناضولية .

وهناك فروع أخرى أقل أهمية مثل اللغة الأيجورية ، واللغة القرغيزية ، ولغة الكاراكالباك ، والقازاقية ، والتتارية ، والباشكيرية ، ومما يلاحظ على كل فروع اللغة التركية أنها تأثرت فى أبجديتها باللغات الفارسية والعربية ، وبعضها تستخدم الأبجدية العربية ، مثل التركية الأناضولية (العثمانية) إلى جانب الفارسية [١].

ويدين معظم سكان وسط آسيا بالدين الإسلامى، منذ أن تم فتح تلك الديار فى عهد الخليفة عثمان بن عفان وفى عهد الخلافة الأموية ، وتقسم المسلمون هناك إلى سنة وشيعة وتبلغ نسبة المسلمين فى وسط آسيا بالنسبة لعدد السكان فى تلك الأقاليم ٧٥٪ ويشكل الشيعة أغلبية فى بعض جمهوريات آسيا الوسطى ، حيث تبلغ نسبتهم فى طاجيكستان ٩٨٪ من عدد المسلمين ، وفى أذربيجان يمثلون نسبة هامة من المسلمين ، إلى جانب أقلية كبيرة من الطائفة الإسماعيلية الذين يدينون بالزعامة الروحية لأغاخان وخلفائه وهم شيعة يسكنون فى هضبة البامير [٢].

١- المرجع السابق ، ص٤٦٨ -٤٧١ .

٢- نفس المرجع ، ص٥١٢-٥١٦ .

ثانيا : تاريخ المنطقة

يبدأ التاريخ الحديث لآسيا الوسطى بانهيار دولة المغول الكبرى وظهور دول وطنية خلفت دولة المغول سواء فى إيران أو فى الأقطار التى تقع إلى الشمال منها، ولكن يهمنا أن نتحدث عن النقاط الآتية :

١- إسلام أهل المنطقة .

٢- المغول .

٣- دول المنطقة بعد المغول .

٤- المنطقة فى مواجهة الغزو الروسى .

٥- الصراع الروسى البريطانى حول المنطقة .

أولا : إسلام أهل المنطقة .

بدأ دخول الإسلام إلى تلك المنطقة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، على يد القائد العربى والصحابى الجليل حذيفة بن اليمان سنة ١٨هـ / ٦٣٨م، ثم على يد قائده عتبة بن فرقد السلمى الذى صالحه أهالى هذه البلاد التى عرفت باسم بلاد ما وراء النهر، إلى جانب القائد العربى الأحنف بن قيس الذى فتح إقليم خراسان وأراضى الديلم وطبرستان .

وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان توطدت الفتوح السابقة ووسعت لتشمل شمال أفغانستان الحالية، وفى عهد معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية استمرت الفتوحات الإسلامية . حيث عبر الصحابى الجليل الحكم بن عمرو الغفارى عام ٥٠هـ ، ٦٧٠م نهر جيحون وفتح بلاد الصغانيان ، وفتح القائد العربى عبيدالله بن زياد بخارى وبيكند عام ٥٥هـ/ ٦٧٤م، وفتح سعيد بن عثمان سمرقند وقد استشهد أثناء معركتها قثم بن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

استمرت الفتوحات الإسلامية فى وسط آسيا فى عهد الدولة الأموية حيث فتح موسى بن عبدالله بن خازم بلدة ترمذ . موطن الإمام أبى عيسى الترمذى- وذلك عام ٧٠هـ / ٦٨٩م .

١- د. محمد على البار : المرجع السابق ، ص٣٦-٣٧ .

ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلى الذى يعتبر بحق فاتح بلاد ما وراء النهر، ووطد الإسلام فى تلك البقاع من عام ٨٨- ٩٦هـ / ٧٠٦ - ٧١٤م ، ووصلت جيوشه إلى حدود الصين ، وخضع له إمبراطور الصين وبعث له الجزية ، وفتح كشغر ، ووطد أركان الدولة الإسلامية فيما يعرف اليوم بتركستان الغربية ، أى أوزبكستان وتركمانستان ، وطادجيسكتان ، وقيرغيزيا [١].

وهذه المناطق عرفت باسم «تركستان» وقد ظهرت فيها مراكز حضارية إسلامية وذلك خلال عهد الخلافة العباسية ، حيث ظهرت مدينة «مرو» عاصمة خراسان ومركز الدولة الطاهرية ، ومدينة «غزنة» وكانت مركزا للدولة الغزنوية وتقع فى بلاد الأفغان جنوب كابل ، ومدينة «بخارى» وكانت مركزا للدولة السامانية ، ومدينة «سمرقند» عاصمة بلاد الصغد وحاضرة تيمورلنك ، وقد نبغ من علماء هذه المناطق كل من الإمام البخارى المتوفى عام ٢٥٦هـ والإمام مسلم المتوفى عام ٢٦١هـ «والترمذى» المتوفى عام ٢٧٩هـ «والنسائى» المتوفى عام ٣٠٣هـ، والبيهقى المتوفى عام ٥٦٥ هـ وكل هؤلاء من أئمة الحديث إلى جانب «الطبرى» المتوفى عام ٣١٠هـ المؤرخ والمفسر الذى عاش فى بخارى فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وأبى دلف مسعد بن المهلهل الخزرجى الذى اشتهر كرحالة وجغرافى وشاعر[٢] ، «والخوارزمى» المتوفى عام ٤٢٨هـ المؤرخ والشاعر ، وابن سينا المتوفى عام ٤٢٨هـ الطبيب الفيلسوف ، والغزالى صاحب كتاب إحياء علوم الدين والمتوفى فى عام ٥٠٥هـ والزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨هـ وهو من أئمة التفسير . وأكثر أشراف تلك المناطق يدعون أنهم من أصل عربى وأن آباءهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك ، وهم يفتخرون بذلك[٣] .

وقد ظلت تلك المناطق خاضعة للدويلات الإسلامية بالمشرق حتى اجتاحها «جنكيز خان» أوائل القرن الثالث عشر الميلادى الموافق للقرن السابع الهجرى، ثم خلفه فى زعامة المغول هولاكو حفيد جغتاى ابن جنكيز خان الذى وصل فى زحفه إلى بغداد فخربها ثم إلى الشام فهزمه سلاطين المماليك فى مصر فى موقعة عين جالوت بفلسطين عام ١٢٦٠م / ٦٥٨هـ،

١- نفس المرجع ، ص٣٧-٣٨ .

٢- د. محمد منير مرسى : أبودلف ورسالته الثانية ، مجلة الخليج الجديدة عدد ٤٤ ، أكتوبر ١٩٧٩ .

٣- لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض : حاضر العالم الإسلامى ، ص٨٨ .

ومنذ ذلك الوقت تجزأت دولة المغول الكبرى حتى ورثها التتار على يد تيمور لنك[١] الذى مد سلطته حتى روسيا وحرص على إقامة الشعائر الإسلامية حتى مات عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م.

استمر حكم الدولة العربية الإسلامية سواء الخلافة الأموية أو الخلافة العباسية لبلاد ما وراء النهر ما يقرب من قرنين من الزمان حتى حكمها السامانيون عام ٢٦١هـ/ ٨٧٤م ، وكانت هذه البلاد تابعة لولاية خراسان ، وقد ظل الحكم العربى فى تلك البلاد يتعرض للفتن والاضطرابات طوال قرنين بسبب بعد تلك البلاد عن مركز الخلافة فى دمشق أو فى بغداد- إلى جانب ميل السكان الفطرى إلى الحروب ومناصرة كل ثائر وأشهرهم المقنع الخراسانى الذى ادعى النبوه[٢].

ومن الإنصاف القول بأنه بعد حركة الفتوحات الإسلامية الأولى لبلاد ما وراء النهر، فقد انتشر الإسلام هناك على يد الدعاة إلى الله من المسلمين وعلى يد التجار الذين نشطوا على طول طريق الحرير الممتد من البحر الأسود غربا إلى الصين شرقا ، وكانوا نماذج حقيقية للمسلمين الملتزمين .

بدأ ظهور السامانيين بدخولهم مدينة بخارى فى رمضان عام ٢٦١هـ/ ٨٧٤م وامتد ليشمل خوارزم وكل بلاد ما وراء النهر فى عهد اسماعيل بن أحمد السامانى ويجعل دولته قوية بعد أن كانت مجرد إقليم يتبع إمارة خراسان . واتخذ من بخارى عاصمة له بدلا من سمرقند ، حيث ازدهرت فيها حركة العلم والعمران ، وفيها عاش إمام المحدثين أبوعبدالله البخارى صاحب جامع الصحيح .

وعند موت إسماعيل السامانى عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م أخذ الضعف يدب فى أوصال دولة السمانيين حتى انتهت عام ٣٩٥هـ / ١٠٠٤ م على يد دول تركية ظهرت فى وسط آسيا مثل الزياريون فى جرجان وطبرستان والبويهيون فى العراق ، والغزنويون فى غزنة ، والأويغوريون فى التركستان الشرقية وعند سفوح جبال تيان شان ، ثم السلاجقة .

ثانيا : الحكم المغولى :

وحين ظهر الزعيم المغولى جنكيز خان بوسط آسيا إلى الغرب من الصين أخضع لسلطانه أغلب القبائل التركية المجاورة حتى أصبحت دولته تضم خوارزم وبخارى وسمرقند وخربها ، ثم

١- تيمور لنك تعنى تيمور الأعرج .

٢- د. أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدولة الإسلامية فى آسيا وحضارتها . ص١٧٤ .

جاء هولاكو حفيد جعتاى ابن جنكيزخان ليتولى الزحف غربا فخرب معاقل الإسماعيلية الشيعة فى إيران ، ثم دخل بغداد فخربها وأنزل بأهلها القتل والاغتصاب كعادة المغول ، كما قتل الخليفة العباسى المعتصم بالله عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ، وحاول هولاكو الاستيلاء على بلاد الشام لولا وقفة سلاطين المماليك فى مصر والشام الذين هزموا المغول فى عين جالوت عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م .

وكان الغزو المغولى لوسط آسيا قد فتح الباب على مصراعيه أمام النفوذ التركى بسبب استخدام زعماء المغول للقبائل التركية هناك فى قواتهم المحاربة وفى تسيير أمور الدولة. وعلى الرغم من أن الحكم المغولى استمر حوالى قرنين من الزمان ، فقد خلفه الحكم التيمورى التركى ثقافة وأصلا والذى بدأ بتيمورلنك فى الفترة من ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م إلى وفاته عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م ، وبعد أن نجح فى الاستيلاء على كل وسط آسيا ودخل موسكو عاصمة روسيا وأحرقها عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، إلى جانب إيران والعراق وشمال الشام .

ثالثا : دول المنطقة بعد حكم المغول :

وتوالى على حكم وسط آسيا حكام جدد بعد التيموريين الذين استمروا فى حكم تلك المناطق حوالى قرن من الزمان ، أمثال أوزبك والأمراء الذين خلفوه وعرفوا باسمه كما عرفت المنطقة التى عاشوا فيها باسم أوزبكستان ، كما ظهر أيضا الأمير شيبان وخلفائه الذين عرفوا بالشيبانيين وكان أمراء الأوزبك وأمراء الشيبانيين كالتيموريين يدينون بالإسلام ويهتمون بالحضارة الإسلامية ، وقد حكم الأوزبك والشيبانيون فى الفترة من ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م إلى عام ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧م أى حوالى قرن من الزمان .

وتوالى على حكم المنطقة قبائل تركية أو مغولية مثل الاشتراخانيون الذين استمر حكمهم لما يقرب من قرن من الزمان من ١٠٠٦هـ / ١٥٩٧م إلى ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٩م، والمنغيتيون الأوزبك الذين خلفوا سبحانقلى خان الذى خلف الاشتراخانيين ، واستمر حكم المنغيتيون وأميرهم معصوم فى الفترة من ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م إلى عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م . ثم الأمير مظفر الدين الذى حكم فى الفترة من عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠ م إلى عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م الذى اصطدم بالغزو الروسى لوسط آسيا .

رابعًا : الغزو الروسى :

عندما تفككت امبراطورية التيموريين وخلفائهم الإسلامية ظهرت دولة روسيا المستقلة وعاصمتها موسكو عام ١٤٨٠م التى أخذت تنتقم من المسلمين فى كل بقعة تتوسع فيها، فعلى سبيل المثال فقد طرد الروس من مدينة «كازان» التى استولوا عليها عام ١٥٥٢م جميع أهلها المسلمين وذلك ليحلوا مكانهم أبناء جلدتهم من الروس ، ولكن أثناء نزوح هؤلاء المسلمين انتشر الإسلام على أيديهم طوال الطريق التى سلكوها وبين جميع القبائل التى جاوروها[1].

أخذ الروس يتوسعون على حساب الملوك والخانات المجاورين لهم وكانوا يضطهدون المسلمين فى كل بلد يجدونهم فيها ، ففى عام ١٥٨٠م استولى الروس على مدينة «سبير»[2] عاصمة التتار، وفى عام ١٧٢٢م استولى بطرس الأكبر قيصر روسيا على «الدربند»[3] وسائر سواحل بحر قزوين الغربية ، وفشل شاهات إيران فى إزاحة الروس من هذه المناطق ، حتى انتهى الأمر عام ١٨١٣ بتنازل الإيرانيين عن كل ادعاء لهم فى هذه المناطق [4].

وكانت إيران قد وقعت عدة معاهدات مع روسيا لإنهاء الحرب التى دارت أثناء الغزو الروسى لمناطق تركستان والقوقاز أهمها معاهدة «كلستان» التى عقدت بعد حروب لا طائل من ورائها استمرت عشر سنوات من ١٨٠٣-١٨١٣م عقدت بوساطة انجليزية فى معسكر «كلستان» بمنطقة «قراباغ» والتى نصت على تطبيق اصطلاع القانون الدولى : الوضع الراهن Status Quo بمعنى أن المناطق التى كانت تحت سيطرة حكومة إيران حتى ذلك التاريخ تبقى تابعة لروسيا . ونتيجة لمعاهدة كلستان عام ١٨١٣ م ضمت روسيا إليها نهائيا كرجستان (جورجيا) وشيروان وشكن وكنجة وقراباغ ومغان وقسما من طالش ودربند وباكو [5]. كما فقدت «نجوان» فى معاهدة تركمان جاى التى عقدت بين روسيا وإيران عام ١٨٢٨م ونجوان تعرف الآن باسم ريفان عاصمة أرمينيا .

١- محمود شاكر : تركستان ، ص٣٨-٣٩ .

٢- أطلق الروس اسم سيبيريا على كل البلاد التى تقع إلى الشرق من جبل الأورال وهى مشتقة من اسم عاصمة التتار .

٣- الدربند منطقة تقع بالقرب من بحر قزوين فى آسيا الوسطى .

٤- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص١٨٩ .

٥- تاريخ إيران ترجمة آقاى سيد محمد تقى فخر داعى كيلانى ص٤٩٢ .

ومما يلاحظ أنه فى الوقت الذى وقع فيه إقليم تركستان الغربية فى قبضة الروس استعاد إقليم شرق تركستان استقلاله لمدة قصيرة ، ولم تكن الحرب بين تركستان الشرقية بين سكانها وبين الصينيين فقط ولكنها كانت تشتعل بين السكان أنفسهم بعضهم وبعض لغير غاية ولغير سبب . وبقيت تركستان الشرقية تابعة للصين حتى بعد سقوط أباطرة المانشو وقيام الجمهورية الصينية [١].

سارت روسيا فى التوسع على حساب امبراطورية التتار الإسلامية ، فاستولت أيضا على منطقة «القرم» عام ١٧٧٧م، واقليم «جورجيا» عام ١٨٠١م ، ومنطقة القوقاز أو «قفقاسيا» عام ١٨٦٤م والتى عرفها العرب باسم «القبق» والتى تشمل جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية وتنحصر بين بحر قزوين والبحر الأسود والتى دخلها الإسلام منذ عهد الخلفاء الأمويين حتى أخذها جنكيز خان بعد أن بلغت عدد سنوات حكم العرب لها حسب رأى البعض ٤٦٣ سنة ، ونتيجة لبطش «جنكيز خان» و«تيمورلنك» بأهل القوقاز هرب كثير منهم إلى مصر والعراق حيث قامت دول المماليك الجراكسة .

وحاول أهل البلاد المقاومة أمام الغزو الروسى للقوقاز ، وظهر زعماء مسلمون تصدوا لقيادة المقاومة من أشهرهم الشيخ شامل الذى كان عالما مسلما فهم الإسلام دولة فكان رئيسا للحكومة ، وفهمه سياسة فاستطاع أن يغتنم الفرص المناسبة ، ويعتمد على مؤيديه فى مناطق نفوذ أعدائه ، وفهمه إصلاحا فأسس المحاكم وأقام العدل ، وفهمه قوة فأوجد المصانع الحربية[٢]. وقد نجح الشيخ شامل خلال الفترة من ١٨٤٣ إلى ١٨٥٩ م فى التصدى للروس فى القوقاز حيث اتخذ من بلاد الطاجكستان مركزا لعملياته الحربية حتى تمكنت روسيا من البلاد، واستسلم الشيخ شامل فى ٦ سبتمبر ١٨٥٩م [٣].

وحتى ذلك الحين عاشت اللغة العربية فى القوقاز حياة كاملة لافى الكتابة فقط بل وفى الحديث أيضا ، بل إن قوة تيار التراث العربى القديم فى القوقاز استطاعت أن تحمل حتى

١- و . بارتولد : المرجع السابق ص٢٥٤ .

٢- محمود شاكر : قفقاسيا ، ص٢٦ .

٣- لوثروب ستودارد : المرجع السابق، ص١٩١ .

أيامنا اللغة العربية الفصحى التى لاتستخدم فى التخاطب العام فى موطنها فى البلاد العربية[١].

وهكذا نجحت روسيا القيصرية فى السيطرة على أقاليم وسط آسيا التى انتشر بها الإسلام واللغة العربية ، وعمل الروس على إبقاء المجموعات الإسلامية فى تلك المناطق غير موحدة دينيا ولاسياسيا ، فكان القيصر يعين مفتى روسيا الداخلية ومفتى القرم (المناطق الغربية) ، ولم يكن لآسيا الوسطى مفتى واحد وإنما عدد من المفتين ، أما على الصعيد السياسى فكان المسلمون يشكلون جزءا من روسيا كسائر شعوب الإمبراطورية وكانوا خاضعين لأنظمتها إلا فى المحميات (إمارة بخارى وخانية خيوة) ، وكان مسلمو تركستان ومركزها طاشقند والسهوب يخضعون للحكام العامين ، أما سكان القفقاس (القوقاز) فيخضعون لنائب الملك، وترك القبائل الرحل يخضعون لعاداتهم وتقاليدهم مثل «القيرغيز» و«القوزاق». وظل الاستعمار الروسى عسكريا فى جوهره لم يهتم إلا ببناء الحصون والمنشآت العسكرية بينما أهمل المناطق الإسلامية إهمالا لايعادله إهمال آخر[٢].

وحيث استطاعت روسيا منذ القرن الثامن عشر استخلاص مناطق آسيا الوسطى من يد أصحابها حتى استوى مركزها هناك عام ١٨٨٤م باستسلام «مرو» إليها عن رضا وطيب نفس[٣] فإن السياسة اللاإسلامية التى اتبعها الروس فى حكم المسلمين كانت من الأسباب التى دعت إلى تذمر المسلمين من ناحية وتهيئتهم للثورة على الحكم الروسى كما دعت فى نفس الوقت إلى التمسك أكثر بالدين الإسلامى ، وإن كانت القيود التى وضعتها الإدارة الروسية على المسلمين قد أوقفت نشاطهم فى نشر الدين الإسلامى بين غير المسلمين .

وعندما قامت الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ تفاءل المسلمون الخاضعون للسيطرة الروسية خاصة عندما عرضت الحكومة الشيوعية فى موسكو على الشعوب التى خضعت

١- كراتشكوفسكى تعريب د. محمد منير مرسى : مع المخطوطات العربية- المراقب الملازم لشامل فى كالوجا ، ص١٨٩-١٩٧ .

٢- محمود شاكر : تركستان ، ص٤٦-٤٧ .

٣- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٦٧٠ .

للقياصرة بحد السيف الاختيار بين البقاء تحت إدارة الحكم الجديد أو الاستقلال، وكان أهالى بلاد القوقاز أجمعين ممن أعلنوا استقلالهم التام فتألفت جمهورية فى كرجستان (بلاد الكرج أو جورجيا) ، وأخرى فى الطاجكستان ، والثالثة فى أذربيجان ، والرابعة فى أريفان الأرمينية ، وأوفدت كل من الجمهوريات الأربع وفودها إلى الآستانة لمفاوضة الأتراك والألمان فى الاعتراف بهذه الجمهوريات الأربع ، وصار الحديث فى ارتباطها بعضها ببعض بشكل حلفى [١]. ولكن هزيمة الأتراك والألمان فى الحرب العالمية الأولى واحتلال الإنجليز للقوقاز قد أوقف مشروعات جمهوريات القوقاز الإسلامية حتى إذا استعاد الروس القوقاز قبضوا بيد من حديد على هذه الجمهوريات وقضوا بشدة على الثوار الوطنيين فيها .

وفى تركستان قامت ثورة ضد الحكم الروسى منذ عام ١٩١٩ ، وقد قام بدور فيها القائد التركى المعروف أنور باشا والذى عمل وزيرا للحربية فى حكومة الاتحاديين ثم ترك تركيا عقب إعلان الهدنة وقاد ثورة تركستان حيث استشهد عام ١٩٢٢ م بعد كفاح دام أحد عشر شهرا كاملا [٢]. وبعد أن هاجم عساكر البلاشفة فى مواطن عديدة وظفر بهم ، وغنم منهم مدافع وأعتادا حربية ، نشرت الجرائد الأوروبية أخبار غزواته وفتوحاته ، وفرح بها أحبابه والمسلمون جميعا [٣].

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية حاولت حكومة الاتحاد السوفيتى استرضاء المسلمين الخاضعين لها فسمحت بإنشاء مراكز إسلامية ، ولكن ما كادت الحرب تنتهى حتى عادت الحكومة السوفيتية إلى اتباع أسلوب القسوة والاضطهاد بل والإبادة مع المسلمين خاصة أنها نقمت انضمام كثير من المسلمين المضطهدين إلى الألمان أثناء معارك الحرب العالمية ضد الروس، ونتج عن هذا الأسلوب القضاء على مظاهر الإيمان عند المسلمين بمعنى عدم الجهر به خوفا وتقية، ولكنه لم يستطع أن يمس حقيقة الإيمان فى نفوس المسلمين الذين قاوموا الإلحاد .

١- لوثروب ستودارد : المرجع السابق، جـ٢ ، ص١٩١ .

٢- محمود شاكر: تركستان ، ص٥٣ .

٣- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص٣٧٢ .

ثانيا :الجمهوريات المستقلة

جمهوريات تركستان

إن تسعة أعشار المسلمين الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى إنما هم من الأتراك ، كما أن معظم هؤلاء المسلمين إنما هم من أتباع السنة، كما يعيش حوالى ثلاثة ملايين من الشيعة أغلبهم فى جمهورية طاجكستان ، كما يوجد مائة ألف إسماعيلى فى هضبة البامير وهم من أتباع أغا خان ولهم اتصال بالهند[١] . وقد عمدت الحكومة السوفيتية إلى تقسيم المسلمين وذلك لتجزئتهم .

جمهوريات تركستان :

١- جمهورية كازخستان وهى جمهورية إسلامية وعدد سكانها ١٢ مليون نسمة وعاصمتها مدينة «ألما أضا » أى بلد التفاح ، ثم صارت العاصمة أخيراً مدينة «أستانا» .

٢- جمهورية أوزبكستان وعدد سكانها ثمانية ملايين نسمة وقد شملت كلا من جمهورية «كاركالباكيا» وجزء من إمارة بخارى، وقسما من خانية خوارزم ومناطق أخرى وعاصمتها مدينة «طاشقند» وأهم مدنها «سمرقند» و«خيوة» و «بخارى» .

٣- جمهورية تركمانستان وعدد سكانها لايتجاوز المليون والنصف فقط رغم اتساع مساحتها وعاصمتها مدينة «عشق أباد» وتقع جنوب البلاد بالقرب من حدود إيران .

٤- جمهورية «قيرغيزيا» وعدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة، ولكن نتيجة لسياسة الاتحاد السوفيتى المناهضة للوطنيين تناقص العدد وزاد عدد الوافدين من الروس والعاصمة «فرونزى» نسبة إلى القائد الروسى ميخائيل فرونزى، مما يدل على سيطرة الروس على القيرغيز .

٥- جمهورية طاجيكستان : ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من المليونين وهم من أصل إيرانى ومركزها مدينة «ستالين أباد» .

٦- جمهورية باشكيريا : وتقع فى السفوح الغربية لجبال أورال وسكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة وعاصمتها مدينة «أوفا» التى ظلت حتى القرن الحالى مركزا إسلاميا كبيرا .

١- محمود شاكر : تركستان ، ص٦٩ .

٧- جمهورية تاتاريا وتشترك مع جمهورية باشكيريا فى حدودها الشرقية وعاصمتها مدينة كازان التى اشتهرت بوجود عدد كبير من المساجد مما يدل على وجود عدد كبير من المسلمين .

٨- شبه جزيرة القرم التى قامت بها دولة إسلامية عقب الحرب العالمية الأولى ولكن الشيوعيين فى موسكو قضوا على هذه البلاد حتى الآن وحاربوا الوجود الإسلامى .

وهذه الجمهوريات السبع إلى جانب القرم مناطق إسلامية وكلها تعرف بتركستان الغربية فى الوقت الذى توجد فيه تركستان الصينية أو الشرقية .

ثالثا : العالم التركى

عندما تفكك الاتحاد السوفيتى رسميا فى ديسمبر ١٩٩١م وعادت إلى الوجود جمهوريات وسط آسيا المستقلة (تركستان) وجمهوريات القوقاز ، أعلنت الجمهورية التركية أن العالم التركى قد استعاد مكانته على الخريطة السياسية والثقافية ، انطلاقا من أن أتراك الجمهورية التركية ينتمون إلى أتراك وسط آسيا . وكما ذكرنا فإن أتراك الجمهورية يرجع أصلهم إلى تركمانستان ، وهم الذين هاجروا إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى وأسسوا الإمبراطورية العثمانية وأصبحوا من عام ١٢٩٩م حتى سقوط الدولة العثمانية عام ١٩٢٤م يعرفون باسم الاتراك العثمانيين .

ويتواكب وجود قبيلة الأتراك العثمانيين بزعامة أرطغرل فى آسيا الصغرى مع إسلام قبيلة «التون أوردا » أى القبيلة الذهبية المغولية ، عندما أسلم خان هذه القبيلة وهو من أحفاد جوجى بن جنكيزخان ويدعى «بركة خان» الذى عقد علاقات ودية مع الظاهر بيبرس سلطان المماليك فى مصر والشام الذى تزوج ابنته لتوحيد أواصر الصداقة بين الطرفين ، كما سبق أن ذكرنا.

وفى حوالى عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨٠م أسلم شقيق أباقان ابن هولاكو من الأسرة الالخانية وسمى نفسه أحمد ، وأسلم أتباعه باسلامه ، وتوالى إسلام المغول ، حتى استطاع الإيلخانيون إسقاط دولة سلاجقة الروم فى قونية عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وأدخلوا شبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول) تحت نفوذهم وفرضوا الضرائب على الإمارات التركمانية هناك ومنها إمارة آل عثمان .

١- محمود شاكر : قفقاس ، ص٤٦ .

٢- محمود شاكر : نفس المرجع ، ص٤٧ وما بعدها .

ومع نهاية حكم التيموريين - بعد وفاة تيمورلنك - عام ١٤٠٤م / ٨٠٧هـ وفتح القسطنطينية على يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م / ٨٥٧ هـ لتصبح عاصمة لهم باسم «إسلام بول» أصبحت قبلة أتراك ممالك ما وراء النهر وخراسان والقوقاز وباعتبارها مركز الخلافة الإسلامية وسلطانها هو خليفة العالم الإسلامي السني وحامي الحرمين الشريفين .

ولكن قيام الدولة الصفوية عام ١٥٠٠م / ٩٠٦هـ في تبريز التي جعلت من نفسها حامية للمذهب الشيعي في المنطقة التي تفصل شرقي الأناضول عن ممالك وسط آسيا ، قطع الطريق الذي عبره الأتراك السلاجقة في فتوحاتهم الأولى ، واجتازه تيمورلنك متوجها إلى أنقرة ، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر على علاقة ممالك ماوراء النهر وخراسان والقوقاز بالدولة العثمانية. ومنذ ظهور الدولة الصفوية لم تتوقف عن محاولات نشر المذهب الشيعي في شرقي الأناضول وجنوب القوقاز غربا وفي خراسان وممالك ما وراء النهر شرقا ، الأمر الذي جعلها -الدولة الصفوية- تخوض حروبا متصلة في الشرق مع خانات آسيا الوسطى وفي الغرب مع سلاطين الأتراك العثمانيين .

وفي الوقت الذي كانت فيه دولة القبيلة الذهبية- التون أوردا- الإسلامية في شمال غرب آسيا تتجه نحو الإنهيار عام ١٤٨٠م كان أمير موسكو «إيفان الكبير» الذي حكم في الفترة من ١٤٦٢-١٥٠٥م - يحاول بسط سيطرته على المناطق المجاورة له حيث ضم كافة الإمارات الإسلامية المستقلة التي كانت تحيط بأمارة موسكو ، ومنذ ذلك الوقت بدأت سياسة روسيا التوسع على حساب الممالك الإسلامية في القوقاز ووسط آسيا ، مما أدخل دولة الأتراك العثمانيين في الصراع ضد الاعتداءات الروسية على ممالك الأتراك في وسط آسيا .

وكانت الدولة العثمانية قد نجحت في أن تلعب دورا هاما في المنطقة الشمالية بناء على طلب حاكم القرم «حاجي كراي خان» وتقيم علاقات مباشرة مع خانات القبجاق ، وفي عهد «منكلي كراي خان» ١٤٧٨-١٥١٤م توطد النفوذ العثماني في بلاد القرم وتوفير الحماية العثمانية لها ضد مملكة «التون أوردا» التي كانت تسعى لاستعادة القرم ، وإمارة موسكو التي كان لها أطماع في أملاك «التون أوردا» وقد خرج خان القرم «إسلام كراي » على الدولة العثمانية وأعلن استقلاله عنها عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م .

وقد اتخذ الصراع بين العثمانيين والروس ميدانا له مملكة القرم ، حيث كان الروس ينتهزون فرص خروج بعض خانات القرم على نفوذ الدولة العثمانية لبسط نفوذهم على المناطق الشمالية، وخاصة القازان ١٥٥٢م و استراخان عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م، وبذلك فتحت أمام

الروس أبواب آسيا ، وبدأو يضعون الخطط للسيطرة على كل نواحى الفولجا حتى بحر الخزر (قزوين) شرقا . ورغم أن الدولة العثمانية استمالت إلى جانبها جماعات الجركس فى القوقاز، وجماعات كيجى نوغاى فى سهول القبجاق ، إلا أن الروس نجحوا فى استقطاب جماعات من القازان والجركس استخدموا فى الغزو الروسى لسواحل البحر الأسود .

ويمكن القول أن عصر قوة العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى ظهرت بعد امتلاك الدولة العثمانية لأقطار العراق والشام ومصر والحجاز ، وبعد أن أصبح السلطان العثمانى حامى الحرمين الشريفين وخليفة المسلمين ، وبعد أن قامت فى فارس دولة شيعية تحاول نشره شرقا وغربا على حساب العالم الإسلامى السنى الذى تتزعمه الدولة العثمانية ، وقد ساعد كل ذلك على التقارب بين الدولة العثمانية وبين خانات آسيا الوسطى والقوقاز والممالك السنية هناك التى كانت تتجه صوب إسلامبول فى مواجهة الخطر الصفوى الشيعى ، مثل خانات الأوزبك من الأسرة الشيبانية فى بخارى وسمرقند ، وفى الوقت نفسه كانت إسلام بول ترسل مساعدات عسكرية إلى خانات الأوزبك فيما وراء النهر .

وقد حاولت الدولة العثمانية تأمين مواصلاتها مع ممالك آسيا الوسطى ، عن طريق إعداد حملة عثمانية على «كرجستان» وإيران وشمال القوقاز لتوفير الإمدادات اللازمة للحملة ، وزادت أهمية القيام بهذه الحملة بعد استيلاء الروس على مركز مملكة القبيلة الذهبية- التون أوردا- فى استراخان ، حيث قطعوا ارتباط مسلمى آسيا الوسطى بالدولة العثمانية من شمال بحر الخزر وحالوا دون توجه المسلمين فى تلك المناطق إلى الحجاز وسعوا لمد نفوذهم إلى القوقاز وآسيا الوسطى ورغبوا فى السيطرة على مركز التجارة الدولية على بحر «أزاق» ولكن هذا المشروع لم يتحقق بسبب تحالف روسيا مع خان القرم ومع الصفويين فى فارس وبسبب الخلافات داخل البلاط العثمانى ، وبسبب تحطيم الأسطول العثمانى عام ١٥٧١م عند عودته من حملته عند قبرص . وكان هذا المشروع العثمانى يتمثل فى إنشاء قنال تربط نهرى الدون والفولجا حتى يمكن شن حملة شاملة على استراخان لوقف الزحف الروسى فى تلك الجهات .

وفى هذا الإطار استمر التحالف بين العثمانيين والأوزبك السنة فى مواجهة الخطر الفارسى الشيعى والمتحالف مع الروس ، حيث رأينا خلال القرن السابع عشر الميلادى علاقات وطيدة ومشاركة سياسية وعسكرية واسعة بين الدولة العثمانية وممالك وسط آسيا الإسلامية كان لها أعظم الأثر فى إلحاق ضربات متتالية أضعفت الحكم الشيعى فى فارس ، وإن كان هذا الضعف لصالح الروس .

وكانت المراسلات المتبادلة بين سلاطين الدولة العثمانية وبين خانات ممالك آسيا الوسطى تبرز لنا النموذج السامى من تلك العلاقات بين الطرفين والقائمة على رابطة الإسلام ، إذ كان السلاطين العثمانيين يحيطون خانات آسيا الوسطى علما بنشاطهم العسكرى والسياسى فى المناطق الشرقية ويطلبون منهم المشاركة الجدية فى تنفيذ السياسة العثمانية فى المنطقة ، كما كان خانات تلك المناطق يبعثون بسفرائهم إلى إسلام بول بصفة دائمة محملين بالهدايا القيمة والرسائل التى تحيط السلاطين العثمانيين علما بآخر التطورات السياسية والعسكرية والاقتصادية فى المنطقة ، وإلى أى درجة يمكن التنسيق بين الطرفين .

وكما كانت للدولة العثمانية علاقات وطيدة مع خانات ما وراء ، فقد كانت لها علاقات وطيدة أيضا مع خانات خوارزم منذ أواسط القرن السادس عشر الميلادى الموافق للقرن العاشر الهجرى . وكل هذا يؤكد النموذج من العلاقات بين ممالك آسيا الوسطى والدولة العثمانية على يقظة روح الأخوة الإسلامية ، والتفاف المسلمين فى كل مكان حول شعار خلافتهم الإسلامية .

ولكن أمور الدولة العثمانية والمسلمين فى الهند ووسط آسيا وفارس عاشت عصرا من التفكك والضعف فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر الميلادى، فى الوقت الذى كانت فيه روسيا القيصرية تحقق انتصارات متتالية على الدولة العثمانية شمالى القرم وفى البلقان ، إلى جانب انتصارات امبراطورية النمسا والمجر على العثمانيين الذين اضطروا إلى التنازل عن بلاد المجر ، بينما كان الإنجليز والفرنسيون يتطلعون للاستيلاء على ممتلكاتهم رجل أوروبا المريض أى الدولة العثمانية كما أطلقوا عليها، وذلك فى الأقطار العربية .

وكانت روسيا أسبق الدول الأوروبية فى معاداة الدولة العثمانية ، وفى السيطرة على المناطق الإسلامية فى القوقاز وتركستان ، من ذلك أنها انتهزت فرصة اضطراب القيادتين العثمانية والقرمية المشتركة فى القرم وبدأت فى بسط سيطرتها على مملكة «التون أوردا» فى استراخان ، ومنها إلى شبه جزيرة القرم مستغلة الخلافات داخل الأسرة الحاكمة فى القرم والخلاف بين بعض أفراد هذه الأسرة مع الدولة العثمانية ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية - كما ذكرنا- تعانى من اعتداءات الدول المجاورة مثل امبراطورية النمسا والمجر .

وفى الربع الأخير من القرن الثامن عشر نجحت روسيا بالتآمر وعن طريق معاهدة «كوجك قينارجة» عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م فى إرغام الدولة العثمانية على التنازل عن أراضى شاسعة

أغلب سكانها من المسلمين السنة ، وكان أن دخل الجيش الروسى القرم عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م وبعد خمس سنوات (١٧٨٣م) اعتبرت القرم ولاية من الولايات الروسية ولاقى سكانها المسلمون الاضطهادات والعنت من الروس ، مما اضطر الكثيرين منهم إلى الهجرة إلى أراضى الدولة العثمانية .

وبسقوط القرم فى يد الروس أصبح الطريق مفتوحا أمام الروس لاحتلال القوقاز ، وكانوا قد أرسلوا حملة إلى هناك عام ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، ومنذ ذلك الوقت أخذ الروس يوطدون علاقاتهم مع المجموعات النصرانية هناك كالأرمن والكرج فعقدوا تحالف معهم ضد الدولة العثمانية وضد فارس ، ثم سقط فى يد الروس الشاطئ الغربى لبحر الخزر (قزوين) وميناءه فى «دربند» فى عام ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م ، ثم احتلوا مدينة «باكو» بعد عامين (١٧٢٤م) ، هذا فى الوقت الذى رحب فيه الشاه «طهماسب» شاه فارس باحتلال الروس لمدن «دربند» و «باكو» وتعهد بالتنازل لروسيا عن جيلان ومازندران واستراباد بشرط مساعدته فى البقاء على عرش إيران .

ونتيجة للضعف الذى أصاب الدولة العثمانية ، أواخر القرن الثامن عشر تنازلت لروسيا عن «قابارتاى» شمالى القوقاز بموجب معاهدة كوجك قينارجة المشار إليها ، وفشلت قوات الدولة فى مساندة كفاح مسلمى القوقاز ضد الغزو الروسى، الذى تمكن عام ١٧٩١م / ١٢٠٥هـ من احتلال «أنابا» ، ثم تمكن الروس من هزيمة القوات العثمانية فى شمال القوقاز خلال معارك حربية عام ١٨٢٨ - ١٨٢٩م / ١٢٤٤هـ وبسطوا نفوذهم على قسم كبير من القوقاز .

ونتيجة لحركة الشيخ شامل فى الشيشان والقوقاز ضد روسيا ونتيجة لحرب القرم الأوروبية عام ١٨٥٦م فشلت الدولة العثمانية فى المحافظة على ممتلكاتها فى القوقاز ، حيث انسحبت القوات العثمانية من المناطق التى استعادتها من روسيا أثناء حرب القرم ، كما اعتبرت روسيا جميع أراضى القوقاز - بعد القضاء على ثورة الشيخ شامل عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م مركز الروس العسكرى فى المنطقة للإنطلاق إلى ممالك آسيا الوسطى [١].

١- كانت الدولة العثمانية قد استطاعت أن تمد حدودها الشرقية إلى سواحل بحر الخزر خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى/ القرن العاشر الهجرى على أثر انهيار دولة «التون أوردا» ، حيث =

وعندما حاولت الدولة العثمانية تقديم المساعدات للثورة الإسلامية التى كان يقودها الشيخ شامل فى القوقاز ، أعاق الإنجليز والفرنسيون وصول هذه المساعدات بالتفاهم مع الروس ، باعتبار أن الأول كان يهمهم انشغال روسيا بتوسعاتها فى القوقاز ووسط آسيا حتى لاتتجه بأطماعها إلى أوروبا أو الشرق العربى .

ونتيجة لهذه السياسة الاستعمارية استطاعت روسيا القيصرية الاستيلاء على بقية ممالك القوقاز ثم على خانات وسط آسيا الواحدة تلو الأخرى . فسقطت خانية «خوقند» فى يد الروس أخيرا فى عام ١٨٧٦م، وكل من «سمرقند» و«بخارى» و«طاشقند» و«خيوة» ثم «عشق أباد» و «مرو» و«سرخس» الواحدة تلو الأخرى ، فى الوقت الذى انشغلت فيه الدولة العثمانية بمواجهة مؤامرات انجلترا وفرنسا للاستيلاء على ممتلكاتها فى البلقان والأقطار العربية فى شمال أفريقيا والمشرق العربى .

ونتيجة للسيطرة الروسية على القرم وممالك القوقاز وآسيا الوسطى والاضطهاد الذى لاقاه المسلمون فى تلك البلاد على يد الروس الذين فرضوا عليهم التنصير أو الإبادة ، هاجر كثير من مسلمى تلك البلاد إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى فى الأناضول والروميلى ، حيث بدأت هجرة أهل القرم منذ ضمها ضما مباشرا إلى روسيا عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، وبلغ عدد المهاجرين من القرم فى الفترة من ١٨٥٦ و ١٨٦٤ م ٥٥٠ ألف مسلم ، كما بدأت هجرة أهل القوقاز الجماعية عقب فشل حركة الشيخ شامل هروبا بدينهم من محاولات التنصير الروسية منذ عام ١٨٦٢م واستمرت حتى سنوات الحرب العالمية الأولى. وتبلغ جملة الهجرات الإسلامية من القرم والقوقاز وغيرها إلى الأراضى العثمانية حوالى ثلاثة ملايين مسلم، وفى

= ضمت كل هذه المناطق بما فيها القوقاز ، إلا أن الدولة اضطرت فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى للتنازل عن قسم من هذه المناطق لإيران وبقيت القوقاز الغربية فقط تخضع للحكم العثمانى ، حيث تشكلت فى المناطق العثمانية هناك ثلاث إمارات هى : آجيق باس ، ومينجرة لى - دادبانده، وكوريل . وكانت هذه الإمارات الكورجية الثلاثة يشرف عليها والى «جيلدر» العثمانى ، وتدير شئونها الداخلية بصفة مستقلة . وكانت الدولة العثمانية قد أقامت على سواحل البحر الأسود الشرقية من ناحية القوقاز عدة قلاع لحمايتها من تعديات الروس .

د. سيد محمد السيد : لمحات من تاريخ العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية بحث من أبحاث مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز جامعة الأزهر .

المقابل هاجر من الدولة العثمانية إلى الأراضى الروسية حوالى ١٥٠ ألف من الأرمن و ٧٠ ألف من البلغار .

وعندما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م حاولت استمالة مسلمى القرم والقوقاز ووسط آسيا من باب فضح النظام القيصرى وتعرية سياسته لتبرير قيام البلشفيك بالثورة ضد القيصرية ، فأعلن كل من لينين وستالين الإعلان التالى : «أيها المسلمون فى روسيا القيصرية، يا تتار سواحل الفولجا والقرم ، يا قيرغيز وصغد سيبيريا وتركستان ، أيها الترك والتتار فى نواحى القوقاز يا ججن القوقاز ، أيها الداغستانيون ، يامن هدمت مساجدهم ومنابرهم بيد ظلمة قياصرة الروس ، يا من سحقت أديانهم وعاداتهم نتوجه إليكم جميعا بالخطاب ، إننا نعلن من الآن أن عقائدكم وعاداتكم وجميع مؤسساتكم القومية والمدنية حرة ومصونة من كل تعدى وتجاوز ، قوموا وأقيموا حياتكم القومية بحرية وبدون أى اعتراض ، ولكم حق فى ذلك ، واعلموا أن حقوقكم وحقوق كل الأمم التى تعيش فى روسيا تحميها قوى الثورة البلشفية والسوفيت من ممثلى العمال والجنود والفلاحين الذين هم أعضاء فى هذه الثورة، فقدموا يد العون للثورة البلشفية وللحكومة البلشفية [1]».

فهل حقق الاتحاد السوفيتى هذه الادعاءات وأعطى شعوب القرم والقوقاز وسيبيريا وتركستان الغربية ما وعد به قادته من وعود براقة ؟ لقد سجل التاريخ أن الحكم الشيوعى فى موسكو أساء إلى الإسلام والمسلمين فى تلك البلاد التى خضعت على فترات فى ظل الحكومة القيصرية ، ويدعم هذا الرأى أن النظرية الماركسية لاتعترف بالأديان السماوية ومن ثم لاتعترف للمسلمين بحق إقامة العقيدة الإسلامية وبحق إنشاء المساجد والمراكز والمعاهد الإسلامية فى بلادهم ، وقد لاقى المسلمون كل عنت واضطهاد من الحكام السوفييت ، بل دفع هؤلاء الحكام بمجموعات كبيرة من الروس اللادينيين للإقامة فى وسط هذه البلاد المسلمة فى تركستان وسيبيريا والقوقاز والقرم وغيرها حتى يذوب المسلمون فى وسط هؤلاء الروس .

هذا فى الوقت الذى سيطر على الحكم فى تركيا جماعة الاتحاد والترقى الذين أنهوا الخلافة الإسلامية من إسلام بول ونقلوا العاصمة إلى مدينة أنقرة بالأناضول وألغوا كتابة اللغة التركية بالحروف العربية وألغوا الزى المرتبط بالإسلام وبعادات المسلمين علمانية بعد أن كان نظام

١- المرجع السابق . و د. محمود متولى : المسلمون والحكم الشيوعى السوفيتى دراسة تاريخية مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز . جامعة الأزهر .

الحكم يقرر أن الإسلام دين الدولة . ومن ثم لم يهتم الحكم الجديد فى تركيا بما يحدث للمسلمين فى القرم والقوقاز وتركستان وغيرها على يد السوفييت ، وإن ظل العداء السياسى قائما بين الاتحاد السوفيتى وتركيا وانضمام تركيا - ومازالت- للمعسكر الغربى كعضو فى حلف الأطلنطى وفى حلف بغداد أو الحلف المركزى .

وعندما تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م تطلعت الشعوب الإسلامية فى القوقاز والقرم وتركستان إلى تركيا الحديثة التى تطلعت هى الأخرى إلى هذه الشعوب ليظهر تعبير العالم التركى ، ولكن ابتعاد تركيا الحديثة عن الإسلام كدين رسمى أو جد لدى شعوب هذا العالم التركى فى وسط آسيا رغبة أكبر فى التعاون مع الأقطار العربية وعلى رأسها مصر حيث الجامع الأزهر والمملكة العربية السعودية حيث يوجد الحرمان الشريفان المقدسان .

الباب الخامس

الأقطار العربية الآسيوية

- مقدمة .

الفصل الأول : أقطار الهلال الخصيب والمربع العربى

الفصل الثانى : قضية المياه بين تركيا وكل من سوريا والعراق .

الفصل الأول

أقطار الهلال الخصيب والمربع العربى

- مقدمة - أولا : بلاد الشام - ثانيا : العراق - ثالثا
:الأردن- رابعا : المملكة العربية السعودية - خامسا :
أقطار الخليج العربية - سادسا : اليمن.

مقدمـــة

تتمثل الأقطار العربية فى آسيا فى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية وأقطار الخليج العربية واليمن ، وبعض هذه الدول كانت جزءا من الدولة العثمانية مثل سوريا ولبنان وفلسطين والأردن المعروفة ببلاد الشام، إلى جانب العراق ، تلك الأقطار التى ظلت خاضعة للحكم العثمانى مدة أربعة قرون من عام ١٥١٤م إلى عام ١٩١٧م، بينما لم تخضع لنجد للسلطنة العثمانية وإن خضعت مشيخات الكويت وقطر والأحساء بعض الزمن للسيادة العثمانية وكذلك اليمن ، فى الوقت الذى ظلت فيه مشيخات البحرين والساحل العمانى وسلطنة مسقط وعمان بعيدة عن السيطرة العثمانية وإن خضعت لنفوذ بريطانيا صاحبة المستعمرة البريطانية فى الهند .

وحيث أنه تمت معالجة تاريخ هذه الأقطار جميعا فى كتب متعددة [1] فسوف نعالجها باختصار شديد باعتبارها أقطارا أسيوية فيما يلى :

أولا : بلاد الشام :

كانت بلاد الشام تخضع لحكم سلاطين المماليك فى مصر حتى احتلها العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول عام ١٥١٦م وطبقا للتنظيمات العثمانية لأقاليم الدولة فقد انقسمت بلاد الشام إلى ثلاث ولايات هى :

١- ولاية حلب : وتضم مناطق شمال بلاد الشام.

١- كتب : فى تاريخ العرب الحديث ، العرب : دراسات فى التاريخ الحديث والمعاصر ، تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين، التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية ، تاريخ العرب المعاصر .

٢- ولاية طرابلس : وتشمل ساحل الشام .

٣- ولاية دمشق أو الشام : وتضم البلاد الجنوبية ، من سورية وكل فلسطين .

وقد ظل هذا التقسيم سارى المفعول حتى عام ١٦٦٠ م حيث أعيد تقسيم بلاد الشام إلى أربع ولايات بأضافة ولاية صيدا التى ضمت المناطق الساحلية لبلاد الشام، وكان الدافع أمام الدولة العثمانية لإنشاء هذه الولاية الرابعة هو مراقبة كل من الدروز والموارنة فى لبنان وضمان عدم تجدد الثورات من قبل هؤلاء أو أولئك بعد التجربة المريرة التى مرت بها الدولة العثمانية فى إخماد ثورة أمراء الأسرة المعنية الدرزية [١].

ظل الحكم العثمانى فى بلاد الشام قويا طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر تبعا لقوة الدولة العثمانية فى هذين القرنين فلما دب الضعف فيها ظهرت عصبيات محلية فى بلاد الشام طمعت فى الوصول إلى الحكم تحت السيادة العثمانية ، فإلى جانب محاولات الأسرة المعنية والأسرة الشهابية ثم الأسرة الجنبلاطية وهى أسر درزية تطلعت إلى السيطرة على جبل لبنان ، فقد حكمت أسرة العظم فى ولاية دمشق وامتد حكمها إلى ولايات حلب وطرابلس فى بعض الفترات خلال القرن الثامن عشر، وبالتحديد لمدة ٦٠ سنة من عام ١٧٢٤ م حتى عام ١٧٨٦م .

كما حاول الزعيم العربى ظاهر العمر الزيدانى التوسع بالتزامه فى صفد بفلسطين لتكوين إمارة عربية ثم الباشوية ابتداء من عام ١٧٣٣ وظل فى صراع مع الدولة العثمانية متحالفا مع على بك الكبير فى مصر حتى مقتله عام ١٧٧٥ م .

وشهدت بلاد الشام ما عرف بحروب الشام بين محمد على والدولة العثمانية فى الفترة الممتدة من عام ١٨٣١م وحتى عام ١٨٤٠ . وحتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م استمرت بلاد الشام تخضع للحكم العثمانى المباشر بمساوئه التى أدت إلى ثورات أهل البلاد، وأثناء معارك الحرب العالمية الأولى كانت بلاد الشام ميدانا للقتال بين الدولة العثمانية من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة ثانية انتهت باخراج العثمانيين منها وفرض ما عرف بالانتداب البريطانى على فلسطين والعراق ومع فلسطين والأردن ، والانتداب الفرنسى على سوريا ولبنان . وهنا تبدأ صفحات التاريخ المعاصر .

١- د. رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين القاهرة ، ١٩٩٢م، ص١٢٥ .

ثانيا : العراق :

خضع العراق لحكم الصفويين الشيعة فى فارس منذ عام ١٥٠٨م ثم أصبح منذ عام ١٥١٤م ميدانا للصراع بين الصفويين والعثمانيين، ذلك الصراع الذى استمر طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر مما دفع بالدولة العثمانية للموافقة على بقاء أحد الولاة واسمه حسن باشا حاكما للعراق منذ عام ١٧٠٤م مكونا أسرة وراثية ، وقد نجح حسن باشا فى إخضاع القبائل العربية المتمردة - إلى جانب الوقوف أمام خطر الصفويين الشيعة- حتى لم يعد فى استطاعة الباب العالى أن يستغنى عن خدماته [1].

وبعد وفاة حسن باشا عام ١٧٣٤ م تولى ابنه أحمد الباشوية فى بغداد حتى إذا توفى عام ١٧٤٧م ، تولى زوج ابنته وكبير مماليكه سليمان أغا الباشوية على العراق عام ١٧٤٩م لتبدأ سلسلة الباشوات المماليك حتى آخرهم داود باشا عام ١٨٣١ م ، ليعود الحكم العثمانى المباشر حتى الحرب العالمية الأولى عندما أنهى الغزوالبريطانى للعراق عام ١٩١٤م الوجود العثمانى نهائيا هناك ، ليخضع العراق للانتداب البريطانى بعد الحرب العالمية الأولى، حيث تبدأ صفحات التاريخ المعاصر[2] للعراق الملكى تحت حكم الأسرة الهاشمية من عام ١٩٢٠م رغم الانتداب البريطانى .

ثالثا : الأردن :

لم تكن شرقى الأردن قبل عام ١٩٢٠م سوى تعبير جغرافى يطلق على البلاد الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن ، وكانت تابعة فى إدارتها للحكومة العثمانية بصفة تكاد اسميه . ثم انتقلت إدارتها ابتداء من عام ١٩١٨ إلى حكومة فيصل العربية بدمشق [3].

وكانت دول الوفاق قد رأت أن تستولى على تلك البلاد، لقطع الطريق أمام جيش تركيا المتجه إلى مصر ، فدخل الكولونيل البريطانى «لورنس» مدينة العقبة ١٩١٧م، وفى العام التالى نقل الأمير فيصل بن الحسين - وكان يقود جيشا يمثل الثورة العربية- إلى العقبة وتمكن مع أعوانه من احتلال قسم كبير من الأرض الأردنية ، وذلك بعد معارك عديدة منها تخريب

١- د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٥٠ .

٢- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق، ص٦٥ .

٣- جورج كيرك : تاريخ الشرق الأوسط ٢٤٧ .

الخط الحجازى ، وزحف الإنجليز للفتك بالجيش التركى حتى احتلوا الأردن فى ٩ ديسمبر ١٩١٩[١] .

وفى مؤتمر سان ريمو المنعقد فى أبريل عام ١٩٢٠م جعلت منطقة شرقى الأردن من نصيب بريطانيا كجزء من دائرة الوصاية على فلسطين مع الاحتفاظ بشرط أساسى هو أنه فى الأراضى الواقعة بين نهر الأردن والحدود الشرقية لفلسطين حسب تحديدها النهائى يكون للدولة المنتدبة - انجلترا- الحق بموافقة مجلس عصبة الأمم فى تأجيل أو وقف تنفيذ شروط الانتداب التى ترى سريانها غير ملائم للظروف المحلية بهذه الجهات ، وأن تعد تدابير الحكم التى تراها ملائمة لهذه الظروف [٢].

وعندما وصل الأمير عبدالله بن الحسين إلى معان يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٠م قادما من مكة، وفى نيته التقدم نحو عمان ، ومن معان بعث لأهل سوريا بمنشور هاجم فيه الغزو الفرنسى ويعضد السوريين فى كفاحهم ضد الفرنسيين . وعندما وصل إلى عمان رحبت به المجالس المحلية التى أقامها الإنجليز والتى سيطر عليها الموظفون الانجليز، وقد عبر المندوب الانجليزى لرؤساء القبائل وشيوخ الشعب الأردنى، حين زار مدينة السلط بقوله : تسألونى عن نوع المساعدة التى تريد انجلترا أن تقدمها لكم فأجيبكم بأنها لاتريد أن تضمكم إلى الإدارة الموجودة الآن بفلسطين بل تنشئ لكم إدارة منفردة تساعدكم على أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم[٣] .

وتحقيقا لنصوص الانتداب الذى صدر فى مؤتمر سان ريمو فقد اتفق الأمير عبدالله مع تشرشل وزير الخارجية البريطانية عندما اجتمعا فى القدس على الأسس التى تقوم عليها إدارة شرق الأردن ، وهى إقامة حكومة عربية وطنية هناك برئاسة الأمير عبدالله تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالا إداريا ومع الاسترشاد برأى مندوب سامى بريطانى فى عمان وأن يتعهد الأمير بالمحافظة على حدود سوريا وفلسطين من كل اعتداء على أن تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الأمير وبين سلطات الاحتلال الفرنسى فى سوريا ، وأن تنشئ بريطانيا قاعدتين للطيران فى عمان والكرك .

١- د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : المرجع السابق، ص٤٥٨-٤٥٩ .

٢- جورج كيرك : المرجع السابق، ص٢٤٧ .

٣- د. عزت عبد الكريم وآخرون : المرجع السابق، ص٤٦٢ .

ورغم اشتمال قرار الانتداب على شرق الأردن إلى جانب فلسطين ، فقد استثنت بريطانيا شرق الأردن من التزامات الوطن القومى لليهود فى فلسطين بحصولها على هذا الاستثناء من عصبة الأمم فى سبتمبر ١٩٢٢م ثم اعتزمت انجلترا فى العام التالى- ١٩٢٣م- بقيام حكومة مستقلة فى شرقى الأردن يرأسها الأمير عبدالله تحت الانتداب الانجليزى .

لقد أقامت انجلترا إمارة شرق الأردن تحقيقا لمآرب سياسية واستراتيجية تخصها من أهمها تأمين القطاع العربى فى الطريق البرى إلى الهند ، فيما بين الخليج والبحر المتوسط خاصة بعد أن أثبتت وسائل المواصلات السريعة أهمية الوطن العربى بالنسبة لاتصالات انجلترا بالهند ، وأيضا إنشاء قاعدة لنفوذها السياسى والاستراتيجى فى هذه المنطقة تشرف منها على بقية أجزاء الوطن العربى خاصة المشرقية وخاصة بعد ظهور البترول وازدياد المصالح البريطانية فى أقطار الوطن العربى .

واهتمت الحكومة البريطانية بتحديد كيان مستقل لإمارة شرق الأردن فحثت الأمير عبدالله على أن يطلب من أبيه الملك حسين فى الحجاز ضم عمان والعقبة إلى إمارته وكانتا تابعتين للحجاز ، كما استطاعت نفس الحكومة أن تقنع الملك عبد العزيز آل سعود بعد استيلائه على الحجاز بقبول الوضع القائم بهما ، وأقنعته بالتنازل عن ممر أرضى من شمالى نجد ينضم إلى إمارة شرق الأردن يصل بينها وبين العراق ويفصل بين نجد وسوريا وحققت بريطانيا بذلك الوحدة الاستراتيجية التى تنشدها فى منطقة انتدابها فى البلاد العربية، وأصبح إشرافها على الطريق البرى بين الخليج والبحر المتوسط تاما كاملا [١].

وقد طلب الأمير عبدالله فى ٦ يناير عام ١٩٤٢م من بريطانياأن ترفع عنه الانتداب حتى يصبح مثل الدول الأخرى وليكون قادرا على تحقيق وحدة الأردن وسوريا [٢]. ولكن بريطانيا ردت بأنها مشغولة بالعمليات الحربية ، ولكن الأمير عبدالله ظل يرسل المذكرات للحكومة البريطانية لكى يحصل على الاستقلال ، وبالفعل تم التوقيع على معاهدةللتحالف بين الأردن وبريطانيا فى ٢٢ مارس ١٩٤٦م اعترفت فيها بريطانيا باستقلال الأردن . وبعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨م. أعلنت الأردن ضم الضفة الغربية لنهر الأردن الفلسطينية إلى شرقى الأردن لتصبح عام ١٩٤٩م المملكة الأردنية الهاشمية وظلت كذلك حتى احتلت إسرائيل الضفة الغربية عام ١٩٦٧م .

١- د. حسين النجار : المرجع السابق، ص٦٥ .

رابعا : السعودية :

يبدأ التاريخ الحديث للسعودية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ عام ١١٥٣ هـ الموافق لعام ١٧٤٠م، وكان رحيله إلى الدرعية مقر آل سعود عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٣م بداية لمرحلة جديدة وحاسمة لنشر الدعوة ، حيث كان التحالف بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود بداية لنشر الدعوة فى بقية بلاد نجد وأنحاء شبه الجزيرة العربية .

وما قرب القرن الثانى الهجرى من الزوال حتى أصبحت الدرعية عاصمة دينية وسياسية وحربية ، وفى سنوات قليلة انتشرت الدعوة مع الحكم السعودى فى بلاد نجد كالعارض والوشم وسدير وحائل والخرج والأفلاج والحريق ووصلت طلائعها إلى الأحساء وعمان وبادية الحجاز وعسير واليمن، وسمع بها أهل البلدان العربية خارج الجزيرة [١].

وقد مرت الدولة السعودية راعية دعوة التوحيد الإصلاحية السلفية بثلاث مراحل ، بدأت المرحلة الأولى بالتحالف بين الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود وبدأت المرحلة الثانية بتولية الإمام تركى بن عبد الله وابنه من بعده فيصل بن تركى ، وذلك عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م، باعتبار الإمام تركى بن عبدالله الزعيم الساعى لاسترداد إمارة آل سعود[٢]، ثم خلفه ابنه فيصل فى زعامة الدولة السعودية عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٣٣م، حتى وفاته عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م .

وبدأت المرحلة الثالثة للدولة السعودية راعية دعوة الإصلاح السلفى بخروج عبد العزيزبن عبد الرحمن الفيصل آل سعود من الكويت عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م ومعه سبع وأربعون رجلا حيث دخل الرياض واستردها من آل رشيد ، وبذلك بدأ تكوين الدولة السعودية الحديثة بزعامة عبد العزيز الذى امتد حكمه حتى وفاته عام ١٢٧٣هـ/ ١٩٥٣م .

وفى هذه المرحلة الثالثة تم توحيد شبه الجزيرة العربية من الخليج العربى حتى البحر الأحمر ومن الحدود الشمالية مع الأردن والعراق إلى الحدود الجنوبية مع اليمن وعمان السلطنة والساحل كما تم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وبناء الدولة بناءا عصريا فى مجال الزراعة والصناعة والتعليم والصحة .. الخ . وبدأت علاقتها الخارجية تستقر باتفاقيات مع الأقطار العربية ومع الأقطار الأجنبية كما تهيأت سبل الأمن والاستقرار لحجاج بيت الله الحرام .

وبقيام المملكة العربية السعودية - وهو الاسم الذى أطلقه عليها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، دخلت فى تاريخها المعاصر الممتد حتى الآن ..

١- د. حسن سليمان محمود : المملكة العربية السعودية ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص٦٥ .

٢- حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص٢٢٣ .

خامسا : أقطار الخليج والجنوب العربي :

أخذ الانجليز منذ أواخر القرن الثامن عشر يمارسون أنواعا من التدخل فى شئون إمارات الخليج. وجعلوا من مكافحة عمليات الجهاد البحرى وسيلة لعقد معاهدات مع شيوخ المقاطعات هناك، وأهم ما يذكر فيها أنهم لايتنازلون عن شبر من أرضهم لأية دولة كانت ولايسمحون بإعطاء أي حق فى أراضيهم لأحد ماعدا بريطانيا[١]. ومن أمثلة تلك المعاهدات المعاهدتين اللتين وقعتهما انجلترا مع سلطان بن أحمد صاحب مسقط فى أكتوبر ١٧٩٨م، ويناير ١٨٠٠م اللتين نصتا على إنشاء وكالة تجارية فى بندر عباس (وكانت تابعة لحاكم مسقط) ، وتخلى مسقط عن أي اتصال بالفرنسيين أو السماح لهم أو لسفنهم بالنزول فيها فى حالة نشوب الحرب بين فرنسا وانجلترا ، وسماح سلطان بن أحمد للانجليز بإرسال وكيل سياسى لهم فى مسقط ، وعلى هذا يكون سلطان بن أحمد أول أمير عربى يدخل فى معاهدة مع الإنجليز[٢].

وقد اتخذ الإنجليز فى الخليج سياسة عنيفة لمقاومة عمليات الجهاد البحرى العربية هناك ضد السفن الأوروبية ، ومن أمثلة ذلك إرسال حملة بحرية إلى الخليج أجبرت القواسم فى رأس الخيمة على توقيع معاهدة مجحفة بهم فى ٦ فبراير ١٨٠٦م تضمن عدم مهاجمتهم للسفن الإنجليزية ، ومن أمثلة ذلك أيضا الحملة البريطانية التى هدفت إلى تدمير رأس الخيمةوالقضاء كليا على نشاط القواسم فى مياه الخليج عام ١٨٠٩ م وحملة عام ١٨١٨م على رأس الخيمة وكان هدفها القضاء على عمليات الجهاد البحرى أولا فى الظاهر ثم مراقبة التحركات المصرية فى الباطن ، وإبرام معاهدة عام ١٨٢٠ م مع رأس الخيمة وغيرها من موانئ الخليج ، ثم أعقب ذلك توقيع الهدنة البحرية وغيرها فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وكل ذلك دليل على خشية الإنجليز من الخطر المصرى فى الجزيرة [٣].

وطوال القرن التاسع عشر أخذ النفوذ البريطانى يتدعم فى الخليج فى ثلاثة صور هى : محاربة عمليات الجهاد البحرى التى كانت القواسم تمارسها من الساحل الداخلى لعمان ، ومحاربة تجارة الرقيق التى وجدت لها سوقا رائجة فى شبه الجزيرة العربية ، وفرض الحماية

١- د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : دراسات تاريخية ، ص٢٦٥ .

٢- د. أحمد مصطفى أبوحاكمه : تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة ، ص١٨١ .

٣- نفس المرجع ، ص١٩٠ .

البريطانية على أهم المشيخات العربية فى الخليج وهى مسقط والبحرين والكويت . فبدأت مشروعات إنجلترا الاستعمارية مع مسقط منذ عام ١٨٥٤م بحصولها من سعيد بن سلطان حاكم مسقط على جزائر كوريا موريا ، ولم يأت عام ١٨٩٨م حتى وقعت المعاهدة المشهورةالتى حددت بشكل نهائى الحماية البريطانية على مسقط وعمان ، وتعرف بمعاهدة الصداقة والتجارة والملاحة ، وهى تنص صراحة على أن يلتزم حاكم مسقط - فيصل بن تركى - وهو وخلفاؤه بعدم التنازل عن أى أرض من أملاك مسقط إلا للحكومة البريطانية [١].

وكانت المشيخة الثانية التى خضعت للحماية هى البحرين التى شاركت منذ عام ١٨٢٠م مع انجلترا فى عقد معاهدات لمحاربة تجارة الرقيق وأعمال الجهاد البحرى ، وأمام رغبة تركيافى ضم البحرين عام ١٨٧١م بعد استيلائها على الإحساء أعلن الإنجليز فرض الحماية على البحرين ، وتم توقيع معاهدتين مع الشيخ عيسى آل خليفة فى عامى ١٨٨٠م، ١٨٩٢م تضع البحرين بمقتضاها تحت الحماية الانجليزيةحيث تعهد الشيخ بالامتناع عن عقد معاهدات مع أية دولة أخرى إلا بموافقة الحكومة البريطانية ، وألا يتنازل عن أية أرض فى البحرين إلا للحكومة البريطانية .

وكانت المشيخة الثالثة التى فرضت انجلترا عليها حمايتها هى الكويت، التى وصل إليها آل الصباح لأول مرة عام ١٧٥٠م قادمين من الجنوب بعد أن أمعنوا على شاطئ الخليج بقطر والأحساء نحو نصف قرن [٢]. ولقد كان لآل صباح علاقة طيبة مع الإنجليز من ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليز الذين استفادوا من الكويت منذ عام ١٧٧٥م فى إرسال واستلام مراسلات الشركة ، واستمرت العلاقات طيبة حتى نقلت وكالة الشركة من البصرة إلى الكويت، وساعدت الشركة آل صباح فى صد غارات الوهابيين على الكويت وأظهر شيخ الكويت استعداده للمشاركة مع الانجليز فى حملاتهم ضد القواسم .

واتساقا مع هذه العلاقات عرض الشيخ مبارك آل صباح منذ أن وصل إلى السلطة فى الكويت عام ١٨٩٦م أن يدخل فى حماية انجلترا ورغم تردد انجلترا فى قبول هذا العرض حرصا على علاقتها مع تركيا ، إلا أنها سارعت عام ١٨٩٩م إلى عقد معاهدة مع أمير

١- د. أنيس . د . حراز : الشرق العربى ، ص١٠٩ .

٢- د. أحمد أبوحاكمة : المرجع السابق ، ص٦٧ .

الكويت على نفس نسق المعاهدات مع كل من مسقط والبحرين تضع الكويت تحت حماية انجلترا ، وجاءت هذه المسارعة الانجليزية بسبب ظهور نشاط روسى فى الخليج عام ١٨٩٨م لمد خط حديدى من البحر المتوسط إلى الخليج ، وبناء محطة للفحم وميناء فى الكويت .

كان لظهور النشاط الألمانى فى العراق وتوقع امتداده إلى الخليج ، والمتمثل فى الإمتياز الذى حصلت عليه ألمانيا من الدولة العثمانية بمد خط حديدى من برلين إلى بغداد فالبصرة ، كان لذلك أثره فى تدعيم الوجود الإنجليزى فى الخليج والعراق ، فعقدت انجلترا مع الكويت عدة اتفاقيات أحكمت النفوذ الإنجليزى هناك نظير اعتراف انجلترا بإمارة الكويت بحدودها الحالية . وفى نفس العام فرضت الحماية البريطانية على مشيخات الساحل العمانى التى ظلت كذلك حتى أنهت بريطانيا معاهدات الحماية مع هذه المشيخات فى عام ١٩٧١م حيث اعترفت باستقلالها تحت اسم دولة الإمارات العربية المتحدة برئاسة الشيخ زايد آل نهيان أمير أبوظبى .

ويجب أن نذكر أن سلطنة عمان كانت على الرغم من معاهدة الحماية البريطانية تتمتع بشئ من الاستقلال أكثر من مشيخات الخليج الأخرى ، وفى عام ١٩٧١م تمت تنحية السلطان سعيد بن تيمور لصالح ابنه السلطان قابوس بن سعيد الذى أنهى عزلة وانغلاق بلاده لتشهد نهضة وتطورا كبيرا .

كما يجب أن نلاحظ أن أقطار الخليج العربى الخمسة : الكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنةعمان بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية كونت تنظيما إقليميا تحت اسم مجلس التعاون الخليجى منذ عام ١٩٨١م، وهو تنظيم ينسق العلاقات الأمنية والثقافيةوالاقتصادية لمصلحة تلك الأقطار ، وهو بهذا إضافة لليقظة العربية .

وبالنسبة للجنوب العربى فقد كان لوجود الجيش المصرى فى اليمن منذ عام ١٩٦٣ م لمساندة الثورة فى صنعاء أن تشجعت الحركة الوطنيةفى عدن والجنوب فى مقاومة الوجود البريطانى ولقيت كل مساعدة من الجمهورية العربية اليمنية ومن مصر اضطرت انجلترا إلى الجلاء عن عدن وإعلان استقلالها مع مشيخات الجنوب تحت اسم جمهورية اليمن الجنوبية - فى نوفمبر عام ١٩٦٧م . ثم أعلنت الوحدة بين شطرى اليمن فى عام ١٩٩٠م تحت اسم جمهورية اليمن وعاصمتها صنعاء .

سادسا : اليمن :

لليمن تاريخ طويل وقديم حيث عرف فى التاريخ القديم باسم بلاد العرب السعيدة لما تميزت به من حضارة وازدهار فى ذلك العصر، ومع بداية العصور الحديثة انقسم سكان اليمن من

حيث المذاهب الدينية الإسلامية إلى أتباع المذهب الزيدى وهو أقرب المذاهب الشيعية إلى السنة والذين سكنوا جبال اليمن ، وأتباع المذهب الشافعي- الذين عرفوا بالشوافع - السنى الذين سكنوا السهول الساحلية .

وقد اصطدم الأئمة الزيديون بقوى داخلية متمثلة فى القبائل والأئمة الخارجين على الحاكم ، كما اصطدم بقوى خارجية كان منها الأتراك الذين حاولوا السيطرة على اليمن منذ القرن السابع عشر حتى انتهت محاولات السيطرة التركية على اليمن بعقد معاهدة «درعا» فى عام ١٩١١، وكان منها البريطانيون الذين نجحوا فى عام ١٨٣٩ م فى احتلال عدن ومنها امتد نفوذهم على قبائل الجنوب العربى .

ونتيجة لظهور جماعات من الشباب اليمنى المثقف قامت عدة محاولات ضد الأئمة لاغتيالهم بعضها نجح حيث تم اغتيال الإمام يحيى حميد الدين عام ١٩٤٨ م وإن تم القضاء على الثورة وتولى ابنه أحمد بن يحيى الذى تعرض هو الآخر لمحاولة انقلابية عام ١٩٥٥م كان للمثقفين فيها دور رئيسى وإن فشلت هى الأخرى .

وفى العام التالى ١٩٥٦ دخلت اليمن مع كل من مصر والمملكة العربية السعودية فيما عرف بميثاق أمن جدة وهو ميثاق دفاعى عسكرى مضاد للنفوذ البريطانى فى البوريمى والخليج والجنوب العربى، كما انضمت إلى الجمهورية العربية المتحدة فيما عرف باسم ميثاق اتحاد الدول العربية فى مارس ١٩٥٨ م .

وكان للانفتاح المحدود الذى شهده اليمن فى الخمسينات من القرن العشرين أثره فى تطلع المثقفين اليمنيين للتخلص من حكم الأئمة باعتبارهم عقبة فى سبيل تطور اليمن وتقدمه ، وحدث شبه تحالف بين المثقفين وضباط من جيش اليمن، حتى أنه عندما توفى الإمام أحمد فجأة فى ١٩ سبتمبر ١٩٦٢م قام أحد الضباط اليمنيين وهو عبد الله السلال بانقلاب عسكرى ضد الإمام البدر الذى فر إلى السعودية ، وقد أعلن النظام الجمهورى وألغى النظام الملكى، وانفتح اليمن على العالم وساهمت كل من الكويت والمملكة العربية السعودية ومصر فى تقدم اليمن وتحضره .

الفصل الثانى

قضية المياه بين تركيا وكل من سوريا والعراق

تمهيد- المبحث الأول : وجهة النظر التركية: - مبررات الجانب التركى لقطع مياه الفرات ومشروعاته الطموحة- سد أتاتورك- السياسة التركية وخطة المراحل الثلاث- المبحث الثانى : وجهة النظر السورية - سوريا ونهر الفرات - نتائج المباحثات المائية - السياسة السورية ومحاولات الضغط على تركيا- المبحث الثالث : وجهة نظر العراق: - نظام الرى فى العراق- السياسة العراقية والمشاريع التركية- العراق والخطة الثلاثية التركية- التنسيق العراقى السورى - المبحث الرابع موقف جامعة الدول العربية .

تمهيد :

يتناول هذا الفصل العلاقة الجدلية بين مواقف كل من العراق وسوريا وجامعة الدول العربية من مشروعات المياه التركية. فبالنسبة إلى تركيا نجدها وقد شرعت فى رسم سياستها الخارجية لدعم دورها الإقليمى فى الشرق الأوسط الجديد المزمع صياغته فى السنوات الأخيرة ويبدو أن مصالح تركيا التى كانت منصبة حول الشؤون الأوروبية ، تغيرت بعد انهيار جدار برلين، وأخذت تركيا تفكر جديا فى إعداد نفسها لدور اقتصادى وسياسى أكبر فى المنطقة، وأخذت توظف سلاح المياه فى تدعيم دورها الإقليمى حين باشرت بتطوير سدودها على نهرى دجلة والفرات فى مشروع جنوب شرق الأناضول . وفى هذه الحالة فإن منسوب مياه الفرات بالذات سينخفض ، وهذا يعني أن سوريا ستخسر ٤٠٪ من مياه النهر المتدفقة إليها . أما خسائر العراق فستصل إلى ٨٠٪ وفى هذا ما يكفى بالتنبؤ بما سيصيب حواضر الفرات فى بلاد الرافدين والتى يمتد وجودها إلى آلاف السنين[1].

١- حسن على بن على : الأمن المائى العربى حقائق وأرقام «دراسة استراتيجية لطبيعة مشاكل المياه فى الوطن العربى . دمشق، دار البراق، ب.ت ، ص ص٨٧-٨٨ .

وفيما يتعلق بتصورات تركيا تجاه قضية المياه مع سوريا والعراق، فإنها تنظر إليها من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية كالآتى :

أولها : الجانب السياسى باستخدام المياه كسلاح سياسى وورقة ضغط ضد سوريا لوقف دعمها للانفصاليين الأكراد والأتراك وقضية ترسيم الحدود بينهما نهائيا ، وأيضا إلى إمكانية لعب تركيا لدور سياسى فى محادثات السلام بين العرب والإسرائيليين باستخدام مشروع أنابيب مياه السلام.

وعلى الجانب الاجتماعى والاقتصادى باستخدام المياه كمورد اقتصادى عبر إنشاء مشروع الأناضول الكبير «غاب» [١].

وتراقب كل من سوريا والعراق بقلق تطور مشروع جنوب شرق الأناضول . ويبقى الموضوع على درجة عالية من الحساسية، كما أثبتت ذلك الاستجابات العنيفة، وردود الأفعال فى مرتين خلال العامين / ١٩٩٠ و ١٩٩١ الذى يبدو أنه يمثل مذاقا أوليا باهتا لمشاكل الآتى من الأيام[٢].

وهكذا فسوريا والعراق كلاهما ينتابه القلق من مشروع الأناضول الكبير «غاب» على نهر الفرات ، وحل هذا القلق على الجانب السورى بحده ، من حيث حقيقة أن الفرات هو النهر الوحيد ذو الحجم الهام الذى يجرى مخترقا سوريا ، فإذا استولت العراق على دجلة الذى ينبع من تركيا، تكون هى أيضا قد انتفعت من تطوير الفرات .

تبعا لذلك فمن المبرر الحديث عن التعبير عن هذا القلق فى الموقف السورى والعراقى وسط هذا الانسجام التركى ، إن العرب لم ينقطعوا عن الاحتجاج وعن الالحاح فى تذكير تركيا بأنهم غير راغبين فى رؤية أراضيهم الخصبة تتحول إلى صحراء من جراء خطط تركيا الطموحة على

١- أشرف محمود سنجر : الدور الإقليمى لتركيا فى منطقة الشرق الأوسط «دراسة فى فترة الرئيس تورجوت أوزال (١٩٨٣-١٩٩٣) . رسالة ماجستير غير منشورة فى العلوم السياسية بتجارة بورسعيد جامعة قناة السويس، ١٩٩٩، ص١٦٧ .

٢- حسن شلبى وطارق مجذوب : «تركيا ومياه الفرات والقانون الدولي العام فى: المياه فى الشرق الأوسط «إلماحات قانونية وسياسية واقتصادية . ترجمة محمد أسامة القوتلى، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٧، ص٢٦٠ .

نهر الفرات لتحويل مياه أعلى النهر لمنفعتها الخاصة. ومن طرفها ضاعفت الشخصيات التركية الرسمية وغير الرسمية من تصريحاتها الصحفية محاولة إيضاح الموقف التركى بالنسبة لقضية مياه الفرات على خلفية اجتماعات لم تُسفر عن شئ بين البلدان المتشاطئة الثلاثة [١].

فى ضوء الاعتبارات السابقة سنحاول هنا أن نضع ملامح الجدل السابق في سياق المباحث الأربعة القادمة وهى كالتالى :

المبحث الأول : وجهة النظر التركية .

المبحث الثانى : وجهة النظر السورية .

المبحث الثالث : وجهة النظر العراقية .

المبحث الرابع : موقف جامعة الدول العربية .

المبحث الأول : وجهة النظر التركية :

يقوم الموقف التركى على عدد من النقاط أبرزها ما يلى:

١- اعتبار نهرى الفرات ودجلة نهرين عابرين للحدود، وليسا نهرين دوليين .

٢- ضرورة اعتبار حوض الفرات ودجلة حوضًا واحداً ، وإمكانية نقل مياه دجلة إلى حوض الفرات عن طريق مشروع منخفض الثرثارى شمال بغداد بالعراق .

٣- رفض مبدأ تقاسم المياه وقبول مبدأ استخدام المياه .

٤- ضرورة تقييم فنى- اقتصادى لجميع المشاريع فى البلدان الثلاثة.

٥- ضرورة تصنيف أراضى المشاريع بالتفصيل ، وتحديد الدورات الزراعية والمقننات المائية، واحتياجات المشاريع إلى المياه فى البلدان الثلاثة وفق أسس موحدة، وذلك عن طريق لجان فرعية متخصصة وربط ترشيد استخدام المياه بدراسات تفصيلية ، ومكتبية فى حوض النهرين فى البلدان الثلاثة.

والواقع أن تركيا ترى أن نهرى دجلة والفرات يشكلان ثروة طبيعية خاضعة لسيادة الدولة التركية، ينطبق عليها وصف المياه العابرة للحدود- ويعنى هذا من وجهة النظر التركية-

---

١- المرجع نفسه، ص٢٦٢ .

أن لها مطلق الحق فى التصرف بمياهها على اعتبار أن الفرات ودجلة وروافدهما هى ملك لتركيا إلى الحدود مع هذين البلدين، وأن تركيا يمكنها أن تستخدمهما مثلما تريد [١].

وعلى هذا الأساس راحت تركيا تعارض فكرة الحقوق المكتسبة التى تتمسك بها سوريا والعراق، لأنه من وجهة نظرهما إدعاء يستخدم لحمل تركيا على تصريف كمية أكبر من المياه ، ولحملها على تقبل مثل هذه الأسلوب فى التفكير .

ويرى العديد من الباحثين أن نظرية الحقوق المكتسبة » وحدها ليس لها أهمية كبيرة ، فالبروفيسور ستيفن ك. ماكفرى الذى كان مقرراً للجنة القانون الدولى منذ عام ١٩٨٥ يذكر أن :

دولة المصب للمجرى المائى التى بدأت أولاً بتطوير خواردها المائية ، لايمكن أن تحول دون قيام دولة على أعالى النهر بتطويرها فى وقت لاحق ، إذا أثبتت أن ذلك التطوير اللاحق قد يسبب لها ضرراً .

فوفقًا لمبدأ الانتفاع المنصف فأن سبق دولة أدنى إلى مصب النهر إلى التطوير - وبالتالى سبقها إلى استخدامات من الممكن أن تتأثر سلبيًا باستخدامات جديدة تقوم بها دولة أعالى النهر- يمكن أن تكون أحد العوامل التى تؤخذ فى الاعتبار عند التوصل إلى تخصيص عادل لاستخدامات المجرى المائى والانتقاع به [٢].

وتدل ملاحظة ستيفن ك. ماكفرى على أن الحقوق المكتسبة لايمكن التعلل بها للحد من استخدام المياه بواسطة دول أعالى النهر المشاطئة له .

وبمعنى آخر، فأن الحقوق التاريخية والمكتسبة التى تطالب بها سوريا، وعلى وجه الخصوص العراق، غير كافية. إذ أن الاستخدامات المسبقة للمياه من قبل الدول الأدنى إلى مصب النهر

١- محمد عبدالله الدورى : الوضع القانونى لنهرى دجلة والفرات فى ضوء أحكام القانون الدولى فى: ندوة المشكلات المائية فى الوطن العربى . القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩-٣١ أكتوبر ١٩٩٤ ص٣٦ .

٢- Stephen C. Mecaffrey , "The Law of International Water Courses Some recent developments and Unanswered questions " Denver Journal of international Law and Policy, Spring 1991 , p. 509 .

يمثل فقط أحد العوامل التى تؤخذ فى الاعتبار عند التوصل إلى تحديد الاستخدام العادل للنهر العابر للحدود.

إن فكرة اقتسام الموارد المشتركة من خلال «معادلة رياضية» تقدم بها العراق حتى يضمن استخدام المياه في مشاريعه، وقد ساندت سوريا هذه الفكرة من خلال أسلوب مماثل . ويتناقض مفهوم اقتسام الموارد المشتركة من خلال معادلة رياضية تناقضًا كاملاً مع مبدأ الانتفاع المنصف الذى هو جوهر عملية التقنين فى هذا المجال، ومن ناحية أخرى فإن فكرة اعتبار المجرى المائى العابر للحدود «موردا مشتركًا ليس مفهومًا يلقى تأييدا واسعًا فى عملية التقنين فى مجال المجاري المائية العابرة للحدود، ونتيجة لاعتراض العديد من الأعضاء رؤى حذف عبارة «الموارد الطبيعية المشتركة من تقرير لجنة القانون الدولى التابعة للأمم المتحدة إلى الجمعية العامة عن أعمال دورتها التاسعة والثلاثين التى عقدت عام ١٩٨٧م[١].

ويشدد المسؤولون الأتراك على أن المياه أضحت مادة خامًا وأن لها أهمية استراتيجية ودور اقتصادى تؤديه يزداد بروزا حيث أن المياه هنا (فى الشرق الأوسط) أشد شحًا من النفط وسيتعاظم شحها . ويلخص ميزوه أنبك مدير عام الأشغال العامة المائية الهيدرولية- ملاحظاته بالقول : إن المياه لاتجرى مجانا وأن على العرب أن يدركوا ذلك ويشرح كمران إينان «بأننا نحن الأتراك إذا ابتعنا منطقهم (أى منطق العرب) فسندعى نفس الحقوق فى نفطهم كما يدعون الحقوق فى مياهنا . إن هذين النهرين (دجلة والفرات) ينبعان من تركيا . فإن كانت لهم حقوق مدعاة فى شئ ينبثق من أرضنا . عندئذ يكون لنا حق فى شئ ينبثق من أراضيهم ...» ويتابع الإدعاء بأنه عندما تجتمع اللجنة الثلاثية المؤلفة من تركيا وسوريا والعراق فإن جيراننا يصرون دومًا على بحث مسألة المشاركة فى المصادر المائية، إلا أننا نشرح لهم بأننا حاليا نتوازع المياه معهم، وأنه لهذا السبب فلاوجود لأية مشكلة بالإضافة إلى أننا نتقاسم المياه دون أى إلزام قانونى يحملنا على ذلك[٢].

وتؤكد تركيا حق التصرف بمياه النهرين ضمن حدودها السياسية كما تشاء ، وعلى الرغم من إقرار تركيا بأحد مبادئ القانون الدولى ألا وهو مبدأ عدم الاضرار بالغير، فهى تصر على

١- نبيل السمان : المياه وسلام الشرق الأوسط. مرجع سابق، ص٧٤ .

٢- حسن شلبى وطارق مجذوب: المرجع السابق، ص٢٦٦ .

أن دجلة والفرات تركيان لأنهما ينبعان من الأراضى التركية، وأكد الرئيس ديميريل فى حفل تدشين سد أتاتورك أنه على العراق وسوريا ألا يقلقا بسبب تنفيذ المشروعات التركية، ولكن الفرات ودجلة وروافدهما هى ملك لتركيا من الحدود مع هذين البلدين ، وأن تركيا يمكنها أن تستخدمها مثلما تريده .

ويلقى مبدأ عدم إحداث ضرر بالغ أيضًا تأييداً واسعًا ، ويجب طبقا لهذا المبدأ أن تمتنع الدول المتشاطئة لمجرى مائى عابر الحدود بصورة متبادلة عن إحداث الأثر البالغ فى استخدامها له، ولم تنظر تركيا أبدا إلى مياه حوض الفرات ودجلة أو تستخدمها كوسيلة للضغط على الدول المشاطئة فى أدنى النهر، بل حرصت تركيا إلى أقصى حد علي إطلاق كمية المياه التى التزمت بها من نهر الفرات طبقًا لمبدأ الانتفاع المنصف [1].

مبررات الجانب التركى لقطع مياه الفرات ومشروعاته الطموحة:

١- عدم وجود اتفاقية دولية مبرمة بين الدول الثلاث ، تحدد حصة كل دولة فى مياه النهر، فليس بين تركيا والعراق فى هذا الخصوص سوى بروتوكول صداقة وحسن جوار عام ١٩٦٤، يتضمن حقهما فى استخدام مياه دجلة والفرات ، ولايتعرض لمسألة تقسيم المياه بينهما، أما سوريا فلم تتفاوض مع تركيا حول مياه الفرات إلا عام ١٩٨٧، حيث بدأت المباحثات بين الجانبين ، ولم تصل إلى إبرام اتفاقية حتى الآن[2].

ويشكل حوض نهرى دجلة والفرات حوالى ٢٨,٥ ٪ من إجمالى المسطحات المائية التركية الموجودة، نظراً لأنهما يحتلان المكانة الأولى فى الأهمية للمصادر المائية فى تركيا. كما أن ٩٠٪ من المياه الموجودة فى نهر الفرات، ٢٢٪ من المياه الموجودة فى نهر دجلة تنبع أساسًا من تركيا وهى أساسًا من نفس حوض النهر .

كما أن الحق الطبيعى لتركيا هو فى استخدام موارد المياه طبقًا لاحتياجاتها وحدود زمامها. ومن خلال هذا الإطار تتضح الأهمية الأساسية لإنشاء السدود من قبل تركيا على نهر الفرات كعملية تنظيم لتدفق المياه، ولتوليد الكهرباء. وهكذا نجد أن سد أتاتورك يقوم أيضًا بدور فى خدمة الزراعة والرى.

١- وزارة الخارجية التركية ، قضايا المياه بين تركيا وسوريا والعراق: مايو ١٩٩٧ ، ص٢٥-٢٦ .

٢- عبد الرازق بركات : مرجع سابق، ص١٤ .

وأن البلاد التى تقع فى اتجاه مجرى النهر سوف تستفيد من عمليات تنظيم المياه التى تقوم بها سدود مشروع غاب، ففى خلال فصل الصيف يقوم نهر الفرات بتصريف مياهه إلى أسفل لكى تصل إلى ١٥٦م٣ فى الثانية، بينما بعد الشتاء وعندما يذوب الثلج من الممكن أن يرتفع ذلك الرقم إلى ٥٠٠م٣ / ث .

وهكذا فإن لم يكن هناك سدود فإن ذلك معناه أن البلاد التى فى اتجاه مجرى النهر ستكون بدون مياه من خلال الصيف ، ويجعلها تواجه الفيضانات فى الربيع، حيث أنه من ١٩٨٩ : ١٩٩١ شهدت البلاد ثلاث سنوات متتابعة من الجفاف ، وبالتالى فالفضل يرجع إلى هذه السدود، حيث استمرت كل من سوريا والعراق فى الحصول على المياه بصورة منتظمة ، ولم تتأثر بذلك الجفاف، وأن كمية المياه التى تمر من خلال الحدود التركية السورية فى سبتمبر ١٩٩١ كانت ٥٠٠م٣ / ث بينما متوسط تصريف الفرات كان أقل من ١٠٠م٣ فى الثانية، وهذا الأمر يعد علامة وإشارة قوية للاستفادة من الخزانات والسدود فى هذه المنطقة [١].

وهكذا فلقد أعربت تركيا وستظل مستمرة فى التعبير عن بالغ اهتمامها بجعل المياه متوفرة ومن الممكن الحصول عليها بالنسبة لجيرانها من خلال حدودها المسيطرة.

سد أتاتورك :

فى يناير ١٩٩٠ وخلال مرحلة التعبئة الأولى لخزان سد أتاتورك لم يقم الخزان بأطلاق هذه المياه لمدة شهر، ولقد تم تفسير هذا الموقف من قبل بعض من الدوائر الإعلامية أنه أمر مقصود واتجاه من أجل حرمان الدول الجيران من المياه ، أو من أجل إحداث تلفيات وخسائر لهذه الدول وهنا فالأرقام توضح وتؤكد أن ذلك بعيد كل البعد عن الحقيقة وتبين أيضًا كيف أن مثل هذه الادعاءات تعد ادعاءات متميزة .

حيث أن حقيقة ما حدث هو أنه فى يناير ١٩٩٠ عندما لم يتم إطلاق الماء كان ذلك الأمر يرجع إلى بعض الأمور الفنية ، ومع بداية مراحل هذا المشروع فلقد كانت حقيقة معروفة للجميع ، وهى أنه عندما اكتمل بناء السد ووصل إلى مرحلة تعبئة المياه، انقطعت المياه لفترة

١- Mehmet Golhan ; Inaugural speech of the Water as an Element of Cooperation and development in the middle east conference at Turkish review of middle east studies, Ankara October 4 , 1993 , p. 176 .

زمنية معينة، ولقد تم اتخاذ جميع الاجراءات والتدابير من أجل التحقق من أن كلاً من سوريا والعراق لن تعانيا من مثل هذا السد، ومنذ الفترة التي تراوحت ما بين الثالث والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٨٩ وحتى الثالث عشر من شهر يناير ١٩٩٠ ، وهى الفترة التى شهدت انغلاق بوابات السد وبدء عملية ملء السد فى الثالث عشر من شهر يناير ١٩٩٠، قد تم إطلاق ٧٦٨م٣ / ث نحو الحدود التركية السورية واستمر انسياب المياه التى تأتى من الروافد التى تلتقى بالفرات فيما بين سد أتاتورك والحدود الدولية السورية إلى سوريا فى الفترة من الثالث عشر من شهر يناير، والثانى عشر من شهر فبراير ١٩٩٠ التى تشمل فترة ملء السد وهكذا فإنه حتى فى خلال تلك المرحلة والتى تشمل أيضًا الشهر الذى تم خلاله ملء السد تم تنفيذ عملية إطلاق المياه بأكثر من الكمية التى التزمت بها تركيا وهى ٥٠٠م٣ / ث ، وهذا هو ما تم مراقبته من خلال الحدود بين الدول بعضها البعض[1].

وضعت تركيا نموذج ثابت لروح تعاونها عن طريق مشروع خط أنابيب مياه السلام، إن المغزى الحقيقى لمشروع مياه السلام هو القدرة على الإشارة إلى أن المياه من الممكن أن تكون عنصراً من عناصر التعاون فى المنطقة ، وأن هدف تركيا من وراء مثل هذه المخاطرة بتقديم تلك التضحية الكبرى، وتقديم جزء من مياهها التى تدخرها لاستعمالها الشخصى، هو أن تتعاون مع جيرانها في مجال المياه، وبهذه الطريقة قد شجعت الاستقرار والسلام الإقليمى ، ولمثل هذا السبب أطلق على المشروع : مشروع السلام.

وعندما قامت كل من إسرائيل والفلسطينيين بتوقيع اتفاقية السلام التى أنهت خمسين عامًا من الصراع واقتنع الطرفان بوقف القتال، اعتقدت تركيا أن مثل هذا الاتفاق من الممكن أن يكون مفيداً جداً بالنسبة للسلام والتعاون فى المنطقة، وذلك إذا ما قامت جميع الدول المشتركة بعمل تقييم لمشروع مياه السلام[2].

وعلى الرغم من أن سوريا تطالب بأكثر من الـ ٥٠٠م٣ / ث التى تسمح تركيا بتدفقها إليها فإن المصادر التركية تتحدث عن مرونة سورية فى شأن اقتسام المياه وذلك بالموافقة على مبدأ تقاسم النسب وليس الحصص بما يسمح باقتسام فترات الفائض والعجز بشكل عادل،

١- Ibid , p. 177.

٢- Ibid , p. 187.

وتؤكد على أنها لن تستخدم المياه كسلاح سياسى، وهى تدعو إلى عقد قمة دولية لمعالجة هذه القضية بمشاركة سورية تكون جزءاً من عملية أوسع لإقامة تعاون اقتصادى إقليمى شامل مبنى على الاعتماد المتبادل الذى يزيل خطر الحروب من أجل إقامة بنية تحتية لاقتصاد زراعى صناعى يجعل تركيا قوة اقتصادية كبرى فى المنطقة مع بدايات القرن الحادى والعشرين[١].

وهكذا يرى الأتراك أن الفرات نهر عابر وليس نهراً دولياً فيتوصلون إلى نتيجة تخولهم حق التصرف بالمياه استثماراً فى الزراعة وإنتاج الطاقة الكهربائية . فمفهوم النهر الدولى عند الأتراك هو النهر الذى تقع ضفتاه فى أراضى دولتين متقابلتين فقط[٢].

ويتسم الموقف التركى فى هذه المشكلة الشائكة بالحنكة السياسية من ناحية والتصرف من منطلق البقاء للأقوى من الناحية الأخرى.

فلقد انتهزت تركيا وجهة النظر السورية التى تنادى بوجوب توزيع المياه على أساس احتياجات المشاريع القائمة بالفعل قيد التنفيذ ومثيلتها المخطط لتنفيذها فى البلدان الثلاثة، وسارعت (أى تركيا) بتخطيط وتنفيذ ما يقرب من ثلث مشروع النهوض بشرق وجنوب شرقى الأناضول وهو مشروع غاب، واستغلال ما تنادى به سوريا من جهة وانطلاقاً من وجهة النظر التركية من جهة أخرى والتى تتمثل فى وجوب اعتبار نهرى دجلة والفرات نهرين عابرين للحدود تماماً كنهر العاصى، حيث تثير تركيا موضوع هذا النهر الذى تسببت المشاريع السورية فى شبه جفاف مياهه الواصلة لتركيا وذلك كورقة رابحة لصالح تركيا فى أى من المناقشات والاتفاقيات التى تتم المطالبة بها بشأن دجلة والفرات خاصة أن سوريا وهى بلد على النهر ترفض حتى الآن إجراء أى من الاتفاقيات أو المباحثات مع تركيا وهى دولة أسفل النهر[٣].

نظراً لتضمن أى اتفاق أو مباحثات بهذا الشأن لاعتراف ضمنى من سوريا بسيادة تركيا على منطقة لواء الاسكندرونة – وفى الواقع فإن تركيا تدرك جيداً أن سوريا تبذل قصارى

١- عرفان نظام الدين: تركيا والعرب خليط الماء والزيت والتاريخ والجغرافيا والعداوات والمصالح الدائمة فى الباحث العربى مركز الدراسات العربية- لندن العدد السابع والعشرين ، يوليو ، سبتمبر ١٩٩١ ، ص١٧ .

٢-إبراهيم أحمد سعيد : مرجع سابق، ص١٢ .

٣- خالد محمد عبد الحليم الأصور: حقوق سوريا والعراق دولتين المصب مع تركيا دولة المنبع فى التوزيع العادل لمياه نهرى دجلة والفرات. فى المياه العربية وتحديات القرن الحادى والعشرين، مرجع سابق ص١٥ .

جهودها لعدم إثارة موضوع نهر العاصى [١]. ولذا تصر تركيا على استغلال هذه الورقة الرابحة من وجهة نظرها للتركيز عليها ومناقشة المشاكل المائية ليس فقط مع جيرانها العرب، بل وأيضًا فى المحافل الدولية.

وهنا نجد أن تركيا قد عادت مرة أخرى لاستخدام حكمتها السياسية خاصة أن تطبيق مبدأ الاستخدام الأمثل يتطلب تشكيل العديد من اللجان الفنية لدراسة أصناف التربة فى كل من البلدان الثلاثة وتحديد أصناف وأنواع المحاصيل الزراعية التى توجب زراعتها دون غيرها على أسس فنيه علميـة وبالتالى تحديد الاحتياجات المائيـة ، وتهدف تركيا من وراء ذلك إلى الاستثمار بالحصص المائية نظرًا لتمتع الأراضى الزراعية التركية بجودة التربة ووسع رقعتها على خلاف المتواجد فى كل من سوريا والعراق [٢].

السياسة التركية وخطة المراحل الثلاث :

تقدمت تركيا إلى كل من سوريا والعراق بخطة تهدف إلى ترشيد استخدام مياه حوضي نهرى دجلة والفرات ، يطلق على هذه الخطة اسم «خطة المراحل الثلاث للانتفاع الأمثل والمنصف والمعقول للمجارى المائية العابرة للحدود فى حوض نهرى دجلة والفرات » وقد قدمت لأول مرة خلال الاجتماع الخامس للجنة الفنية المشتركة من الخامس إلى الثامن من شهر نوفمبر ١٩٨٤، وقد كررت تركيا هذا الاقتراح خلال الاجتماعات المتلاحقة للجنة الفنية المشتركة وفى الاجتماع الثلاثى على المستوى الوزارى الذى عقد فى السادس والعشرين من شهر يونيو ١٩٩٠، وفى المباحثات الثنائية مع سوريا والعراق فى ١٩٩٣ . وتضمن هذه الخطة المراحل التالية[٣].

المرحلة الأولى: دراسة مسحية للمواد المائية.

المرحلة الثانية: دراسة مسحية للأراضى.

المرحلة الثالثة : تقييم موارد المياه والأراضى.

١- طارق المجذوب : التعاون العربى- التركى فى مشاريع البنية التحتية والمياه والطاقة الكهرومائية ، بيروت ، مجلة المستقبل العربى العدد ١٨٨، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٠ أكتوبر ١٩٩٤ ، ص٨١ .

٢- المرجع نفسه .

٣- Gin Kut , " Burning Waters : the hudropolitics of the Euphrates and Tigris" Prespectives on Turkey , No , 9, Isbanbul, fall 1993, pp. 12-13 .

المبحث الثانى : وجهة النظر السورية:

تؤكد سوريا على اعتبار نهر الفرات نهراً دولياً تنطبق عليه مبادئ القانون الدولى من حيث شروط التقاسم لنسب استغلال المياه المعترف بها دولياً ، وهى ترفض الإدعاء التركى بأنه نهر تركى يمر بحدود الغير والتقسيم العادل يقتضى ألا يكون هناك إهدار للمياه من أى جانب وأن الهدر يأتى من إنخفاض المستوى التكنولوجى للاستغلال ، وإذا كانت التكنولوجيا التركية قد سجلت بعض التقدم، فالمفروض فى علاقة الجوار التعاون لتحقيق الأهداف المشترك برفع المستوى التكنولوجى للبلد الآخر.

وتنظر سوريا إلى أى استثمار لنهرى دجلة والفرات نظرة يشوبها القلق نظراً لاعتقادها الراسخ بأن الوقت الذى ستحرم فيه من المياه آت لامحالة، لذا فقد تحولت مشكلة المياه إلى صراع وصل إلى حد التهديد العسكرى بين تركيا وسوريا ولو بشكل مستتر [١].

وترى سوريا أن السلوك التركى الرافض لتقسيم مياه دجلة والفرات يتناقض مع مبادئ القانون الدولى ، ولاسيما مع مبادئ قانون استخدام المجارى المائية الدولية للأغراض غير الملاحية الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢١ / ٥ / ١٩٩٧ م[٢].

كما يتناقض مع الاتفاقات التى أبرمتها تركيا نفسها حول استخدام نهر «آراكس الحدودى» مع الاتحاد السوفيتى سابقاً، والتى تقضى بتقاسم المياه مناصفة متبعين فى ذلك خط الحدود الذى يفصل بين تركيا وجمهوريات الاتحاد السوفيتى[٣]، وكذلك أيضاً مع اليونان بشأن استخدام مياه نهر «ماريزا- أبيروس» من عشرات السنين. ثم إن ما تطرحه أنقره حول

١- خالد محمد عبد الحليم الاصور: مرجع سابق ، ص١٠ .

٢- فقد تمكنت لجنة القانون الدولى من إعداد مشروع اتفاقية دولية عامة تمت الموافقة عليه من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٩٧، ولكن هذه الاتفاقية، لاتصلح لتطبيقها بصورة مباشرة على جميع الأنهار الدولية، لأنها اتفاقية إيطارية تشتمل على المبادئ والقواعد العامة التى ينبغى أن تراعيها الدول حال قيامها بإبرام اتفاقيات ثنائية أو إقليمية فيما بينها من أجل تنظيم الاستخدامات غير الملاحية للمجارى المائية الدولية: انظر: سعيد سالم جويلى: قانون الأنهار الدولية فى: المياه العربية وتحديات القرن الحادى والعشرين. مرجع سابق، ص١٦ .

٣- خالد العزى : مشكلة الأنهار الحدودية المشتركة بين العراق وإيران، بغداد ، مطبعة شفيق ، ص٨٦ .

بورصة المياه الدولية يتناقض مع بروتوكول عام ١٩٨٠ بين سوريا وتركيا والعراق الذى شكلت بموجبه اللجنة الفنية المشتركة لمناقشة قضايا المياه المشتركة ووضع أسس اقتسامها بشكل عادل ومعقول، والتفاوض من أجل حل النزاعات المشتركة، والالتزام بتنفيذ الاتفاقيات المبرمة، ولعل دمشق تجد نفسها أمام تحد لايمكن تجاهله وهو يكبر يومًا بعد يوم وخصوصًا أن أنقره تجاهلت المطالب السورية العراقية، وتترجم هذا التجاهل من خلال استخدامها لورقة المياه كوسيلة ضغط على مصالح سوريا الاقتصادية ومشاريعها الزراعية الحيوية، ومن خلال ذلك ادعاءاتها بالملكية الحصرية لمياه الرافدين تحاول تركيا أن تجد مبرراً قانونيا وأخلاقيا لبيعها الماء المستقطع من حصة سوريا والعراق والمأخوذ من روافد نهر الفرات إلى إسرائيل التى اشترت ١٥٠ مليون متر مكعب من تلك المياه بصفقة تمت خلال زيارة الرئيس التركى ديميريل إلى القدس المحتلة فى مايو عام ١٩٩٦م[١].

وعلى هذا الأساس ترى سوريا أن هذين النهرين يجب أن تقتسمهما الدول المشاطئة طبقًا لحصص يتم تحديدها وفقًا لمعادلة رياضية بسيطة تقوم على ما يلى:

- أن يتم حساب إمكانيات كل من النهرين، فى كل من الدول المشاطئة .

- إذا لم يتجاوز إجمالى المتطلبات ، كما أعلنتها الدول المشاطئة الثلاث طاقة نهر ما، فإن الكمية الزائدة يجب أن تطرح بصورة تناسبية من متطلبات كل من الدول المشاطئة.

وتقول سوريا أنه خلال ملء خزان سد أتاتورك ، تصرفت تركيا بما يتعارض مع روح حسن الجوار وتسببت فى ضرر بالغ للزراعة السورية ولتوليد القوى المائية والمرافق الخاصة بامدادات المياه[٢].

وإذا أضفنا أن تركيا هى الدولة الأكثر تمتعًا بالمياه وبالموارد الاقتصادية الأخرى نسبيًا، وأن الجانب التركى كان يستفيد دائمًا من الخلاف بين سوريا والعراق، وأنه كان يسعى دائمًا لعقد

١- حسن على بن على: المرجع السابق، ص٨٨-٨٩ .

٢- Zubeirfarah Abou Dauod, Consultant for Irrigation and Hydraulic structures (syria) A Round table discussion " the Euphrates water " issue" by arab research center , London , february , 19 th 1990 .

الاجتماعات، على مختلف الأصعدة ، للاستفادة منها من الناحية الإعلامية ولدى مؤسسات التمويل المقرضة، وأنه كان يماطل لكسب الوقت اللازم لتنفيذ مشاريعه المائية الضخمة .

وإذا انطلقنا من :

١- توصيات معهد القانون الدولى فى سالزبورغ عام ١٩٦١ التى تقترح قسمة المياه المشتركة بالتساوى ، أى الثلث لتركيا والثلثين لسورية والعراق.

٢- وساطة البنك الدولى فى عام ١٩٧٥ التى انتهت إلى أن تكون حصة تركيا من مياه نهر الفرات حوالى ثلث واردات النهر.

٣- الاقتراح الذى قدمه الجانب العراقى إلي الجانب التركى فى بداية عام ١٩٩٠ حول قسمة مياه الفرات مثالثة أى الثلث لتركيا والثلثين لسورية والعراق ولم يعقب الجانب التركى عليه أى لم يرفضه من حيث المبدأ.

وإذا أضفنا أن تركيا هى دولة المجرى الأعلى للنهر ، أى دولة المنبع، لكن الغنية بالمياه والمكتفية ذاتيًا من الناحية الغذائية ، وأن سورية هى الدولة الأفقر بالموارد المائية والاقتصادية نسبيًا ، وأن للعراق حقوقًا مكتسبة لايمكن نكرانها وأنه غنى بالمياه والموارد البترولية ، فإن مجمل هذه العوامل يجعلنا نرى أن قسمة مياه الفرات بنسبة الثلث لتركيا والثلثين لسورية والعراق مع المحافظة على الانفاق السورى العراقى فتكون القسمة الأكثر عدلاً ومعقولية مستقبلاً [١].

وبالنسبة لنهر دجلة فإن وارده المائى للحدود السورية التركية حوالى ١٨,٥ مليار م٣ سنويا بينما يبلغ حجم تخزين السدود التركية ١٨,٥مليار م٣ أيضًا فى حين لاتوجد سدود سورية على دجلة [٢].

ولقد قدمت الحكومة السورية فى الثالث من شهر فبراير ١٩٩٥ مذكرة احتجاج لدى الأمم المتحدة وأعضاء مجلس الأمن الدولى على السد التركى الجديد «بيره جيك» . وقد اعترضت سوريا علي الموافقة علي تمويل مشروع على نهر دولى قبل الرجوع إلى الدول المتشاطئة وكانت

١- ماجد داوود : مرجع سابق، ص٢٣ .

٢- خالد الأصور: مرجع سابق، ص١٠ .

سوريا قد قدمت احتجاجا فى الثامن عشر من شهر يونيو عام ١٩٩٣، لعدم إبلاغ السلطات السورية ، تركيا رغبتها فى إقامة السد والتنسيق ليس انطلاقًا من الالتزام بعدم التسبب فى ضرر ملموس فحسب، بل أيضا انطلاقًا من مبدأ المساواة فى السيادة بين الدول ومراعاة حسن الجوار والرغبة فى تنمية العلاقات الودية[1].

نتائج المباحثات المائية :

أسفرت المباحثات المائية بين دول حوض الفرات منذ بدأت عام ١٩٦٢ عن النتائج التالية :

١- توقيع اتفاقية التعاون الاقتصادى والفنى بين سوريا وتركيا فى يوليو ١٩٨٧ تضم بندا خاصًا بالمياه الذى تعهدت فيه تركيا بأن يكون تصريف نهر الفرات لايقل عن ٥٠٠م٣ / ث . وأهمية هذا الاتفاق أنه أكد على التزام تركيا بواجب التوزيع النهائى لمياه الفرات خلافًا لادعاءاتها بأن هذا التوزيع غير ملزم لها بحجة أن نهر الفرات نهر تركى عابر للحدود .

٢- توقيع اتفاق أبريل ١٩٨٩ بين سوريا والعراق تتقاسم بموجبه الدولتان مياه نهر الفرات بواقع ٥٨٪ للعراق من الوارد السنوى للنهر على الحدود السورية- التركية فى الدولتين و٤٢٪ لسورية وذلك حتى التوصل للاتفاق النهائى الثلاثى.

٣- لدى قيام رئيس الوزراء التركى سليمان ديميريل (آنذاك) بزيارة لسوريا فى يناير ١٩٩٣، جرى تأكيد التزام تركيا بالتوزيع النهائى لمياه الفرات تأكيداً لاتفاق عام ١٩٨٧م[2].

السياسة السورية ومحاولات التأثير والضغط على تركيا :

تجرى محاولات التأثير والضغط هذه على أكثر من صعيد، كتنسيق سورية والعراق، ومحاولتهما خلق موقف عربى موحد إزاء تركيا، وتحذيرها من مخاطر التعاون العسكرى بين تركيا وإسرائيل ، فضلاً عن الموقف السورى من مسألة التمرد الكردى التركى فى تركيا.

١- نبيل السمان : المياه وسلام الشرق الأوسط. مرجع سابق، ص٨٦ .

٢- عبد العزيز المنصور : السياسة السورية تجاه المسألة المائية مع تركيا . دمشق معهد البحوث والدراسات العدد ٢٨ ديسمبر ١٩٩٧ ، ص٦٤ .

١- التنسيق السورى العراقى:

وفى الواقع يمكن القول أن التنسيق السورى العراقى يأتى على درجة كبيرة من الأهمية، نظراً لأنه يشكل عنصراً أساسيًا فى موقف عربى موحد فى الحوار مع تركيا، كما أنه بدون هذا التنسيق لايمكن تصور وجود قسمة عادلة ومنصفة لمياه نهرى دجلة والفرات [١].

٢- سورية ومحاولة خلق موقف عربى إزاء تركيا :

تسعى سوريا إلى حشد دعم عربى ضد إجراءات أنقره فى مجال المياه، بل ترى ضرورة مبادرة العرب للوقوف معها، كما أن القانون الدولى والتعهدات التركية السابقة والعلاقات العربية التركية ، كلها أمور تسمح لسوريا بحشد تأييد عربى ودبلوماسى لدفع أنقره إلى المفاوضات ، توصلاً إلى قسمة عادلة لمياه الفرات ، حتى لايبقى الأمر مرهونا بنيات الحكومة التركية خصوصًا إذا انتهت المشاريع التركية على مجرى الفرات ودجلة .

ومن الملاحظ أن الفترة القصيرة التى شهدت أجواء إيجابية- أو غير متوترة- فى مسيرة العلاقات بين البلدين (سوريا وتركيا) كانت فى عام ١٩٩٤ . عندما كان ثمة أمل فى تقدم على المسار السورى- الإسرائيلى . ومع الجمود فى المفاوضات عاد التوتر [٢].

ومن منطلق إدراك سوريا لما سيلحق بها وبالعراق من آثار سلبية نتيجة السياسات المائية التركية، عبرت سوريا بوسائل شتى عن قلقها من تلك السياسة، ونظراً لتصلب تركيا فى حل مسألة تقاسم مياه نهرى الفرات ودجلة ، حاولت سوريا ومعها العراق، خلق موقف عربى موحد إزاء تركيا للتأثير على هذه الأخيرة بشأن سياستها المائية ، حيث تقدم البلدان للجامعة العربية بمذكرتين منفصلتين عن قضية دجلة والفرات وطالبا الدول العربية بتطبيق أسس خاصة تتعلق بالقروض العربية ، سواء من الصناديق العربية أو من الحكومات النفطية لدول العالم العربى، حيث تقترن القروض العربية بمدى التزام تلك الدول بالحقوق المائية العربية وفق قواعد القانون الدولى [٣].

١- عبد العزيزالمنصور : مرجع سابق، ص٣٦٨ .

٢- هيثم الكيلانى: مرجع سابق ، ص٨٢-٨٣ .

٣- عبد العزيز المنصور : مرجع سابق، ص٣٦٩ .

المبحث الثالث: وجهة نظر العراق :

يؤكد العراق أن له حقوقًا مكتسبة تتضمن نظام الرى التاريخى من نهرى الفرات ودجلة، وحيث أن هناك بعدين للحقوق المكتسبة أحدها يرتكز على حقيقة أن تلك الأنهار أعطت الحياة إلى سكان منطقة ما بين النهرين لآلاف السنين مما يجعل لهذا الشعب حقًا مكتسبًا فيها، وبالتالى لايحق لدولة مشاطئة فى أعالى النهر أن تنتزع حقوق هؤلاء السكان، وينبع البعد الثانى للحقوق المكتسبة من منشآت المياه والرى القائمة . فالعراق لديه ١.٩ مليون هكتار من الأراضى الزراعية فى حوض الفرات ، بما فى ذلك أنظمة رى تاريخيه بقيت من العهد السومرى، فنجد فيما بين النهرين بقايا لأعمال الرى القديمة من ترع وسدود نهرية وقد وجد فى مقبرة الملكة سميراميس ملكة أشور كتابة : تذكر على لسان الملكة قولها إننى استطعت كبح جماح النهر القوى ليجرى وفق رغبتى وسعت ماءه لإخصاب الأراضى التى كانت قبل ذلك دوراً غير مسكونة [١].

ويرى العراق الآتى [٢]:

أولاً : تأكد كون نهرى دجلة والفرات نهرين دوليين استناداً إلى القوانين والأعراف الدولية.

ثانيا : أن حوض دجلة مستقل عن حوض الفرات من خلال حدود جغرافية وطبيعية .

ثالثًا : أن هدف اللجنة الفنية المشتركة المؤلفة من الأطراف الثلاثة هو البحث فى موضوع قسمة المياه وليس الاستخدام الأمثل للمياه.

رابعًا : ضرورة تحديد سقف زمنى لحسم موضوع قسمة المياه .

خامسًا : تؤكد موضوع نوعية المياه إضافة إلى الكمية .

ويؤكد العراق على أن تدفق المياه خلال فترة الإغلاق بمعدلات منخفضة أدى إلى ظهور الملوحة فى المياه لدى العراق، كما زادت نسبة مكونات الأجسام الصلبة فى المياه ووصلت إلى ٦٧٪ مع زيادة نسبة الكبريت مما يؤثر فى صلاحية المياه بالعراق ليس فقط خلال فترة التدفق

١- مصطفى القاضى: تاريخ الرى فى مصر والوطن العربى. المؤتمر القومى للمياه جمعية المهندسين المصريين، القاهرة فبراير ٩٢ ، ص٢٠١ .

٢- عايده العلى: دول المثلث ، مرجع سابق ص ٢٨٩ .

المنخفض ولكن فى المستقبل عمومًا ، كما أن العراق مُضار من البروتوكول الموقع بين سوريا وتركيا عام ١٩٨٧ حيث إن نسبة حصته ٩ مليارات م٣ سنويًا تقريبًا . وهذا المقدار يحتل نصف الحد الأدنى للاحتياجات العراقية، مما يترتب عليه عدم صلاحية ١٦٥ ألف هكتار للزراعة، كما أن استنزاف المياه خلف سد القادسية العراقى سيقلل من إنتاجية مشروع الطاقة الكهرومائية للسد، فضلاً عن توقف السد عن العمل كلية خلال شتاء ١٩٩١ [1].

السياسة العراقية والمشاريع التركية:

يقول ممثل وزارة الخارجية العراقية فى اللجنة السورية العراقية لبحث المياه المشتركة إن وارد نهر الفرات للعراق من المياه كان على مدار التاريخ متوسط قدره ٢١ مليار م٣ سنويًا ، ولكن بعد اكتمال السدود التركية، فمن المتوقع انخفاض الوارد للنصف ، وهو ما لن يكفى حاجة العراق، كذلك الحال على نهر دجلة ، فى حين يبلغ عدد سكان جنوب شرق الأناضول التركية حيث تقام هذه المشاريع حوالى ٣ ملايين نسمة حاليًا .

ويوضح أن تركيا تحاول إجراء تغييرات سكانية بجنوب شرق الأناضول بجذب سكان مناطق تركية أخرى إليها ليصبح عدد السكان بها نحو ٥ ملايين نسمة، بعد أن كانت منطقة طرد سكانى، وتؤكد أن العراق ليس ضد تنمية تركيا، لكن ضد أن تكون هذه التنمية على حساب حقوقه، لأنه كان من المفروض أن تتشاور تركيا مع سوريا والعراق بشأن المشاريع الجديدة، لأن كل دولة من الدول الثلاث يجب أن تضحى بجزء من مخططاتها المستقبلية لتكون مياه النهر كافية لحاجات هذه الدول باعتبار أن هذا مفهوم الاستخدام المنصف للمياه [2].

ويضيف معاون وزير الرى العراقى أن مشاريع بعض السدود على نهر الفرات قد أنجزت مثل كيبان وأتاتورك ، لكن بيرة جيك وقراقميش مازالتا تحت التنفيذ ، وهناك خطة لمشاريع جديدة على دجلة، حيث دعت تركيا لتنفيذ مشروع سد دجلة الرئيسى فى إطار خطط تركيا المستمرة.

ويوضح أن الخطورة تكمن فى أنه فور استكمال هذه المشاريع عام ٢٠٠٥م، واستثمار مياه خزانات السدود لرى أراضى جديدة مساحتها ١,٧ مليون هكتار (حوالى ٤ ملايين فدان) فإن

١- عايده العلى: العرب والفرات ، مرجع سابق، ص٦٧ .

٢- خالد الأصور ، مرجع سابق، ص٨ .

هذه المساحة ستهلك كميات هائلة من المياه ، فضلاً عن أن المشاريع التركية على أساس صرف مياه الصرف الزراعى تجاه الجنوب فى الوديان المتشعبة التى تصب فى العراق وفى سوريا ثم تذهب إلى العراق الذى يكون أكثر تضرراً من سوريا التى تتضرر أيضًا ، حيث يزداد الضرر كلما ذهبنا جنوبًا لزيادة تردى نوعية المياه وتلوثها [١].

دعا رئيس الوفد العراقى المشارك في مؤتمر «مياه العالم تحويل من أجل المستقبل» فى أستانبول – المدير العام فى وزارة الخارجية العراقية أكرم الونزى ، تركيا إلى حل النزاع الطويل بين البلدين على اقتسام المياه ، وأن تدفق المياه ونوعيتها يهددها البرنامج التركى لبناء السدود للرى والطاقة، وأكد أنه فى ظل عدم التوصل إلى اتفاق دائم لاقتسام المياه، يمثل مشروع غاب انتهاكًا واضحًا للقانون الدولى [٢].

ففى مقابلة صحفية مع صحيفة الأهرام القاهرية الصادرة بتاريخ السادس عشر من شهر سبتمبر ١٩٩٧ مع السيد سليمان ديميريل رئيس الجمهورية تحدث فيها عن قضايا المياه ومياه دجلة والفرات ، ومواقف تركيا من هذه المواضيع . وقد اعتبر الجانب العراقى أن إجابات الرئيس التركى عن أسئلة الصحيفة أقوالاً مجافية للحقيقة والواقع ، واحتوت على جملة من المغالطات فى العرف والقانون الدولى. لذا ترى وزارة خارجية العراق توضيح الأمور وفق مبادئ القانون والعرف الدولى فى المذكرة العراقية التى قدمها مندوبنا الدائم لدى جامعة الدول العربية فى أول أكتوبر ١٩٩٧ إلى السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، وترد المذكرة على تصريحات الرئيس التركى وتؤكد أن بغداد تتمسك بمبادى القانون الدولى التى تدعو إلى الاقتسام المنصف لمياه الأنهار الدولية على أن يليه الاستخدام الأمثل والمبدأ الأخير هو الذى يدعو إليه الرئيس التركى لتجنب الاتفاق على حصص نهائية بين الدول الثلاث المشاطئة للنهرين وهى تركيا وسوريا والعراق [٣].

١- خالد الأصور : المرجع السابق والصفحة نفسها .

٢- عائدة العلى : دول المثلث . مرجع سابق، ص٢٨٤ .

٣- المرجع نفسه ، ص٢٨٥ .

العراق والخطة الثلاثية التركية :

يفند معاون وزير الرى العراقى هذه الخطة ذات المراحل الثلاث- أى مراحل إجراء مسح هيدرولوجى- وتصنيف التربة، والتقويم والاقتصادى- بقوله : إن هذه الخطة تحتاج لوقت طويل للتنفيذ وهو ما تستغله تركيا لتنفيذ مشاريعها وإيجاد أمر واقع ، وأوضح ناقداً الخطة أن مراحلها وهى:

١- إجراء دراسات ومسح للمعلومات الهيدرولوجية لقياس هطول الأمطار وتصاريف المياه، ونوعيتها فى تركيا وسوريا والعراق عن طريق فرق مشتركة ، وهو ما يحتاج لسنوات طويلة لاعتماد معدلات القياس عليها .

٢- تصنيف التربة فمن المعروف أن أصناف التربة ثمانية وكل صنف له مواصفات إنتاجية، ويتميز الصنف الأول بقبول زراعة كل المحاصيل بانتاجية عالية ، وكلما انخفض الصنف قلت الانتاجية، وتعددت نوعية المحاصيل، والواقع يقول أن أراضى تركيا التى لم تستثمر بطريقة الرى هى صنف أول، ونظراً لأنه يزرع منذ زمن طويل فأن تربته ضعفت ، والصنف الأول به قليل ، لذلك لجأ لاستصلاح الأراضى لتحسين صنف التربة.

٣- التقويم الاقتصادى ، أى تحديد أفضلية توظيف المياه، بمعنى أن يكون هناك أولوية للصنف الأفضل من الأراضى على ما يليه ، ويعنى ذلك تخفيض معظم المياه لأراضى الصنف الأول بتركيا ، ويتم تحويل المتبقى لسوريا والعراق، وخطورة هذا المنهج إهماله البعد التاريخى، فهناك حضارة وادى الرافدين منذ القدم ، وهناك مجتمع يضم ملايين الأشخاص ، وهناك زراعات واستقرار، لذلك لايمكن أن نوافق على تخصيص معظم المياه لجانب واحد.

ويستطرد قائلاً : إذا قومنا السياسة المائية لتركيا فأنها تمثل تدخلاً فى الشئون الداخلية للدول، فعندما نسأل عن السبب فى زراعة محصول يستهلك مياهًا كثيرة كالأرز، فهذا يعد تدخلاً فى السياسة الزراعية للبلد الآخر، فقد اعتاد العراقيون فى محافظة النجف على الفرات زراعة الأرز منذ القدم، فلايمكن لتركيا- وفق الخطة الثلاثية- أن تطالب بعدم زراعته واستهلاكه مياهًا كثيرة ، إذ أن المفروض حصول العراق على حصته وله حرية التصرف فيها .
أما ما تروج له تركيا بشأن أن حوض نهر دجلة وحوض نهر الفرات حوض واحد، ويمكن للعراق استثمار مياه دجلة لتغطية نقص مياه الفرات ، فهذا المنطق لايمكن قبوله لأنه ليس صحيحًا

من الناحية الطبوغرافية لأن أحواض التغذية بالمياه لكل نهر معزولة عن الأخرى مما يصعب معه نقل المياه من دجلة إلى الفرات[1].

ويرى العراق أن مفهوم الاستخدام الأمثل للمياه يتضمن التنمية الشاملة للموارد المائية وحمايتها من التلوث بهدف ضمان استثمارها على أفضل وجه وحسن توزيعها ، وبما يتطلبه ذلك من اعتماد أساليب الرى الحديثة لتقليل الفواقد، وزيادة كفاية الرى بكميات المياه التى تهدر فى البحر، إضافة إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة التى تحول دون تصريف المياه المتخلفة عن النشاطات الزراعية والصناعية والمدنية إلى الانهار للحد من أسباب التلوث ، ويرى العراق أن الجوانب القانونية والفنية التى يتحدد فى ضوئها جوهر هذا المفهوم تنبع من حق كل دولة من الدول المتشاطئة فى الانتفاع بحصة عادلة ومعقولة من مياه ذلك المجرى لكي تستطيع فى ضوئها وضع الخطط والسياسات الكفيلة بتحقيق الاستخدام الأمثل .

أن الاتجاه العام فى القانون الدولى هو ضد التفسير التركى لهذا المفهوم (خطة المراحل الثلاث) فلايمكن تحقيق الاستخدام الأمثل إلا بعد الاتفاق على تطبيق مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول الذى تتحدد فى ضوئه حصة كل دولة من الدول المتشاطئة . وقد انعكس هذا الاتجاه فى مواد اتفاق استخدام المجارى المائية فى الأغراض غير الملاحية التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى الحادى والعشرين من شهر مايو عام ١٩٩٧م[2].

التنسيق العراقى السورى :

عقدت محادثات بين البلدان الثلاث للتوصل إلى تقسيم عادل لمياه الفرات بشكل متقطع فى بداية عام ١٩٦٠، وفى عام ١٩٦٦ تعهدت تركيا بتزويد كل من سوريا والعراق بـ ٣٠٠م٣ / ث من المياه ، إلا أن القضية قامت مجدداً بشكل أكثر حدة فى بداية السبعينيات ، عندما اقتربت السدود التركية والسورية من مرحلة الاكتمال ، فأعلن العراق وبشكل خاص عن مخاوفه من إمكان فقدانه للمياه، كما أن خلافاته مع سوريا بهذا الشأن أبرزت نقاط الصراع الموجودة من قبل بينهما وعقب بروتوكول ١٩٨٧ المبرم بين تركيا وسوريا ، تبع ذلك الاتفاق

١- خالد الأصور : مرجع سابق ، ص٩ .

٢- عايده العلى: دول المثلث ، مرجع سابق، ص٢٨٧ .

المرحلى بين سوريا والعراق الموقع فى السابع عشر من شهر أبريل عام ١٩٨٩ والذى أصبح نافذا اعتباراً من السادس عشر من شهر أبريل عام ١٩٩٠، على أنه إدراكا من الطرفين لضرورة الإسراع بالتوصل لاتفاق ثنائى بينهما تسهيلاً لتحقيق رغبتهما المشتركة بالتوصل لاتفاق ثلاثى كامل نهائى مع الجانب التركى حول اقتسام مياه نهر الفرات، فقد أعلن الجانبان ريثما يتم التوصل للاتفاق النهائى على أن تكون حصة العراق المقررة له على الحدود العراقية السورية بنسبة إجمالية سنوية ثابتة (سنة مائية) قدرها ٥٨٪ وأن تكون حصة سوريا ٤٢٪[١].

لاشك أن التعاون والتنسيق بين سوريا والعراق يأتى على درجة كبيرة من الأهمية ، سواء فى أمور السياسة العربية بصفة عامة، أم بصورة أخص فى أمور السياسة، المائية، حيث أن الخلاف السورى- العراقى المحتدم والمستمر حال دون تنسيق المواقف بينهما فى مواجهة تركيا[٢].

وفى الآونة الأخيرة يلاحظ وجود مؤشرات عديدة لاقتراب عاقل وهادئ بين سوريا والعراق، كفتح الحدود المشتركة لتصدير سلع وبضائع للعراق بموجب اتفاق «النفط مقابل الغذاء فضلا عن استمرار اجتماعات ولقاءات الفنيين من البلدين لاتخاذ موقف موحد تجاه المسألة المائية فى حوض الفرات، أو رغبة سورية فى حضور العراق قمة عربية تسعى إلى إحياء التضامن العربى. هذه المؤشرات قد تسفر عن إيجاد قاسم مشترك يتم اللقاء عليه بين البلدين العربيين[٣].

واستفادت تركيا من حيث الواقع السياسى فى الخمسينيات لتحقيق أهدافها بتحالفها مع العراق وحاولت تركيا ، وتحاول حتى الآن أن تلعب على الخلاف السورى- العراقى، الأمر الذى يمكن لمسه من تصريح تركى فى عام ١٩٩٩ قال فيه : لو التزمنا بالحقوق الدولية للعراق وسوريا فى مياه الفرات ، ما الذى يضمن لنا أن تصل حصة العراق إليها من سوريا [٤].

١- ماجد داودد، مرجع سابق، ص١٣ .

٢- سامر مخيمر، خالد حجازى: مرجع سابق، ص١١٨ .

٣- عبد العزيز المنصور، مرجع سابق، ص٢٦ .

٤- الطارى،: مرجع سابق، ص٢٨٣ .

وفى السنتين اللتين مرتا على نهاية الحرب بين العراق وإيران(أى حرب الخليج الأولى) وبداية أزمة الخليج، برزت دلالات على أن العلاقات التركية- العراقية لن تكون لطيفة كما كانت فى الماضى القريب، وفى أساس هذا القلق المتجدد شعور فى العراق، على ما يبدو بأنه كان أثناء الحرب شديد الإتكال على تركيا، وقد بات عليه أن يجدد التأكيد على استقلاليته.

هنالك قضايا جوهرية أدت إلى هذا التغيير الخفى . حيث أنه فى يناير ١٩٩٠ ، برزت قضية المياه بقوة (مع انقطاعها لمدة شهر) مما صعب على العراق أن يغفل مسألة وقف جريان الفرات، واتسمت ردود فعل الكثير من العراقيين بالحقد، اعتقدوا أن تركيا لم تكن تتخذ مثل هذه الخطوة لو أن الحرب لم تضعف العراق، وحيال ذلك أخذت بغداد تشير إلى قضية المياه بقوة بعد ذلك[١].

ويرى العراق التناقض فى موقف تركيا إزاء مشكلة مياه الفرات بينها وبين العراق وسوريا، حتي أثناء زيارة رئيس الوزراء التركي الراحل «تورجوت أوزال» للعراق فى الفترة من ١:٣ أبريل ١٩٨٨ ومباحثاته مع النائب الأول لرئيس الوزراء العراقى «طه رمضان» ورداً على إثارة مسئول العراق قضية مياه الفرات والاتفاقية المبرمة بشأنها بين تركيا وسوريا ذكر أوزال أن الاتفاقية التى أبرمتها تركيا مع سوريا بناء علي طلب العراق تشكل اتفاقية ثنائية مؤقتة ولكن الاتفاقية النهائية ستكون على صعيد ثلاثى والنقص الملاحظ فى المياه التى تصل إلى العراق عبر سوريا مشكلة يجب تسويتها بين العراق وسوريا .

فى حين نشرت صحيفة «ديلي تيموز» فى السابع من شهر أبريل عام ١٩٨٨ أن مباحثات رمضان- أوزال شهدت خلافًا حاداً بين الطرفين فى ظل إصرار أوزال على التوصل إلى حل نهائى لمشكلة مياه الفرات عن طريق الاتفاقات بين الدول الثلاث المعنية، وإصرار رمضان على عدم الحاجة لعقد مثل هذا الاتفاق الثلاثى حيث يمكن لتركيا والعراق أن يبرما اتفاقا ثنائيًا على غرار الاتفاق القائم بين تركيا وسوريا ، ولكن انتهت المساومة بين المسئولين التركى والعراقى إلى الاتفاق على عقد اجتماع بين الوزراء المعنيين فى الدول الثلاث خلال صيف ١٩٨٩، وفى حالة موافقة سوريا لوضع أسس تحديد متطلبات سوريا والعراق من مياه الفرات، ويعقبه عقد اجتماعات ثلاثية على المستوى الفنى لتعيين هذه المتطلبات وفقًا لتلك الأسس

١- فيليب روبنس، مرجع سابق، ص٧٩ .

والتوصل خلال عام ١٩٨٩ إلى حل نهائي لهذه المشكلة في اجتماع وزاري ثلاثي آخر مع احتفاظ تركيا في كافة هذه الاجتماعات الوزارية والفنية بحق الفيتو [١].

ورغم مساعي أنقرة وتل أبيب لطمأنه سوريا والعراق بصدد قضية المياه . فليس هناك ما هو غير مقلق منذ زيارة الرئيس الإسرائيلي «عزرا وايزمان» لتركيا عام ١٩٩٤ لتشكيل نقلة نوعية في نطاق العلاقات القائمة بين الطرفين منذ عام ١٩٥٢ . وهذه النقلة على صلة واضحة بما يخطط له بشأن الأوضاع المستقبلية في المنطقة، وأوضحت تلك الزيارة أن العلاقة بين الطرفين انطلقت من التعاون الخفي إلى التحالف المعلن وكان الرمز الأكبر في هذا الانتقال قضية المياه. فقد أعلن وايزمان خلال تفقده سد أتاتورك أن تركيا وضعت تحت تصرف إسرائيل مياه نهر «مانافجات» الواقع على البحر المتوسط بامكانات تصدير تصل إلى مليار متر مكعب يمكن نقلها ببالونات مائية. ووقوف وايزمان على سد أتاتورك الذي يحبس مياه الفرات ١٢٠ يوما في العام والأخطر من ذلك دون شك دخول تل أبيب على خط المساعدة لبناء سد أورفة الذي يستطيع أن يحبس المياه لمدة ٦٠٠ يوما أي تجفيف النهرين عمليا . في حين مازالت ترفض تركيا بأصرار التوصل إلى أي اتفاق حول تقاسم مياه النهر بين الدول الثلاث وما الاتفاقات الفنية القائمة سوى اتفاقات آنية قابلة للإلغاء في أي لحظة رأت فيها أنقرة أنها وصلت إلى الحالة التي تسمح بأعدام النهرين وسوريا والعراق معًا [٢].

والقضية تتمثل في أن تركيا كانت تستغل قبل المشاريع الجديدة ١٠٪ من مياه الفرات . فقفزت هذه الكمية بعد انشاء العديد من هذه المشاريع إلى ٥٣٪ من أصل صبيب الفرات البالغ ٣١,٥مليار / م٣ . وبالطبع ستزداد هذه النسبة بتوسع المشاريع وزيادة تعددها.

فسوريا اعتمادا على العرف الدولي الثابت القائم على التوزيع العادل لمياه الأنهار الدولية ما بين الدول المتشاطئة وكذلك على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في الحادي والعشرين من شهر مايو ١٩٩٧ . تطالب بأن تعين الحصص بميزان من حاجات كل بلد للماء، تُقدر على يد لجان فنية مشتركة، تضع جدولاً لحاجات كل من الدول المتشاطئة الثلاثة، ونظراً لأن صبيب

١- خليل إبراهيم الناصري : مرجع سابق، ص ص١٧٨-١٧٩ .

٢- حسن علي بن علي : رجع سابق، ص ص٩٢-٩٣ .

الفرات لن يكفى لسد كل هذه الحاجات ، إذن يجب على كل بلد أن يُضحى بقسم من حصته المثلى من أجل الوصول إلى معادلة فيها إنصاف للجميع قائمة على التعاون وحسن الجوار ومبدأ التعاقد المشترك الذى فيه تنازلات مشتركة لبلوغ التوزيع المنصف [١].

المبحث الرابع : موقف جامعة الدول العربية:

يمكن وصف موقف الجامعة العربية من قضية مياه دجلة والفرات، بأنه موقف يتسم بالمسئولية القومية فهو يدعو إلى مساندة سورية والعراق وحقوقهما فى مياه النهرين المذكورين، كما يدعو الجانب التركى - حفاظًا على حسن الجوار والعلاقات التاريخية مع العالم العربى- إلى الاستجابة لعقد اتفاق تقاسم ثلاثى للمياه ، يحقق العدالة من ناحية، ويلبى احتياجات البلدان الثلاثة من ناحية أخرى، هذا فضلاً على دعم البلدين العربين تجاه ما تقوم به تركيا من إقامة المزيد من مشروعاتها على نهرى دجلة والفرات، هذا بالإضافة إلى دعوة الجامعة العربية للمؤسسات المالية الدولية إلى الامتناع عن تقديم القروض للأتراك ريثما يتم الاتفاق على اقتسام عادل لمياه النهرين [٢].

ولقد أصدرت جامعة الدول العربية بيانًا فى تونس بشأن ملء خزان أتاتورك وقطع المياه عن سوريا والعراق لمدة شهر، قالت فيه : إن قرار الحكومة التركية يلحق الضرر بسوريا والعراق اللذين يمتلكان حقوقًا تاريخية ثابتة فى مياه الفرات ، وفق أحكام القانون الدولى.

وطالبت الجامعة العربية ، الحكومة التركية بأن تعيد النظر فى قرارها بتقليص فترة القطع، وإعادة النظر فى كمية المياه التى تطلقها خلال فترة الملئ. كما طالبت بضرورة التوصل إلى اتفاق بين تركيا وسوريا والعراق يستند إلى أحكام القانون الدولى، ويعزز علاقات التعاون والأخوة بين تركيا وسائر الدول العربية[٣].

وأيدت جامعة الدول العربية قلقها واهتمامها عبر بيان وجهته بمناسبة حبس المياه عام

١- رفيق جويجاتى : المسألة المائية فى سوريا فى ندوة المشكلات المائية فى الوطن العربى ، مرجع سابق، ص٢٠ .

٢- عبد العزيز المنصور : مرجع سابق، ص٣٦٩ فى ١٨ / ١ / ١٩٩٠ .

٣- عبدالله مرسى العقالى : مرجع سابق، ص٥٦ .

تقصير فترة الحبس وإلى ضرورة الالتزام بقواعد القانون الدولى الذى لايجيز لتركيا- مع النهر ينبع من أراضيها - وقف تدفق مياه النهر من جانب واحد. كما يلزمها القانون الدولى بألا تتخذ أية خطوة تؤثر فى منسوب المياه الواصل إلى البلدين قبل التشاور المسبق معها[١].

وأصدرت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بيانًا فى ٣٠ يوليو ١٩٩٢، يتعلق بمياه نهرى دجلة والفرات ، وطالبت فيه بما يلى :-

-ضرورة التمسك بمبادئ وأحكام القانون الدولى حول القواعد التى تحكم الأنهار الدولية، وعدم الإضرار بالغير والالتزام بتنفيذ الاتفاقيات الدولية.

- تدعيم العلاقات الأخوية وحسن الجوار والروابط التاريخية بين تركيا وسائر الدول العربية.

- توفير الظروف المناسبة التى تساعد الأطراف المعنية على التوصل إلى الاتفاق المنشود حول مياه نهرى الفرات ودجلة سواء على المستويات الثنائية أو الثلاثية منذ عام ١٩٨٢ ، وحتى تاريخه.

وذكر بيان الجامعة العربية أن الأمانة العامة تتابع باهتمام بالغ تطورات الموقف حول مياه نهرى دجلة والفرات وترى أن الموقف الحالى فى منطقة الشرق الأوسط يستوجب توفير كل ما من شأنه العمل على إنجاح مسيرة السلام وإنهاء كل ما من شأنه خلق أى أزمات فى المنطقة[٢].

وأكدت جامعة الدول العربية فى تقرير لها عن «الأبعاد السياسية والقانونية لمشكلة المياه» صدر فى مارس ١٩٩٣، على أن مخطط تقسيم المياه فى العالم العربى- الذى تحاول إسرائيل فرضه على العرب فى المباحثات متعددة الأطراف- ليس مخططًا إسرائيليًا فحسب، بل يحظى باهتمام أمريكى وأوربى ، ويتم إضفاء الشرعية الدولية عليه من خلال المؤتمر الإقليمى للسلام. وتوقعت أن تضع إسرائيل شرطًا تفرضه على العرب للموافقة على مشروع أنابيب السلام التركى المقترح. وحذرت من عدم إقدام إسرائيل على أية خطوة للتسوية قبل فرض شروطها للحصول على المياه العربية، خصوصًا مياه جنوب لبنان. وأشار تقرير الجامعة إلى أن السياسة

١- يوسف عبد الحميد : تركيا ، رؤية استراتيجية ، انعكاس وفرة المياه على مستقبلها السياسى والاقتصادى. عمان صامد الاقتصادى، العدد ٨٩ ، ١٩٩٢ ، ص١٧٩ .

٢- عبدالله موسى العقالى: مرجع سابق، ص٥٧ .

الأمريكية تحاول ربط الثقة بين العرب والإسرائيليين بخطوات فنية على الصعيد المائى، لأنها تراها «مسألة حياة أو موت» بالنسبة لإسرائيل وأن انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة رهن بتجاوب العرب بخصوص مسألة حصول إسرائيل على المياه [١].

كما أن التنسيق السورى- العراقى فى هذا الموضوع قد سهل على مجلس الجامعة العربية فى دوراته المتعددة ، بأن يتخذ القرارات المناسبة والمؤيدة للحقوق السورية والعراقية فى مياه نهرى دجلة والفرات، إضافة لموافقة المجلس بقراره رقم (٥٦٠٢) فى دورته العادية رقم ١٠٦ فى الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٩٦ ، على طلب سوريا بأنشاء مركز الدراسات المائية والأمن المائى العربى وجعل دمشق مقراً لهذا المركز، حيث سيؤدى هذا الأخير دراسات علمية وقانونية وفنيه عن المياه لجميع البلدان العربية[٢].

ويلاحظ فى هذ الصدد أن تركيا تدرك أن التحرك السورى والعراقى للحصول على دعم عربى فى حقوقهما المائية فى نهرى دجلة والفرات قد يفضى إلى موقف عربى جماعى تبلوره الجامعة العربية ، حيث أنه عندما طرحت سوريا المسألة المائية على جدول أعمال مجلس الجامعة العربية ، قام الرئيس التركى سليمان ديميريل بمخاطبة الجامعة، وطالب بحذف الموضوع من جدول الأعمال فهذا يدل على أن الموضوع يقلق الأتراك الذين يخشون أن يتخذ موقفا عربيًا يرتبط فى يوم من الأيام بفرض نوع من القيود على التعامل مع تركيا، ولعل ذلك من بين الأسباب التى دعت الرئيس التركى ديميريل بأن يطلب من الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك عدم إثارة موضوع مياه دجلة والفرات عربيًا ، كى لاتتحول الخلافات على المياه إلى نزاع عربى - تركى ، هذا فى حين أجرت القاهرة اتصالات مع أنقرة فى يناير ١٩٩٦ وحضتها على اجراء حوار مع سوريا والعراق من أجل قسمة عادلة لمياه النهرين فى إطار علاقات الجوار والتصالح المتبادلة [٣]. رغم محاولات تركيا منذ مطلع عام ١٩٩٧ على عرقلة إدراج ملف الفرات ومطالب دمشق وبغداد فى مياهه على جدول أعمال مجلس الجامعة العربية الخامس بعد المئة لأسباب تتعلق بالتأثيرات السلبية الناجمة عن تبنى الجامعة لمثل هذه المطالب.

١- عونى السبعاوى: مرجع سابق، ص٤٢-٤٣ .

٢- عبد العزيز المنصور : مرجع سابق، ص.٣٧٠ .

٣- عايدة العلى : العرب والفرات، مرجع سابق، ص٣٢٢ .

عاد الفرات إلى طاولة النقاش باجتماع مجلس الجامعة العربية المنعقدة بشرم الشيخ الأربعاء الثالث عشر من شهر مايو حتى الاثنين الثامن عشر من الشهر نفسه عام ١٩٩٧، حيث وافق المجلس بالاجماع على قرار بدعم حقوق سوريا والعراق فى مياه نهرى دجلة والفرات، كما يدعم جهودهما المبذولة للتوصل إلى اتفاق ثلاثى نهائى وفقًا لأحكام القانون الدولى بشأن الأنهار الدولية.

وجاء القرار على النحو التالى:

مشروع قرار نهرى الفرات ودجلة :

أن مجلس الجامعة بعد اطلاعه .

- على مذكرة الجمهورية العربية السورية.

- وعلى مذكرة جمهورية العراق.

-وعلى مذكرة الأمانة العامة.

- وعلى قراراته رقم ٥٢٣٣ د.ع (٩٨) فى ١٢ / ٩ / ١٩٩٢ ورقم ٥٢٨٦ د.ع (٩٩) فى ١٩ / ٤ / ١٩٩٣ .

- وحرصًا منه على الحفاظ على علاقات ودية مع الجمهورية التركية.

يقرر :

١- دعم حقوق البلدين العربيين سوريا والعراق فى مياه نهرى الفرات ودجلة، وتأييد جهودهما المبذولة للتوصل إلى اتفاق ثلاثى نهائى وفقًا لأحكام القانون الدولى بشأن الأنهار الدولية.

٢- دعوة الحكومة التركية للدخول فى مفاوضات ثلاثية فى أقرب وقت ممكن بين الدول الثلاث (تركيا - سوريا- العراق) تضمن التوصل إلى اتفاق نهائى لقسمة عادلة تضمن حقوق سائر الأطراف المعنية وفقًا لأحكام وقواعد القانون الدولى المنظمة للمياه الدولية، ويساعد على توطيد علاقات حسن الجوار مع تركيا .

٣- مناشدة المؤسسات المالية الدولية لربط تقديم أية مساعدات أو قروض مالية لتمويل المشاريع المقامة على نهرى دجلة والفرات فى الأراضى التركية بالتوصل لاتفاق مسبق مع الدول المتشاطئة الأخرى وفق أحكام القانون الدولى .

٤- دعوة الحكومة التركية إلى وقف الاجراءات التى اتخذتها والمتعلقة باقامة السدود على مجرى نهرى الفرات ودجلة دون التشاور مع الدول المتشاطئة ، كما تقتضى قواعد القانون الدولى، وكذلك وقف تحويل المياه الملوثة إلى سوريا ، وما ينجم عنها من أضرار جسيمة تمس مياه الشرب والرى والبيئة.

٥- تكليف الأمين العام بمتابعة هذا الموضوع مع حكومات البلدان الثلاثة المعنية[١].

وهكذا نرى أن موقف جامعة الدول العربية يتسم منذ البداية بالحرص على الحفاظ وتعزيز العلاقات الأخوية والروابط التاريخية بين تركيا وسائر الدول العربية وخاصة سوريا والعراق باعتبار هذه العلاقات ذات جذور ممتده عبر التاريخ والداعية إلى أهمية توفير الظروف المناسبة التى تساعد الأطراف المعنية على التوصل إلى الاتفاق المنشود بينهم- بشأن مشكلة المياه- بالعدل تضمنه الشرعية الدولية من منطلق الحوار والتفاهم وحسن الجوار .

١- عابده العلى: العرب والفرات. مرجع سابق، ص ص٣٢٢-٣٢٣ .

الباب السادس
أحداث آسيوية معاصرة

الفصل الأول : دول وسط آسيا والقوقاز المستقلة

الفصل الثانى : مشكلة الشيشان

الفصل الثالث : مشكلة كشمير بين الهند والباكستان

الفصل الرابع : الصين وتايوان

الفصل الخامس : قضية الوحدة الكورية

الفصل الأول
دول وسط آسيا والقوقاز المستقلة

أولا: تطور السياسة الروسية نحو تركستان الغربية- مقدمة- انهيار الاتحاد السوفيتي- الكومنولت الجديد- ثانيا: جمهوريات وسط آسيا المستقلة- جمهورية قازاقستان- جمهورية أوزبكستان- جمهورية طاجيكستان- جمهورية تركمنستان- جمهورية قرغيزيا- جداول إحصائية- ثالثا: جمهوريات القوقاز المستقلة- جمهورية أذربيجان- جمهورية چورچيا - جمهورية أرمينيا- رابعًا : مشكلات قوقازية - ناجورنوقراباخ - أبخازيا .

أولا : تطور السياسة الروسية نحو تركستان :

يمكن عرض السياسة الروسية تجاه أقطار آسيا الوسطى والقوقاز فى الفترة الممتدة من عام ١٨٩٠م ، عام إتمام السيطرة الروسية على هذه الأقطار ، وحتى عام ١٩١٧م الذى قامت فيه الثورة البلشفية، فى النقاط الآتية:

١- توطين مهاجرين روس فى هذه الأقطار الإسلامية وتمكينهم من انتزاع الأراضى الزراعية من أيدى أصحابها.

٢- استيلاء المصارف الروسية على أراضى المزارعين من أهالى تلك الأقطار والذين لم يستطيعوا تسديد القروض المجحفة التى حصل عليها هؤلاء المزارعون .

٣- نشر الثقافة الروسية بين سكان تركستان والقوقاز للتأثير فى الهوية الإسلامية لهؤلاء السكان.

٤- إغلاق المدارس الوطنية وفتح المدارس الروسية وفرض التدريس باللغة الروسية، وإصدار صحف تشيد بالحكم الروسى.

٥- السعى لفرض التنصير على سكان تلك البلاد على المذهب الأرثوذكسى مذهب الكنيسة الروسية[1].

١- أحمد محمود الساداتى: تركستان والاستعمار الروسى ملحق بكتاب فاميرى: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور ص٥١٠ ، عن كتاب المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، جـ١ إعداد مصطفى دسوقى مجلة الأزهر ص١٤٨-١٤٩ .

وعندما قام الاتحاد السوفيتي بموجب اتفاقية ٣٠ ديسمبر عام ١٩٢٢م ظهرت جمهوريتي أوزبكستان وتركمانستان عام ١٩٢٤م، وجمهورية طاجيكستان عام ١٩٢٩م، وجمهوريتي قازاقستان وقرغيزيا عام ١٩٣٦م.

كما أنه في عام ١٩٣٦ تم تقسيم القوقاز إلى جمهوريات مستقلة هي أرمينيا وجورجيا وأذربيجان وجمهوريات ذات حكم ذاتي، وأقاليم ذات حكم ذاتي، وكانت جمهوريات القوقاز قد ظهرت كأمر واقع بالفعل منذ عام ١٩٢٠م، ومنذ ذلك التاريخ تم ضم أربعة أقاليم إلى أرمينيا هي: أرضروم (ارزروم) وترابيزون ، وفان، وتبليس. وفي آخر سنة ١٩٢٢ ، اقتطع أقليم «نخشيفان» من، أرمينيا ، وتم ضمه إلى أذربيجان ليصبح سببا مستديما للتوتر بينهما.

وعندما مات لينين عام ١٩٢٤م شهد الاتحاد السوفيتي صراعا حول السلطة حسمه «جوزيف ستالين» لصالحه ، ومن ثم أعلن عام ١٩٢٩م ضرورة الإسراع بالتحول إلى الشيوعية التي كان قد اعتبرها بمثابة عقيدة أطلق عليها الماركسية- اللينينية، وقد شهدت فترة حكم ستالين التي دامت حتى عام ١٩٥٣م ألوانا من القهر والسخرة في العمل، فقتل عشرات الملايين أو طردوا أو سجنوا أو شردوا ، وتم القضاء على الملكية الفردية ، كما شنق مئات الآلاف ممن أطلق عليهم « أعداء الشعب».

وقد تعرض المسلمون خلال تلك الفترة إلى صنوف القهر والتعذيب والتشريد والتهجير الإجباري وإلى تقسيم أراضيهم والاقتطاع منها، وتهجير الروس والأوكرانيين إليها، بهدف تغيير التكوين «الديموجرافي» والعرقي والديني لهذه الأقاليم ، ففي عام ١٩٤٣م سلمت بلكار إلى جورجيا بعد اقتطاعها من جمهورية «كباردينو- بلكار» وتم محو اسم «بلكار» كما قسم إقليم «كاراشاي» وتم حل جمهورية «شيشان- أنجوش» وسلمت أجزاء منهما إلى جورجيا عام ١٩٤٦م، وفصل جزء عن شبه جزيرة القرم وضمه لأوكرانيا ، وكان تولي المسلمين للمناصب العامة أدنى كثيرا من نسبتهم الحقيقية إلى كل الشعوب السوفيتية[1].

ومن ناحية أخرى فرضت عليهم اللغة الروسية كلغة رسمية ، وكلغة للتعامل في كل نواحي الحياة، فانفصل معظم المسلمين عن كتاب الله وسنة رسوله ، وعن كتب الفقه التي لم تكن مكتوبة باللغة الروسية، وصار من بقي من علماء المسلمين المسنين يعلمون الاسلام لمن تيسر له ذلك سرا.

١- د. فوزي طايل: اثار تفكك الاتحاد السوفيتي على أمن الأمة الإسلامية ، بحث ص٢٥٣ .

وقد كانت وطأة «الترويس» وتشتيت المسلمين وتذبيحهم على أشد درجاتها فى قازاقستان وقيرغيزيا وبين التتار الذين كانوا يقطنون شبه جزيرة القرم وحوض نهر الفولجا، وشتت معظمهم فى كل الاتحاد السوفيتى ، ولاغرو فقد ظلت مقاومة المسلمين لعملية تغيير قيمهم وطريقة حياتهم حتى مطلع ثلاثينيات القرن العشرين، وقد ساعد على تمكن السلطات السوفيتية من السيطرة على بلاد المسلمين فى وسط آسيا والقوقاز انضمام بعض المسلمين ممن تأثروا بالثقافة الروسية وتعلموا فى مدارسهم وجامعاتهم لأكثر من ثلاثين عاما انضمامهم إلى الحزب الشيوعى ، ومن ثم تولوا مناصب هامة فى بلادهم ، وأصبح ولاؤهم للسلطات السوفيتية[١].

وعلى الجانب السياسى الادارى كان تقسيم الأراضى الإسلامية إلى جمهوريات وأقاليم ذات حكم ذاتى يقصد به قطع كل صلة بين هذه الشعوب وبين الأمة الإسلامية من ناحية وبينها وبين كل من تركستان وإيران من ناحية أخرى، وبينها وبين بعضها البعض من جهة ثالثة، فى إطار سياسة فرق تسد، سياسة حرب الإبادة التى مارسها الروس ضد المسلمين.

انهيار الاتحاد السوفيتى:

عندما تولى الرئيس السوفيتى السابق ميخائيل جورباتشوف السلطة فى الاتحاد السوفيتى فى مارس عام ١٩٨٥م انتهج سياسة مختلفة تماما عن سياسة أسلافه ، وذلك عندما رفع شعار «البيروسترويكا » أى إعادة البناء و«الجلاسنوست» أى المصارحة .

وقد أحدثت سياسات جورباتشوف صدى سريعا فى دول أوروبا الشرقية التى أسقطت شعوبها الأنظمة الشيوعية وسار معظمها فى طريق الانفتاح الاقتصادى على المعسكر الغربى، وتبنت سياسة اقتصاديات السوق ، وتمت الوحدة الألمانية وانهار حلف وارسو ، فى حين لم يتأثر الاتحاد السوفيتى نفسه كثيرا من سياسة المصارحة والمكاشفة إلا من بعض التغيرات المظهرية .

وقد وافق الرئيس جورباتشوف على سحب وتدمير الأسلحة النووية المتمركزة فى دول أوروبا الشرقية وتقليص الترسانة الاستراتيجية السوفيتية إلى أدنى معدل لها فى خطوات أجبرت الولايات المتحدة على انتهاج خطوات مماثلة تمثلت فى المبادرة التى أعلنها الرئيس الأمريكى جورج بوش لخفض ترسانة الولايات المتحدة من الأسلحة النووية [١].

١- مجلة الأزهر، المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، جـ١ ، إعداد مصطفى دسوقى، ص١٥١-١٥٤ .

٢- المسلمون فى آسيا الوسطى القوقاز جـ٢، مجلة الأزهر ، إعداد مصطفى دسوقى ص١٦١ .

وعندما بدأت سياسة «البيروسترويكا» تؤتى ثمارها فى الاتحاد السوفيتى واتجه العديد من الجمهوريات (ليتوانيا - استونيا- لاتفيا) الواقعة على بحر البلطيق للاستقلال ، جاء الانقلاب العسكرى الفاشل ضد الرئيس جورباتشوف فى ١٩ أغسطس ١٩٩١ احتجاجا على هذه السياسة التى أدت من وجهة نظر قادة الانقلاب إلى تردى الأوضاع الاقتصادية ، تلا ذلك اعتراف معظم دول العالم باستقلال جمهوريات البلطيق الثلاث ليضطر الرئيس جورباتشوف إلى الموافقة بعد معارضته للاستقلال .

وقد حاول جورباتشوف إنقاذ الاتحاد السوفيتى من خطر التفكك ، فدعا رؤساء الجمهوريات الاثنتى عشرة لعقد لقاء للتوصل إلى معاهدة جديدة للاتحاد تراعى الكونفدرالية أو الفيدرالية لدول مستقلة ذات سيادة يكون للسلطة المركزية بموسكو دور واضح فيها[1].

وفى الوقت الذى كان فيه الرئيس جورباتشوف يستعد لهذا اللقاء أعلنت جمهورية أوكرانيا عن إجراء استفتاء شعبى أسفر عن موافقة مواطنيها على الانفصال وتكوين دولة مستقلة رغم نداءات جورباتشوف لهم بالوحدة ، واستغل بوريس يلتسين هذا الوضع كحجة لعدم الموافقة على عقد معاهدة جديدة للاتحاد.

وهكذا جاء الكومنولث الجديد بين روسيا الاتحادية وأوكرانيا وروسيا البيضاء لينهى عمليا وضع الاتحاد السوفيتى كدولة وليقضى على المستقبل السياسى للرئيس جورباتشوف . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الاتحاد السوفيتى كان يتكون من خمس عشرة جمهورية رئيسية، وبعد انفصال جمهوريات البلطيق الثلاث اقتصر الاتحاد السوفيتى على أثنتى عشرة جمهورية فقط هى: روسيا الاتحادية، أوكرانيا، روسيا البيضاء، جورجيا، أرمينيا، مولدافيا ، بالإضافة إلى ست جمهوريات إسلامية هى: أذربيجان ، قازاقستان ، أوزبكستان، طاجيكستان، قيرغيزيا، تركمنستان. وقبل الأحداث الأخيرة كان الاتحاد السوفيتى يملك نحو ٣٠ ألف رأس نووية تعادل ٥٤ ٪ من القدرة التدميرية لكل الرءوس النووية فى العالم، ورغم ذلك فإن العجز الاقتصادى مقوما بالسعر العالمى وصل إلى ٤٠ مليار دولاراً ، والديون ٨٤ مليار دولار، وأصبحت المجاعة واقعا عمليا وخطرا يواجه شعوب الاتحاد السوفيتى مما دعا

١- نفس المرجع ، ص١٦٢ .

العديد من الدول إلى إعلان عزمها على إرسال معونات غذائية لموسكو لمواجهة فصل الشتاء القارس[1].

الكومنولث الجديد :

فى الثامن من شهر ديسمبر ١٩٩١م أعلن رؤساء ثلاث جمهوريات سوفيتية فى خطوة هامة وغير مسبوقة إنشاء كومنولث جديد ونهاية الاتحاد السوفيتى كدولة، واختيار مدينة «مينسيك» عاصمة روسيا البيضاء عاصمة للكومنولث الجديد.

وجاء إعلان تشكيل الكومنولث الجديد من جانب رؤساء جمهوريات : روسيا الاتحادية ، روسيا البيضاء، أوكرانيا، ليضع حداً للمحاولات التى كان يقوم لها الرئيس ميخائيل جورباتشوف لإيجاد تجمع جديد وصيغة جديدة للاتحاد السوفيتى فى محاولة من جانبه للخروج من الأزمات التى يواجهها الاتحاد السوفيتى خاصة الأزمة الاقتصادية التى لم يشهد لها مثيلا من قبل.

وعقب إعلان الكومنولث الجديد قدم الرئيس جورباتشوف استقالته من منصبه مع نهاية عام ١٩٩١م، وبذلك انتهى رسميا الاتحاد السوفيتى كدولة، وفى هذا الإطار أصدر الرئيس بوريس يلتسين رئيس جمهورية روسيا الاتحادية عدة قرارات استهدفت الاستيلاء على مبنى الكرملين والإذاعة والتليفزيون ووكالة المخابرات السوفيتية (الكى. جى. بى) وحل وزارة الخارجية السوفيتية وإنزال العلم السوفيتى الأحمر من فوق مبنى البرلمان السوفيتى السابق .

وفى «ألما أتا» عاصمة جمهورية قازاقستان اجتمع زعماء إحدى عشرة جمهورية ووقعوا على اتفاقية جديدة تعلن قيام كومنولث جديد يضم الجمهوريات الإحدى عشرة بما فيها الجمهوريات الثلاث المؤسسة للكومنولث ، كما تم الاتفاق على إلغاء منصب رئيس الاتحاد السوفيتى[2].

١- نشرات متعددة: الهيئة العامة للاستعلامات ، صحيفة الأهرام، صحيفة الحياة الدولية وغيرها من الصحف خلال الفترة محل الدراسة، المرجع السابق: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، جـ٢، ص١٦٣ .

٢- المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، المرجع السابق، ص١٦٤ .

ثانيًا : جمهوريات وسط آسيا المستقلة:

تشمل جمهوريات وسط آسيا الإسلامية خمس جمهوريات، يمكن دراسة بعض تفاصيل تاريخها منذ استقلالها عام ١٩٩١م حتى الآن ، وهي:

أ- جمهورية قازاقستان :

كان القازاق يمثلون قوة رعوية واسعة في منطقة ممتدة من شمال بحر قزوين غربا حتى مرتفعات التاي وزنجوريا شرقًا، وقد أصاب قبائل القازاق الضعف نتيجة الصراع مع القبائل الرعوية الأخرى، ثم مع الغزو الروسي لبلادهم خلال القرن التاسع عشر.

وحدود قازاقستان تشترك مع روسيا الاتحادية في الشمال، ومع كل من جمهورية أوزبكستان وجمهورية قيرغيزيا وجمهورية تركمنستان، فهي دولة إقليمية كبرى بوسط آسيا ، ولها حدود مع إقليم «سنكيانج» تركستان الشرقية الصيني ، وهو إقليم أغلبية سكانه مسلمون، وعدد سكان قازاقستان أكثر من ١٧ مليون نسمة .

واقتصاد قازاقستان متنوع المصادر، ففي الجمهورية ٩٠ نوعا من المعادن وتقوم بها صناعات متعددة مثل صناعة الحديد والصلب والأسمدة والألياف الصناعية والصناعات الدوائية ، كما تشتهر الجمهورية بإنتاج البترول والغاز الطبيعي ومنتجات اليورانيوم والفحم. وفي الزراعة تجود زراعة القمح الذي يتم تصدير الكثير من كمياته إلى روسيا الاتحادية.

وقازاقستان إحدى الجمهوريات السوفيتية النووية الأربع، ومن أراضيها كانت تطلق سفن الفضاء، حيث بها مركز «بايكونور» للفضاء ، لكنه الآن أصبح مهجورا ، وتركه العاملون به والخبراء المتخصصون ، وكان بالجمهورية ٤١٤٠٠ عالم وخبير، بما فيهم خبراء في المجال النووي، ومجال الفضاء ، والصواريخ ، بيد أن مصيرهم غير واضح بعد قرار التخلص من ١٠٨٠ صاروخ نووي بعيد المدى في إطار اتفاقية «ستارت»[1].

١- قررت قازاقستان التوقيع على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية في الوقت الذي وقع فيه رئيسها «نور سلطان نزار باييف» على معاهدة ستارت في ١٩ مايو ١٩٩٢م وصدق البرلمان على هذا:
Strategic Armies Treaty (START).

د. فوزي طايل : بحث آثار تفكك الاتحاد السوفيتي على أمن الأمة الإسلامية، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، ص٣١٩ .

وتواجه جمهورية قازاقستان عدة مشكلات تتمثل فى الآتى:

١- عدم التجانس العرقى بين سكان الجمهورية حيث لايمثل القازاق سوى حوالى ٤٠٪ بينما يأتى الروس بعدهم فى النسبة، ثم الألمان والأوكرانيون وبعض قوميات جمهوريات وسط آسيا. وقد تحدث مشكلات بين القازاقستانيين والروس بصفة خاصة، لأن الروس يسيطرون على كثير من الإدارات كمديرين خاصة فى النواحى الاقتصادية والمرافق الخدمية ، وحدوث مثل هذه المشكلات قد يؤدى إلى نزوح الروس إلى بلادهم مما قد يثير حفيظة موسكو وقد يدعوها للتدخل.

٢- ظهور صحوة إسلامية بعد أن كان الحكم الروسى قد سحقها ، وهذه الصحوة تدعو إلى إحياء الثقافة القازاقية انطلاقا من فكرة أن المسلمين أرقى ثقافيا من الروس، كما تدعو إلى تقوية الروابط مع سكان إقليم سينكيانج الصينى خاصة القازاق المسلمين من أهل الإقليم، مما يثير توترا مع جمهورية الصين الشعبية [١].

ب- جمهورية أوزبكستان :

أعلنت هذه الجمهورية ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٤م ، وهى جمهورية ضمن الاتحاد الروسى حاليا ، وحدودها مشتركة مع جمهوريات وسط آسيا المستقلة الأخرى (قازاقستان ، تركمنستان ، قيرغيزيا ، طاجيكستان)، إلى جانب أفغانستان، وعاصمة أوزبكستان مدينة طشقند، وتضم داخلها جمهورية «كارالباك» ذات الحكم الذاتى، والتى تقع على الشاطىء الجنوبى لبحر آرال.

وأراضى أوزبكستان تضم المناطق المعروفة فى إقليم نهرى جيحون وسيحون ، وهى مناطق زراعية ورعوية، حيث تعد ثالث دولة منتجة للقطن فى العالم، ومن أكثر الدول تربية للأغنام ودود حرير القز ، كما يوجد بها احتياطى كبير من البترول والغاز الطبيعى وبها صناعات تعدين متطورة وصناعات نسيج وصناعة كيماويات [٢].

١- د. محمود طه أبو العلا : الآثار الاجتماعية والاقتصادية لنهرى جيحون وسيحون فى آسيا الوسطى. مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز، ص٣٤ .

٢- د. فوزى طايل: المرجع السابق.

ويبلغ عدد سكان أوزبكستان أكثر من ٢٠ مليون نسمة معظمهم من الأوزبك الذين يمثلون حوالى ٧٧٪ ، بينما لايمثل الروس سوى حوالى ٧٪ فقط، إلى جانب جماعات التاتار والطاجيك وغيرهم. ويمثل المسلمون فى الجمهورية حوالى ٨٠٪ من مجموع السكان ، ومن ثم فإن الجمهورية تتمتع بتجانس ثقافى واضح، وقد ظل كثير من المسلمين فى أوزبكستان متمسكين بدينهم . وقد أصدرت حكومة أوزبكستان المستقلة قانونا لحرية العقيدة ، وحق الأبوين فى تنشئة أبنائهم على أساس دينى، والسماح بطباعة نسخ من القرآن الكريم الذى يتضمن ترجمة باللغة الأوزبكية التى استعادت مكانتها فى البلاد.

وتواجه أوزبكستان عدة مشكلات أهمها ظهور التيار الإسلامى القوى فى مواجهة سياسة الحكومة العلمانية المتمثلة فى استبعاد العقيدة الدينية من مناهج المدارس، وهذا التيار متأثر بمثيله القوى فى جمهورية طاجيكستان المجاورة ، ويمتنع الأوزبك عن الحديث باللغة الروسية خارج الجامعة والمؤسسات الصناعية ، وإن اتجهت أوزبكستان إلى الاستقلال التام عن روسيا، ودعت إلى التعاون الكامل مع جمهوريات وسط آسيا المستقلة الأخرى[1].

جـ- جمهورية طاجيكستان:

لجمهورية طاجيكستان أطول حدود مع أفغانستان ومع إقليم كشمير الإسلامى، وإقليم سينيكيانج الصينى ، وهى أصغر جمهوريات وسط آسيا ، وأفقر دول الكومنولث الروسى وعاصمتها «دوشنبه» فمساحتها ١٤٣١٠٠ كيلو متر مربع ويزيد عدد سكانها عن خمسة ملايين نسمة قليلا ، يمثل الطاجيك منهم حوالى ٦٠٪ ويليهم الأوزبك ثم الروس. ورغم أن بالجمهورية بعض المعادن مثل الحديد والزنك الزراعى المتواضع ، فإن الدخل القومى لطاجيكستان جعلها تقع فى مصاف الدول الفقيرة.

١- يمثل أعلى درجات الأولوية لدى الرئيس الأوزبكى «إسلام كريموف» تجنب عدوى المطالبة بأسلمة الجمهورية القادمة من طاجكستان ، والوقاية من التدخل الأجنبى الذى يحمل معه مثل هذه الدعوة، لذا فقد تم طرد ٧٠ شيخا سعوديا، وعشرات من الأفغان خلال شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٩٢م، وتم قطع الاتصال البرى والجوى مع طاجيكستان وتنظر الحكومة بعين الشك لعلاقاتها مع إيران.

د. محمود طه أبوالعلا، د. فوزى طايل، المرجع السابق.

وقد عرفت طاجيكستان اضطرابات شديدة في فبراير ١٩٩٠م ، حيث هاجم الطاجيك الأقليات العرقية في بلادهم خاصة الروس والأرمن، ولازال الشيوعيون يسيطرون على البرلمان المحلي. . ويتحدث الطاجيك اللغة الفارسية وهم أكثر شعوب المنطقة تمسكا بالإسلام ورغبة في أن يحكموا بشريعته . وقد تكون ما عرف بحزب النهضة الإسلامي الذي يعتبر أكبر الأحزاب الإسلامية في طاجيكستان ويلقى دعما كبيراً من أفغانستان وإيران وباكستان .

وقد تأثر الطاجيك المسلمون بنجاح المجاهدين الأفغان في إخراج القوات السوفيتية من أراضي أفغانستان ، كما تأثروا بالثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م، ومن ثم تمكن حزب النهضة الإسلامي في مايو ١٩٩٢م من الوصول إلى الحكم وأصبح أحد قادة الحزب السيد/ دولت عثمان نائبا لرئيس الوزراء ، كما حصل الحزب على ثمانية مناصب وزارية كان منها وزارة الدفاع ووزارة التعليم، كما سيطر على الإذاعة والتليفزيون والبنك المركزي.

ونتيجة لهذه المكاسب للتيار الإسلامي في طاجيكستان تحرك الشيوعيون بدعم من موسكو واشتعلت حربا أهلية هرب أثناءها الرئيس «رحمن نبيف»[١] وتم تعيين «بختيار خودبيبرديف» المدعوم من موسكو رئيسا للجمهورية ، وقد هرب الكثير من التيار الإسلامي إلى أفغانستان. وبدأ عدم الاستقرار في طاجيكستان يؤثر على الأوضاع في جمهوريات وسط آسيا الأخرى التي يخشى من امتداد التيار الإسلامي من طاجيكستان إلى بلادهم[٢].

د- جمهورية تركمنستان:

تقع جمهورية تركمنستان في الجنوب الغربي لجمهوريات وسط آسيا المستقلة وهي تطل على بحر قزوين وحدودها مشتركة مع كل من قازاقستان، وأوزبكستان وأفغانستان، وإيران ، وعاصمتها مدينة «عشق أباد» وعدد سكانها حوالي أربعة ملايين نسمة يمثل التركمان ٧٠ ٪ منهم، بينما لايمثل الروس سوى ١١٪ فقط إلى جانب عرقيات أخرى تتمثل في الأوزبك والتاتار والقازاق ، وغيرهم .

١- كان «رحمن نبييف» قد انتخب رئيسا للجمهورية في ٢٤ نوفمبر ١٩٩١ ، لكنه صار ألعوبة في يد الشيوعيين في بلاده ، ومن ثم فقد تأييد المسلمين ، وتخلى عنه الشيوعيون.

٢- د. فوزي طايل ص٣٣٢، د. محمود طه أبو العلا: المرجع السابق، ص٣٣ .؛ ود. خليل عبد المجيد أبوزيادة : جهود طاجيكستان الإسلامية ماضيها وحاضرها ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز جامعة الأزهر- المرجع السابق، ص٢٩٠، ٢٩٧ .

وأهم النشاط الاقتصادى فى تركمنستان يتركز فى زراعة القطن واستخراج البترول والغاز الطبيعى والفحم إلى جانب معادن أخرى، كما تزدهر صناعات السجاد والمواد الغذائية والمنسوجات وتوجد بها ثروة حيوانية تعيش على المراعى فى المناطق الصحراوية وهى كبيرة تصل إلى حوالى ٩٠٪ من مساحة أراضى الجمهورية وليس لجمهورية تركمنستان مشكلات خارجية أو داخلية، حيث اتبعت سياسة علمانية منذ استقلالها فى نوفمبر ١٩٩١م وانتخاب رئيسها «سابار موادنيازوف» فى ٢١ نوفمبر ١٩٩٢م وكان أحد القادة البارزين فى الحزب الشيوعى، ولاتوجد بالجمهورية معارضة تذكر، وتأمل تركمنستان تحقيق ثروة من وراء بيع بترولها والغاز الطبيعى بالأسعار العالمية. وهى من أكبر بلاد العالم إنتاجا للغاز الطبيعى[١].

هـ- جمهورية قيرغيزيا :

حصلت قيرغيزيا على عضوية الاتحاد السوفيتى كجمهورية مستقلة عام ١٩٣٦م وهى تجاور كلا من قازاقستان والصين الشعبية وأوزبكستان وطاجيكستان ، وأرضها جبلية حيث تقع على جبال «تيان شان» وعاصمتها مدينة «فرونزى» وعدد سكانها حوالى ٤.٥ مليون نسمة معظمهم من المسلمين الأتراك الذين يشكلون حوالى ٥٠٪ يليهم الأوزبك ثم التاتار إلى جانب الأقلية الروسية، وتتمثل ثروة قيرغيزيا فى وجود معادن متعددة تستخرج من الجبال أهمها الرصاص والفحم والزئبق والانتيمون والزنك، كما يوجد بها بترول وغاز طبيعى ولكن بكميات قليلة ، وتقوم فيها بعض الصناعات المعدنية. كما تتمثل ثروة البلاد فى وجود ثروة حيوانية وبعض الزراعات الجبلية [٢].

١- د. فوى طايل : المرجع السابق، ص٣٢٦ .

٢- د. محمود طه أبو العلا : المرجع السابق، ص٣٤ .

جداول إحصائية

جدول رقم ١

جمهوريات وسط آسيا- بيانات أساسية

الجمهوريات	عدد السكان بالمليون	المساحة بآلاف الكيلومترات	Per Capite GNP	النمو الاقتصادي ١٩٨٩/٨٦	عضويتها في الاتحاد السوفيتي	المصادر الطبيعية الرئيسية والصناعة
تركمنستان	٣,٨	٤٨٣	٣٣٧٠	٤,٩	١٩٢٥	البترول ، الغاز الطبيعي، الزنك، النحاس، بتروكيمياويات، سجاد ، الرصاص، الزئبق.
تاجيكستان	٥,٧	١٤٣	٢٣٤٠	٣,٢	١٩٢٩	حديد، زنك، نحاس ، ذهب، يورانيوم، مواد غذائية، الرصاص، الغزل والنسيج، الغازات.
قيرغيزيا	٤,٦	١٩٨	٣٠٣٠	٤,٩	١٩٣٦	مواد غذائية ، المعادن، الماكينات، البناء، الغازات .
قازاقستان	١٧,١	٢٧١٧	٣٧٢٠	١,٩	١٩٣٦	بترول بـ ٢٥ مليون طن، غاز ٧ مليون متر مكعب، فحم ١٣٨ مليون طن، منتجات يورانيوم، حديد وصلب .
أوزبكستان	٢١,٦	٤٤٧	٢٧٥٠	٢,٩	١٩٢٥	غاز طبيعي ٢١ مليون متر مكعب ، بترول ٣مليون طن، فحم ٦ مليون طن، ذهب، مواد بناء، كيمياويات، مناجم، حديد وصلب منتجات غذائية ، صناعات .

Sources : The World Fact Book , 1992 , CIA, Government of USA. Military Balance 1992, USS, London information on Central Asia, Compiled by Prof. Madhavan K Palat, IIC, New Delhi, 1992, The Middle East, Nov 1992, P. 38 .

جدول رقم ٢

السكان المسلمين فى جمهوريات وسط آسيا فى التسعينيات

الجمهوريات	عدد السكان بالمليون	نسبة الروس	المصادر الطبيعية الرئيسية والصناعة
تركمنستان	٣,٦	٪١٠	٩٪ أوزبك ، ٣٪ قازاق ، ١٪ أوكرانيين.
أوزبكستان	٢٠,٣	٪٨	٥٪ طاجيك ، ٤٪ قازاق .
طاجيكستان	٥,٣	٪٨	٢٤٪ أوزبك ، ١٪ تاتار، ١٪ قرغير، ١٪ أوكرانيين.
قيرغيزيا	٤,٤	٪٢٢	١٣٪ أوزبك، ٣٪ أوكرانيين، ٢٪ ألمان.
قازاقستان	١٦,٧	٪٣٨	٦٪ ألمان، ٥٪ أوكرانيين
الجملة	٤٩,٧	-	٩,٦ مليون روس و٥,١ مليون قوميات أخرى

Sources : Derived from The Soviet Union's Uneauqal Parts: Diverse and Restless, The New York Times , Sep. II, 1990, time, Sep. I, 1991 , Statesman's Yearbook, 1990 .

جدول رقم ٣

التكوين العرقى فى جمهوريات وسط آسيا (بالنسبة المئوية)

قازاقستان	أوزبكستان	قيرغيزيا	تركمانيا	طاجيكستان
قازاق ٤٠	أوزبك ٧١	قيرغيز ٥٢	تركمان ٧٢	طاجيك ٦٢
روس٣٨	روس٨	روس٢٢	روس ١٠	أوزبك ٢٤
ألمان ٦	طاجيك ٥	أوزبك ١٣	أوزبك ٩	روس ٨
أوكرانيون ٥	قازاق ٤	أوكرانيون ٣	قازاق ٣	قيرغيز ١
آخرون ١١	آخرون ١٢	ألمان ٢	أوكرانيون ١	أوكرانيون ١
ــــــ	ــــــ	آخرون ٨	آخرون ٥	آخرون ٤

جدول رقم ٤

مجموعات السكان السلاف والإيرانيين والأتراك

المجموعات العرقية	ملايين عام ١٩٥٩	السكان عام ١٩٧٩	نسبة النمو ٥٩ / ١٩٧٩
السلاف :			
- الروس	١١٤,١١	١٣٧,٤٠	٢٠,٤
- الأوكرانيون	٣٧,٢٥	٤٢,٤٠	١٣,٧
- الروس البيض	٧,٩١	٩,٤٦	١٩,٥
- العنصر الإيراني التركي:			
- الأوزبك	٦,٠٢	١٢,٤٦	١٠٧,١
- القازاق	٣,٦٢	٦,٥٦	٨١,٠٠
- الطاجيك	١,٤٠	٢,٩٠	١٠٧,٤
- التركمان	١,٠٠	٢,٠٣	١٠٢,٥
- القيرغيز	.٩٧	١,٩١	٩٦,٨

Note; Rasma Karlins Ethnic Relations in the USSR: The Perspec tive from Below (Allen & Unwin Boston , 1986). p. 231 . Percentage growth are Per-thausand.

جدول رقم ٥

التكوين الوطنى للسكان فى CAR

الجنسية	١٩٥٩	٪	١٩٨٩	٪	النسبة المئوية من ٥٩ / ١٩٨٩
أوزبك	٥,٩٧٣,١٤٧	٢٦,٠	١٦,٥٢٠,٠٨٠	٣٣,٦	٣,٤
قازاق	٣,٢٣٢,٤٠٣	١٤,١	٧,٤٧٦,٢٩٦	١٥,٢	٢,٨
طاجيك	١,٣٨٥,٨٣٥	٦,٠٠	٤,١٦٢,٥٢٤	٨,٥	٣,٧
تركمان	٩٨٥,٦٤٣	٤,٣	٢,٦٧٢,١٧٤	٥,٤	٣,٣
قيرغيز	٩٦٢,٠٠١	٤,٢	٢,٤٨٢,٢١٠	٥,١	٣,٢
روس	٦,٢١٣,٨٣٠	٢٧,٠٠	٩,٥١٦,٢٢٩	١٩,٤	١,٤
أوكرانيون	١,٠٣٤,٩٦٥	٤,٥	١,٢٣٤,٥٥٦	٢,٥	٠,٦
تاتار	٧٧٩,٨٤٠	٣,٤	١,١٧٨,٦٩٨	٢,٤	١,٤
ألمان	٩٨٥,٦٢٣	٣,٠٠	١,١٣٤,٠٩٧	٢,٣	٠,٥
كوريون	٢١٢,٤٧٢	٠,٩	٣٢٠,١٨٩	٠,٧	١,٤
روس بيض	١٢١,٥٩٦	٠,٥	٢٣٩,٧٦٥	٠,٥	٢,٣
يوغور	٩٢,٩٧٤	٠,٤	٢٥٨,٩٥٢	٠,٥	٣,٤
أذربيجان	١٠٢,١٦٩	٠,٤	١٨٧,٢٧٣	٠,٤	٢,٠
يهود	١٤٧,٤٩٥	٠,٦	١٣٧,٤٤٥	٠,٣	٠,٢
أرمن	٤٧,٠٦٦	٠,٢	١١١,٠٦٤	٠,٢	٢,٩

Note: Rabert J. Kasier "Nations and Homelands in Soviet Central Asia" in Geographic Perseptivs on Soviet Central Asia ed., Robert lewis, (Routledge, London, 1992) .

جدول رقم ٦

توزيع العرقيات البشرية

	١٩٧٨	١٩٨٣
جمهورية الصين الشعبية :		
أوزبك	١٤,٠٠٠	١٣,٠٠٠
طاجيك	٢٠,٠٠٠	٢٦,٥٠٠
قيرغيز	١٢٠,٠٠٠	١١٥,٠٠٠
قازاق	٨٤٠,٠٠٠	٩٣٠,٠٠٠
إيران:		
تركمان	٥٥٠,٠٠٠	٦٥٠,٠٠٠
أذربيجانيين	٥,٨٠٠,٠٠٠	٦,٢٠٠,٠٠٠
طاجيك	٤٠,٠٠٠	٤٤,٠٠٠
أفغانستان:		
أوزبك	١,٣٠٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠
طاجيك	٣,٠٠٠,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠
قيرغيز	١٠,٠٠٠	٥٨,٠٠٠
تركمان	٣٠٠,٠٠٠	٢٥٠,٠٠٠
تركيا :		
تركمان	١٠٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠

Note : Lee Schwartz , " The Political Geogrphy of Soviet Centrarl Asia : Integrating the Central Asian Frontier ", in Geographic Perspectives on Soviet Central Asia, Ed. Robert A Lewis (Routledge, London, 1990). p. 48 .

ثالثا : جمهوريات القوقاز

عندما تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م أعلنت عدة جمهوريات استقلالها وإن ظلت ضمن الكومنولث الروسى مع روسيا الاتحادية مثل جمهوريات أذربيجان ، وجورجيا وأرمينيا ، وحاولت بعض جمهوريات ذات حكم ذاتى إعلان الاستقلال مثل الشيشان والأنجوش، الداغستان.

ونسوق فيما يلى معلومات تفصيلية عن الجمهوريات المستقلة فى القوقاز وهى:

أ- جمهورية أذربيجان :

عاصمة جمهورية أذربيجان مدينة «باكو» وقد أعلن استقلالها عام ١٩٣٦ كأحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، ومساحتها ٨٦٦٠٠ كيلو مترا مربعا وتتضمن أذربيجان . جمهورية «ناخيشيفان» ذات الحكم الذاتى ، وإقليم «ناجورنوقراباخ» ذا الحكم الذاتى، وحدودها مشتركة مع كل من إيران فى الجنوب ، وأرمينيا وجورجيا فى الغرب وفى الشرق بحر قزوين . وعدد السكان حوالى ٧ مليون نسمة منهم ٨٧٪ من الآذاريين و٥٪ من الأرمن و٨٪ من الروس .

وتعيش أذربيجان منذ عام ١٩٩٠م حالة من التأهب تسودها القلاقل بسبب المواجهات العرقية مع أرمينيا ، وتشتهر الجمهورية بوفرة المياه التى تروى أراضيها الصالحة للزراعة وغاباتها الكثيرة ، وحيواناتها المتنوعة المستأنسة والبرية، ويوجد بها تربية الحيوانات ودود الحرير. إلى جانب الصناعات الثقيلة والكيماوية ، والكهربائية والبلاستيك وغيرها .

وتمسك الآذريون بإسلامهم حتى فى ظل الاتحاد السوفيتى، ومن ثم قامت المدارس بتدريس القرآن الكريم منذ العام الدراسى ٨٩ / ١٩٩٠م ، كما كانت الجبهة الشعبية ذات الهوية الإسلامية أقوى الحركات السياسية فى أذربيجان ، رغم أنها واجهت قوى محلية وإقليمية ودولية، ويتحدث الآذاريون اللغة التركية بلكنة خاصة بهم، ولهذا فهم مرتبطون بكل من تركيا (لغويا) وإيران (مذهبيا وعرقيا) ولذلك تطلع الآذاريون دائما إلى أبناء عمومتهم فى إيران .

١- تقع جمهورية ناخشيفان على الحدود مع تركيا وإيران، وتبلغ مساحتها ٥٥٠٠ كيلو مترا مربعا، وعدد سكانها قرابة ٣٠٠٠٠٠ نسمة معظمهم من الآذاريين ، ويفصل بين هذه الجمهورية وبين الدولة الأم أراضى أرمينيا تحيط بها من الشمال والشرق، ويعمل ٧٠٪ من السكان بالزراعة .

د. أحمد محمد الهوارى : أتراك أذربيجان والاحتلال الروس ، مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى القوقاز جامعة الأزهر- المرجع السابق، ص٢٥٠، ٢٥٥ .

ونتيجة لمشكلة «ناجورنوقراباخ»، بين أذربيجان وأرمينيا، ورغبة الآذاريين فى العودة إلى الإسلام بقوة تحالفت كل من روسيا مع الرئيس الأذارى «حيدار عليف» لإعادة الشيوعية إلى البلاد وتم استبعاد التيار الإسلامى إلى حين، وكان حيدار عليف، السكرتير الأول للحزب الشيوعى فى أذربيجان وقائداً عسكريًا سابقًا ورئيسا للجهاز التابع لإدارة أمن الدولة "K.G.B" فى أذربيجان ، وكان جورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتى قد طرده من المكتب السياسى للحزب الشيوعى عام ١٩٨٧م وانتخب رئيسا لبرلمان أذربيجان فى شهر يونيو ١٩٩٣م[١].

ب- جمهورية چورچيا :

تقع جمهورية چورچيا إلى الشرق من البحر الأسود وتشغل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز ، وتشترك حدودها مع كل من روسيا الاتحادية وأرمينيا وأذربيجان وبعض الجمهوريات ذات الحكم الذاتى مثل الشيشان والأنجوش والداغستان ، والمسلمون يعرفون باسم «الكرج» وكانت بلادهم تسمى «كرجستان» . وعاصمة چورچيا مدينة «تفليس» وأقسامها الإدارية چورچيا وأبخازيا وآجاريا[٢]. والحاصلات الزراعية فى چورچيا تتمثل فى الحبوب والفاكهة ، والشاى حيث تنتج أكثر من ٩٠٪ من الشاى المنتج فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية السابق، هذا إلى جانب ثرواتها من المعادن والمراعى. وتضم چورچيا ثلاث جمهوريات تتحد معها فى حكم ذاتى، وهى جمهوريات صغيرة لاتتجاوز مساحة أكبرها بضعة آلاف من الكيلومترات، وهى جمهورية أبخازيا، وجمهورية أجاريا، وجمهورية أوسيتيا الجنوبية التى انفصلت عن أوسيتيا الشمالية زمن الحكم السوفيتى[٣].

جـ- جمهورية أرمينيا:

تقع جمهورية أرمينيا فى الجزء الجنوبى من القوقاز ولها حدود مشتركة مع كل من تركيا وإيران وأذربيجان وچورچيا وعاصمتها مدينة «يريڤان» وعدد سكانها أكثر من ثلاث ملايين

١- د. فوزى طايل: بحث آثار تفكك الاتحاد السوفيتى.. المرجع السابق، ص٣٣٥ ؛ ود. سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية فى آسيا استراليا، ص٣٤٧-٣٥٢ .

٢- فوزى طايل: المرجع السابق ص٣٣٥ .

٣- محمود شاكر : قفقاسيا ، ص٧١ .

ونصف نسمة يمثل المسلمين فيهم حوالى ١٢٪ من عدد السكان. والمدلول الجغرافى لأرمينيا يقصد به المنطقة الأكثر ارتفاعا فى غرب قارة آسيا، تحدها آسيا الصغرى من الغرب، وهضبة أذربيجان من الشرق والجنوب الشرقى ، وجبال القوقاز من الشمال، وبلاد حانيق ولازستان الواقعة على البحر الأسود من الشمال الغربى وأرض الجزيرة بين دجلة والفرات من الجنوب. والأرمن مقسمون حاليا بين ثلاث دول: قسم يتبع تركيا، والقسم الثانى يتبع إيران، والقسم الثالث هو جمهورية أرمينيا التى كانت عضوا بالاتحاد السوفيتى قبل الاستقلال[١].

وأراضى جمهورية أرمينيا جبلية فى جملتها يفصلها نهر كورا فى الشمال عن جبال القوقاز، ونهر راس يفصلها من ناحية الجنوب عن إيران وتركيا، وأعلى جبال أرمينيا جبل أرارات، وارتفاعه ٤٠٩٠متر، وقد عرف عند الجغرافيين العرب باسم الحارث[٢].

ويمكن تفصيل أحوال جمهوريات وسط آسيا المستقلة على النحو الآتى:

أولا : جمهورية كازاخستان :

يحد كازاخستان من الغرب بحر قزوين وجمهورية روسيا الاتحادية ، ومن الشرق الصين، ومن الشمال روسيا الاتحادية ، ومن الجنوب أوزبكستان وقرغيزستان، وهى أكبر جمهوريات وسط آسيا فى المساحة التى تبلغ ٢،٧٠٧،٣٠٠كم٢ ، ويبلغ عدد سكانها أكثر من ١٧ مليون نسمة ينتمون لعرقيات مختلفة أهمهم الكازاخ والروس والأوكرانيون .

وتتمثل ثروة كازاخستان فى الانتاج الزراعى والثروة الحيوانية والثروة المعدنية والصناعة، فتزرع كازاخستان القطن والتبغ والفاكهة وغيرها من المحاصيل ، وذلك فى مساحة، ٧٤ مليون فدان صالحة للزراعة فى شمال ووسط الجمهورية ، وفى مناطق الأودية الجبلية اعتمادا على مياه الأنهار والأمطار والآبار، ويعمل بالزراعة حوالى ٥٠٪ من مجموع سكان كازاخستان[٣].

١- دائرة المعارف الإسلامية، جـ٣ ، ص٣٢ .

٢- جبل أرارات هو الجبل الذى تذكر المصادر أنه الذى هبطت عليه سفينة النبى نوح بعد الفيضان ، ولذلك يقدسه الأرمن .

٣- د. عمرو محمد الصادق : اقتصاديات الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا : مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز - المحور الجغرافى .

وتمثل الثروة الحيوانية مصدرا آخر رئيسيا للدخل القومى فى كازاخستان ، حيث تشتهر الجمهورية بتربية الخراف التى تنتج أصوافا عالية الجودة، إلى جانب الماشية التى تدر ألبانا ومنتجاتها ، وتقدم اللحوم اللازمة للطعام.

كما تمثل الثروة المعدنية والصناعية مصدرا ثالثا للدخل القومى فى كازاخستان، حيث تعتبر الجمهورية غنية جدا بالموارد المعدنية ، حيث أنها تنتج أكثر من ٩٠ نوعا من خامات المعادن أهمها الفحم والتنجستن ، والبترول والغاز الطبيعى، والنحاس والرصاص والزنك والنيكل والكروم والمنجنيز ، والبوكسيت (خام الألمونيوم) ، وقد قامت على هذه المعادن صناعات متعددة ومتطورة ، ومنها صناعات النسيج والصناعات الاستراتيجية ، وبها قاعدة تكنولوجية كبيرة يعمل فيها حوالى مائة وسبعين ألفا.

وكازاخستان إحدى الجمهوريات السوفيتية النووية الأربع ، ومن أراضيها كانت تطلق سفن الفضاء ، حيث بها مركز «بايكونور» للفضاء، لكنه الآن أصبح مهجورا ، وتركه العاملون به، والخبراء المتخصصون ، وبالرغم من أن اللغة الروسية هى اللغة الرسمية الأولى فى البلاد فإن ثقافة الكازاخ هى السائدة ، ومن هنا نجدهم بعد الاستقلال يتطلعون إلى إحياء هويتهم الإسلامية[1].

وقد أصبحت كازاخستان جمهورية منذ عام ١٩٢٠م بانضمام بعض المقاطعات التى كانت خاضعة للحكم الروسى ، حتى أصبحت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى بعد عام ١٩٢٥م، واختيرت مدينة «ألما أتا» عاصمة للجمهورية ، وإن انتقلت العاصمة إلي مدينة أخرى عام ٢٠٠٠م عرفت باسم «أستانا» .

ثانيا : جمهورية أوزبكستان :

تحد جمهورية أوزبكستان من الشمال جمهورية كازاخستان ، ومن الشرق جمهورية قيرغيزستان، ويمثل الأوزبك حوالى ٧٠٪ من سكان الجمهورية إلى جانب بعض العرقيات الأخرى مثل الروس والطاجيك والتتار، ومعظم الأوزبك مسلمون سنيون ، يعيشون فى المدن ذات الميراث الحضارى الإسلامى مثل بخارى وسمرقند وطشقند وفرغانة وخوارزم .

١- د. فوزى محمد طايل : آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمم الإسلامية، مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، المحور السياسى .

وتبلغ مساحة أوزبكستان ٤٤٧٤٠٠كم٢ ، وعدد السكان حوالى ٢٠ مليون نسمة ، وكان الشعب الأوزبكى هو الشعب الحاكم لوسط آسيا حتى وصول الروس خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، إن الولايات الأصلية التى كان يحكمها الأوزبكيون أسست فى القرن الخامس عشر على بقايا امبراطورية تيمورلنك ، ويتحدث الأوزبكيون لغة الجاجاتاى التى ترتبط باللغة التركية العثمانية والتركية الأذربيجانية [١].

وتضم أوزبكستان أكبر تجمع بشرى إسلامى فى جمهوريات وسط آسيا ، وأكثرها تجانسا من الناحية العرقية ، حيث أن بقية الأعراق التى تسكن الجمهورية لايمثلون إلا حوالى ٣٠٪ فقط من مجموع السكان ، وتتمتع بتجانس ثقافى عالى، وقد ظل كثير من المسلمين فيها متمسكون بعقيدتهم وتقاليدهم إلى حد كبير [٢]. والعاصمة مدينة طشقند ذات التاريخ كمركز للتراث الإسلامى.

وتتمثل ثروة أوزبكستان فى الزراعة لأراضى مساحتها حوالى ٨ ملايين فدان، تشغل زراعة القطن حوالى ٥٠٪ من هذه المساحة ، إلى جانب الحبوب كالقمح والخضروات والفواكه، وكل ذلك نتيجة توفير المياه من الأنهار حيث أقيمت قنوات للرى متعددة كما تتوفر المراعى فى غرب أوزبكستان حيث تشتهر بالأغنام ذات الأصواف المتميزة ، وبألوان متعددة ، سوداء وحمراء ، وذهبية ، وبيضاء.

كما تمتلك أوزبكستان ثروة كبيرة من المعادن مثل النحاس والزنك والرصاص والمنجنيز والتنجستين والذهب ، إلى جانب الفحم والبترول والغاز، والحديد ، وقد قامت صناعات كثيرة علي هذه المعادن مثل صناعة الجرارات الزراعية وماكينات الحصاد وصناعات الغزل والنسيج والجلود والبلاستيك والورق والأسمدة[٣].

ثالثا: جمهورية تركمنستان :

تقع جمهورية تركمنستان فى الجنوب الغربى لمجموعة دول وسط آسيا الاسلامية المستقلة وهى تطل على بحر قزوين ، وتجاور كلا من كازاخستان، وأوزبكستان وأفغانستان وإيران

١- عمر محمد الصادق : المرجع السابق .

٢- فوزى محمد طايل : المرجع الاسبق.

٣- عمر الصادق : نفس المرجع السابق.

وعاصمتها مدينة «عشق أباد» ويبلغ عدد سكانها حوالى أربعة ملايين نسمة الغالبية العظمى منهم مسلمون، وهناك إلى جانب التركمان عرقيات أخرى تتمثل فى الأوزبك والتتار، والكازاخ ، والروس والأوكرانيين والأرمن وجنسيات أخرى ، ومساحة الجمهورية ٤٨٨١٠٠٠كم٢ .

وتتمثل الثروة القومية فى تركمنستان فى الزراعة على مياه نهر «أموداريا» والزراعة الحرفة الرئيسية لأهل الجمهورية ، حيث يزرعون القطن والحبوب وهى القمح والذرة، إلى جانب الخضروات والفواكه، كما توجد ثروة حيوانية لابأس بها مثل الأغنام والماعز والماشية ، حيث تقوم صناعات على أصواف الأغنام وتهتم الجمهورية بتربية الخيول العربية الأصيلة ، وتقوم مصائد الأسماك ببحر قزوين بدور كبير فى النشاط الاقتصادى للسكان[١].

وبالجمهورية ثروة معدنية تتمثل فى البترول والغاز والفحم والملح والكبريت ، والمعادن النفيسة والمنجنيز ، حيث تقوم صناعات متعددة للبتروكيماويات والأسمدة والأسمنت والحديد والصلب والمنسوجات وغيرها من الصناعات الغذائية ، والسجاد، والرخام، والبوتاسيوم ، وملح الطعام.

وقد أعلنت جمهورية تركمنستان فى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٤م باعتبارها احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى صارت جمهورية مستقلة فى الأول من نوفمبر ١٩٩١ ، واتخذت سياسة علمانية حيث صار أحد القادة البارزين فى الحزب الشيوعى وهو «سابار مواد نيازوف» رئيسا للجمهورية بعد انتخابات جرت فى ٢١ يونيو ١٩٩٢ م[٢]. وتعتبر تركمنستان الأقل بين الجمهوريات السوفيتية السابقة معاناة من التغيير، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتى غير «الحزب الشيوعى» اسمه إلى «الحزب الديموقراطى» وفى تركمنستان خمسة أحزاب سياسية، وأقوى هذه الأحزاب هو حزب الفلاحين، والذى يلي مباشرة الحزب الديموقراطى الذى يترأسه «نيازوف» رئيس الجمهورية ، وقد تقررت عدة أمور تفتح الطريق لمزيد من الحرية للأهالى لممارسة شعائرهم الدينية[٣].

١- عمر محمد الصادق: المرجع السابق.

٢- فوزى محمد طايل : المرجع الاسبق.

٣- عبد العزيز محمد عوض الله : بين التركمان ، دراسة انثروبولوجية وتاريخية لتركمان آسيا الوسطى الإسلامية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر، المحور التاريخى .

رابعًا : جمهورية قيرغيزستان:

تجاور جمهورية قيرغيزستان أو قرغيزيا كلا من كازاخستان والصين الشعبية وأوزبكستان، وطاجيكستان وأرضها جبلية تقع على سلسلة جبال «تين شان»، والعاصمة مدينة «فرونزى» ومساحة الجمهورية ١٩٨٥٠٠كم٢، ومعظم سكانها من الأتراك المسلمين الذين يمثل القرغيز ٥٠٪ والباقى من الأوزبك والتتار، والروس والأوكرانيين والألمان، ويبلغ عدد السكان حوالى خمسة ملايين نسمة ويتمثل النشاط الاقتصادى فى قيرغيزستان بالزراعة للحبوب مثل القمح والبنجر والأرز والنباتات الطبية والفاكهة والخضروات ، وتربية النحل ودود الحرير ، وبسبب توفر المراعى بالجمهورية نشط الأهالى فى تربية الحيوان كالخراف والماعز والخنازير وتقوم صناعات على كثير من هذه المنتجات الزراعية والحيوانية[1].

وبالنسبة للثروة المعدنية، فانها تتوفر بكميات أتاحت الفرص لاقامة صناعات حيث توجد معادن الزئبق ، والبترول والغاز والفحم والحديد والاسمنت والسيارات وتكرير السكر والصناعات الجلدية والصوف والمنسوجات والأخشاب والتبغ والصناعات الكهربائية والزجاجية.

وقد صارت قيرغيزستان جمهورية اشتراكية سوفيتية مستقلة داخل الاتحاد السوفيتى عام ١٩٣٦م بعد أن كانت جزءا من جمهورية تركستان السوفيتية، منذ عام ١٩٢٤م. ومع تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م ، صارت قيرغيزستان جمهورية مستقلة[2].

وتأخذ جمهورية قيرغيزستان سياسة حيادية بين جاراتها فى وسط آسيا، خاصة وأن جارتها طاجيكستان تشهد حربا أهلية عرقية منذ استقلالها ، وتهتم بالتعليم حيث توجد بها أكاديمية للعلوم وحوالى ٥٠ معهد فنيا، و١٨ معهدا للبحوث، كما تم افتتاح جامعة بها عام ١٩٥١م.

خامسا : جمهورية طاجيكستان :

تحد طاجيكستان من الشمال نهر «أموداريا » وغربا وشمالا تحدها أوزبكستان وقيرغيزيا ومن الشرق تركستان الصينية ، وجنوبا أفغانستان ، وهى أصغر دول وسط آسيا، وأفقر دول الكومنولث ، ومساحتها ١٤٣١٠٠كم٢ وعاصمتها مدينة «دوشانبى» وعدد سكان طاجيكستان أكثر قليلا من خمسة ملايين نسمة، وتسكن بالجمهورية إلى جانب الطاجيك عرقيات أخرى مثل الأوزبك والروس والأوكرانيين والأرمن ، ويتحدث الطاجيك باللغة الفارسية، ويتمسكون بالاسلام تمسكا شديدا ، وكثير من مسلمى سكان الجمهورية شيعة.

١- عمر محمد الصادق : المرجع السابق.

٢- فوزى محمد طايل : المرجع السابق.

ونشاط أهل طاجيكستان يعتمد على الزراعة لتوفر مياه الرى من نهرى «سرداريا» و «أموداريا»، وروافدهما، وهى تصرف مياهها فى بحر آرال، وتشمل المزروعات القمح والشعير والأرز والقطن والشوفان، إلى جانب أنواع متعددة من الفاكهة والخضروات وتوجد مراعى غنية بالجمهورية يتم تربية الماشية، والأغنام والماعز والدواجن والخنزير وغيرها.

والصناعات القائمة بطاجيكستان تتمثل فى أنشطة التعدين والمشروعات الهندسية والغذائية والنسيج والحرير، وتوجد من المعادن عدة أنواع مثل الفحم الحجرى والبترول والغاز والزنك واليورانيوم والراديوم والزرنيخ وبعض المعادن النفيسة مثل الياقوت والفيروز[1].

ولقد نشأت جمهورية طاجيكستان السوفيتية الاشتراكية من مناطق بخارى وتركستان حيث كان كل سكانها من الطاجيك، وقد اعترف بها كجمهورية مستقلة ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتى فى ٥ ديسمبر عام ١٩٢٩م حتى إذا تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م، أصبحت طاجيكستان مستقلة.

وبسبب ملاصقتها لأفغانستان، تشكل حزب سياسى باسم «حزب النهضة الإسلامية» تولى سياسة التشدد ضد الاتجاهات الشيوعية بالجمهورية ومن ثم حدثت حرب أهلية فى الجمهورية، ويتلقى هذا الحزب الإسلامى دعما من باكستان وإيران وأفغانستان (جماعة طالبان)، من ثم أصبح هناك توافقا بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية والدول العلمانية بالمنطقة، على ضرورة عدم السماح باقامة دولة إسلامية في طاجيكستان [2].

رابعا: مشكلات قوقازية

رغم استقلال الجمهوريات القوقازية بعد تفكك الاتحاد السوفيتى، فقد ظهرت عدة مشكلات تثير الاضطرابات وتؤدى إلى عدم الاستقرار فى هذه الجمهوريات المستقلة، مثل مشكلة ناجورنو قراباخ بين أذربيجان وأرمينيا، ومشكلة الأبخاز فى جمهورية جورجيا، إلى جانب مشكلة جمهورية الشيشان التى سنعرض لها.

أ- ناجورنو قراباخ:

يقع إقليم ناجورنو قراباخ المتمتع بالحكم الذاتى داخل أراضى جمهورية أذربيجان، وأغلبية سكانه من الأرمن المسيحيين نسبتهم ٧٠٪ من عدد السكان مع وجود عناصر إسلامية آذارية نسبتها ٢٥٪، ومساحته ٤٤٠٠ كيلو مترا مربعا وعاصمته مدينة «ستيبا ناكرت» وعدد سكانه حوالى ٢٠٠ ألف نسمة، ويتميز الإقليم بوفرة مياهه وأراضيه الخصبة.

١- عمر محمد الصادق: المرجع السابق.

٢- فوزى محمد طايل: المرجع السابق.

وعند تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م وإعلان أذربيجان جمهورية مستقلة وكذلك جمهورية أرمينيا، تطلعت جمهورية أذربيجان إلى ضم إقليم ناجورنوقرباخ بينما نادى الأرمن فى الإقليم بالاستقلال عن أذربيجان وإخلائه من الآذاريين الذين يطلقون عليهم الترك. ومن ثم حدثت اضطرابات فى الإقليم وتصاعدت أعمال القتال بين الآذاريين والأرمن، وأصدر برلمان أذربيجان قرارا يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٩١م بضم إقليم ناجورنوقراباخ إلى الوطن الأم، وإلغاء وضع الحكم الذاتى الذى كان يتمتع به.

ونتيجة لتدخل جمهوريات روسيا الاتحادية وأرمينيا وجورجيا تمكن الأرمن فى إقليم ناجورنوقراباخ من استعادة السيطرة على الإقليم وطرد معظم المسلمين الذين كانوا به، وأجروا استفتاء فى شهر يناير ١٩٩٢م كانت نتيجته عودة إقليم ناجورنوقراباخ مستقلا. بيد أن الآذاريين لم يذعنوا لاقتطاع جزء من بلادهم. وباستئناف القتال استولى الأرمن على أراض آذارية جديدة لفتح ممرات من إقليم ناجورنوقراباخ حتى الحدود الأرمينية [١].

وإزاء التدخل الدولى المتمثل فى روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية إلى جانب أرمينيا وجورجيا وتركيا وإيران تمكنت جمهورية أرمينيا من الاستيلاء على مزيد من أراضى جمهورية أذربيجان إلى جانب إقليم ناجورنوقراباخ، بينما فشلت القوات الآذارية فى صد الهجمات الأرمينية، وقد طالبت هيئة الأمم المتحدة فى ٦ أبريل ١٩٩٣م بوقف القتال وانسحاب القوات الأرمينية. ولكن جمهورية أرمينيا لم تستجب لقرار هيئة الأمم المتحدة واستمرت فى غزو الأراضى الآذارية حتى استولت فى شهر يونيو ١٩٩٣م على حوالى ١٦٪ من الأراضى الآذارية.

ورغم هذا لم تتوقف جمهورية أرمينيا عن اعتدا ءاتها على أراضى جمهورية أذربيجان مما أضطر مجلس الأمن إلى أن يطلب فى أول مايو ١٩٩٣م ضرورة سحب القوات الأرمينية من الأراضى الآذارية، والسماح لوكالات غوث اللاجئين الدولية بالعمل، وبدء المباحثات بين أطراف النزاع تحت رعاية مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبى [٢].

١- فوزى محمد طايل: بحث آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية، مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز - جامعة الأزهر، ص٣٣١.

ود. سعيد عبد المجيد بكر: الأقليات الإسلامية فى اسيا واستراليا، ص٣٥٣.

٢- نفس المرجع السابق، ص٣٣٥.

ب- أبخازيا :

جمهورية أبخازيا مساحتها ٨٦٠٠ كيلو مترا مربعا وعاصمتها مدينة سوخومى وعدد سكانها حوالى ٢٥ ألف نسمة ، وبسبب وقوعها على البحر الأسود وشبه جزيرة القرم كانت ميدان غزو ونزاع مستمر. وقد أصبحت جمهورية ذات حكم ذاتى منذ شهر مارس ١٩٢١م، ودخلت الإطار الاتحادى مع چورچيا منذ ١٧ أبريل ١٩٣٠ حينما اقتطعها ستالين الجورجى الأصل من روسيا. ويشكل المسلمون الأبخاز قرابة نصف سكان الجمهورية ، والباقى من الجورجيين والروس[١].

ويشكل المسلمون فى أبخازيا مع باقى مسلمى سواحل البحر الأسود وشبه جزيرة القرم وحدة عقائدية وجغرافية ، لذا فلم يكن غريبا أن يثور أهل الإقليم للمطالبة باستقلالهم عن چورچيا منذ مطلع شهر أبريل عام ١٩٨٩م. وأعلنوا فى ٢٥ أغسطس ١٩٩٠م استقلال أبخازيا استقلالا تاما. فأرسلت چورچيا ميليشيات هاجمت الأبخاز المسلمين اعتبارا من ٢٠ يوليو١٩٩٢م، ثم اتخذ القتال بعدا دوليا ليس فقط بسبب تدخل روسيا عسكرياً إلى جانب الأبخاز ولابسبب قيام شعوب شمال القوقاز وهم أكثر من ١٩ شعبا- بإرسال متطوعين عبر الحدود الروسية إلى أبخازيا اعتبارا من منتصف أغسطس ١٩٩٢م للقتال إلى جانب إخوانهم الأبخاز، ولكن أيضا لأن هيئة الأمم المتحدة قامت بإرسال ٦٠ مراقبا دوليا لمراقبة وقف إطلاق النار كان مفروضا أن يسرى اعتبارا من ٢٠ مايو ١٩٩٣م، لكن القتال عاد ليتجدد لأن أيا من الجانبين لم يحقق أهدافه ولم يعلن انهزامه .

جاء تأييد روسيا الاتحادية لحركة الأبخاز بالاستقلال عن چورچيا بسبب ارتباط مطالب الأبخاز بالانفصال عن جمهورية چورچيا بالانضمام إلى الاتحاد الروسى . وكان هدف الأبخاز من ذلك هو الانضمام بالتالى إلى باقى مسلمى شمال القوقاز الموجود فى إطار الاتحاد الروسى.

وقد اتهمت جمهورية چورچيا روسيا بإرسال قرابة ٢٠٠٠ من قوات الجيش الرابع عشر الروسى المتمركز غرب «مولد وفيا» لدعم الأبخاز، وفى نفس الوقت تتهم حكومة أبخازيا حكومة چورچيا بمحاولة تقسيم جمهوريتهم إلى قسمين أحدهما يخصص للمسلمين [٢].

١- سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا، ص٣٦٣ .

٢- المرجع السابق، ص٣٣٦ .

الفصل الثانى
مشكلة الشيشان

-نبذة جغرافية- الإسلام فى القوقاز- الروس والقوقاز- مقدمة- الصراع بين الشيشان والروس فى عهد القياصرة- الصراع فى عهد الاتحاد السوفيتى- الصراع فى ظل روسيا الاتحادية.

نبذة جغرافية :

تقع جمهورية الشيشان والأنجوش فى الأطراف الشرقية لمرتفعات شمال القوقاز، ويحد الجمهورية من الشرق والجنوب الشرقى جمهورية داغستان، ومن الجنوب جورجيا ومن الغرب أوسيتيا الشمالية، وأشهر مدن الجمهورية : جروزنى، كوديرميس، مالكوبيك، أركون[1].

وعاصمة شيشانيا مدينة «جرزونى» وهى كلمة روسية تعنى الرهيب أو المهدد، وهو لقب كان يطلق على القيصر «ريفان» الملقب بايفان الرهيب، وهو أحد القياصرة الأوائل الذين أرسوا دعائم روسيا القيصرية ، ومدينة جروزنى بناها القائد الروسى «برملوف» على أنقاض قرية شيشانية تقع على ضفاف نهر «السونجا» وكان اسم القرية «سونجارغالا» فقام «برملوف» بهدم هذه القرية وبنى على أنقاضها قلعة ضخمة عام ١٨١٨م وأطلق عليها اسم «جروزنى».

وتتكون جمهورية الشيشان من ١٢ مقاطعة و٤ مدن رئيسية ، وتقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز التى يصل إرتفاعها إلى ٤٤٩٣ مترا، وكان الروس يقسمون شيشانيا إلى شيشان الكبرى وشيشان الصغرى، وتقع الكبرى شرق نهر الأرجون والصغرى غربه، وتجرى فى البلاد عدد من الأنهار الصغيرة العميقة السريعة العديدة والتى تنبع من جبال القوقاز .

والشيشان من الشعوب القديمة التى سكنت القوقاز منذ آلاف السنين ويشكلون أحد الشعوب الأصلية لمنطقة القوقاز والتى تشمل أيضا شعوب الشراكسة والآفار (فى الداغستان) والأنجوش، وشعب أوسيتيا الشمالية والجنوبية إضافة لشعب الكارتفيل، وهو الفرق الأصلى للشعب الجورجى.

١- د. محمد حرب: معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية، مجلة الأزهر شعبان ١٤١٥هـ ص١٠٧٥ .

وسكان جمهورية الشيشان والأنجوش حوالى ١,٥ مليون نسمة يتكونون من عناصر الشيشان والأنجوش والداغستانيون والروس وعناصر أخرى، ويتكلم كل من الشيشان والأنجوش والداغستانيون لغة خاصة بكل منهم ويظهر فى لغات هذه الشعوب تأثيرات اللغات العربية والفارسية والتركية والروسية.

واقتصاد جمهورية الشيشان يتركز فى إستخراج البترول وتكريره وتصديره عن طريق جمهورية الداغستان فى الشرق الواقعة على بحر قزوين، وعن طريق البحر الأسود فى الغرب هذا إلى جانب استخراج وتصدير الفحم والغاز الطبيعى.

وتحتل الزراعة مكانة هامة فى الدخل القومى بجمهورية شيشانيا، حيث تزدهر زراعة الفواكه وزراعة الدخان، هذا إلى جانب وجود ثروة حيوانية تتطور عددا وإنتاجا ، بالإضافة إلى وجود مساحات كبيرة من الغابات تمثل أخشابها أحد مصادر الدخل القومى وفى الوقت نفسه تمثل ملجأ للثوار الشيشان عبر التاريخ ضد الروس.

ويغلب على الشيشان الطابع الريفى- الجبلى، إذ يعيش ٦٧٪ منهم فى المناطق الريفية والجبلية، ورغم ذلك فنسبة التعليم بينهم مرتفعة ، إذ قدرتها آخر الإحصاءات السوفيتية بحوالى ٩٨٪ من إجمالى السكان. والشيشان من أكثر الشعوب فى الاتحاد الروسى محافظة على الطابع القومى ، فحوالى ٩٨,٦٪ منهم يعتبرون اللغة الشيشانية اللغة الأم مقابل ١,٣٪ يعتبرون اللغة الروسية لغتهم الأم. كذلك لوحظ فى آخر تعدادين للسكان فى الاتحاد السوفيتى اتجاه نسبة الروس المقيمين فى شيشينيا - أنجوشيا إلى الانخفاض[1].

الإسلام فى القوقاز :

يمكن التأريخ لدخول الإسلام إلى القوقاز بالقرن الأول الهجرى الموافق للقرن السابع الميلادى حينما أغرت مناطق القوقاز ذات السهول الخصبة الفاتحين المسلمين القادمين من تركستان (وسط آسيا) ومن بلاد فارس، وقد استطاعوا بعد ذلك السيطرة على كل بلاد القوقاز حتى وصلوا إلى مناطق سيبيريا حيث انتشر الإسلام واعتنقته غالبية سكان تلك البلاد .

١- د. محمد السيد سليم : المشكلة الشيشانية، أصولها وآفاقها. أوراق أسيوية (١) أبريل ١٩٩٥م ، ص٢-٣ .

وقد اعتنق الشيشان الإسلام على يد الدعاة والمبشرين بالدين الإسلامى والتجار قادمين من داغستان التى تقع إلى الشرق من الشيشان ومن بخارى ومن شبه جزيرة القرم التى تقع إلى إلى الغرب من بلاد الشيشان. ومنذ اعتنق أهل الشيشان الإسلام تمسكوا بإسلامهم أشد التمسك خاصة فى نضالهم ضد الروس فى عهد القياصرة وفى عهد الاتحاد السوفيتى والآن فى عهد روسيا الاتحادية.

والشيشان مسلمون يتبعون المذهب الشافعى، وللطرق الصوفية نفوذ كبير فى بلاد القوقاز جميعا ، حيث اعتنق الشيشان الإسلام عن طريق الطرق الصوفية مثل الطريقة القادرية والطريقة النقشبندية ، وهاتان الطريقتان من أكثر الطرق الصوفية انتشارا بين الشيشانيين[١].

ومن المنطلق الإسلامى لشعب الشيشان فقد تصاعدت الصحوة الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، ومن ذلك حرص «جوهر دوداييف» . عندما اختارته جمهورية الشيشان رئيسا لها ، على أن يحلف اليمين على المصحف الشريف أمام مفتى الشيشان الشيخ عبد القادر، كذلك أعلن أنه يرتدى حاليا «الكفن» استعدادا للقتال حتى الموت، كما أعلن أن كتائب إسلامية يجرى تشكيلها ، وأن متطوعين إسلاميين انضموا إلى القوات الشيشانية لمواجهة الغزو الروسى، واستعدت لحرب عصابات طويلة، يساعدهم مسلمو العالم، وقد يكون من بينهم آلاف من المسلمين الروس وإخواتهم المسلمين فى رابطة الكومنولث[٢].

الروس والقوقاز :

مقدمة :

من المؤكد أنه لاتوجد أية صلات تصل مابين سكان القوقاز ومنهم الشيشان وبين الروس سواء من الناحية العرقية أو الناحية الدينية أو الناحية الثقافية ولكن رابطة المصلحة هى التى تربط بين روسيا وبلاد القوقاز ، حيث اعتبرت روسيا منطقة القوقاز عمقا استراتيجيا واقتصاديا لها وطريقا يوصلها إلى وسط آسيا (بلاد التركستان) ذات الموارد الاقتصادية الهائلة، ومن ثم فقد تعرضت بلاد القوقاز للغزو الروسى فى التاريخ الحديث، وشهدت بلاد القوقاز صراعًا بين أهل تلك البلاد ومنها الشيشان وبين روسيا فى أحقاب متتالية حتى الآن.

١- قاسم ملكى : نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية- مقال مترجم عن اللغة الفارسية منشور فى كتاب ندوة أحرار الشيشان والدب الروسى، المركز العربى الدولى٦ يناير ١٩٩٥ ص١٩٦-١٩٧ .

٢- د. نيڤين عبد الخالق مصطفى : الأبعاد الراهنة للمشكلة الشيشانية - أوراق أسيوية (١) ص١٧ .

الصراع بين الشيشان والروس فى عهد القياصرة:

الصراع بين الشيشان والروس بدأ عندما بدأ الغزو الروسى لأقطار القوقاز وبلاد تركستان (وسط آسيا) وكان صراعا دينيا وقوميا حيث كانت زعامات الشيشان زعامات دينية إسلامية وقومية ومطالبهم دينية وقومية.

فقد أصبحت كل مناطق سيبيريا عام ١٦٠٣م تحت النفوذ الروسى، وتوالت عمليات الاستيلاء الروسى على مناطق القوقاز وتركستان منذ عام ١٦٠٤م حتى عام ١٨٨٤ م ضمت كلا من قرغيزيا والقرم وطقشند وبخارى وخيوة وتركمانستان[١].

وقد لاقت روسيا القيصرية أثناء زحفها على أقطار القوقاز مقاومة عنيفة من قبل الأديج الشركس والشيشان والداغستان ، وكانت السياسة التوسعية لروسيا القيصرية فى شمال القوقاز موجهة نحو حصرهم فى الجبال وسلبهم المراعى والمناطق الزراعية، وفى الوقت نفسه فرضت الإدارة القيصرية بالإكراه قواعد جديدة للنظام السياسى والإدارى فى المنطقة ، وقضت على الأحكام والمؤسسات الاجتماعية التى تشكلت على مدى قرون لدى هذه الشعوب.

وفى عام ١٧٨٥م ظهر على مسرح الأحداث فى القوقاز الشيخ منصور- وهو من شيشانيا ويتبع الطريقة النقشبندية وقد التف حوله الآلاف من الشيشان وقسم من الأديج والداغستان ، وكان شعار الشيخ منصور: تطهير النفس على أسس وقواعد الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الحرية ثم وقع الشيخ منصور فى الأسر وجرى التنكيل بأنصاره على يد المستعمرين الروس.

ثم ظهر من عام ١٨١٨م قائد إسلامى آخر هو الإمام «الغازى مولاى محمد» من داغستان لمواجهة تعسف وسيطرة الجنرال الروسى «ألكس برملوف» وقد قاد الإمام الغازى الداغستانيين والشيشان وخاصة بين عامى ١٨٢٨ و١٨٣٢ لمحاربة المستعمرين الروس، وسار على نهج الشيخ منصور [٢].

ثم ظهر من عام ١٩٣٤م زعيم شيشانى قوقازى آخر هو الإمام «شامل» الذى يعود إليه الفضل فى إقامة نظام إدارى وسياسى وقانونى توحد فى إطاره أبناء شعوب الداغستان

١- مصطفى دسوقى : الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين. مجلة الأزهر ١٤١هـ ص٦٨ .

٢- مصطفى دسوقى: المرجع السابق، ص٦٩ .

والشيشان وقسم من غرب القوقاز في دولة واحدة، وكان لهذه الدولة جيش تراوح عدده بين ٢٠ ألف و٢٥ ألف جندي، وسلطة تمثيلية بشكل مؤتمرات ، وهكذا ترسخت روح الاستقلال وتقاليد الإدارة المستقلة على أساس الشريعة الإسلامية، وأصبحت أساس الدولة التي أقامها الشيخ شامل مما أتاح لشعوب شمال القوقاز الصمود على مدى حوالي ٣٠ سنة أمام قوات القيصر الروسي المتفوقة في العدد والعدة[1].

وفي نهاية الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن التاسع عشر وجهت روسيا القيصرية قوات مسلحة قوامها حوالي ٢٠٠ ألف جندي لمقاتلة قوات الشيخ شامل ، حيث عاني شعب الشيشان أكثر من غيره من هذه الحرب غير المتكافئة التي لم تستمر طويلا حيث أضطرت شعوب القوقاز بسبب الظروف القاسية إلى التسليم، حيث استسلم شعب داغستان وشعب شيشانيا في أغسطس عام ١٨٥٩م، واستسلم شعب الأديج والشركس في مايو عام ١٨٦٤م وتم طرد الشراكسة من بلادهم فاستقروا في أراضي الدولة العثمانية.

لم تسع روسيا القيصرية إلى احتلال بلاد القوقاز فقط بل حاولت إجراء تغييرات في طبيعة شعوب القوقاز : الشيشان والداغستان والأنجوش إلى جانب أذربيجان ، في الأمور الإسلامية عن طريق تهجير الكثيرين من أهالي تلك البلاد إلى مناطق نائية خاصة سيبيريا وقازاقستان ، كما حاولت تغيير عادات وتقاليد تلك الشعوب الإسلامية ولغاتها، فقد كانت تلك الشعوب تستخدم الحروف الهجائية العربية في الكتابة أسوة بما كانت تفعله الدولة العثمانية والدولة الفارسية. وظل الحال على ذلك حتى تسلم الشيوعيون زمام الحكم في موسكو حيث أحلوا الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في كتابة اللغة المحلية لبلاد القوقاز- وهي في الأصل لغة تركية بلهجة محلية ثم لم يلبثوا حتى فرضوا اللغة الروسية .

وقد عمل الروس في عهد القياصرة على تغيير الديانة الإسلامية التي تعتنقها شعوب الشيشان وداغستان وغيرها من شعوب القوقاز، عن طريق إرسال البعثات التنصيرية الأرثوذكسية إلى بلاد القوقاز لنشر الأرثوذكسية مذهب الكنيسة الروسية بين مسلمي القوقاز وقد قاوم المسلمون هذه السياسة ما وسعتهم المقاومة.

١- مصطفى دسوقي : المرجع السابق، ص٦٩ .

٢- نفس المرجع ، ص٧٠ .

وإذا كانت مقاومة المسلمين لعمليات التنصير الأرثوذكسي الروسي قد نجحت كثيرا في التصدي لهذه العمليات ، فإن سياسة روسيا وخاصة في عهد القيصر «إيفان الرهيب» ومن جاء بعده من قياصرة روسيا المتعصبين ابتداء من منتصف القرن السادس عشر الميلادي قد نجحت إلى حد ما عن طريق الوسائل العنيفة في تحويل مسلمي كل من «سيبيريا» واستراخان والأورال والقرم وتركستان. وإن كانت شعوب القوقاز قد نجحت في التصدي لهذه الحملات الروسية حتى سقطت بلادهم في يد الروس في منتصف القرن التاسع عشر.

ومنذ ذلك الوقت فرضت روسيا القيصرية على شعوب الشيشان والداغستان وغيرهم من شعوب القوقاز المسلمة أقسى أنواع العذاب والقهر بالقيام بتدمير بلادهم وتهجيرهم إلى بلاد نائية وبعيدة عن بلادهم حتى لايتمكنوا من العودة إليها أبداً ففي عام ١٨٦٤م تم تهجير نحو ٣ ملايين شركسي من أهل القوقاز إلى نحو ٢٤ دولة منها بلغاريا وأرمينيا وقبرص وردوس وسوريا ، كما تم تهجير سكان القسمين الشمالي والشمالي الغربي من القوقاز وحل محلهم روس من القوزاق وغيرهم، وهكذا أصبح الأهالي الأصليون في تلك البلاد- وهم من الشركس - أقلية بينما أصبحت الغالبية (نحو الثلثين) من الروس من خارج البلاد[1].

الصراع في عهد الاتحاد السوفيتي:

ظل الشيشان وشعوب القوقاز يقاومون المستعمرين الروس حتى سقط حكم القياصرة وقامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م ليبدأ الصراع بين الشيشان والشعوب المسلمة في جبال القوقاز وتركستان من ناحية وبين الروس الشيوعيين الماركسيين من ناحية أخرى.

وقد حاولت روسيا البلشفية استقطاب شعوب شمال القوقاز فأبقت على كثير من المؤسسات التي استحدثها الإمام شامل بدون تغيير ، فأبقت المحاكم الشرعية في بلاد الشيشان وداغستان حتى عام ١٩٢٦م، حين ألغتها سلطات الحكم الشيوعية، كما سمحت تلك السلطات لأبناء جبال القوقاز بحمل السلاح باعتبار ذلك من مظاهر احترامها لتقاليدهم، وأعفتهم من الخدمة العسكرية الإجبارية وقدمت لهم تسهيلات أخرى، وأرادت السلطات بهذه

١- محمود عبد الرحمن : تاريخ القوقاز ، دار النفائس بيروت ١٩٩٥ ، ص٥٧ .

الإجراءات كسب مودة أبناء شمال القوقاز ونظرا لعدم ثقتها فى الشعوب القوقازية فأنها أقامت فى بلاد الشيشان وداغستان شبكة من الحصون العسكرية [١].

وفى المقابل أسس مندوبو شعوب شمال القوقاز جمهورية اتحاد أبناء جبال القوقاز فى سبتمبر ١٩١٧م وتشكل لهذه الجمهورية برلمان وحكومة هدفها بناء جمهورية شمال القوقاز الديموقراطية الفيدرالية ضمن الاتحاد الروسى الديمقراطى مستقبلا . ثم تأسست فى مايو عام ١٩١٨م الجمهورية الجبلية المستقلة المتحدة وتضم كل جمهوريات شمال القوقاز التى انضمت إلى الاتحاد السوفيتى فى ٢٠ يناير ١٩٢٠م ، ثم انسلخت منها داغستان عام ١٩٢١م وغيرها من الأقاليم ، حتى لم يأت عام ١٩٢٣م حتى أصبحت هذه الجمهورية المتحدة تضم فقط كلا من أقاليم الشيشان والأنجوش وأوسيتيا الشمالية ، وكلها بدورها أصبحت أقاليم مستقلة .

أخذت حكومة الاتحاد السوفيتى تغير وتبدل وتهجر من وإلى جمهورية الجبل المتحدة وفقا لمصالح ومطامع الحكومة السوفيتية ، مرة تعتبرها أقاليم مستقلة ثم لاتلبث أن تحولها إلى جمهوريات ذات حكم ذاتى. وفى يناير ١٩٣٤م ضمت جماعات الشيشان والأنجوش وكونا إقليما مستقلا، ثم تطور إلى جمهورية ذات حكم ذاتى، ثم تلغى هذه الجمهورية بتهجير الجماعتين إلى أماكن متفرقة ، أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية تهجيرا إجباريا، وتغير اسم الجمهورية إلى إقليم جروزنى بعد ضم الكثير من أراضيها إلى كل من جمهوريتى جورجيا وأوسيتيا المجاورة[٢].

وفى إطار عملية الترحيل الجماعى والبطش الشيوعى بأهل الشيشان والأنجوش فقد تم ترحيل مئات الألوف إلى قازاقستان وقيرغيزيا ، الذين ظلوا بالمنفى حتى رد لهم اعتبارهم عام ١٩٥٧م، بينما تعرض من بقى من الشيشان للكثير من البطش الشيوعى بأعدام الشيوخ والأئمة وإغلاق المساجد. وقد أعادت السلطات السوفيتية الاسم القديم للبلاد عام ١٩٥٧م وهو جمهورية الشيشان والأنجوش.

١- المرجع السابق: عن صحيفة الشرق الأوسط ١٧ ديسمبر ١٩٩٤، ص١٠١ .

٢- محمود أبو العلا: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى، دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية، القاهرة ١٩٩٣، ص٣٩ .

واستمرت السياسة التعسفية للاتحاد السوفيتي ضد شعوب القوقاز سواء بتهجير أعداد كبيرة من مسلمي القوقاز إلى مناطق روسية ونقل شعوب روسية إلى مناطق قوقازية بهدف إلغاء الهوية القوقازية عن طريق تذويب شعوب القوقاز المسلمة في الشعب الروسي في ظل الاشتراكية الماركسية اللينينية، وفي إطار هذه المبادىء المعادية للدين فقد تعرض المسلمون- وخاصة علمائهم- للاعتقال مع إغلاق المساجد والمدارس الإسلامية ومصادرة الأوقاف الإسلامية، ومنع التعليم الديني في المدارس ، ومنع المسلمون من إقامة الشعائر الدينية وإلغاء القضاء الشرعي.

وإمعانا في محاربة الحكم الشيوعي للمسلمين في القوقاز وغيرها، فقد اتهم ستالين الحاكم الدكتاتوري للاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٤م أهالي الشيشان والأنجوش بالتآمر مع الألمان ضد الاتحاد السوفيتي فقام بتهجير حوالي نصف مليون مسلم من أهالي تلك البلاد إلى كل من سيبيريا وقازاقستان ، كما أنه حل جمهورية الشيشان والأنجوش- كما ذكرنا- وقسم أراضيها بين أوسيتيا وداغستان، ولم يسمح للشيشان والأنجوش بالعودة إلى بلادهم إلابعد موت ستالين ، كما أعيدت جمهورية الشيشان والأنجوش عام ١٩٥٧م، كما سبق أن ذكرنا[١].

الصراع في ظل روسيا الاتحادية :

ظلت سياسة الاتحاد السوفيتي نحو الشيشان والأنجوش وغيرها من مناطق القوقاز وتركستان الغربية أعضاء الاتحاد السوفيتي التعسفية ضد المسلمين في هذه البلاد حتى تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م وإعلان الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز استقلالها الكامل وانضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة كدول مستقلة ذات سيادة، أما الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي، فقد ظلت تخضع لسيطرة روسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفيتي.

وعندما حاول الزعيم الشيشاني «جوهر دوداييف» رئيس جمهورية الشيشان المستقلة استقلالا ذاتيا، اغتنام فرصة ضعف السلطة في موسكو أعلن استقلال بلاده في نوفمبر عام ١٩٩١م بعد عقد مؤتمر قومي عقد بالعاصمة الشيشانية «جروزني» وأعلن قيام الجمهورية

١- محمود عبد الرحمن: المرجع السابق، ص٧٦ .

الإسلامية الشيشانية معتمدا على المادة الثالثة من دستور الاتحاد السوفيتى التى تنص على أنه «إذا خرجت إحدى الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتى، فإنه يحق للجمهوريات الأخرى التى تدخل فى نطاق الجمهورية المنفصلة أن تنفصل هى الأخرى وتستقل». وكانت روسيا نفسها قد انفصلت وأعلنت استقلالها ، كما أعلنت قيام الاتحاد الروسى كبديل عن الاتحاد السوفيتى[١].

إلا أن روسيا الاتحادية رفضت الاعتراف باستقلال جمهورية الشيشان بزعامة «جوهر دوداييف» وشنت حملة عسكرية على هذه الجمهورية الصغيرة فى ٧ يناير ١٩٩٤م ودارت الحرب بين الطرفين استمرت عامين حتى عام ١٩٩٦م، وقد سقط «دوداييف» شهيدا فى هذه الحرب ليخلفه فى قيادة الشيشان «باندربايف» وهو المفكر القومى لحركة الشيشان، ونتيجة لعناد وصلابة الشيشان واستخدامهم لحرب العصابات ضد القوات الروسية، فقد اضطر «يلتسين» زعيم روسيا إلى طلب المفاوضات مع المقاتلين الشيشان، حيث تم الاتفاق على وقف إطلاق النار بين الطرفين والاعتراف للشيشان بحق تقرير المصير بعد إجراء استفتاء عام مع انسحاب الجيش الروسى من الأراضى الشيشانية.

لم يكن الاتفاق الذى اضطر إليه الرئيس الروسى «يلتسين» مع الشيشان سوى هدنة تلتقط فيها روسيا أنفاسها لتبدأ جولة جديدة من الحرب ضد الشيشان، وقد حانت الفرصة لروسيا بعد تدخل حلف الأطلسى فى شبه جزيرة البلقان ، حيث انشغلت الولايات المتحدة فى الحرب ضد الصرب بسبب سياسة التطهير العرقى التى يتبعها الصرب ضد المسلمين والكروات فى شبه جزيرة البلقان سواء فى «البوسنة والهرسك» أو فى «كوسوفا».

واستغلت روسيا مسألة التفجيرات داخل موسكو، ومحاولة المسلمين فى داغستان إنهاء السيطرة الروسية، لتتهم الشيشان بأنهم وراء هذه العمليات ولما كان الرئيس يلتسين يعانى من مرض الشيخوخة فقد اختار رجل المخابرات الأول فى روسيا «فلاديمير بوتين» ليرأس الحكومة الروسية تمهيدا لخلافة يلتسين فى رئاسة الدولة، وعهد إليه بالتعامل مع المسألة الشيشانية.

وقد اشتعلت الحرب من جديد بين القوات الروسية والمقاتلين الشيشان الذين يقودهم الزعيم «أصلان مسخادوف» ، وهى حرب غير متكافئة، حيث نجح الجيش الروسى فى الاستيلاء على

١- محمود عبد الرحمن: المرجع السابق، ص٨٢ .

العاصمة جروزنى وعلى معظم الأراضى الشيشانية بعد معارك طاحنة قتل فيها عشرات الآلاف من الجنود الروس وقتل وأصيب وهرب عشرات الآلاف من النساء والأطفال والشيوخ من الشيشانيين، وانتقلت الحرب من حرب مواجهة إلى حرب عصابات يفقد فيها الجيش الروسى أعدادا متزايدة من القتلى والأسرى على يد المقاتلين الشيشان كل يوم.

وإذا كانت هذه الحرب قد بدأت مع مطلع عام ١٩٩٩م فإنها مازالت مشتعلة رغم مآسيها الإنسانية، وترفض روسيا الاستماع لنداء العالم بإيقاف القتال والجلوس لمائدة المفاوضات مع المقاتلين الشيشان بدعوى أن هذه مسألة داخلية، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية تخاطب روسيا على استحياء فى هذا الأمر، وهى سعيدة بانغماس روسيا فى مستنقع المسألة الشيشانية حتى تستطيع الولايات المتحدة بسط هيمنتها على أوروبا الشرقية التى كانت عمقا استراتيجيا لروسيا.

وكلمة أخيرة عن الزعامة الشيشانية ، فقد كان «جوهر دودايف» متحمسا للإسلام وهو متصوف يتبع الطريقة النقشبندية ومذهبه شافعى وهو من الداعين إلى وحدة شمال القوقاز : داغستان - شيشنيا- الأنجوش- أوسيتيا- الكباردين- البلكار، وهو يبحث عن النموذج الإسلامى المعتدل ، ولايميل إلى العنف، وكذلك كان بقية الزعماء الشيشانيين أمثال «باندربايف» و«أصلان مسخادوف».

ويمكن أن نحدد الدوافع الروسية فى حربها ضد المطالب الشيشانية فيما يلى:

١- الحرص على تماسك الدولة الروسية، لأن استقلال الشيشان قد يدفع القوميات الكثيرة الداخلة فى الاتحاد الروسى إلى الاستقلال ، والاتحاد الروسى يضم ١٧ جمهورية متمتعة بالحكم الذاتى علاوة على عشرات الأقاليم والمناطق والمقاطعات المتمتعة بالحكم الذاتى، وكلها تقطنها أغلبية من القوميات الصغيرة.

٢- إشارة وسائل الإعلام الروسية إلى أن أراضى جمهورية الشيشان قد أصبحت مركزا لتهريب المخدرات وتجارة السلاح والجريمة المنظمة عموما فى أراضى روسيا وعدد من دول الكومنولث.

٣- رغبة القادة الروس فى مغازلة المشاعر الوطنية والقومية الجريحة للقوات المسلحة الروسية وقطاعات واسعة من الشعب الروسى نتيجة للتراجع الكبير فى قوة روسيا

واضطرار قواتها المسلحة للانسحاب من أوربا الشرقية ودول البلطيق ، بما تزامن مع ذلك من تدهور لقوة وامتيازات المؤسسة العسكرية والمجمع العسكرى الصناعى وأوضاع معيشية شديدة السوء للضباط وأسرهم.

٤- أن التحدى الشيشانى لروسيا أمر يصعب لموسكو السكوت عليه، إذ يهز هيبتها كدولة كبرى عاجزة عن فرض النظام حتى داخل حدودها [١].

وهناك عدد من الحقائق تتصل بالصراع بين الشيشان والروس نسوقها فيما يلى:

أ- وقوع اعتداء على جمهورية الشيشان ، وأن حجم العنف المستخدم فيه وجد انتقادا من المجتمع الدولى، خاصة فى حالة عدم التكافؤ فى القوى بين الطرفين.

ب- أن جمهورية الشيشان بمفردها لاتملك مقومات الدولة التى تستطيع أن تستقل بأمكاناتها الذاتية فهى محاصرة حدوديا، إلا إذا أخذنا فى الاعتبار تطلع زعماء الشيشان لإقامة اتحاد يجمع مسلمى شمال القوقاز، ومدى ما يمكن أن يثيره هذا من مخاوف لدى الغرب من ظهور تجمع إسلامى فى هذه المنطقة يلتقى مع القوى الإسلامية الأخرى فى آسيا الوسطى أو فى قارة آسيا بصفة عامة.

جـ- أن العالم الإسلامى المثقل بهمومه لن يتعدى تأييده للشيشان الإعراب عن القلق والمطالبة بتسوية سلمية أو مبادرات فردية تتمثل فى بعض المتطوعين.

د- أن المسألة فى الشيشان لن تكون مجرد معركة حاسمة وتنتهى، ويرجع كل شىء إلى حاله أو ينتصر شعب الشيشان وتسلم روسيا بالأمر الواقع . فالدلائل تشير إلى أن ثمة حربا طويلة المدى ستستمر فترة من الزمن قبل أن تسلم روسيا بالأمر الواقع، أو قبل أن ينهزم الشيشانيون ويعودوا إلى الإنضواء تحت المظلة الروسية على أية صورة يتفق عليها. وفى جميع الأحوال فان ما حدث ويحدث فى الشيشان سيكون له أثره محليا وإقليميا وعالميا [٢].

١- د. محمد فراج: الغزو الروسى للشيشان، الدوافع والانعكاسات الإقليمية والدولية، أوراق أسيوية ، المرجع السابق ص٢١-٣١ .

٢- د. نيڤين عبد الخالق مصطفى: الأبعاد الراهنة للمشكلة الشيشانية ، أوراق أسيوية ، المرجع السابق ص٢١-٢٥ .

الفصل الثالث
مشكلة كشمير بين الهند والباكستان

- مقدمة- تطور مشكلة كشمير- مرحلة الصراع عامى ٤٧-١٩٥٤م- مرحلة صراع عام ١٩٦٥م- مرحلة صراع عام ١٩٧١م- مرحلة الصراع الحالية- مواقف الأطراف من مشكلة كشمير- موقف الهند- موقف باكستان- موقف سكان كشمير- موقف الولايات المتحدة الأمريكية- موقف جمهورية الصين الشعبية- موقف الاتحاد السوفيتى سابقا وروسيا الاتحادية حاليا- موقف العالم الإسلامى.

مقدمة :

تقع كشمير فى أقصى شمال غربى شبه القارة الهندية، وتحدها باكستان من الجنوب الغربى وجزء من الشمال الغربى ، بينما تحدها الهند بحدود تصل إلى حوالى ٣٠٠ كيلو متر من الجنوب ومن الغرب وتقع أفغانستان عند حدود كشمير فى الشمال الغربى أيضا، وتتصل حدودها بما عرف باسم تركستان الروسية التى صارت دول وسط آسيا الإسلامية، وتركستان الصينية فى الشمال والمعروفة حاليا بمقاطعة سنكيانج.

وإقليم كشمير جبلى من حيث التضاريس حيث تمتد الجبال فى شكل سلاسل شاهقة فى معظمها من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى، وأهم هذه السلاسل سلسلة «كراكورم» و«الهيمالايا» و «السند» وكل هذه السلاسل تقع فى الشمال بينما تشمل السلاسل الجبلية الجنوبية أرض تخوم البنجاب، و«بيربنجال». ويقع وادى كشمير بين السلاسل الجبلية الشمالية والسلاسل الجبلية الجنوبية، وتحصر سلاسل جبال كشمير مجارى نهر السند. وتعتبر جبال «كراكورم» حدا فاصلا وحاميا بين كشمير ومقاطعة تركستان الصينية (سنكيانج) (١).

١- د. جودة حسنين جودة : جغرافية آسيا الإقليمية، الاسكندرية ١٩٩٠، ص٤٥٩-٤٦١ .

وتبلغ مساحة كشمير الكلية حوالى ٢٢٣ ألف كيلو متر مربع يقسمها خط هدنة تم الاتفاق عليه عام ١٩٧٢م جعل لباكستان مساحة ٣٧٪ من المساحة الكلية أى حوالى ٨٣٨٦,٤٢٩ ألف كيلو متر مربع، بينما جعل للهند مساحة ٦٣٪ من المساحة الكلية لكشمير أى حوالى ١٣٨٩٩٢,٥ كيلو متر مربع ، وبذلك تكون الهند مسيطرة على مساحة أكبر من المساحة الخاضعة لإدارة باكستان .

ويتركز السكان فى وادى كشمير وبطون الأودية والسهول المنخفضة ، ويبلغ عدد السكان حسب إحصاء عام ١٩٩١ حوالى ٨ مليون نسمة، ويعتنق معظم سكان كشمير الدين الإسلامى ويليهم الهندوس ، ثم السيخ وبعدهم المسيحيين وغير ذلك من الأقليات ، وإن كان عدد المسلمين يتناقص بسبب عدم الاستقرار وحركات الإبادة ضد المسلمين فى السنوات الأخيرة . ويلاحظ أن المسلمين يمثلون فى القسم الخاضع لباكستان نسبة ٩٩,٨٪ ويتوزع الباقى على الهندوس والمسيحيين والقاديانيين[١].

تطور مشكلة كشمير

دخل الإسلام مقاطعة كشمير منذ القرن الرابع عشر الميلادى على يد الداعية الشيخ عبد الرحمن المعروف باسم «بلبل شاه» عام ١٣٢٥م . وقد استمر الحكم الإسلامى مدة خمسة قرون حتى القرن التاسع عشر الميلادى، وقد قسمت هذه الفترة إلى ثلاث مراحل أو عصور هى: عصر حكم السلاطين من عام ١٣٢٠ إلى عام ١٥٨٦م، وعصر حكم المغول التى امتدت من عام ١٥٦٨ إلى عام ١٧٥٣م، وعصر حكم الأفغان التى امتدت من عام ١٧٥٣ إلى عام ١٨١٩م[٢].

وفى عام ١٨١٩م استولى السيخ على إقليم كشمير بقيادة حاكم البنجاب السيخى «رانجيت سينغ» واستمرت السيطرة السيخية حتى عام ١٨٤٦م، وكان آخر الحكام السيخ هو «شيخ إمام الدين» الذى حكم فى الفترة من ١٨٣٤ إلى عام ١٨٤٦م، وفى هذه السنة ١٨٤٦م عقد البريطانيون معاهدة مع حاكم «جامو» عرفت باتفاقية «أمر تسار» يتولى

١- عبد الرحمن حمدى: الهند عقائدها وأساطيرها ، القاهرة د.ت، ص٢٢ .

٢- Taher Amin : Mass Resistance in Kashmir , origins Evolution, options institute of Policy Studies Islamabad , Pakistan 1995, p. 21 .

«جولاب سنغ» حكم كشمير مقابل ٧,٥ مليون روبية، وبهذا كانت كشمير احدى ولايات شبه القارة الهندية التى سيطر عليها كبار الإقطاعيين، ومنحت حكما ذاتيًا من قبل البريطانيين فى الهند، ومن ذلك الوقت تربعت على عرش الحكم فى كشمير أسرة «الدوجرا» . الذين كان آخر حكام هذه الأسرة هو هادى سنغ حتى تاريخ انقسام شبه القارة الهندية [١].

ولقى المسلمون فى كشمير الاضطهاد على يد المهراجا (حاكم الهند) ، ومن ثم ولدت مقاومة إسلامية ظهر فيها زعماء ومؤسسات ، ومن الزعماء أسد كشمير الشيخ عبدالله، والمير واعظ محمد يوسف شاه. وتشودرى غلام باس، ومن المؤسسات تشكيل ما عرف باسم «حزب المؤتمر الإسلامى العام لجامو وكشمير الذى تشكل عام ١٩٣٢م، ثم تغيير اسمه إلى «حزب المؤتمر الوطنى الكشميرى» وتشكيل حزب «مؤتمر مسلمى كشمير» عام ١٩٤١م الذى نادى بتقرير المصير لشعب كشمير ، وحكم الأغلبية فى المجلس التشريعى حيث كان للمسلمين ١٥ مقعدا من ٢١ مقعد فى انتخابات عام ١٩٤٧م فى كشمير.

وقد بدأت مشكلة كشمير المتصلة حتى الآن منذ استقلال الهند وقيام دولة الباكستان عام ١٩٤٧م على أساس تقسيم شبه القارة بين الهند والباكستان الإسلامية، وكانت شبه القارة الهندية مقسمة إداريا إلى مجموعتين ، كانت المجموعة الأولى تحكم حكما مباشرا بواسطة حكام إنجليز يستمدون سلطاتهم من نائب الملك فى حكم الهند، والمجموعة الثانية ولايات يحكمها أمراء شبه مستقلين عددهم ٢٢ أميرا بعضهم أمراء مسلمين والباقى حكام هندوس منهم كشمير .

وكما ذكرنا كانت أغلبية سكان كشمير مسلمون بينما كان حاكمها هندوسى وقد رفض الانضمام للباكستان عند الاستقلال ، ومن ثم قامت ثورة من المسلمين فى الجزء الأوسط من كشمير انضمت إليها قبائل الباتان الباكستانية ، مما دفع المهراجا حاكم كشمير الهندوسى إلى طلب المساعدة العسكرية من الهند للقضاء على ثورة المسلمين ووقع فى أكتوبر ١٩٤٧م على وثيقة انضمام كشمير للهند التى وافقت بمباركة بريطانية التى اشترطت اجراء استفتاء بين السكان حول وثيقة الانضمام. وبذلك أصبحت القوى السياسية فى كشمير عام ١٩٤٧م متمثلة فى المؤتمر الوطنى بزعامة الشيخ عبدالله والذى يرغب فى الانضمام للهند، وقوى مؤتمر مسلمى كشمير بزعامة تشوردى غلام عباس الذى يسعى للانضمام إلى الباكستان.

١- إحسان حقى: مأساة كشمير المسلمة ، الرياض ١٩٧٠م، ص٦٦ .

وقد مرت مشكلة كشمير بمراحل من الصراع بين الهند والباكستان على النحو الآتى:

١- مرحلة الصراع عام ١٩٤٨م.

٢- مرحلة الصراع عام ١٩٦٥م.

٣- مرحلة الصراع عام ١٩٧١م.

٤- مرحلة الصراع عام ١٩٩٩م.

ونناقش كل مرحلة من هذه المراحل على الوضع التالى:

أولا : مرحلة عامى ٤٧ / ١٩٥٤م :

عندما قررت بريطانيا بسبب ظروفها الاقتصادية والظروف الدولية عقب الحرب العالمية الثانية الانسحاب من شبه القارة الهندية والموافقة على استقلال الهند وقيام دولة الباكستان الإسلامية، تضمن القرار البريطانى ترك الحرية للولايات والمقاطعات الهندية لاختيار الانضمام إلى إحدى الدولتين الهند أو الباكستان، ومن ثم كان على حاكم كشمير منذ ١٥ أغسطس ١٩٤٧م- وهو تاريخ إعلان استقلال الهند وقيام دولة الباكستان. أن يختار الانضمام إلى إحدى دولتى شبه القارة الهندية.

وفى نفس الوقت بدأت كل من الهند والباكستان فى الضغط على المهراجا حاكم كشمير لكى يوافق على الانضمام إلى أيهما، نظرا لموقع كشمير الاستراتيجى المؤثر على أمن كل من الهند والباكستان ، ونتيجة للارتباط الجغرافى الأقوى بين كشمير والباكستان ، وبسبب الارتباط الدينى بين باكستان المسلمة وأغلبية شعب كشمير المسلم. فقد أخذ الزعيم الباكستانى محمد على جناح يمارس ضغوطا قوية ومستمرة على حاكم كشمير الهندوسى، لكى يوافق على الانضمام إلى الباكستان، خاصة أنه كان هناك اتفاق بين الزعيم محمد على جناح والمهراجا عشية الاستقلال وقيام دولة الباكستان الإسلامية، بأن يبقى المهراجا حاكما لكشمير حتى يتقرر مصيرها.

ولكن نتيجة ضغوط باكستان على المهراجا كانت سلبية، حيث لم يتحمس المهراجا لإعلان انضمام بلاده إلى باكستان ، مما دفع زعامة باكستان إلى اتخاذ موقف متشدد منه ، حيث شجعت قبائل شمال كشمير على الثورة ضد المهراجا اعتمادا على الاضطهاد الذى لقيه المسلمون على يد الهندوسى خاصة فى جنوب كشمير، ومن ثم غزت كشمير بعض قبائل

الباتان القاطنة فى منطقة الحدود الشمالية الغربية أواخر أكتوبر ١٩٤٧م بقيادة الجنرال أكبرخان، وأعقب هذا الغزو إعلان قيام حكومة «كشمير الحرة» فى المنطقة التى احتلتها هذه القوات وتولى رئاستها محمد ابراهيم خان أحد زعماء المؤتمر الإسلامى لجامو وكشمير ، وتم هذا الاعلان فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٧م.

وجاء رد فعل المهراجا حاكم كشمير على هذه الأحداث التى اتخذتها باكستان ، وأعلن إنه تقدم بطلب مساعدة عسكرية من الهند لإيقاف تطورات الوضع فى كشمير، وأعلن إن كشمير تتاخم الهند والباكستان ، وأنه كان يود أن يأخذ وقتا كافيا ليقرر فيه انضمام كشمير إلى الهند أو الباكستان أو الاستقلال عنهما مع الاحتفاظ بالعلاقات الودية معهما ، ومن ثم فإنه مع طلب المعونة العسكرية الهندية يعلن موافقته على انضمام كشمير للهند، وكان ذلك يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٤٧م[١].

رحبت حكومة الهند بتوجه المهراجا وقبوله انضمام كشمير للهند، واعتبرت ذلك تحقيقا لمصالحها فى ضم كشمير ذات الموقع الاستراتيجى الهام، ومن ثم دخلت القوات العسكرية الهندية أراضى كشمير بناء على طلب المهراجا ، فاعتبرت حكومة الباكستان دخول القوات الهندية إلى كشمير عدوانا صريحا ترفضه ، ومن ثم بدأ الصراع العسكرى بين الهند والباكستان، إذ طلبت قوات كشمير الحرة المساعدة العسكرية من حكومة باكستان التى وجدتها هى الأخرى فرصة للتدخل ، ومن ثم اشتعلت الحرب بين قوات كل من الهند والباكستان على أراضى كشمير ، وسيطرت قوات كل طرف على جزء من أراضى كشمير، كان الجزء الخاضع للسيطرة الهندية أكبر من الجزء الخاضع للباكستان[٢].

وأخذت بعض القوى الدولية تهتم بهذا الصراع، فقام اللورد «مونتباتن» فى نوفمبر ١٩٤٧م بالسعى لإجراء مفاوضات بين الهند والباكستان لإيقاف القتال بين الطرفين وحل المشكلة بالطرق السلمية خاصة إجراء استفتاء بين شعب كشمير ليقرر الانضمام إلى الهند أو الباكستان أو الاستقلال ، ولكن رئيس وزراء الهند «جواهرلال نهرو» رفض فكرة الاستفتاء فى ديسمبر ١٩٤٧م، ولكنه اقترح دعوة مراقبين من هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الوضع فى كشمير حتى تتم الموافقة على فكرة إجراء الاستفتاء ووضعها موضع التنفيذ.

١- أبو الأعلى المودودى : قضية كشمير المسلمة ط٢، الكويت ١٩م، ص٢٤ .

٢- مجلة السياسة الدولية، عدد أبريل ١٩٦٦، ص٣٠ .

وفى يناير عام ١٩٤٨ تقدمت الهند بشكوى إلى هيئة الأمم المتحدة ضد الباكستان بدعوى أن الأخيرة اعتدت على أراضى كشمير، وفى نفس الوقت استمرت المعارك الحربية بين الطرفين فى كشمير ، وفى أبريل من نفس العام وافق الطرفان: الهند والباكستان، على اقتراح هيئة الأمم المتحدة القاضى بسحب القوات الباكستانية من أراضى كشمير، وتسحب الهند كذلك قواتها ، ويجرى استفتاء لأهل كشمير لتقرير المصير يشرف عليه مراقب تعينه هيئة الأمم المتحدة وتوافق عليه حكومة كشمير.

وبعد عدة زيارات لمراقبى هيئة الأمم المتحدة قاموا بها لكشمير وخاصة مناطق الصراع بين الهند والباكستان تم اتخاذ عدة قرارات تمثلت فى:

١- إيقاف إطلاق النار بين قوات كل من الهند والباكستان فى أول يناير ١٩٤٩م.

٢- قبول الطرفين بأشراف مراقبين عسكريين دوليين من هيئة الأمم المتحدة.

٣- أن تسحب الباكستان قواتها النظامية والقبلية من كشمير .

٤- أن تنسحب القوات الهندية فور انسحاب القوات الباكستانية.

٥- تقوم السلطات المحلية فى كشمير بأدارة الإقليم.

٦- أن يعلن الطرفان الالتزام بأن مصير كشمير يتقرر حسب إرادة شعبها.

وعندما رفعت لجنة المراقبة هذه القرارات إلى الهيئة الدولية، اعتمدتها هيئة الأمم المتحدة فى ٥ يناير ١٩٤٩م، وتم اختيار الأمريكى شستر نيمتز مشرفا على عملية الاستفتاء . وقد تم الاتفاق بين الهند والباكستان فى ١٧ يوليو ١٩٤٩م بتحديد مواقع سيطرة كل من الهند والباكستان، وبانهاء ما عرف بالحرب الأولى بين الهند والباكستان حول كشمير[١].

ومع كل هذه الاتفاقات فقد تعذر تنفيذها بسبب إصرار كل من الهند والباكستان على تفسير بنود الاتفاقات حسب مصالحها، ونظرا لأن مصالح الطرفين متعارضة ، فقد رفعت اللجنة الدولية تقريرها إلى مجلس الأمن فى ٩ ديسمبر ١٩٤٩م اعترفت فيه بعجزها عن تسوية النزاع بين الطرفين، وألقت بمسئولية فشل اللجنة فى تنفيذ بنود الاتفاقات على عاتق حكومة الهند. وقد بذلت هيئة الأمم المتحدة عدة محاولات لحل المشكلة خلال عام ١٩٥٠م

١- الاستر لامب ترجمة سهيل زكار : كشمير ميراث متنازع عليه ، دمشق ١٩٩٢، ص١٣٩ .

وعام ١٩٥١م منها تعيين وسيط أو ممثل للهيئة الدولية أو عرض المشكلة للتحكيم الدولى ، ولكن الهند كانت تقابل هذه المحاولات بالرفض لأنها تسيطر على الجزء الأكبر من مساحة كشمير فتجمد الموقف عند هذا التقسيم لكشمير .

ثانيا : مرحلة الصراع لعام ١٩٦٥م:

أدت مرحلة صراع ١٩٤٧ -١٩٥٤م إلى عدم الاستقرار للأوضاع فى كشمير ، مما أدى إلى صراع جديد بين الهند والباكستان طوال عام ١٩٦٥م حول كشمير، ذلك الصراع الذى أثبت من جديد أن كشمير ستظل بؤرة صراع طويل ومستمر بين الهند والباكستان، وتفاصيل هذا الصراع مايلى:

١- هجوم القوات المسلحة الهندية على مواقع باكستانية خلال شهور يناير وأبريل ١٩٦٥م، وصدور مرسوم هندى لربط كشمير أكثر بالهند فى ٢٠ يناير من هذا العام بانشاء مجلس السلطة يشرف على كشمير ، وقيام الهند باعتقال الشيخ عبدالله فى مايو ١٩٦٥م مما أدى إلى حالة من الثورة والغليان فى كشمير ضد الهند.

٢- هجوم القوات الباكستانية على بعض المواقع الهندية ردا على الهجوم الهندى، فى أبريل ١٩٦٥م، مع تشجيع المسلحين الباكستانيين لمهاجمة «سرينجار» وجنوب غرب كشمير.

٣- دارت حرب بحرية وجوية بين الهند والباكستان خلال شهر سبتمبر ١٩٦٥م تركزت غرب باكستان.

٤- لم تستطع الهند أو باكستان فى هذه المرحلة من الصراع تحقيق الهدف الذى تسعى إليه كل منهما بفرض إرادتها على الطرف الآخر.

٥- تأكد لباكستان أن مشكلة كشمير لن يمكن حلها إلا بالوسائل العسكرية سواء بالحرب المنظمة المباشرة أو عن طريق المسلحين المتسللين إلى المواقع الهندية.

٦- حاول مجلس الأمن إيقاف القتال بين الهند والباكستان ، فأصدر خمسة قرارات خلال سبتمبر ١٩٦٥م، وكلها تدعو الجانبين إلى وقف إطلاق النار والانسحاب من المواقع التى احتلها كل طرف من الأراضى التى كانت خاضعة للطرف الآخر.

٧- أظهرت هذه المرحلة من الصراع بين الهند والباكستان صعوبة التسوية السلمية بين الطرفين حول كشمير، وأن الصراع العسكرى لابد منه.

٨- أدركت الهند من خلال الصراع فى هذه الفترة مع باكستان صعوبة محو باكستان كدولة مستقلة ، على الرغم من تفوق الهند فى العدد والأسلحة.

٩- أدركت باكستان أن حرب العصابات ضد الهند فى هذه المرحلة لن تؤدى إلى نتيجة حاسمة بالنسبة لباكستان .

ثالثا : مرحلة الصراع لعام ١٩٧١م:

استغلت الهند الخلاف بين باكستان الشرقية بزعامة حزب رابطة عوامى وقائده الشيخ مجيب الرحمن والحكومة المركزية فى كراتشى (باكستان الغربية) ذلك الخلاف الذى حاولت فيه حكومة كراتشى معالجته بالقوة مما أدى إلى تدفق حوالى عشرة ملايين بنغالى من باكستان الشرقية إلى الأراضى الهندية، ودعمت حكومة الهند مطالب باكستان الشرقية بالانفصال عن جمهورية باكستان الإسلامية ، ومن هنا دارت المعارك العسكرية بين القوات الهندية والقوات الباكستانية ، وكان ذلك عام ١٩٧١م، وكانت نتيجة هذا القتال ما يلى:

١- انفصال باكستان الشرقية وإعلانها دولة مستقلة باسم بنجلاديش فى ١٦ ديسمبر ١٩٧١ بمساعدة الهند وتأييدها وحمايتها. وبذلك ضعفت باكستان بشريا وعسكريا واقتصاديا.

٢- أن الصراع بين الهند والباكستان حول كشمير كاد يتحول إلى صراع دولى حيث كانت كل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية تؤيدان باكستان ، بينما كان الاتحاد السوفيتى يؤيد الهند.

٣- نجح مجلس الأمن فى ديسمبر ١٩٧١ فى اتخاذ قرار لوقف إطلاق النار بين الهند وباكستان وبالفعل تم وقف إطلاق النار بين الطرفين فى ٢٧ ديسمبر.

٤- حاولت الهند احتلال كل كشمير وبعض المدن الباكستانية مثل «لاهور» و«سيالكوت» ولكن موقف الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة والصين أوقف هذه المحاولة .

٥- نجحت الهند فى إجراء تفجير نووى عام ١٩٧٤ لمواجهة الصين وباكستان مما دفع باكستان إلى محاولة دخول النادى النووى لتكون على قدم المساواة مع الهند.

٦- دخلت الهند وباكستان فى مفاوضات لحل مشكلة الصراع بينهما سلميا فى عام ١٩٧٢م وتم عقد معاهدة عرفت بمعاهدة «سملا» وكان هدفها مناقشة المسائل المسببة للتوتر

بين البلدين وعلى رأسها مشكلة كشمير ، فدعت إلى حل المشكلة سلميا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ولكنها احتفظت بالوضع القائم الذى يقضى احترام الجانبين لخط السيطرة الناتج عن وقف إطلاق النار فى ١٧ ديسمبر ١٩٧١م دون الإضرار بالموقف المعترف به لكل من الجانبين .

٧- ترفض الهند مناقشة دعواها بأن كشمير هندية، وتعلن استعدادها للتفاوض مع الحكومة الباكستانية فى كل الأمور ماعدا مسألة كشمير ودون تدخل أو وساطة طرف ثالث، ومن ثم حدثت مفاوضات بين الهند والباكستان خلال السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين كانت مشكلة كشمير تمثل بندا ثانويا فى جدول هذه المفاوضات .

رابعا : مرحلة الصراع الأخيرة عام ١٩٩٩م:

كانت هذه المرحلة محصلة مراحل الصراع السابقة، حيث أن انتفاضات شعب كشمير عام ١٩٥٢ وعام ١٩٦٣م، وعام ١٩٩٠م، إلى جانب الصراع الهندى الباكستانى المسلح فى أعوام ١٩٤٨ و١٩٦٥م و١٩٧١م، كل ذلك جعل قضية كشمير قضية ساخنة ومتفجرة ومستمرة فى إثارة التوتر فى شبه القارة الهندية.

وكانت انتفاضة شعب كشمير عام ١٩٩٠م وتعامل الجيش الهندى مع هذه الانتفاضة بوحشية سببا فى دفع الجماعات الإسلامية فى كشمير والمدعومة من باكستان إلى القيام بعمليات عسكرية ضد القوات الهندية فى الجانب الهندى من كشمير.

ولعل أظهر هذه العلميات تلك التى حدثت عام ١٩٩٩م واستمرت عدة شهور حينما استطاعت مجموعات من المجاهدين المسلمين التسلل من الجانب الباكستانى لكشمير إلى الجانب الهندى واحتلال مجموعة من رءوس الجبال فى كشمير، ولم تستطع القوات الهندية إخراجهم من هذه الجبال، وقد تكبدت القوات الهندية خسائر كبيرة فى الأرواح على يد هذه المجموعات .

وكاد هذا العمل أن يتحول إلى حرب سافرة بين الهند وباكستان لولا تدخل الرئيس الأمريكى بيل كلينتون حيث طلب من رئيس وزراء باكستان نواز شريف زيارة واشنطن وأقنعه ببذل مساعيه لانسحاب المجموعات الإسلامية المجاهدة من كشمير الهندية، وبالفعل تم ذلك ، مع تحفز هذه المجموعات لتكرار هذه العملية .

والواقع أن امتلاك كل من الهند وباكستان لأسلحة نووية يمثل رادعا لكل من الدولتين لعدم الدخول فى حرب سافرة بينهما، والسعى لحل مشكلة كشمير - بؤرة التوتر بين الطرفين- حلا سلميا .

مواقف الأطراف من مشكلة كشمير :

يتطلب مناقشة مواقف كل الأطراف ذات العلاقة بمشكلة كشمير تناول الأطراف الآتية:

١- موقف الهند.

٢- موقف باكستان.

٣- موقف أهل كشمير.

٤- موقف الولايات المتحدة الأمريكية.

٥- موقف الصين الشعبية.

٦- موقف الاتحاد السوفيتى وروسيا الاتحادية حاليا.

٧- موقف العالم الإسلامى.

ولمناقشة موقف كل طرف نفصلها فى الآتى:

أولاً : موقف الهند:

يتلخص موقف الهند من مشكلة كشمير باعتبار كشمير ولاية هندية، ومن ثم عملت على إجراء انتخابات لجمعية تأسيسية لوضع دستور يخص الجزء الذى تحتله الهند، وقد نص الدستور على ربط كشمير بالاتحاد الهندى، بل والسيطرة على أمور الولاية سيطرة فعلية من خلال مانص عليه الدستور الهندى الذى يمنح برلمان الهند حرية التدخل فى أية قضية من قضايا الولاية. وقد استندت حكومة نيودلهى فى سيطرتها على ولاية كشمير إلى ما ادعته بوثيقة ضم الولاية الموقع عليها من المهراجا وموافقة اللورد مونتباتن فى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧م، وإلى أن تقسيم شبه القارة الهندية إلى هند هندوسية ، وباكستان إسلامية، وأن بريطانيا دعمت انضمام كشمير للهند بطلب من حاكمها المهراجا. وأن إبرام باكستان اتفاقية مع المهراجا اعتراف بحكومة كشمير، وحزب المؤتمر هناك هو الذى قرر الانضمام للهند .

ثانيا : موقف باكستان:

ويتلخص موقف باكستان من قضية كشمير فى أن المقاطعة ذات أغلبية مسلمة ومن ثم

كان الأمر يقتضى. انضمام كشمير إلى باكستان عند الاستقلال ، وحيث لجأت الهند إلى الأساليب الملتوية مع المهراجا حاكم كشمير الهندوسى باعلان ما عرف باسم وثيقة انضمام كشمير للهند ، وسيطرة الهند على حوالى ثلثى أراضى كشمير ، فإن باكستان تقدمت أكثر من مرة خلال الأعوام ١٩٤٨ حتى الوقت الحاضر إلى هيئة الأمم المتحدة للمساعدة فى حل المشكلة بينها وبين الهند حول كشمير، وقبلت إجراء استفتاء بين أهالى كشمير لتقرير مصيرهم بالانضمام إلى باكستان أو الانضمام إلى الهند، أو الاستقلال عن الدولتين ولكن الهند كانت ترفض باستمرار فكرة الاستفتاء وتصر على أن كشمير هندية .

ثالثا : موقف سكان كشمير:

يمثل شعب كشمير أهم أطراف المشكلة الكشميرية ، لأنه صاحب الأرض والمتطلع لمستقبل أفضل بعد استقلال الهند عن بريطانيا وقيام دولة باكستان، وقد مرت مواقف شعب كشمير من قضيتهم بعدة مراحل:

١- مرحلة من ١٩٤٧ حتى ١٩٧٥م، وفيها كان موقف شعب كشمير سلبيا بينما قضيته تبادلها الهند وباكستان ، فيما عدا بعض انتفاضات إسلامية ضد الإدعاءات الهندية بضم كشمير للهند، وأهم هذه الانتفاضات ماحدث عام ١٩٥٢ وتلك التى حدثت عام ١٩٦٣م.

٢- مرحلة من عام ١٩٧٥ وحتى عام ١٩٩٠م ، وفى هذه المرحلة اشتعلت ثورة المسلمين فى كشمير ضد الاتفاقية التى عقدها الشيخ عبدالله ورئيسة وزراء الهند عام ١٩٧٥م والتى نصت على أن كشمير وحدة من وحدات الاتحاد الهندى مقابل عودة الشيخ عبدالله إلى الحكم فى كشمير. وقد ثار المسلمون فى كشمير واعتبروا الشيخ عبدالله خائنا[١].

٣- مرحلة من ١٩٩٠ وحتى الآن : وفيها اشتدت الثورة الإسلامية فى كشمير متأثرة بنجاح الثورة ضد الوجود السوفيتى فى أفغانستان ، واستقرار الثورة الإسلامية فى إيران، وفى هذه المرحلة ظهرت عدة جماعات إسلامية تزعمتها مجموعة من المشايخ والعلماء، وانقسمت إلى مجموعتين رئيسيتين: المجموعة الأولى تؤيد الانضمام لباكستان وتمثلها الجماعة الإسلامية، واتحاد المسلمين ، وأمة الإسلام ، والمؤتمر الوطنى العام، ومؤتمر الشعب، وهذه الجماعات تحالفت معا تحت اسم الجبهة المسلمة المتحدة.

١- Taher Amin : Op. cit. p. 82 .

والمجموعة الثانية من الجماعات والأحزاب فإنها تنادى باستقلال كشمير عن كل من الهند والباكستان ، وتأخذ الاتجاه العلمانى القومى، ومنها جبهة الاستفتاء ، والتنظيم العسكرى، والفتح ، وجبهة تحرير جامو وكشمير، وكلها تعمل من أجل حرية كشمير.

والمتتبع لأحداث عام ١٩٩٩م حينما تسللت مجموعات من المجاهدين الإسلاميين من الشق الباكستانى فى كشمير إلى الشق الهندى وسيطرت هذه المجموعات على قم الجبال، وانسحابها من هناك بطلب من حكومة باكستان بعد ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية يدرك أن شعب كشمير ذو الأغلبية المسلمة مدعوم من باكستان ويستخدم كورقة للضغط على الهند للدخول مع باكستان فى مفاوضات لحل المشكلة.

رابعا : موقف الولايات المتحدة الأمريكية:

كانت بداية الموقف الأمريكي من مشكلة كشمير مع عرض الصراع العسكرى بين الهند والباكستان فى عام ١٩٤٨م على هيئة الأمم المتحدة، حيث شاركت الولايات المتحدة فى صياغة قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، وفى الاتفاق الذى تم التوصل إليه بين الطرفين المتحاربين والذى قضى بأن تسحب كل من الهند والباكستان قواتهما من أراضى كشمير وأن يتم إجراء استفتاء بين سكان كشمير لتقرير المصير تحت إشراف لجنة تعينها هيئة الأمم المتحدة وتوافق حكومة كشمير على تشكيلها . وتشكلت اللجنة من مندوبين عن الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وتشيكو سلوفاكيا والأرجنتين [١].

ومنذ ذلك الوقت اتفق الموقف الأمريكي مع الموقف الباكستانى فى التأكيد على إجراء استفتاء لتقرير مصير شعب كشمير، ورحبت حكومة باكستان باختيار شستر نيمتز الأمريكى رئيسا للجنة الإشراف على إجراء الاستفتاء فى كشمير. كما وافقت باكستان على تبنى الولايات المتحدة الأمريكية لمقترحات اللجنة الدولية بشأن كشمير ، تلك المقترحات التى دعت إلى:

١- إلغاء اللجنة الدولية لفشلها فى تنفيذ قرارات مجلس الأمن بسبب موقف حكومة الهند المعارض لتلك القرارات.

١- الاسترلامب ترجمة سهيل زكار: المرجع السابق، ص٢٣٩ .

٢ - تعيين وسيط دولى واحد يتولى حل الخلاف بين الهند والباكستان حول كشمير .

٣- عرض الخلاف حول موضوع نزع السلاح فى كشمير على التحكيم الدولى[١].

ورغم صدور قرار من مجلس الأمن فى ١٤ يناير ١٩٥٠م بالموافقة على مقترحات اللجنة الدولية المشار إليه والذى تبنته الولايات المتحدة الأمريكية ووافقت عليه حكومة باكستان إلا أن الهند رفضت هذا القرار، باعتبارها تسيطر على المساحة الأكبر من أراضى كشمير. ومع ذلك تم اختيار الإسترالى ديكسون Dickson كوسيط دولى بدعم أمريكى ولكنه غادر شبه القارة الهندية فى أغسطس ١٩٥٠ بعد فشله مع الهند وباكستان لحل مشكلة كشمير.

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية استمرت فى متابعة مشكلة كشمير، حيث سعت إلى التعرف على موقف زعماء كشمير ، فالتقى السفير الأمريكى فى نيودلهى لوى هندرسون L. Hinderson أثناء زيارة له إلى «سرينجار» عاصمة كشمير فى سبتمبر ١٩٥٠م مع الشيخ عبدالله، وقد اقتنع السفير الأمريكى بوجهة نظر الشيخ عبدالله ومعظم زعماء كشمير القائمة على استقلال كشمير عن الهند وباكستان . كما زار المستر ستيفنسون Stevenson عضو الكونجرس الأمريكى عن الحزب الديموقراطى «سرينجار» فى مايو ١٩٥٣ والتقى مع الشيخ عبدالله الذى أكد له رغبة زعماء كشمير فى استقلال بلدهم عن الهند وباكستان، وكان إصرار الشيخ عبدالله ومعظم زعماء كشمير على استقلال بلدهم سببا فى قيام السلطات الهندية باعتقالهم عدة مرات[٢].

وخلال الأعوام من ١٩٥١ و١٩٥٣ قام وسيط دولى أمريكى هو جراهام Graham بمحاولة التوفيق بين الأطراف المختلفة : الهند وباكستان وزعماء كشمير، وكانت له مقترحات أيدتها الحكومة الأمريكية ولكن الهند كانت ترفضها وتطلب سحب باكستان لقواتها من الجزء الذى تسيطر عليه باكستان من كشمير بادعاء أن كل كشمير أرضا هندية. وانحسر الموقف الأمريكى بالنسبة لقضية كشمير عند هذا الحد بسبب انشغال الولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب الكورية.

١- مجلة السياسة الدولية عدد أبريل ١٩٦٦م، ص٣٧ .

٢- الاسترلامب : المرجع السابق، ص٣٧٧ .

ورغم أن سنوات ١٩٥٤ و١٩٥٥م شهدت اشتراك باكستان فى حلف شرق اسيا (سياتو SEATO) وانضمام باكستان لحلف بغداد، وذلك بتوجيه من الولايات المتحدة الأمريكية، وعقد اتفاقية ثنائية للدفاع المشترك بين باكستان والولايات المتحدة ، فقد ظل الموقف الأمريكى قائما على الاهتمام بحل قضية كشمير حلا سلميا بتحسين العلاقات بين الهند وباكستان ، وعلى التمسك بقرارات هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٩ القاضية باجراء استفتاء بين سكان كشمير لتقرير المصير، وهو موقف أمريكى ثابت بالنسبة لقضية كشمير[١].

وعندما زار الرئيس السوفيتى «خروشوف» الهند فى ديسمبر ١٩٥٥م أعلن تأييده لموقف الهند من أن كشمير جزء من الهند، لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تأييد الموقف الباكستانى بتقديم المساعدات العسكرية لبناء قوات مسلحة باكستانية متطورة وقادرة على مواجهة التهديد الهندى، وزيارة نائب الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون لباكستان فى يوليو ١٩٥٦م حيث أكد الرئيس الأمريكى على ضرورة التوصل إلى حل سلمى بالمفاوضات بين أطراف الصراع أو عن طريق هيئة الأمم المتحدة.

وإزاء تصاعد إجراءات الهند فى كشمير للحصول على تقرير من الجمعية التأسيسية لجامووكشمير فى نوفمبر ١٩٥٦ بأن كشمير جزء من دولة الهند، فقد أيدت الولايات المتحدة الأمريكية طلب باكستان بأعادة عرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة فى يناير ١٩٥٧م، وصدر قرار مجلس الأمن فى ١٤ فبراير ببحث المشكلة مع أطراف الصراع وتقديم مقترحاته حول الحلول المناسبة للمشكلة مع نزع السلاح فى كشمير. وقدم يارنج تقريره بأحالة القضية إلى التحكيم الدولى، وإلى مجلس الأمن الذى وافق فى ٢ ديسمبر ١٩٥٧ على التقرير ودعا الأطراف المتصارعة إلى العودة إلى المفاوضات المباشرة بينهما، وطرح مبدأ الاستفتاء وإرسال قوات دولية، ولكن الهند رفضت القرار بينما أيدته الولايات المتحدة ووافقت عليه باكستان[١].

١- F.R. Telegram from the Department of State to the Empassy in Pakisten washington, July 27, 1956.

٢- الاستر لامب : المرجع السابق، ص٢٦٠ .

وفى عهد الرئيس الباكستانى محمد أيوب خان الذى تولى الرئاسة فى أكتوبر عام ١٩٥٨م حاول كسب تأييد أمريكى أكبر لحل مشكلة كشمير بالضغط على الهند أو إعادة عرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة ، فزار الرئيس الباكستانى واشنطن فى يوليو ١٩٦١ وتقابل مع الرئيس الأمريكى «جون كندى» وحثه على تأييد المطالب الباكستانية فى كشمير، وبالفعل مارس جون كندى ضغوطا على حكومة نيودلهى خاصة بعد أن أعلن «كريشنامينون وزير الدفاع الهندى بأن كشمير جزء من دولة الهند وعلى الآخرين - ويقصد الباكستانيين- مغادرة أراضى كشمير، كما أرسلت حكومة واشنطن المستر «يوجين بلاك» رئيس البنك الدولى للإنشاء والتعمير إلى الهند بهدف حثها على حل مشكلة كشمير مع باكستان عن طريق المفاوضات السلمية. ولكن دونما نتيجة بسبب موقف الرفض الهندى القائم على أن كشمير جزء من الهند وليس لباكستان أية حقوق فيها[1].

وخلال أزمة الحرب بين الهند والباكستان عامى ١٩٦٤ و١٩٦٥م اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية موقفا باردا من مشكلة كشمير نظرا للأسباب الآتية:

١- الاتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى على تجنب الصدام بين الهند وباكستان حول كشمير، وأن من حق شعب كشمير أن يقرر مصيره بنفسه، وأن على الدولتين الهند وباكستان التفاوض لحل هذه المشكلة .

٢- تأييد الصين لموقف باكستان نحو كشمير وإشادة حكومة باكستان العسكرية بالموقف الصينى الصريح ضد المطامع الهندية فى كشمير ، وكل ذلك أغضب الولايات المتحدة خاصة عقب النزاع الهندى الصينى ، وزيارة الرئيس الباكستانى للصين فى مارس ١٩٦٥ لطلب المساعدات الصينية.

٣- انشغال الولايات المتحدة فى أحداث فيتنام فى الوقت الذى تصاعد فيه التوتر بين الهند وباكستان إلى أن أصبحت حربا سافرة بأثارة باكستان للمجاهدين المسلمين فى كشمير ضد الهند وغزو الهند لأراضى خاضعة لباكستان . وعندما طلبت باكستان المساعدة من حلف جنوب شرق آسيا ومن الحلف المركزى - بغداد سابقا- باعتبارها عضوة فى الحلفين تم رفض الطلب الباكستانى بناء على رغبة الولايات المتحدة فى عدم التدخل فى الصراع العسكرى بين الهند وباكستان، بل وأعلنت وقف تصدير شحنات أسلحة إلى كل من باكستان والهند.

١- New York Times , January 1962 .

٤- اكتفت الولايات المتحدة بتأييد هيئة الأمم المتحدة لحل الصراع بين الهند وباكستان، وقيام السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة بزيارة للمنطقة فى سبتمبر ١٩٦٥م ، حتى صدر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار بين الطرفين فى ٢٣ سبتمبر ١٩٦٥م ووافقت عليه كل من الهند وباكستان[١].

وقد رحبت الولايات المتحدة الأمريكية باتفاقية طقشند (عاصمة جمهورية أوزبكستان السوفيتية) التى عقدت بجهود رئيس الوزراء السوفييتى كوسيجين فى ١٠ يناير ١٩٦٦م بحضور كل من الرئيس الباكستانى أيوب خان، ورئيس وزراء الهندشاسترى ، والتى نصت على:

١- عودة قوات كل من الهند وباكستان إلى مواقع يوم ٥ أغسطس ١٩٦٥م، وهو خط تقسيم كشمير بين الهند وباكستان .

٢- احترام كل من الهند وباكستان لقرار وقف إطلاق النار الموافق عليه من الجانبين .

٣- عودة العلاقات الدبلوماسية بين الهند وباكستان لبدء مفاوضات لإحلال السلام بينهما وحل مشكلة كشمير.

وقد اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية طقشند بين الهند وباكستان مكسبا للسلام والأمن فى شبه القارة الهندية[٢].

خامسا : موقف الصين الشعبية :

يأتى اهتمام الصين بالمشكلة الكشميرية من خلال منظورين هما :

١- المنظور الأول اشتراك الصين مع كشمير فى حدود مشتركة، ومن هنا فإن الصراع وعدم الاستقرار فى كشمير يثير اهتمام جمهورية الصين الشعبية، خاصة أن كشمير تلاصق حدودها مع مقاطعة تركستان الصينية أو سينكيانغ وهى المقاطعة ذات الأغلبية المسلمة والتى شهدت فى فترات التاريخ الحديث والمعاصر فورات وطنية دينية ضد الحكم الشيوعى.

٢- المنظور الثانى يتمثل فى الخلاف بين الهند والصين ، ذلك الخلاف الذى تطور فى عام ١٩٥٩ إلى حرب بين البلدين انهزمت فيها القوات الهندية أمام القوات الصينية، إلى جانب أن الهند مالت إلى التعامل بود مع الاتحاد السوفيتى فى الوقت الذى توترت فيه العلاقات بين الصين من جهة والاتحاد السوفيتى من جهة أخرى.

١- New York times, 21 April 1965 .

٢- New York Times: 15 January 1966 .

وجاء موقف الصين الواضح إلى جانب باكستان فى صراعها حول كشمير مع الهند عند عرض المشكلة أمام هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٦٤م، مما جعل حكومة باكستان تشيد بالموقف الصينى وتستحث الدول الأخرى وخاصة الإسلامية إلى توضيح موقفها من المطالب الباكستانية خاصة أن باكستان صورت المشكلة بأنها اضطهاد وسيطرة هندوسية على شعب مسلم فى كشمير.

وجاءت زيارة الرئيس الباكستانى محمد أيوب خان للصين فى مارس ١٩٦٥م تأكيدا للعلاقات القوية بين باكستان والصين ، والتى كانت تهدف إلى الحصول على المساعدات العسكرية والسياسية من الصين فى صراعها- صراع باكستان- حول كشمير مع الهند. وكانت نتيجة زيارة الرئيس الباكستانى للصين توجيه إنذارات صينية إلى الهند أثناء الحرب المشتعلة بين الهند وباكستان عام ١٩٦٥م، وأمام هذه الإنذارات الصينية لجأت الولايات المتحدة إلى تحذير الصين بأنها ستتعرض للردع الأمريكى إذا تدخلت فى الحرب بين الهند وباكستان[١].

كما أن الصين أعلنت أثناء الحرب الهندية الباكستانية لعام ١٩٧١م أنها لن تتدخل بجانب باكستان ضد الهند، بسبب موقف الاتحاد السوفيتى المؤيد للهند والذى يتخذ موقفا متشددا على الحدود السوفيتية الصينية المشتركة الشمالية والغربية. وبسبب انضمام الصين لهيئة الأمم المتحدة فى أكتوبر ١٩٧١م الذى يحتم عليها أن تلعب دورا مهما لحفظ السلام فى المجتمع الدولى، وظل الموقف الصينى على حياده وإن أيد قرارات هيئة الأمم المتحدة بشأن إجراء استفتاء بين شعب كشمير ليقرر بنفسه مصيره [٢].

سادسا : موقف الاتحاد السوفيتى وروسيا الاتحادية حاليا:

يتمثل موقف الاتحاد السوفيتى من قضية كشمير إلى اشتراكه مع كشمير فى الحدود الدولية من خلال جمهوريات وسط آسيا الإسلامية أعضاء الاتحاد السوفيتى. إلى جانب موقف التأييد الذى اتخذه الاتحاد السوفيتى للمطالب الهندية فى كشمير باعتبار أن الهند تتبع النهج الاشتراكى فى حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتعادى سياسة الأحلاف العسكرية

١- New York Times , 17 September 1965 .

٢- Taher Amin: Op. cit. p. 51 .

التى تشترك فيها باكستان- حلف جنوب شرق آسيا وحلف بغداد (المركزى فيما بعد) وهي موجهة ضد الاتحاد السوفيتى، بالإضافة إلى أن الهند تتزعم مع مصر ويوغوسلافيا سياسة عدم الانحياز والحياد الإيجابى والتعايش السلمى للخروج من سيطرة ونفوذ الكتلة الغربية التى تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد تطور موقف الاتحاد السوفيتى من مشكلة كشمير ومن الصراع الهندى الباكستانى منذ عرض القضية على مجلس الأمن ، حيث كان هذا الموقف يتجه دائما إلى تأييد الدعاوى الهندية فى كشمير، أى اعتبار كشمير جزءا من الأراضى الهندية، ثم جاءت زيارة الرئيس السوفيتى خروشوف لنيودلهى فى ديسمبر ١٩٥٥ لتؤكد التأييد السوفيتى للهند فى صراعها مع باكستان حول كشمير[١].

كما جاء امتناع الاتحاد السوفيتى عن التصويت فى مجلس الأمن عند اجتماعه فى ٢ ديسمبر ١٩٥٧م والذى اتخذ فيه قرارا بدعوة كل من الهند وباكستان لاستئناف المفاوضات بينهما حول كشمير وطرح مبدأ الاستفتاء وإرسال قوات دولية، جاء امتناع مندوب الاتحاد السوفيتى عن التصويت بينما نال القرار عشرة أصوات، دعما للموقف الهندى الذى رفض القرار.

ولكن زيارة الرئيس الباكستانى محمد أيوب خان لموسكو فى أبريل ١٩٦٥م فتحت باب تحسن العلاقات السوفيتية الباكستانية ، وبدا كأن الاتحاد السوفيتى صديق الهند وقد تحسنت علاقاته بباكستان قادر على المساهمة فى حل مشكلة الصراع بين باكستان والهند حول كشمير.

وقام رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين بالتوسط بين الهند وباكستان فاستضاف كلا من الرئيس الباكستانى محمد أيوب خان، ورئيس وزراء الهند شاسترى فى طقشند عاصمة أوزبكستان ، حيث تم التوصل إلى اتفاقية طقشند فى ١٠ يناير ١٩٦٦م التى نصت على إنهاء حالة الحرب بالعودة إلى مواقع ٥ أغسطس ١٩٦٥ وبدء مفاوضات التسوية السلمية مع عودة العلاقات الدبلوماسية بين الهند وباكستان[٢].

١- F.R: Telegram from the Departement of the Empassy in Pakistan Washington , December, 17 , 1955.

٢- د. محمد نصر مهنا : الإسلام فى آسيا منذ الغزو المغولى، ص٤٠٩ .

سابعا : موقف العالم الإسلامى:

يتمثل موقف العالم الإسلامى من مشكلة كشمير فى شقين، شق فردى يتمثل فى مواقف الدول العربية والإسلامية، وشق جماعى يتمثل فى موقف منظمة المؤتمر الإسلامى.

أما الموقف الفردى فأنه يتمثل فى مواقف الشعوب العربية والإسلامية -وليس الحكومات- التى نددت بما يحدث فى كشمير من مواقف الهند، حيث كان تعاطف الشعوب العربية والإسلامية مع مطالب شعب كشمير المسلم فى الانضمام إلى باكستان ، بينما كانت الحكومات العربية والإسلامية تتخذ موقفا سلبيا مخافة اتهام الهند لهذه الحكومات بالتدخل فى الشئون الداخلية للهند، باعتبار أن الهند تعتبر كشمير جزء من الاتحاد الهندى .

أما الموقف الجماعى فأنه تمثل فى قرارات منظمة المؤتمر الإسلامى، تلك المنظمة التى تضم أكثر من ٥٠ دولة فى آسيا وأفريقيا، وتجتمع على مستوى رؤساء الدول أو وزراء الخارجية، وهذه القرارات تركز على إدانة انتهاكات حقوق الإنسان ، خاصة ما لاحظته المنظمة من اتباع القوات الهندية من أساليب عنيفة ضد الانتفاضة الإسلامية بكشمير عام ١٩٩٠م.

الفصل الرابع
الصين وتايوان

مقدمة- تايوان قبل عام ١٩٤٩- تايوان من ١٩٤٩ إلى ١٩٧٢م- تايوان من ١٩٧٢ إلى الآن .

مقدمة :

تايوان أكبر جزيرة من جزر الصين، وطوال التاريخ الحديث ، كانت جزءاً من الصين ولم تكن دولة مستقلة أبداً إلا بعد ثورة عام ١٩٤٩م وسيطرة الحزب الشيوعى الصينى بزعامة ماوتسى تونج على مقاليد الأمور فى بكين ، عندئذ انتقل الجنرال «تشان كاى تشيك» إلى الجزيرة ليعلن قيام جمهورية الصين الوطنية تحت الحماية الأمريكية، وللحديث عن تايوان نتطرق إلى تاريخها قبل ثورة عام ١٩٤٩م فى الصين ، ثم تاريخها ابتداء من عام ١٩٤٩م حتى فقدها مقعدها فى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لصالح بكين، وأخيرا الظروف المعاصرة التى تسعى فيها حكومة «تايبيه» أى فورموزا أو تايوان إلى الاستقلال وإصرار حكومة بكين على ضم الجزيرة إلى الوطن الأم أسوة بضم «هونج كونج» من انجلترا و«مكاو» من البرتغال.

أولا: تايوان قبل ثورة عام ١٩٤٩م:

جزيرة فورموز [1] أو تايوان تقع على بعد حوالى ١٧٠ كيلومتر من الساحل الصينى الشرقى ويفصل بينها وبين الوطن الأم بحر الصين أو البحر الأصفر، وتبلغ مساحتها حوالى ٣٦ ألف كيلو متر مربع يسكنها حوالى٢٢ مليون نسمة معظمهم ينتمون للقومية الصينية، وتايوان تتكون من جزيرة فورموزا وبعض الجزر الصغيرة المجاورة لها والتى لايفصلها عن الصين الشعبية سوى مضيق فورموزا الذى يتراوح اتساعه بين ٢١٠ إلى ٣٢٠ كيلو متر وهذه الجزر تتمثل فى مجموعة جزر بنجهو، ولماى وستيب ولوتار ولن يو. وتضم الدولة أربع محافظات حضرية غير تايبيه العاصمة، وهى كاهونج، كيلونج، تانان، وتاشونج، فى حين تنقسم المناطق

١- تايوان الاسم الصينى للجزيرة، أما فورموزا فهو الاسم الذى أطلقه عليها البرتغاليون عندما قدموا إليها من الفلبين فى القرن السادس عشر الميلادى .

الريفية إلى ١٦ مقاطعة صغيرة لضمان الإشراف الجيد على شئونها الاقتصادية والاجتماعية[١].

وسطح الجزيرة - فورموزا- متعدد بين أراضى سهلية واسعة تشغل الجزء الغربى من الجزيرة، بينما يشغل الجزء الشرقى من الجزيرة سلاسل جبلية تعرف بمرتفعات نيتاكا تتسم باتساعها الكبير الذى يتراوح بين ١١-١٥ كيلو متر، إلى جانب ارتفاعها الكبير من خلال قمم وصل عددها ٣٠ قمة جبلية يتجاوز ارتفاع كل منها عشرة آلاف قدم فوق منسوب سطح البحر. وتغطى الغابات مساحة تقدر بحوالى ٢,٣ مليون هكتار وهو ما يكون ٧٠٪ من جملة مساحة تايوان، ومن ثم اشتهرت تايوان بضخامة إنتاجها من الأخشاب.

وتتعدد عناصر السكان فى فورموزا نتيجة لموقعها ، وإن غلب عليها العنصر الصينى، وقد اكتشفها البرتغاليون عام ١٥٩٠م الذين قدموا إليها من جزر الفلبين ، ثم جاء إليها الهولنديون عام ١٦٢٤م واستقروا فى جزئها الجنوبى، كما وصل إليها الأسبان عام ١٦٢٦م واستقروا فى أطرافها الشمالية لمدة قصيرة . وعندما سيطرت أسرة «المانشون» على الحكم فى الصين بسطت نفوذها صوب الجنوب حتى ضمت تايوان عام ١٦٦١م ونجحوا فى طرد الهولنديين منها، حتى استولت عليها اليابان فى عام ١٨٩٥م.

ويتمثل النشاط الاقتصادى فى تايوان فى الزراعة التى تتصدر الحرف التى يحترفها سكان الجزيرة ، على الرغم من ضآلة المساحة الصالحة للزراعة بسبب طبيعة تايوان الجبلية ، وانتشار المزارع الصغيرة المساحة مما يعكس مدى تفتت الحيازة الزراعية ، والازدحام السكانى وتزرع تايوان عدة محاصيل أهمها الأرز الذى يمثل الغذاء الرئيسى للسكان، إلى جانب البطاطا وقصب السكر والموز والأناناس وغيرها من المحاصيل البستانية.

كما يتمثل النشاط الاقتصادى فى تايوان فى الجانب الصناعى المعتمد على المواد الخام مثل الفحم والنحاس والكبريت والذهب والغاز الطبيعى، ومن الصناعات التى ازدهرت فى تايوان صناعات الحديد والصلب والألمونيوم وبناء السفن والأسمنت والسكر والنسيج والملابس الجاهزة والورق وغيرها [٢].

١- د. محمد خميس الزوكة : آسيا، دراسة فى الجغرافيا الإقليمية، الاسكندرية ١٩٩٨، ص٢٧٤ - ٢٧٥ .

٢- د. محمد خميس الزوكة : المرجع السابق ، ص٢٧٦-٢٧٨ ؛ د. سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا، ص١٣٣ .

وقد أصبحت تايوان حاليا من دول النمور الآسيوية بما تتميز به من إنتاج صناعي ضخم تغزو به العالم ، وحيث ارتفع مستوى دخل الفرد بحيث أصبحت تايوان تأتى الثانية فى الترتيب بعد اليابان فى دول الشرق الأقصى، كما تصدر تايوان كميات كبيرة من المنتجات الزراعية ، إلى جانب الصناعات الخفيفة والتحويلية التى اشتهرت بها تايوان مثل الألكترونيات والصناعات الخزفية والكيماوية والمنسوجات.

وقد وصل الإسلام إلى تايوان مع هجرة المسلمين من الصين بعد قيام ثورة عام ١٩٤٩م وإعلان جمهورية الصين الشعبية ذات النظام الماركسى، وتذكر بعض المصادر أن حوالى ٢٠ ألف صينى مسلم هاجروا من الصين إلى تايوان مع من هاجر من الصينيين الرافضين للحكم الشيوعى.

ومن الملاحظ أن عدد المسلمين فى تايوان يزداد منذ عام ١٩٤٩م نتيجة لتزاوج المسلمين بالصينيات ، ونتيجة لاعتناق البعض من أهل تايوان الإسلام على يد نشاط الجمعية الإسلامية الصينية فى مدينة تايبيه العاصمة ، والتى تشرف على تعليم أبناء المسلمين فى المساجد التى أنشئت هناك وعددها خمسة موزعة على مدينة تايبيه تايبين وبعض المدن الأخرى.

ويقدر عدد المسلمين فى تايوان بحوالى ٥٠ ألف مسلم يتركزون فى تايبيه وفى كاوثنج جنوبى تايوان، وفى وسط البلاد، وفى تشونج لى، وفى تايشنج ، وهم يتمتعون بحرية ممارسة شعائر دينهم ويمارسون دورا سياسيا كمواطنين فمنهم أعضاء فى المجالس التشريعية ، ومنهم نواب وزراء. ومنهم ثلاثة قادة كبار فى الجيش[١].

والوضع الاقتصادى للمسلمين فى تايوان طيب، حيث يعيشون - فى معظمهم- معيشة كافية اقتصاديا ، ويمارسون نشاطهم الاقتصادى المتنوع فى الصناعة وغيرها باقتدار، والمسلمون فى تايوان ينتمون إلى بعض العرقيات الآسيوية، فإلى جانب المسلمين الصينيين، هناك مسلمون من الهوى والأتراك والقازاق والإيغور.

وقد صورت عدة تراجم لمعانى القرآن الكريم باللغة الصينية، إلى جانب العديد من تراجم الكتب الإسلامية، ويصدر المسلمون فى تايبيه مجلة إسلامية شهرية بعنوان: المسلمون فى الصين وتصدر باللغتين العربية والصينية ، كما أن الشيخ داود دينجومين رئيس الجمعية الإسلامية الصينية عضو فى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . كما أن

١- د. سيد عبد المجيد بكر: المرجع السابق، ص١٣٤ .

هناك عدة جمعيات إسلامية فى تايوان مثل جمعية المسلمين الصينيين، ورابطة المسلمين الصينيين، ورابطة الشباب المسلم الصينية، والمؤسسة الثقافية والتعليمية الإسلامية الصينية ، والهيئة الإسلامية الصينية [١].

كانت فورموزا جزءا من الصين عبر تاريخها القديم والوسيط والحديث ، حتى حدثت الحرب اليابانية الصينية فى عامى ١٨٩٤ و١٨٩٥م تلك الحرب التى جاءت بعد استكمال اليابان بناء قوتها العسكرية وازدهارها الصناعى، تلك الحرب التى انتهت بهزيمة الصين هزيمة ساحقة نتج عنها إرغام الصين على توقيع ما عرف بمعاهدة «شمونسكى» عام ١٨٩٥م والتى أقرت فيها الصين من بين ما رضخت له التنازل عن جزيرة فورموزا لليابان ، إلى جانب الاعتراف باستقلال شبه جزيرة كوريا ودفع غرامة حربية كبيرة لليابان .

وتأكدت السيطرة اليابانية على فورموزا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية من خلال الهزائم التى لحقت بالصين فى حروب أعوام ١٩٣١م، ١٩٣٣م، ١٩٣٥م و١٩٣٧م التى سقطت فيها العاصمة بكين فى يد القوات اليابانية . وبعد استسلام اليابان عام ١٩٤٥م عادت إلى بكين حكومة وطنية بزعامة الجنرال «شان كاى تشيك» الذى ساهم متزعما التيار اليمينى إلى جانب الشيوعيين فى مقاومة الاحتلال اليابانى . وظهر زعماء يمثلون التيار الشيوعى مثل «ماوتسى تونج» و«شواين لاى» .

وعقب استسلام القوات اليابانية فوّض الحلفاء قوات الحكومة الوطنية -حينئذ- العائدة إلى بكين ، إدارة الجزيرة نتيجة أن معاهدة سان فرنسسكو للسلام اقتصرت على تنازل اليابان عن جزيرة تايوان من دون تحديد مصيرها ومستقبلها السياسى[٢].

وبعد تحرير الصين دخلت قوات التحرير الشعبية (الشيوعيون) فى صراع مرير ضد حكومة بكين اليمينية المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية ، خاصة بعد أن تسلمت القوات الشيوعية من القوات السوفيتية غنائم الحرب اليابانية من الأسلحة وانقلب الصراع إلى حرب أهلية انتهت بمعارك حاسمة عام ١٩٤٩م لصالح الحزب الشيوعى الصينى بزعامة ماوتسى تونج

١- نفس المرجع ، ص١٣٦-١٣٧ .

٢- مجلة السياسة الدولية العدد ٢٥ يوليو ١٩٩٦م، تقرير : تايوان تهديدات التنين الصينى، بقلم د. السيد عوض عثمان .

حيث أطاحت بالحكومة اليمينيـة التى انتقلت إلى جزيرة «فـورموزا» وأصبح هناك منذ ٢١ أبريل ١٩٤٩م حكومتان فى الصين، حكومة الصين الشعبية (الشيوعية) فى بكين ، وحكومة الصين الوطنية فى جزيرة فورموزا ، تزعم الحكومة الأولى فى بكين «ماوتسى تونج» وتزعم حكومة فورموزا الجنرال «شان كاى تشيك».

ثانيا : تايوان من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٧٢م:

تأثر وضع فورموزا بعد قيام جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م نتيجة الصراع بين المعسكر الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى والمعسكر الغربى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، فبينما كان الاتحاد السوفيتى يدعم جمهورية الصين الشعبية فى مطالبها بجزيرة فورموزا وشبه جزيرة هونج كونج وشبه جزيرة كوريا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تدعم حكومة فورموزا تدعيما عسكريًا وسياسيًا . فقد لعبت الولايات المتحدة دورا بارزا فى الحرب الأهلية الصينية فى الفترة ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٩م حيث أيدت حكومة «تشان كاى تشيك» حتى إذا انتقلت تلك الحكومة اليمينية إلى «تايبيه» عقدت معها الولايات المتحدة الأمريكية ، معاهدة دفاع مشترك عام ١٩٥٤م ، واستخدمت حق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن لمنع حكومة بكين من تبوأ مقعدها الدائم فى مجلس الأمن بدلا من حكومة فورموزا، وعملت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على تحييد جزيرة تايوان ووضعت الأسطول السابع الأمريكى لحماية الجزيرة ، وظلت تايوان تمثل الصين فى هيئة الأمم المتحدة باعتراف معظم دول العالم خلال عقدى الخمسينات والستينات من القرن العشرين. وفى نفس الوقت لعب الأسطول السابع الأمريكى دورا بارزا فى حماية جمهورية الصين الوطنية (تايوان) من التهديدات الصينية، كما كان لحلف جنوب شرق آسيا الذى كونته الولايات المتحدة الأمريكية وجعلت مقره مدينة مانيلا عاصمة الفلبين، كان لهذا الحلف دور فى مراقبة التحركات الصينية ضد تايوان.

وكانت الحرب الفيتنامية خلال الستينات من القرن العشرين واشتراك جمهورية الصين الشعبية فى تدعيم شعب فيتنام الذى كان يقاوم التدخل الأمريكى المناهض لانتشار الشيوعية فى شبه جزيرة الهند الصينية كانت هذه الحرب فرصة لتكريس الوجود العسكرى الأمريكى فى بحار الصين ، ومن ثم استخدمت أراضى تايوان لخدمة المجهود الحربى الأمريكى وكانت هذه فرصة أكبر للولايات المتحدة الأمريكية لكى تحقق أهدافها فى محاصرة المد الشيوعى ، كما كانت فرصة لتايوان لكى تتمتع بالحماية الأمريكية وتتفرغ للبناء الاقتصادى فى تلك الفترة فى الإطار الرأسمالى الذى أرادته لها الولايات المتحدة الأمريكية .

ثالثا : تايوان من عام ١٩٧٢ حتى الآن :

استمر الدعم السوفيتى للصين الشعبية لتحقيق مطالبها فى هونج كونج وفى فورموزا ، فى الوقت الذى استمر فيه دعم الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة لحكومة فورموزا ومستعمرة هونج كونج البريطانية، حتى حدثت متغيرات على الساحة الدولية تمثلت فى الخلاف الصينى السوفيتى من ناحية والانفراج فى العلاقات بين الصين والولايات المتحدة .

بدأ الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتى فى نهاية الستينات من القرن العشرين بسبب الخلاف حول الفكر الماركسى ، وأى طرف من الطرفين يتمسك به وأى طرف من الطرفين انحرف عن هذا الفكر، حتى حدثت صدامات عسكرية على الحدود المشتركة الصينية السوفيتية عام ١٩٦٩م، وبدأ حكام الصين الشعبية يتوقعون حدوث حرب حقيقية مع الاتحاد السوفيتى.

وفى المقابل كان على حكام بكين التوجه لإقامة علاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية، واستطاعت حكومة الصين الشعبية فتح مجالات الحوار مع حكومة واشنطن عن طريق وسطاء هم حلفاء واشنطن من الدول الأوربية وتم تتويج هذا الحوار بزيارة الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون لبكين عام ١٩٧٢م، التى تمخضت عن إعلان «شنغهاى» والذى تضمن إعادة العلاقات الطبيعية بين الصين والولايات المتحدة أى اعتراف حكومة واشنطن بجمهورية الصين الشعبية مع استمرار اعترافها بحكومة الصين الوطنية فى فورموزا.

وكان هدف الصين من تطبيع علاقتها بالولايات المتحدة الحصول على التقنية العالمية لاستخدامها فى تطوير اقتصادها وقواتها المسلحة ، وتكوين جبهة لمواجهة أطماع الاتحاد السوفيتى، بينما كانت الولايات المتحدة تهدف إلى شغل الاتحاد السوفيتى فى شرق آسيا عن التركيز فى شرق أوربا .

ومهما كان الأمر فإن التقارب الأمريكى الصينى أدى إلى تبوأ حكومة الصين الشعبية المقعد الدائم للصين فى مجلس الأمن بدلا من حكومة فورموزا ، كما أكد إعلان شنغهاى السيادة القانونية للصين الشعبية على تايوان مما شجع اليابان على تأييد عودة الفرع التايوانى إلى الوطن الأم، الأمر الذى جعل معاهدة السلام اليابانية التايوانية فى حكم الملغاة[1].

١- مجلة السياسة الدولية عدد ١٢٥ يوليو ١٩٩٦م، السيد عوض عثمان، تايوان وتهديدات التنين الصينى، ص١٨٥ .

وفى عام ١٩٧٨م أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية إنهاء علاقاتها الدبلوماسية مع تايوان، ومن ثم إنهاء مفعول معاهدة الأمن والدفاع المشترك المعقودة بين تايوان والولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٥٤م ، وسحب القوات العسكرية الأمريكية المرابطة فى جزيرة تايوان .

إلا أن بيانا مشتركا صينيا أمريكيا صدر عام ١٩٧٩م أوجد صيغة توازن بين الصين وتايوان ، إذ أيد وحدة الصين وسيادة أراضيها ، أى الاتحاد بين تايوان والصين، إلا أنه أشار إلى تعهد واشنطن بحماية تايوان إذا لجأت الصين إلى القوة لضم تايوان . بمعنى آخر أن الولايات المتحدة تؤيد اتحاد تايوان مع الصين بالطرق السلمية، وقد تتدخل إذا سعت حكومة بكين إلى فرض الاتحاد بالقوة.

وقد حرصت الصين فى هذا السياق على تأكيد أهمية التكامل الاقتصادى مع تايوان لإعادة الوحدة بين تايوان والصين، من قبيل التجارة المباشرة والتبادل الاقتصادى والتعاون فى مجالات التكنولوجيا والبحث العلمى والعمل والنقل والإعلان وغيرها من الجوانب الاقتصادية التى تحقق تقاربا اقتصاديا ومن ثم تفاهما سياسيا.

وفى المقابل سمحت تايوان لمواطنيها بالسفر إلى الصين ، وتشجيع الاستثمارات وتبادل مستلزمات الإنتاج ، إلا أن بعض الأحداث أدت إلى توتر العلاقات بين بكين وتايبيه مثل إشكالات صيادى الأسماك فى المياه الإقليمية، والهجرة غير الشرعية للصينيين إلى تايوان ، وقيام قراصنة الجو باختطاف طائرات صينية وإجبار قائديها على الهبوط فى مطار عاصمة تايوان، وزيارة رئيس تايوان للولايات المتحدة الأمريكية فى يونيو ١٩٩٥م ، وصفقة الأسلحة الأمريكية لتايوان .

جاء الرد الصينى متمثلا فى القيام بمناورات عسكرية بالقرب من تايوان ، وحشد القوات العسكرية الصينية وعمليات التحرش ، خاصة فى الوقت الذى أعلنت فيه حكومة تايبيه عن الانتخابات الرئاسية لفترة رئاسية ثالثة مدتها أربع سنوات للرئيس «إلى تينج هوى» وهو من رجالات الحرس القديم ومرشح الحزب الوطنى الحاكم ، وهو أول حاكم من أصل تايوانى يتولى هذا المنصب [1].

١- المرجع السابق .

كما تبنت الصين صيغة : أمة واحدة بنظامين مختلفين ، يقوم على ترك إدارة الشئون الداخلية لحكومة تايبيه فى حين تقوم حكومة بكين بمسئوليات الدفاع والشؤن الخارجية، وذلك من منظور أن الصين تعتبر تايوان مقاطعة صينية ومن ثم فإنها لاتقبل بأى عمل من شأنه أن يكرس استقلال الجزيرة. ولذلك أعاد جيش تحرير الشعب الصينى تأكيده بأنه لن يتخلى عن التهديد باستخدام القوة ضد تايوان إذا حاولت بصرف النظر عن المبررات تبنى خيار الانفصال انطلاقا من حرصه على سيادة ووحدة تراب الصين.

وإذا كانت الصين قد نجحت فى استعادة كل من هونج كونج فى ٣٠ يونيو عام ١٩٩٧م، من بريطانيا ، وماكاو المستعمرة البرتغالية منذ عام ١٥٥٧م، والتى تتبع النظام الرأسمالى مثل هونج كونج ، والتى عادت إلى الوطن الأم الصين عام ١٩٩٩م، مع موافقة الصين على بقاء النظم الاقتصادية المطبقة فى كلا المستعمرتين السابقتين.

إذا كانت الصين قد استعادت هونج كونج وماكاو بالطرق السلمية، فإنها تضع فى اعتبارها استعادة تايوان بالطرق السلمية بشرط عدم لجوء تايوان إلى إعلان استقلالها وانفصالها التام عن الوطن الأم الصين، كما أنها تتابع عن كثب محاولات رئيس تايوان للحصول على عضوية هيئة الأمم المتحدة، وعلى تمثيل دبلوماسى أوسع مع دول العالم ، وإقامة مزيد من الروابط مع دول جنوب المحيط الهادى عبر مساعدات سنوية تبلغ حوالى مليار دولا، وتخصيص ميزانية هائلة لشراء الأسلحة المتطورة وتطوير الصناعات المحلية والمتطورة أصلا، ولإنتاج السلاح المتقدم اللازم وتحديث ترسانتها المسلحة[١].

وفى النهاية يمكن القول أن الواقع الفعلى يؤكد أن خيوط قضية الاتحاد بين تايوان والصين، تجتمع فى أيدى حكومتى بكين وواشنطن ، ولن يحسمها سوى مصالح العملاقين، فمن المؤكد أن قضية تايوان ستظل موضع شد وجذب بين الولايات المتحدة والصين لوقت طويل ، فالمصالح الاقتصادية بين البلدين والتى تزيد عن ٥٢ مليار دولار لن يتم التضحية بها بسهولة من جانب الطرفين وهو ما أصبحت تقتنع به الصين حاليا، حيث أصبحت تبدى مرونة كبيرة بالوقت، وحسب قول أحد مسئوليها: ليستغرق الأمر ٢٠ أو ٣٠ عام، المهم أن يتم الاعتراف بأن تايوان جزء من الصين وستعود يوما ما إلى الصين مثلها مثل هونج كونج وماكاو [٢].

١- المرجع السابق، ص١٨٦ والمعروف أن ٢٨ دولة فقط تعترف بحكومة جزيرة تايوان .

٢- مجلة السياسة الدولية العدد ١٣٤ أكتوبر ١٩٩٨ . وردة هاشم الجارحى بعد هونج كونج «هل تعود تايوان إلي الصين ، ص٢٢٩ .

ويمثل الصراع حول تايوان حالة فريدة فى تاريخ العلاقات الدولية بصفة عامة، ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية ملتزمة بحماية أمن وسلامة تايوان من أى اعتداء خارجى، بينما استطاعت جمهورية الصين الشعبية أن تجعل حكومة واشنطن تلتزم برفض مبدأ استقلال تايوان عن الصين الوطن الأم، كما وافق الرئيس الأمريكى بيل كلنتون على ولاءات الصين الثلاثة والتى تتمثل فى:

١- لا لدولتين صينيتين .

٢- لا لصين واحدة وتايوان واحدة.

٣- ولا لانضمام تايوان لمنظمة دولية تقوم عضويتها على الدول ذات السيادة، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة لاتملك تصورا لكيفية حل المشكلة، وكذلك حكومة تايوان ، وفى نفس الوقت لاتزال واشنطن تزود تايوان بالأسلحة الحديثة، كما تحظر تصدير التكنولوجيا العسكرية للصين. ويمكن القول أن الأكثر احتمالا هو أن تؤدى الشراكة الاستراتيجية الجديدة بين الصين والولايات المتحدة إلى تسهيل بدء مفاوضات جادة للوحدة بين تايوان والصين[1].

كما يمكن القول أنه لولا تعزيز القوة العسكرية للصين لأعلنت تايوان استقلالها منذ وقت طويل ، إلا أن الصين غير متعجلة لاتخاذ موقف عدائى نحو تايوان بسبب الموقف الأمريكى والدولى بصفة عامة.

١- عبد العظيم حماد: خطوط المواجهة بين الكبار فى آسيا، ما الذى يجرى فى آسيا، ص٢٦٦ .

الفصل الخامس

قضية الوحدة الكورية

مقدمة- جغرافية كوريا- عرض تاريخى لشبه الجزيرة الكورية- كوريا بين الانفصال وأمل الوحدة- الفترة من ١٩٥٣-١٩٧٢م - الفترة من ١٩٧٢-٢٠٠٠م - موقف كوريا الجنوبية من قضية الوحدة- موقف كوريا الشمالية من الوحدة الكورية- وأخيرا .

مقدمة :

عقد فى أوائل عام ٢٠٠٠م أول اجتماع بين الرئيس الكورى الجنوبى كيم يونج سام رئيس الجمهورية الكورية، والرئيس الشمالى كيم جونج إيل رئيس الجمهورية الشعبية الديموقراطية ، بعد قطيعة دامت حوالى ٥٠ سنة منذ اشتعال ما عرف بالحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣م) .

وكان انعقاد هذا الاجتماع خاتمة جهود مخلصة من جانب الكوريين الساعين لتحقيق وحدة وطنية لشبه جزيرة كوريا ، فقد سارت العلاقات بين الكوريين خلال الخمسين سنة (١٩٥٠-٢٠٠٠م) فى مراحل من التوتر والحوار ثم الاجتماعات ومشروعات المفاوضات.

وكان للقوى المحلية فى كل من كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية مواقفها بين مؤيد للوحدة الوطنية بين الكوريتين وبين معارض لهذه الوحدة بسبب تعارض المصالح بين الرأسماليين فى كوريا الجنوبية الذين خشوا من الفكر الاشتراكى المطبق فى كوريا الشمالية ، وكان الموافقون للوحدة يتطلعون إلى تحقيق مصالح اقتصادية وسياسية فى كل أنحاء شبه الجزيرة.

كما كان للقوى العالمية مواقفها من وحدة شبه جزيرة كوريا، خاصة الولايات المتحدة المسئولة عن تحقيق أمن كوريا الجنوبية فى مواجهة التهديدات الشيوعية التى تأتى من الشمال، وإن كانت الولايات المتحدة غيرت موقفها لصالح الوحدة بين الكوريتين على أسس اقتصادية وذلك خلال التسعينيات من القرن العشرين . وكان لليابان موقفها من وحدة شبه الجزيرة الكورية يقوم على استخدام الأسلوب السلمى فى تحقيق هذه الوحدة لتحقيق المكاسب التجارية للسلع اليابانية فى كل شبه الجزيرة الكورية، وكان لكل من روسيا والصين مواقف متباينة من قضية الوحدة الكورية.

وتأكد فى النهاية أن تحقيق الوحدة بين الكوريتين لابد أن يقوم على أساس المصالح الاقتصادية المشتركة ، وبخطوات تدريجية ، ومن خلال جهود مشتركة بين حكومتى كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، وهو ما رأيناه فى اجتماع الرئيسين الكوريين خلال شهر يونيو ٢٠٠٠م.

جغرافية كوريا :

شبه جزيرة كوريا تقع فى شرق اسيا وتبلغ مساحتها حوالى ٢٢١ ألف كيلو مترا مربعا ، يحدها من الشرق بحر اليابان ، ومن الغرب البحر الأصفر، ومن الجنوب بحر شرق الصين، ومن الشمال أراضى الصين الشعبية، وتتصف شبه جزيرة كوريا بطبيعتها الجبلية الوعرة ، حيث تضم العديد من السلاسل الجبلية متباينة الاتجاهات.محدودة الارتفاع نسبيا . وتبلغ السلاسل الجبلية فى كوريا أعلى ارتفاع لها فى جزئها الشمالى المعروف باسم مرتفعات «بياك توسان» إذ يبلغ الارتفاع ٩٠٠٠ قدم، ويوجد فوق قمتها بحيرة واسعة كانت فى الأصل فوهة بركان(١).

والجانب الشرقى من شبه جزيرة كوريا تقل فيه الموانى الصالحة لرسو السفن الكبيرة بسبب اقتراب سلاسل الجبال الرئيسية فى شبه الجزيرة من هذا الساحل ، كما أن أنهار هذا الجانب ذات طبيعة جبلية ، أى أنها قصيرة وسريعة الجريان، ولكن الجانب الغربى من شبه الجزيرة الكورية يتميز بوجود مناطق سهلية واسعة يخترقها شبكة من الأنهار الرئيسية لتصب فى البحر الأصفر، لذا تنتشر هنا التكوينات الفيضية الخصبة على نطاق واسع وخاصة فى الجنوب والوسط . كما يمتد عدد كبير من الجزر على طول امتداد الساحل الغربى(٢).

وتمتد شبه جزيرة كوريا بين دائرتى عرض ٣٣° و ٤٣° شمال خط الاستواء، كما تنحصر بين خطى الطول ١١° - ١٢٤° و ٥١° - ١٣٢° شرقى جرينتش . وقد قسمت شبه الجزيرة بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولتين تفصل بينهما منطقة محايدة قرب خط العرض ٣٨° : كوريا الشمالية وتبلغ مساحتها ١٢٢,٣٧٠ كيلو مترا مربعا وعدد سكانها حوالى ٢٥ مليون نسمة،

١- د. محمد خميس الزوكة : آسيا دراسة فى الجغرافيا الإقليمية، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص٢٥٨ .

٢- نفس المرجع ، ص٢٦١ .

وعاصمتها مدينة «بيونج يانج» وكوريا الجنوبية ومساحتها حوالى ٩٩ ألف كيلو متر مربع وسكانها حوالى ٤٥ مليون نسمة وعاصمتها مدينة «سول» [١].

وكوريا الجنوبية التى تشغل النطاق الجنوبى من شبه الجزيرة تضم عددا من الجزر الصغيرة الممتدة بحذاء خط الساحل وخاصة من ناحيتى الجنوب والغرب، ويتزايد عدد السكان فى كوريا الجنوبية بسبب الأزدهار الاقتصادى الذى شهدته البلاد فى ظل النظام الاقتصادى الحر الذى يعرف باقتصاد السوق، فقد قفز عدد السكان من ١٢ مليون نسمة عام ١٩٥٠م ووصل العدد إلى حوالى ٤٥ مليون نسمة فى التسعينيات من القرن العشرين. ويتركز معظم السكان فى الغرب حيث السهول الواسعة والتربة الخصبة نتيجة الأنهار القادمة من الجبال.

وأهم مدن كوريا الجنوبية مدينة «سيول» العاصمة التى تعتبر أكبر المدن الكورية الجنوبية وأكثرها ازدحاما بالسكان ، إذ يبلغ عدد سكانها حوالى ١٠ ملايين نسمة ، تليها مدينة «بوسان» فى الجنوب الشرقى للدولة، ومدينة «تيجو» ومدينة «إنشون» ومدينة «كوانشجو» ومدينة «تيجون» وتقع مدن تيجو وإنشون وكوانشجو وتيجون فى إقليم السهول الغربية الواسع.

وبالنسبة للنشاط الاقتصادى لسكان كوريا الجنوبية تعد الزراعة من الحرف الانتاجية الرئيسية فى البلاد وخاصة إذا علمنا أن القوى العاملة فى الزراعة تشكل حوالى ٧٠٪ من جملة حجم القوى العاملة فى كوريا الجنوبية ويعتبر الأرز أهم المحاصيل الزراعية فى كوريا الجنوبية وأكثرها انتشارا ، كما يعد القمح والذرة والشعير من المحاصيل واسعة الانتشار فى كوريا الجنوبية. كدورها الكبير مع الأرز كعناصر غذائية رئيسية يعتمد عليها سكان البلاد [٢].

ويرتبط بالزراعة تربية الماشية، فتمتلك كوريا الجنوبية ثروة حيوانية وإن كانت غير وفيرة ، ولكن الكوريين ينشطون فى صيد الأسماك من البحار المحيطة ببلادهم وفى غير مياههم الإقليمية بما يمتلكونه من أسطول ضخم لصيد الأسماك فى البحار الواسعة كالمحيط الهادى وبحار الصين .

١- د. حسن أبو العينين: اسيا الموسمية، ص٥٢٣ .

٢- د. محمد خميس الزوكة: المرجع السابق ، ص٢٦٤ .

ويكوريا الجنوبية عددا من المعادن أهمها معدن «التنجستن» الذى يمثل ٧٪ من جملة إنتاج العالم، وتحتل كوريا الجنوبية مركزا متقدما بين دول العالم المنتجة لهذا المعدن بعد الصين وروسيا، وتنتج كوريا الجنوبية أيضا معادن الفحم والحديد والنحاس والرصاص والكاولين أو الصلصال الصينى الذى يستخدم فى صناعات الخزف وبعض الأدوات الكهربائية والأصباغ والورق ، إلى جانب إنتاج بعض الأدوات والأجهزة الطبية والمعملية، كما تنتج كوريا الجنوبية الذهب والفضة [١].

وتشغل كوريا الشمالية الجزء الشمالى من شبه الجزيرة شمال خط العرض ٣٨ شمالا وتقع إلى شمالها أراضى كل من الصين وروسيا، ولكوريا الشمالية عددا من الجزر الصغيرة الواقعة فى خليج كوريا، تزيد مساحتها عن كوريا الجنوبية بنسبة ٢٤.٢٪ بينما يقل عدد سكانها عن سكان كوريا الجنوبية (حوالى ٢٥ مليون نسمة) على الرغم من فرق المساحة بين الدولتين. وعاصمتها مدينة «بوينج يانج» التى يبلغ عدد سكانها حوالى ١.٥ مليون نسمة فقط، تليها من حيث الكبر مدينة كاسونج التى يبلغ عدد سكانها حوالى ربع مليون نسمة فقط.

ويتمثل النشاط الاقتصادى بكوريا الشمالية فى الزراعة فى المناطق غير الواسعة من الأرض الزراعية فى وديان الجبال، وفى الأراضى المستقطعة من البحر والمستصلحة أسوة بما فعلته هولندا، وسعت حكومة كوريا الشمالية إلى زيادة قدرة الأرض الانتاجية فى المحاصيل الزراعية تعويضا عن ضآلة المساحة الصالحة للزراعة ، وأهم المزروعات الأرز وفول الصويا والقمح والتبغ، وهناك مساحات كبيرة من الغابات مما يتيح لكوريا الشمالية ثروة خشبية، وتستعيض الدولة عن الثروة الحيوانية المتواضعة بالثروة السمكية المتوفرة فى المياه الإقليمية والدولية[٢].

وبالنسبة للتعدين والصناعة ، فيتوفر فى أراضى كوريا الشمالية كثيرا من المعادن مثل الفحم والحديد والرصاص والزنك والنحاس والتنجستين والنيكل والمنجنيز والجرافية إلى جانب البترول الذى تم استخراجه بكميات تجارية منذ عام ١٩٥٧م ، وتقوم عدة صناعات معتمدة على توفر المواد الخام اللازمة للصناعة إلى جانب وفرة الأيدى العاملة ورخصها ، بالإضافة

١- نفس المرجع ، ص٢٦٥ .

٢- د. محمد خميس الزوكة: المرجع السابق، ص٢٦٨ .

إلى مصادر الطاقة المتمثلة أساسًا فى محطات الطاقة الكهربائية المنتشرة على طول المجارى المائية. ومحطات الكهروحرارية المعتمدة أساسًا على الفحم، وأهم الصناعات فى كوريا الشمالية صناعة الحديد والصلب والأسمنت والنسيج والمخصبات الكيميائية [١].

تاريخ كوريا :

كانت كوريا منذ تاريخها القديم- القرن السابع الميلادى- مملكة مستقلة عن كل من الصين واليابان تحكمها أسرة «سيلا Silla» التى حافظت على استقلال شبه الجزيرة الكورية أمام تطلعات الصين، وأطماع اليابان وورثت أسرة يى Yi» حكم شبه الجزيرة منذ عام ١٣٩٢م، وظلت تحكم حتى أوائل القرن العشرين عندما أعلنت اليابان ضم شبه الجزيرة إلى إمبراطوريتها خاصة بعد أن هزمت اليابان روسيا عام ١٩٠٥م.

وكان موقع شبه جزيرة كوريا بين الصين التى تمثل كتلة بشرية هائلة وامكانات اقتصادية وتطلعات إقليمية ، وبين اليابان التى يتوق شعبها التحرك من الجزر إلى أرض القارة وكانت كوريا أقرب أراضى قارة آسيا لليابان، وقد استفادت كوريا من هذا الموقع كما أضيرت منه، فقد كانت تشكل معبرا يربط شعوب القارة وخاصة الصينيين من ناحية وسكان جزر اليابان من ناحية أخرى، ولذا وفد إلى أراضيها العديد من الشعوب التى يأتى اليابانيون والصينيون والمغول فى مقدمتها [٢].

وكان موقع كوريا أيضا مطمعا للصين خاصة فى عهد أسرة مانشون (١٦٤٥-١٩١١م) حيث فرضت الصين سيطرتها على شبه الجزيرة الكورية، كما خضعت لليابان فترة طويلة أخرى، فبينما انتهت السيطرة الصينية على كوريا بموجب معاهدة «شيمونسكى» التى عقدت بين اليابان المنتصرة فى الحرب وبين الصين المنهزمة فى هذه الحرب ١٨٩٤ / ١٨٩٥م، والتى اعترفت فيها الصين باستقلال شبه الجزيرة الكورية، فأن اليابان انتهزت فرصة هزيمتها لروسيا فى عامى ١٩٠٤ و١٩٠٥م وحصلت من روسيا على اعتراف بمركز اليابان المتفوق فى كوريا، وكان ذلك خطوة لضمها نهائيا إليها فى عام ١٩١٠م[٣].

١- نفس المرجع ، ص٢٦٩ .

٢- د. محمد خميس الزوكة : المرجع السابق، ص٢٥٨ .

٣- د. رءوف عباس: المجتمع اليابانى فى العصر الميجى، ص١٦٩ .

ورغم أن شبه الجزيرة الكورية خضعت للصين ولليابان ، فقد حافظت على شخصيتها الحضارية المميزة لها ،وقد ساعدها على ذلك طبيعة سطحها الجبلية وإحاطة المياه بها من جميع الجهات حتى من الشمال حيث يوجد نهر إيالو Yailo وتومان اللذان يعتبران حاجزا طبيعيا بين شبه الجزيرة الكورية وبين الأرض الصينية، وكانت المياه من الجهات الأربع تمثل حدودا طبيعية لشبه جزيرة كوريا .

ظلت اليابان تحتل شبه جزيرة كوريا حتى انتهت معارك الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م وهزيمة اليابان ، فدخلت القوات الروسية شبه الجزيرة من الشمال، ولكى تحبط الولايات المتحدة الأمريكية السيطرة السوفيتية الكاملة على أراضى شبه جزيرة كوريا ، اقترحت الحكومة الأمريكية بأن تقوم القوات الأمريكية باحتلال شبه الجزيرة جنوب خط عرض ٣٨ لكى تحاصر القوات اليابانية المنهزمة هناك. وفى نفس الوقت اقترحت حكومة واشنطن على الاتحاد السوفيتى باحتلال الجزء الشمالى من شبه الجزيرة شمال خط العرض ٣٨ ، وقد وافق الاتحاد السوفيتى على الاقتراح الأمريكى بدون اعتراض [١].

وهكذا بسط الاتحاد السوفيتى نفوذه على كوريا الشمالية، بينما بسطت الولايات المتحدة الأمريكية هيمنتها على كوريا الجنوبية، وسقطت شبه الجزيرة الكورية فى صراع الحرب الباردة بين القطبين الكبيرين، الاتحاد السوفيتى ومعه جمهورية الصين الشعبية منذ عام ١٩٤٩م تسعيان لنشر الماركسية فى كوريا الجنوبية، بينما تدافع الولايات المتحدة وبعض دول المعسكر الغربى عن نهج كوريا الجنوبية الرأسمالى ومن هنا حدث ما عرف بالحرب الكورية عام ١٩٥٠م.

اندلعت الحرب بين كوريا الشمالية وتدعمها جمهورية الصين الشعبية فى المقام الأول، وبين كوريا الجنوبية وتدعمها الولايات المتحدة الأمريكية، واستمرت الحرب حوالى عامين، لجأت خلالها الولايات المتحدة الأمريكية إلى هيئة الأمم المتحدة بدعوى عدوان كوريا الشمالية المدعومة بأمكانات صينية على كوريا الجنوبية فأصدرت مجلس الأمن قرارا بتشكيل قوة دولية تحت علم هيئة الأمم المتحدة ، على رأسها قوات أمريكية إلى جانب قوات من حلف شمال

١- Macdonald , D.S.: The koreans contemporary Politics and Society, Boulder colorado: Westview Press, 1988, p. 258 .

الأطلسى ومنها تركيا ، وقد انتهت الحرب بموافقة الطرفين المتقاتلين على وقف إطلاق النار، واتخاذ خط عرض ٣٨ شمالا كحد فاصل ونهائى بين كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية[١]. وقد كلفت هذه الحرب كلا الدولتين فى شبه الجزيرة خسائر بشرية بلغت حوالى ثلاثة ملايين نسمة، وتكرست بعدها الهيمنة الأمريكية على كوريا الجنوبية بدعوى حمايتها من نفوذ وعدوان كوريا الشمالية ذات النهج الشيوعى، كما تكرست فى كوريا الشمالية الماركسية المدعومة من الاتحاد السوفيتى ومن جمهورية الصين الشعبية، وتكرس الانفصال بين الكوريتين منذ ذلك التاريخ [٢].

كوريا بين الانفصال وأمل الوحدة:

فرضت على شبه الجزيرة الكورية تلكم الحرب التى شاركت فيها الدول العظمى فى إطار سياسة الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكى الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى وجمهورية الصين الشعبية ، والمعسكر الرأسمالى الغربى بزعامة الولايات المتحدة، والتى استمرت من ١٩٥٠ إلى ٢٧ يوليو عام ١٩٥٣ تاريخ التوقيع على معاهدة إنهاء الحرب الكورية وأوجدت انفصالا بين الكوريتين ، بل وعداء بين النظامين الحاكمين فى كل منهما، رغم تطلع الشعب فى البلدين إلى الوحدة باعتبار عوامل الجغرافيا والتاريخ والاجتماع توحد بينهما.

ويمكن مناقشة العلاقة بين الكوريتين خلال الفترة من ١٩٥٣م وحتى عام ٢٠٠٠م على النحو الآتى:

أ- الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٧٢م، وتعرف بفترة المواجهة والتحدى بين الكوريتين، وغياب الحوار واللقاء ، وقد شهدت منطقة الشرق الأقصى فى تلك المرحلة تصاعد المد الشيوعى الزاحف من الصين تجاه الهند الصينية فيما عرف بحرب فيتنام التى انقسمت فيها الولايات

١- اشتركت قوات ١٥ دولة بجانب الولايات المتحدة والقوات الكورية فى هذه الحرب ، هى استراليا ونيوزيلنده وبريطانيا وفرنسا، وكندا، وجنوب أفريقيا وتركيا واليونان وتايلاند وهولنده، وأثيوبيا وكلومبيا والفلبين وبلجيكا ولكسمبرج .

A Hand book of Korea , Korean Overseas Information Service , Seol 1993, p. 115 .

٢- الرئيس بارك (رئيس جمهورية كوريا الجنوبية) : هكذا بنينا الوطن، إدارة الاستعلامات سيول ، ص١٩-٢٠ .

المتحدة الأمريكية وخرجت منها شبه منهزمة.. وكان ذلك دافعا لكوريا الشمالية ذات النظام الشيوعى لتصعد من عدائها لنظام الحكم فى كوريا الجنوبية[١].

وفى هذه الفترة بذلت جهود كثيرة من كلا الجانبين لتجنب اندلاع عمل عسكرى جديد فى المنطقة ، على الرغم من بعض الحوادث التى ارتكبها الشطر الشمالى لشبه الجزيرة نحو الشطر الجنوبى (حكومة سيول) مثل: حوادث قوارب الصيد فى المياه الإقليمية، وإرسال العملاء والجواسيس المسلحين، وحادثة محاولة اغتيال الرئيس الكورى الجنوبى بمدينة رانجون بدولة بورما . وإرسال فرق فدائية فى مجموعات كبيرة على فترات متقطعة للتسلل من الشمال إلى كوريا الجنوبية للقيام بعمليات إرهابية هناك، وكان ذلك خلال عامى ١٩٦٨ و١٩٦٩م[٢].

وكان سينجمان رى Syngman Rhee أول رئيس للجمهورية الكورية وهو الاسم الذى اتخذته جمهورية كوريا الجنوبية- بينما كان أول رئيس لجمهورية كوريا الديموقراطية وهو الاسم الذى اتخذته كوريا الشمالية هو كيم إيل سونج Kim Iyle Songe ، وقد تتابع على حكم كوريا الجنوبية بعد سينجمان رى كل من يون بوصن Yun Po-Sun الذى شغل منصب الرئاسة فى الجمهورية الثانية، وبعده جاء الرئيس بارك شونج هيه Park Chung Hee الذى اغتيل فى أكتوبر ١٩٧٩م بعد أن حكم فترة الجمهورية الثالثة. وبعد اغتياله تولى الرئيس شوى كوى هاه Choi Kyu- Hah الذى حكم فترة الجمهورية الرابعة بينما تولى الحكم فترة الجمهورية الخامسة الرئيس شون دو هوان Chun Doo Hwan وجاء بعده فى فترة الجمهورية السادسة الرئيس روه تاى ووه Roh Tae Woo ، ويحكم كوريا الجنوبية حاليا الرئيس كيم يونج سام Kim Young San [٣].

أما فى كوريا الشمالية فقد حكمها من البداية الزعيم كيم إيل سونج واستمر فترة طويلة حتى وفاته حيث تولى كيم جونج إيل Kim Goung Iyle السلطة خلفا لوالده كيم إيل سونج ، حتى الآن، وهنا يتضح أن الرئاسة فى كوريا الجنوبية تدولها حتى الآن ستة رؤساء لأنها تتم

١- فؤاد الخازندار : السياسة الكورية وقضية الوحدة بين الكوريتين، مجلد السياسة الخارجية الكورية، مركز الدراسات الأسيوية - جامعة القاهرة، ص٤٣٥ .

٢- G. Cameron Hurst III : Korea 1988, ANation at the Crossroads Center for East Asian Studies , the University of Kan Sas , 1988 , p. 35 .

٣- AHand Book of Korea , Op. Cit. pp. 114-120 .

بالانتخاب بأسلوب ديموقراطي إلى حد كبير، بينما الرئاسة في كوريا الشمالية اقتصرت على الزعيم المؤسس كيم إيل سونج وابنه من بعده لغياب الديموقراطية الحقيقية في ظل النظام الشيوعي.

ب- الفترة من عام ١٩٧٢ إلى عام ٢٠٠٠م:

وفي هذه الفترة هدأت إلى حد كبير روح العداء التي تبديها حكومة كوريا الشمالية نحو الحكم في كوريا الجنوبية، وبدأت محاولات للحوار بين الطرفين، خاصة وأن المناخ السائد في الشرق الأقصى كان يدعو إلى ذلك، من ذلك انتهاء الحرب الفيتنامية وخروج الولايات المتحدة منهزمة ورغبتها في عدم الانغماس مرة أخرى في حروب محلية في هذه المنطقة، بينما اختلفت كل من الصين وكوريا الشمالية حول المسألة الهندصينية ، وهل تظل الصين تدعم المد الشيوعي في الهند الصينية أم تتولى كوريا الشمالية هذا الدور خاصة بعد أن أصبحت تمتلك ترسانة حربية كبيرة وتقيم علاقات قوية مع كثير من دول العالم.

ومن ثم جاءت خطوات للحوار بين الكوريتين متتابعا ، كان أشهرها تبادل الزيارات الرسمية بين وفدي البلدين على المستوى الرسمي، بالإضافة إلى الزيارات الشعبية الخاصة التي قامت بها الفرق الرياضية والفرق الفنية الغنائية والمسرحية ، بالإضافة إلى زيارات بعض الأسر المتفرقة والمشتتة بين الشمال والجنوب ، ولقد كانت هذه البادرة علامة مميزة في العلاقات بين البلدين [١].

وإذا كانت حقيقة الرغبة الشعبية المتبادلة بين الكوريتين للحوار والتعاون قد هيمنت على الوضع في شبه جزيرة كوريا، فإن بعض الحوادث المتباعدة والتي عكرت العلاقات بين النظامين الحاكمين لم توقف تيار الرغبة الشعبية والتي أثرت على سياسة الكوريين الشماليين لتفتح من جديد فكرة الحوار بل واللقاء في أواخر القرن العشرين.

ومن الأحداث التي اتخذتها حكومة كوريا الشمالية واساءت إلى تيار المصالحة بين الكوريتين ، إعلان كوريا الشمالية عام ١٩٨٧م عند عزمها على وضع خطة لبناء سد ضخم في منطقة جبل «كا- أمجانج» وإغراق السفن الكورية الشمالية لإحدى سفن كوريا الجنوبية

١- فؤاد الخازندار : المرجع السابق ، ص٤٣٩ .

فى مياه البحر الأصفر، وموقف التردد الذى أبدته حكومة كوريا الشمالية للاشتراك فى دورة الألعاب الأوليمبية التى عقدت بمدينة سيول عاصمة كوريا الجنوبية عام ١٩٨٨م[١].

ومع ذلك استمرت كوريا الجنوبية فى الدعوة إلى إنهاء التوتر مع كوريا الشمالية فى بيانات رسمية والدعوة علنا لفتح باب الحوار مع حكومة «بيونج يانج» وفى تشكيل الوزارة فى حكومة سيول كان هناك وزير للوحدة الوطنية، الذى أكد من أن النشاطات المعارضة للحكومة فى كوريا الجنوبية تشدد وتؤكد على أهمية دور الشعب ووضع نهاية لما يسمى بأيديولوجية التقسيم فى بياناتهم المنشورة بشأن قضية الوحدة وفى نفس الوقت نجد البيانات الصادرة عن حكومة كوريا الشمالية بصدد قضية الوحدة تؤكد دائما على فكرة القومية وليس على فكرة الماركسية اللينية[٢].

وقد جدت خلال التسعينات من القرن العشرين عوامل داخلية وأخرى خارجية ساهمت فى التقريب بين الكوريتين ، بالنسبة للعوامل الداخلية فقد تمثلت فى التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى كوريا الجنوبية ، فإن التنمية الاقتصادية المتزايدة قد انعكست آثارها فى مجالات الحياة الحديثة بظهور جماعات مهنية وتغيرات أسرية فى الجماعات العشائرية، بينما انعكس تأثير التغييرات الثقافية على إطار العلاقات الشخصية داخل المجتمع.

بينما تسير الأمور فى كوريا الشمالية على العكس إلى حد كبير، حيث الاقتصاد الموجه والعلاقات الثقافية والاجتماعية متأثرة بالأفكار الماركسية، ولهذا كان الكوريون الشماليون يتطلعون إلى تجربة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى كوريا الجنوبية بأعجاب، خاصة أن هذه التجربة أدت إلى إيجاد مطالب وتوقعات جديدة ، بالإضافة إلى ظهور العديد من المؤسسات والمنظمات الجديدة [٣].

ومن الأمور الداخلية المؤثرة فى قضية الوحدة بين الكوريتين ، اتجاه حكومة كوريا الشمالية إلى الانفتاح الاقتصادى على الخارج واستيراد السلع الاستهلاكية التى يتطلع إليها أفراد

١- فؤاد الخازندار : المرجع السابق ، ص٤٣٩ .

٢- G. C. Hurst III : Op. cit, p. 36 .

٣- Ibid, p. 39 .

الشعب الكورى الشمالى، وإقامة مشروعات سياحية لاستقطاب سياح من الدول الأخرى لزيارة المعالم الكورية ، بالإضافة إلى التوسع فى إنتاج السلع والأجهزة الاستهلاكية ، مع زيادة فى اتصالات حكومة بيونج يانج بالخارج . وهذه التغيرات زادت من تأثير القوى الشعبية لعمليات صنع القرار السياسى، بغض النظر عن طبيعة البناء السياسى أو الأيديولوجية الحاكمة، وهذا يدل على أن الشعب الكورى بشقيه الشمالى والجنوبى لديه الرغبة الخالصة والحقيقية لإعادة وحدته بسلام[١].

وأما العوامل الخارجية المؤثرة فى قضية الوحدة بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، دور الولايات المتحدة الأمريكية التى كانت تهدف إلى إزالة التوتر بين الكوريتين حتى تقلل من إنفاقها العسكرى لحماية أمن كوريا الجنوبية من تهديدات كوريا الشمالية، بل ومن أجل السيطرة على برنامج كوريا الشمالية النووى الطموح خاصة بعد إعلان حكومة بيونج يانج انسحابها من اتفاقية عدم التخصيب النووى، إلى جانب الدور الذى لعبه الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر لتخفيف التوتر بين الكوريتين عام ١٩٩٤ ، فى الوقت الذى أبدى فيه الزعيم الكورى الشمالى رغبته فى إجراء حوار مباشر مع الولايات المتحدة الأمريكية[٢].

كما كان لليابان نظرة لفكرة الوحدة بين الكوريتين تقوم على تكثيف العلاقات التجارية مع البلدين، وطالما تحسنت العلاقات بينهما نشطت تلك العلاقات وعادت المكاسب على الجميع بهدف إبعاد القوى الأخرى سواء الولايات المتحدة الأمريكية أو روسيا الاتحادية أو حتى الصين، لأن لليابان مصالح خاصة فى شبه الجزيرة الكورية عبر التاريخ.

وهكذا توفرت عوامل داخلية فى كل من كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية وعوامل خارجية أحلت الرغبة فى الحوار وإنهاء التوتر بين الكوريتين بدل الحرب والخلاف بينهما، وبهذا يكون الدور فى تحقيق أمل الكوريين فى الشمال والجنوب فى الوحدة بينهما بأية صورة من صور التوحد، هذا الدور يقع على حكومة سيول وحكومة بيونج يانج ، خاصة فى عهد الرئيس الكورى الجنوبى كيم يونج سام، والرئيس الكورى الشمالى كيم جونج إيل.

١- فؤاد الخازندار : المرجع السابق ، ص٤٤٢ .

٢- نفس المرجع ، ص٤٤٦ .

فما هو موقف كوريا الجنوبية من قضية وحدة شبه جزيرة كوريا ؟

لقد قدم الرئيس الكورى كيم يونج سام عندما تولى السلطة فى فبراير ١٩٩٣م أفكاراً لتحقيق الوحدة مع كوريا الشمالية ، بهدف تحسين مستوى المعيشة فى كل من كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية، باعتبار أن سياسة الرئيس الكورى الجنوبى تعكس التغير العالمى فى عصر ما بعد الحرب الباردة ، كما تعكس حركات الإصلاح داخل المجتمع الكورى الجنوبى والتى تبنتها حكومة كيم يونج سام كأول نظام حكم مدنى فى كوريا الجنوبية .

وكانت الصيغة التى تبنتها حكومة الرئيس الكورى الجنوبى نحو وحدة شطرى شبه الجزيرة تقوم على عدة مبادىء هى:

١- الإجماع الوطنى على تحقيق الوحدة بحيث تنبع من الشعب ولصالح الشعب فى الكوريتين.

٢- الازدهار الاقتصادى المعتمد على الانفتاح الاقتصادى واقتصاد السوق.

٣- التعايش السلمى بين الحكم فى كوريا الشمالية والحكم فى كوريا الجنوبية.

٤- أن تقوم الوحدة وتنهض على مبادىء الحرية والديموقراطية والخير والرفاهية للجميع بدلا من أى أيديولوجية تركز فقط على طبقة أو جماعة معينة[1].

٥- انتهاج النظام التدريجى ومدخل الخطوة خطوة وذلك بزيادة التجانس بين الشمال والجنوب من خلال التبادل الاقتصادى والثقافى، لأن التغيير السياسى الحقيقى فى كوريا الشمالية من الممكن توقعه عن طريق تغير التحالف فى الصفوة الحاكمة، والتغيرات فى النظام السياسى والتحول من النظام الاشتراكى نفسه[2].

وكانت خطوات حكومة سيول لوضع برنامج للوحدة مع حكومة بيونج يانج تتمثل فى التعامل مع الرئيس الكورى الشمالى الجديد على ضوء المبادىء السابق الإشارة إليها، مع التركيز على الوحدة المركزة والسياسة الأمنية والتى تختلف ظروفها وملابساتها فى فترة ما قبل انتهاء الحرب الباردة وما بعدها ، مساعدة أية جماعة إصلاحية من بين الصفوة الحاكمة

١- Korea and World Affairs, vol. 18 , No .3 (Fall 1994) , pp. 475-476 .

٢- Ibid, p. 479 .

فى كوريا الشمالية، وسوف يقود ذلك سياسة الشمال تجاه الاصلاح والانفتاح، وأن مثل هذه الجهود ستؤدى إلى تغييرات هادفة فى الشمال بدون الإضرار باستقرارها ، ومحاولة حل القضية النووية مع كوريا الشمالية بكل الوسائل السلمية الممكنة[١].

كان الزعيم الكورى الشمالى «كيم إيل سونج» قد أبدى استعداده ورغبته فى عقد لقاء قمة مع رئيس كوريا الجنوبية كيم يونج سام وذلك أوائل عام ١٩٩٤م، الغرض من هذا اللقاء بحث قضية الوحدة بين الكوريتين فى إطار النظام الفيدرالى ، وكانت حكومة بيونج يانج قد اشترطت لاستئناف اجتماعات وفدى الدولتين أن يكون جدول الأعمال كالآتى:-

١- بحث صيغة الوحدة الفيدرالية التى اقترحتها حكومة كوريا الشمالية.

٢- مناقشة المبادىء العشرة التى صاغها كيم إيل سونج زعيم كوريا الشمالية من أجل تحقيق الوحدة الوطنية بين شطرى كوريا .

٣- بحث الغاء قانون الأمن القومى السائد فى كوريا الجنوبية[٢].

ولكن وفاة الرئيس الكورى الشمالى كيم إيل سونج فى ٨ يوليو ١٩٩٤م أجلت اتخاذ أية خطوات للقاءات المقترحة بين الشمال والجنوب .

وعندما التقى الرئيس الكورى الجنوبى كيم يونج سام مع الرئيس الأمريكى بيل كلينتون بجزيرة چيچو الكورية فى ١٦ أبريل ١٩٩٦م، تم الاتفاق على ما يلى:-

١- تعهد الحكومة الأمريكية بالدفاع عن أمن كوريا الجنوبية ، مع تقوية التحالف الأمنى بين البلدين .

٢- التأكيد على استمرار العمل بمعاهدة الهدنة الموقعة بين الكوريتين، وتظل سارية المفعول حتى يتم إنهاؤها بموجب اتفاقية سلام شاملة ودائمة.

٣- التأكيد على الرغبة المتبادلة بين الطرفين فى رعاية وتعزيز السلام الدائم المستقر فى شبه الجزيرة الكورية والعمل الإيجابى المشترك بعقلية متفتحة نشطه لتشجيع عمليات الوفاق والسلام فى شبه الجزيرة الكورية.

١- Kim Hakjoon : Korea;s Relations with her Neighbers in AChanging world , Seol, 1995 , p. 94 .

٢- Kang I Duk : East Asian Review, vol . VI No . 4, Seoul (Winter 1994), p. 42 .

٤- أكد الرئيسان على أن المبادىء الأساسية من أجل السلام الدائم وتدعيم الاستقرار فى شبه جزيرة كوريا، إنما هو فى المقام الأول مهمة الشعب الكورى، كما اتفقا على وجوب بحث عمليات جديدة وترتيبات جديدة بين شطرى كوريا من أجل الوصول إلى السلام الدائم، ورفض الطرفان أية محادثات منفصلة تتعلق بقضايا السلام بين الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا الشمالية [١].

٥- أكد الرئيس الكورى الجنوبى أن بلاده ترغب فى اللقاء بممثلين على المستوى الحكومى من كوريا الشمالية ولكن بدون أية شروط مسبقة.

٦- اقترح الرئيسان الأمريكى والكورى الجنوبى تشكيل لجنة رباعية تضم ممثلين من جمهورية كوريا الجنوبية وجمهورية كوريا الشعبية الديموقراطية (الشمالية) وجمهورية الصين الشعبية وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، تتولى تحقيق اتفاق سلام دائم بين الكوريتين بأسرع وقت ممكن وبدون أية شروط مسبقة.

٧- اتفق الرئيسان الأمريكى والكورى الجنوبى على أن دعم عملية السلام سوف يؤدى بالتالى إلى تخفيض حدة التوتر التى تسود كل ربوع المنطقة.

٨- أثنى الرئيس الأمريكى على المبادرة الإيجابية لكوريا الجنوبية، واعتبرها خطوة مهمة من أجل تقليل حدة التوتر فى شبه الجزيرة الكورية وأكد الرئيس الكورى الجنوبى على أهمية استمرار التأييد والدعم الأمريكى لبلاده على وجه الخصوص[٢].

وقامت حكومتا سيول وواشنطن بإبلاغ كل من كوريا الشمالية والصين بنصوص الاتفاق الأمريكى الكورى الجنوبى، كما أبلغت كوريا الجنوبية برأيها فى الوحدة مع كوريا الشمالية إلى كل من اليابان وروسيا الاتحادية والذى يقوم على ثلاثة أسس هى:

أ- التأكيد على أهمية الحوار المباشر من الشمال إلى الجنوب.

ب- الوصول إلى تحقيق هدف الوحدة عن طريق العوامل الاقتصادية.

جـ- اتفاق الموقف السياسى لكوريا الجنوبية مع الموقف السياسى الأمريكى فى اتخاذ القرارات ومناقشة القضايا المختلفة[٣].

١- The Korea Times (April 17, 1961), p. 2 .

٢- The Korea Times , Op. cit. p. 2 .

٣- فؤاد الخازندار : المرجع السابق، ص٤٥٣ .

وأخيرا :

تطلعت حكومة كوريا الجنوبية إلى تحقيق الوحدة مع الشمال باستلهام الوحدة الألمانية ولكن حكومة كوريا الشمالية لاتحبذ الوحدة على النسق الألمانى حتى لايبتلع الجنوب الشمال، كما ابتلعت ألمانيا الغربية ألمانيا الشرقية.

ولكن المعجزة أو الأمل فى اجتماع رئيسى الكوريتين قد تحقيق فى شهر يونيو ٢٠٠٠م بعد حوالى ٥٠ سنة من الحرب بين شطرى كوريا ، لتبدأ الآمال فى تحقيق الوحدة بين الكوريتين تتجدد وإن كان الشوط طويل لتحقيق الوحدة نظرا للاختلاف الجذرى فى النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين البلدين .

وقد أعلن الرئيس الكورى الجنوبى كيم واى جونج أن توحيد شطرى كوريا قد يستغرق ثلاثين عاما ، وأعرب جونج في حديث صحفى هو الأول منذ انعقاد القمة بين شطرى كوريا فى بيونج يانج الشهر الماضى عن رغبته فى أن تتم الوحدة تدريجيا وعلى مهل [١].

١- جريدة الأهرام القاهرة، الثلاثاء ١٨ / ٧ / ٢٠٠٠م.

المصادر

أولا : المصادر والمراجع العربية :

١- أبحاث المؤتمر الدولى : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، الماضى والحاضر والمستقبل، جامعة الأزهر ١٩٩٦ .

٢- إبراهيم نافع وآخرون : ما الذى يجرى فى آسيا . القاهرة ١٩٩٨م.

٣- ابن بطوطه : تحقيق محمود الشرقاوى : رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٤- ابن حوقل : المسالك والممالك . ليدن ، ١٨٩٩ .

٥- أبو الحسن على الحسنى الندوى : المسلمون فى الهند ، لكهنؤ الهند ١٩٨٧م .

٦- أبو الفتح الشهرستانى : الملل والنحل بحاشية ابن حزم ، مصر ١٣١٧هـ.

٧- إحسان حقى : باكستان ماضيها وحاضرها ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٨- إحسان حقى : مأساة كشمير المسلمة ، الرياض ١٩٧٠م.

٩- أحمد الخولى : الدولة الصفوية ، تاريخها السياسى والاجتماعى ، القاهرة ١٩٨٩م .

١٠- أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

١١- أحمد محمود الساداتى : أفغانستان قلعة الإسلام الشامخة بقلب آسيا والسيدجمال الدين الأفغانى . القاهرة ١٩٨١ .

١٢- أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، القاهرة،١٩٧٩ .

١٣- أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، ٢ جزء، القاهرة ، ١٩٧٧ .

١٤- أحمد محمود الساداتى: تركستان والاستعمار الروسى.

١٥- أحمد مصطفى أبوحاكمة : تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة، القاهرة،١٩٦٨ .

١٦- أدوين رايشاور ترجمة ليلى الجبالى : اليابانيون ، الكويت ١٩٨٩ .

١٧- آرثر تيدمان ، ترجمة وديع سعيد : اليابان الحديثة . مشروع الألف كتاب العدد ٢٢٢ القاهرة، د. ت .

١٨- اسم مالكى : نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية، مقال مترجم عن اللغة الفارسية منشور بكتاب ندوة أحرار الشيشان والدب الروسى- المركز العربى الدولى ٦ يناير ١٩٩٥م.

١٩- إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة .

٢٠- إسماعيل ياغى : تاريخ العالم الإسلامى فى آسيا، الرياض ١٩٩٣ .

٢١- إسماعيل ياغى : تاريخ شرق آسيا الحديث ، الرياض ١٩٩٤ .

٢٢- الاسترلامب ترجمة سهيل زكار : كشمير ميراث متنازع عليه، دمشق ١٩٩٢ .

٢٣- السيد جمال الدين الأفغانى : تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، القاهرة ١٩٠١ .

٢٤- السيد خالد المطرى : دراسات فى سكان العالم الإسلامى جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ .

٢٥- السيد محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، الدوحة ، قطر ١٣٨٦هـ.

٢٦- آمال السبكى : التيارات الدينية فى الثورة الإيرانية ١٩٧٧-١٩٨٩م ، القاهرة ١٩٩٢ .

٢٧- آمال السبكى : العلاقات الأمريكية الإيرانية ١٩٣٥-١٩٣٩ ، القاهرة ١٩٩٢ .

٢٨- آمال السبكى : صراع الحلفاء والمحور حول إيران ١٩٣٩-١٩٤٢ ، القاهرة ١٩٩١ .

٢٩- أمل ابراهيم الزيانى : علاقات المملكة العربية السعودية فى النطاق الإقليمى ، القاهرة ١٩٨٩ .

٣٠- بارتولد المستشرق الروسى، ترجمة أحمد السعيد سليمان : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، القاهرة ١٩٥٨ م .

٣١- بتروشوفسكى ترجمة وتعليق د. السباعى محمد السباعى : الإسلام فى إيران، القاهرة.

٣٢- بيير رنوفان ، ترجمة د. جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية (١٨١٥-١٩١٤م) ، القاهرة ١٩٧٤ .

٣٣- تاريخ إيران ، ترجمة : آقاى سيد محمد تقى فخر داعى كيلانى ، بيروت .

٣٤- تاكافوسانا كامورا ، برنارد ر . ج جريس، ترجمة د. صلاح عبد المجيد العربى، التنمية الاقتصادية فى اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥ .

٣٥- تشترين ، ترجمة حسين الحوت : الشرق الأقصى ، القاهرة ،١٩٦٣ .

٣٦- جان جاك بيربى : الخليج العربى بيروت .

٣٧- جاى ونت : أضواء على آسيا ، بيروت، د . ت .

٣٨- جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء، بيروت ، ١٩٦٩ .

٣٩- جلال يحيى : الشرق الأقصى ، القاهرة ١٩٧٥ .

٤٠- جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية فى العصور الحديثة ، اسكندرية ، د . ت .

٤١- جمال زكريا قاسم : العلاقات الإيرانية بالسعودية والخليج العربى على عهد الأسرة البهلوية ١٩٢٥-١٩٧٩ ، مجلد العلاقات العربية الإيرانية، القاهرة١٩٩٣ .

٤٢- جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم، بيروت، ١٩٥٧ .

٤٣- جودة حسنين جودة : جغرافية آسيا الإقليمية ، الإسكندرية ١٩٩٠م.

٤٤- جورج كيرك : ترجمة عمر الاسكندرى ، موجز تاريخ الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٥٧ .

٤٥- حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة ، الطبعة الخامسة، ١٩٦٧ .

٤٦- حسن أبو العينين : اسيا الموسمية ، القاهرة.

٤٧- حسن سليمان محمود : تاريخ المملكة العربية السعودية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٤٨- حسين مؤنس : تاريخ الدول الإسلامية الحديث، القاهرة .

٤٩- حسين فوزى النجار : الشرق العربى بين حربين ، القاهرة ، د .ت .

٥٠- خليل عبد الحميد عبد العال : الأصول التاريخية لدولة باكستان، اسكندرية ، ١٩٨٤ .

٥١- رأفت غنيمى الشيخ : المسلمون فى العالم، تاريخيا وجغرافيا، القاهرة، ١٩٩٦ .

٥٢- رأفت غنيمى الشيخ : التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية ، القاهرة، ١٩٩١ .

٥٣- رأفت غنيمى الشيخ : العرب دراسات فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٨٣ .

٥٤- رأفت غنيمى الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين القاهرة،١٩٩٢ .

٥٥- رأفت غنيمى الشيخ : قضايا إسلامية معاصرة . القاهرة ، ١٩٨٠ .

٥٦- رءوف شلبى : الاسلام فى أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه، الكويت ١٩٨٣ .

٥٧- رؤوف عباس : المجتمع اليابانى فى عصر مايجى ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٥٨- ريوتارو ، هاشيموتو ، ترجمة مختار محمد متولى وألفت محسن سرحان رؤية لليابان ، إدارة واقعية للقرن الواحد والعشرين ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٥٩- سيد عبد المجيد بكر : الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا ، الرياض ، ١٩٩٢ .

٦٠- شاكر مصطفى وأنور الرفاعى : تاريخ العالم ، دمشق ١٩٥٩ .

٦١- شينتارو إيشيهارا، أكيوموريتا ، ترجمة السيد محرز خليفة ، مختار متولى : اليابان يمكنها أن تقول لا، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ١٩٩١ .

٦٢- علـى حسون : العثمانيون والبلقان ، ، بيروت ، ١٩٨٦ .

٦٣- علـى حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٦٤- عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين ، حاضره ومستقبله ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٦٥- عباس محمود العقاد : محمد على جناح ، دار الهلال، القاهرة ، د . ت .

٦٦- عبد الحميد الموافى : مصر فى جامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٨٣ .

٦٧- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة .

٦٨- عبد الرحمن حمدى : الهند عقائدها وأساطيرها ، القاهرة د.ت.

٦٩- عبد العزيز نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية، القاهرة .

٧٠- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ٣ أجزاء القاهرة .

٧١- عبد العزيز نوار: الصراع العثمانى الفارسى والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، مجلد العلاقات العربية الإيرانية ، القاهرة ١٩٩٣ .

٧٢- عبد القادر خان، ترجمة ابراهيم نوار : مأساة كشمير ، القاهرة ، د . ت .

٧٣- عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر (١٠٠-١٣٧٠هـ) ، القاهرة .

٧٤- عبد المنعم النمر : باكستان ماضيها وحاضرها .

٧٥- عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين فى تحرير الهند ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٧٦- على جريشة : حاضر العالم الإسلامى ، جدة ، ١٩٨٦ .

٧٧- على الطنطاوى : إندونيسيا ، بيروت ١٩٧٢م .

٧٨- ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٦٢ .

٧٩- ك . م . بانيكار: مشكلات الدول الآسيوية الأفريقية .

٨٠- كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه أمين : تاريخ الشعوب الإسلامية ، بيروت ١٩٦٥ .

٨١- كراتشكوفسكى ، ترجمة د. محمد منير مرسى : مع المخطوطات العربية المراقب الملازم لشامل فى كالوجا ، القاهرة د. ت .

٨٢- لوثروب ستودار : حاضر العالم الإسلامى، ٤ أجزاء ، ترجمة عجاج نويهض . بيروت، ١٩٧٣ .

٨٣- مجلة السياسة الدولية عدد أبريل ١٩٩٦م وعدد يوليو ١٩٩٦، وعدد أكتوبر ١٩٩٨ .

٨٤- مجلة فكر وفن سويسرا عدد ٣٢ عام ١٩٧٩م خاص عن محمد إقبال .

٨٥- محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، ١٩٧٧ .

٨٦- محمد أسد شهاب : صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة ، بيروت ١٩٧٢م .

٨٧- محمد السعيد عبد المؤمن : إيران وآفاق المستقبل ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

٨٨- محمد السيد سليم وآخرون : مجلد أوراق أسيوية - مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة أبريل ١٩٩٥م.

٨٩- محمد السيد غلاب : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، الرياض ، ١٩٧٩ .

٩٠- محمد أنيس ، د. السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٩١- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ١٩٥٩ .

٩٢- محمد حرب : الشيشان ، القاهرة ١٩٩٦ .

٩٣- محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، القاهرة ١٩٩٤ .

٩٤- محمد حرب : المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان .

٩٥- محمد حسن العيدروس : العلاقات العربية - الإيرانية ١٩٢١-١٩٧١ ، الكويت ١٩٨٥ .

٩٦- محمد خليفة حسن : تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة ، القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٩٧- محمد خميس الزوكة : آسيا ، دراسة فى الجغرافية الإقليمية ، الإسكندرية ١٩٩٨م.

٩٨- محمد عطا ودكتور عبد الحميد البطريق: باكستان فى ماضيها وحاضرها ، القاهرة،د.ت.

٩٩- محمد علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، القاهرة ١٩٨٩ .

١٠٠- محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ، جدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠١- محمد مرسى أبو الليل : الهند ، تاريخها ، تقاليدها ، جغرافيتها ، القاهرة .

١٠٢- محمد منير مرسى : أبودلف ورسالته الثانية ، مجلة الخليج الجديد، أكتوبر ، ١٩٧٩ الدوحة .

١٠٣- محمد نصر مهنا : الإسلام فى آسيا منذ الغزو المغولى.

١٠٤- محمود أبو العلا : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى، دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية، القاهرة ١٩٩٣ م.

١٠٥- محمود شاكر : التاريخ الإسلامى، ٢٢ جزء ، بيروت ١٩٨٩ .

١٠٦- محمود شاكر : تركستان ، بيروت ، ١٩٧٠ .

١٠٧- محمود شاكر : تركستان الصينية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

١٠٨- محمود شاكر : قفقاسيا ، بيروت ، ١٩٧٢ .

١٠٩- محمود شاكر: الأقليات الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٨م.

١١٠- محمود عبد الرحمن : تاريخ القوقاز، دار النفائس بيروت ١٩٩٥م.

١١١- مراد إبراهيم الدسوقى وآخرون : النمور الاسيوية ، تجارب فى هزيمة التخلف ، القاهرة ١٩٩٥ .

١١٢- مركز الدراسات الآسيوية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة : النموذج الكورى للتنمية ، القاهرة ١٩٩٦ .

١١٣- مركز الدراسات الآسيوية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ، السياسة الخارجية الكورية ، القاهرة ١٩٩٨ .

١١٤- مسألة كشمير ١٩٤٧-١٩٥٦م، صدر عن مكتب النشر والاستعلامات ، سفارة الهند القاهرة .

١١٥- مصطفى دسوقى : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ٣ أجزاء ملحق مجلة الأزهر.

١١٦- مصطفى دسوقى كسبة : الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، الأزهر ذى القعدة ١٤١٥هـ.

١١٧- ناجاى متشيو : الثورة الاصلاحية فى اليابان د. ت .

١١٨- نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها، القاهرة ، ١٩٧٠ .

١١٩- يونان لبيب : العلاقات الإيرانية بمصر والعراق على عهد الأسرة البهلوية ١٩٢٥-١٩٧٩ . مجلد العلاقات العربية الإيرانية ، القاهرة ١٩٩٣ .

ثانيا : المصادر الأجنبية :

1- China Yearbook , 1966-1967 , Taipei, Taiwan , 1967 .

2- Ian Thomson : The Rise of Modern Asia .

3- Wilson : The Persian Qulf .

4- Depping : Histoire de Commerce.

5- K . M . Pankkar : A Survey of Indian History .

6- G . Nilson : Discovery of India .

7- Mahmud Hussain : History of the Freedom Movement , Karachi, 1957.

8- David Gilmartin : Empire and Islam , Punjab and the making of Pakistan , London , 1988 .

9- J . Bruce Amstutz : Afghanistan, the first five years of Soviet Occupation , Washington D . C ., 1986 .

10- Alessandro Bausani : The Persians , London , 1975 .

11- Michael M . J . Fischer : Iran from Religious Dispute to Revelution , London 1980 .

12- Devender Kaushik : The Indian Oceon , London , 1972 .

13- Mim Kemal Oke : The Armenian Question, 1914- 1923 , London , 1988.

14- Army Vandinbash , The Dutch East Indies , California 1912 .

15- Angelino A . D . Colonial Policy . London 1931 .

16- Bland J . O : Recent Events and Present Policies in China ,London 1912.

17- ___________ Li Mung Chang, London 1917 .

18- Balmer , J ., Embassy to China , London 1936 .

19- Bernard , Bery Henry , Islands of Philippenes .

20- Bullard , J . Britain and the Middle East , London 1951 .

21- Clements , P . N ., The Boxer Rebellion, New York 1915 .

22- Conou , Ch . Japanese Expansion on Asia Continent .

23- Costen , O . K ., Great Britain and China , Oxford 1937 .

24- Davis , J . F . China , London 1857 .

25- Fortival , J . S , Wether Lands Islands , London , 1944 .

26- Hail , W . J . Tsang Kuo Fou and the Taiping Rebellion New Haven1927 .

27- Hudson , E . EuropeandChina . London 1931 .

28- Leton , Lord , Indian Administration , London 1948 .

29- Miles J ., The Countries and Tribes of the Persian Gulf , London 1948 .

30- Owen , David Edward , British Opium Poilcy in China and Japan , New Haven 1934 .

31- Panikar , K . M ., Malabar and the Portoguse , Bombay 1927 .

32- ____________ , Asia and Western Dominance , Bomay 1927 .

33- ____________ , Indian States and the Government of India, London 1956 .

34- ____________ , Malabar and the Dutch Bombay , San Som G . B .

35- The Western World and Japan , London , 1927 .

36- Tompson and Grant , British Rule in India , London 1958 .

37- Tse Chang , Siny , Portoguse Trade , Lyden 1934 .

38- Wise , White Rise of Portoguse Power in India , London 1958 .

39- Wheeler , J . The Foreigner in China , Chicago 1881 .

40- Wolworth , Arther , Black Ships of Japan , New York 1946 .

41- The World Fact Book . 1992, CIA, Government of USA. Mililary Balance, 1992, London information on Central Asia Compiled by Prof . maahavan Kpalat , IIc, New Delhi, 1992, The Middle East , Nov . 1992 .

42- Derived from "The Soviet Union's Unegual Parts ; Diverse and Restless , the " The New York Times , September 11 , 1996 , Time , Sep. 9, 1991, Statesman's Yearbook , 1996 .

43- Rasma Karlins, Ethnic Relations in the USSR: The Perspective from Belom (Allen & Unwin, Boston , 1986).

44- Robert J. Kasier "Nations and homelands in Soviet Central Asia "in Geographic - Perspectives on Soviet Central Asia ed. Robert Lemis , London 1992 .

45- Lee Schwartz "The political Geography of Soviet Central Asia : Integrating the Central Asian Frontier ", in Georgraphic Perespectives on Soviet Central Asia , Ed. Robert ALewis London 1990 .

46- Taher Amin : Mass Resistence in kashmir , Origins, Evolution , Options , institute of Policy Studies, Islamabad Pokistan, 1995 .

47- New York Times.

48- Pakistan - India Kashmir Dispute, Achronology of Important Events (1947-1990) Edited by Sarfaray Hussaim Mirza, Lahore , Pakistan, 1994 .

49- Vernon Hewitt : reclaiming The Past : The Search for Political and cultural unity Contemporary Jammu and Kashmir London, 1995 .

50- Ahmad Ejaz : Towards Normalization- India Pakistan Peace Process, 1997-1998. Centre for South Asian Studies Unversity of The Punjab. Lahore 1998.

51- Ahmad Ejaz: Kashmir Dispute and U.S. Security Concerns in South Asia , Centre for South Asian Studies Unversity of the Punjab, Lahore, 1996 .52- Macdonald , D.S: The Korean's contemporary Politics and Society Boulder - colorado : Westview Press, 1988 .

53- A Hand Book of Korea, Korean overseas Information Service, Seol 1993 .

54- G. Cameron hurst III : Korea 1988, Anation at the Crossroads, Center for East Asian, Studies, the university of Kansas, 1988 .

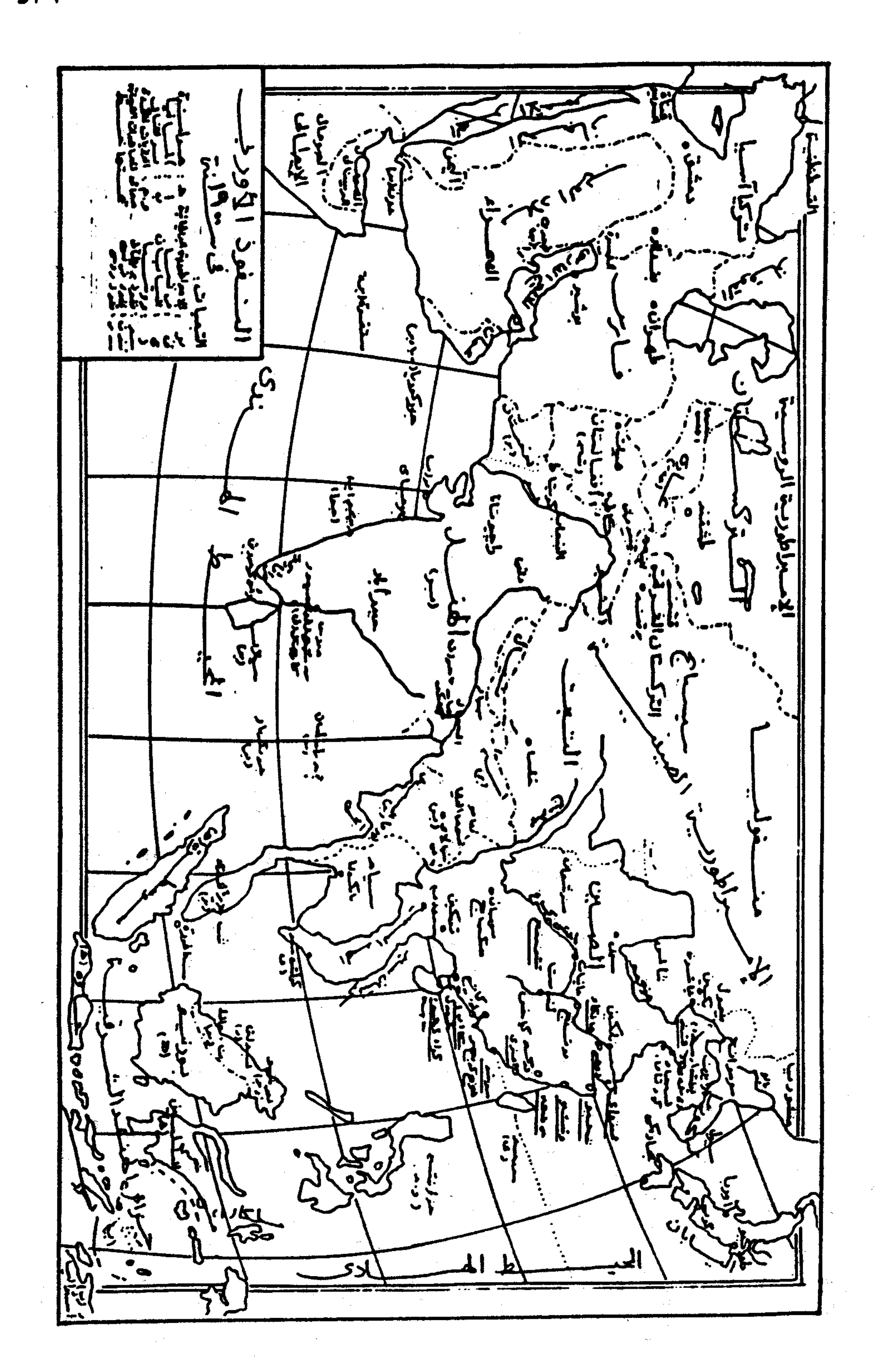
55- Center for Asian Studies : The Arabs and the Koreans , Comparative Perspeetives on New Issues, Cairo University , 1995 .

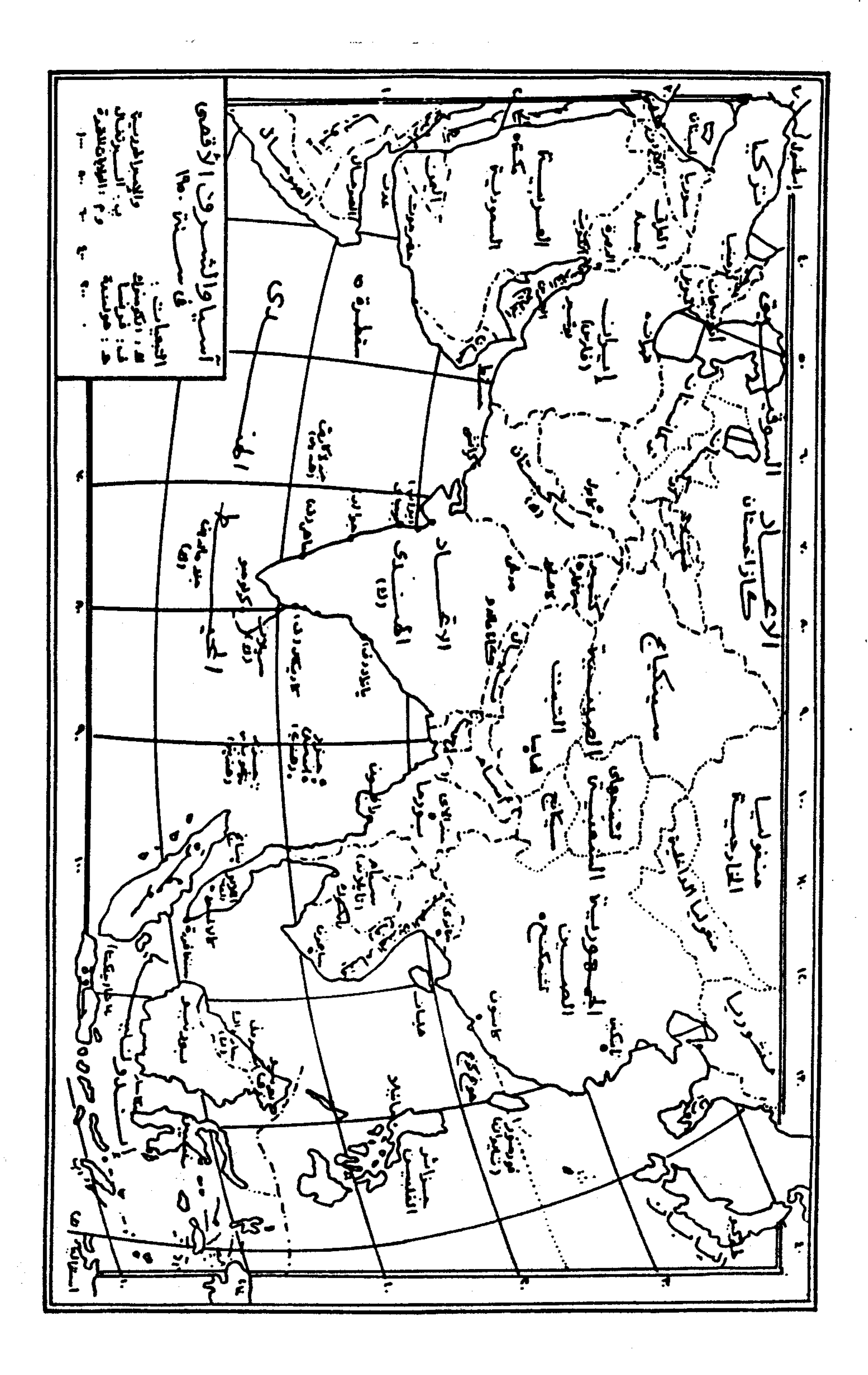
56- Korea and World Affairs , 1994 .

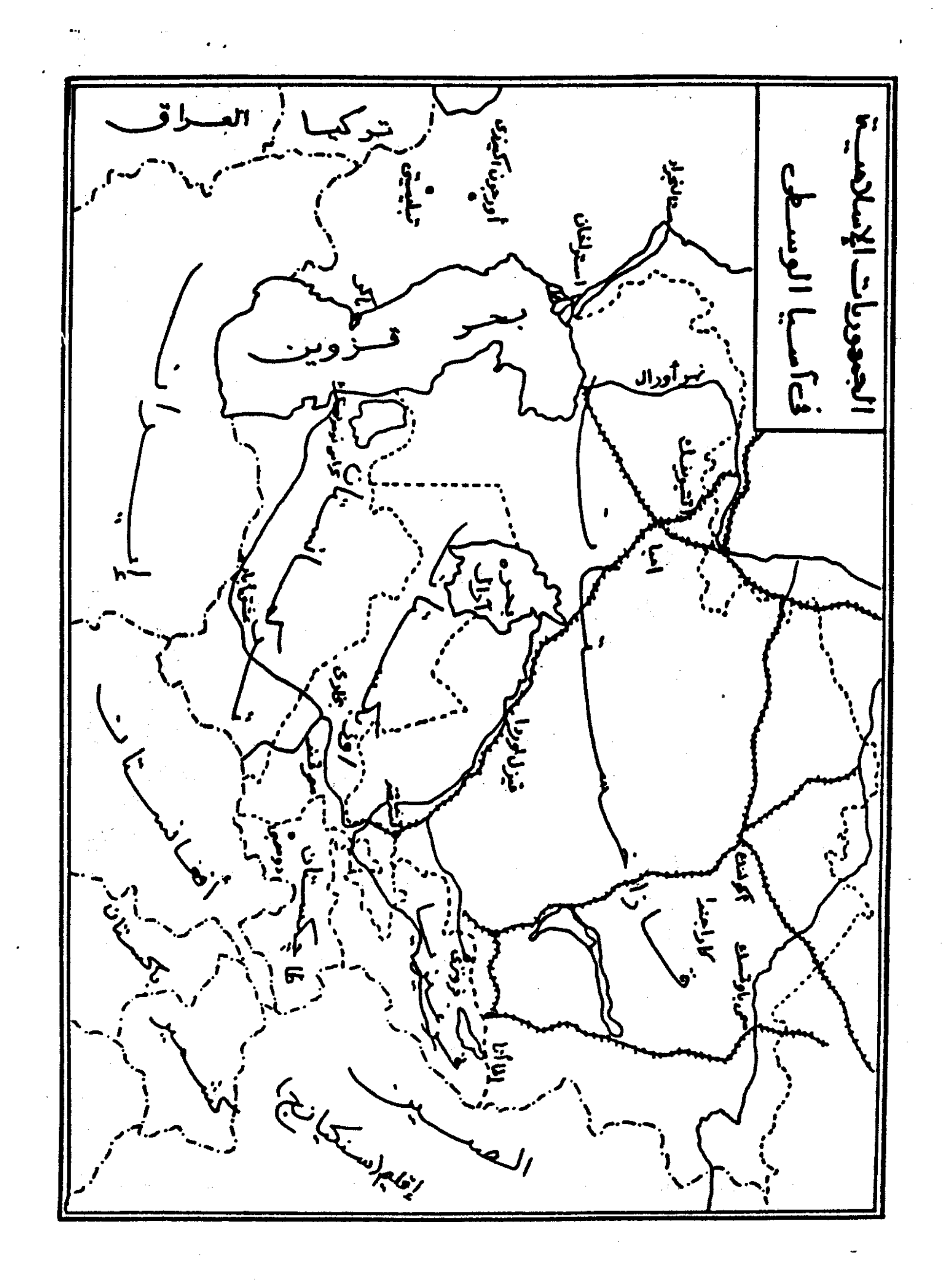
57- Kim Hakjoon : Korea's Relations with Her Neighbours in Achanging World , Seol, 1995 .

58- Kang I Duk ; East Asian Review , Seol , 1994 .

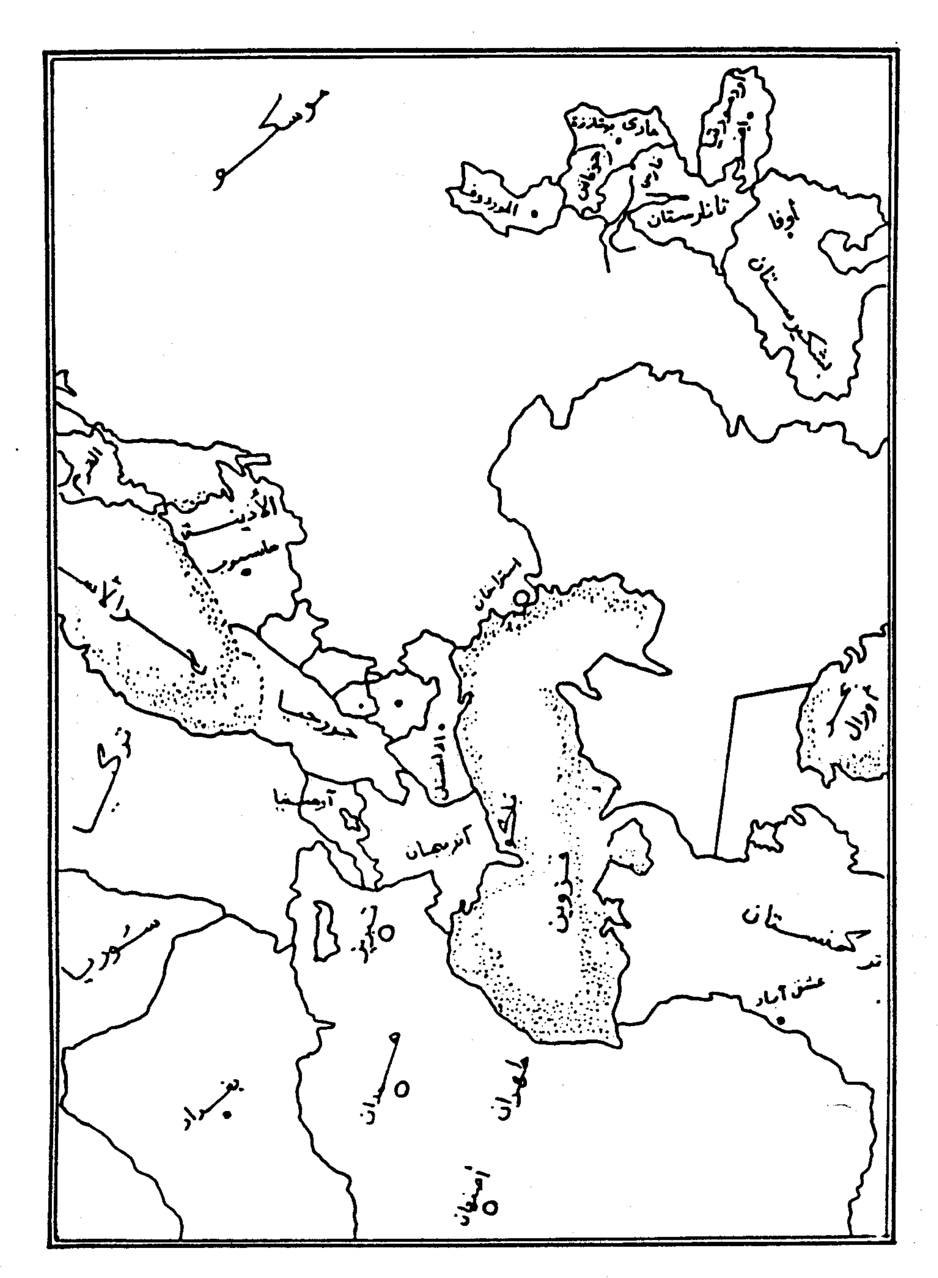
59- The Korea Times, Seol, 1996 .



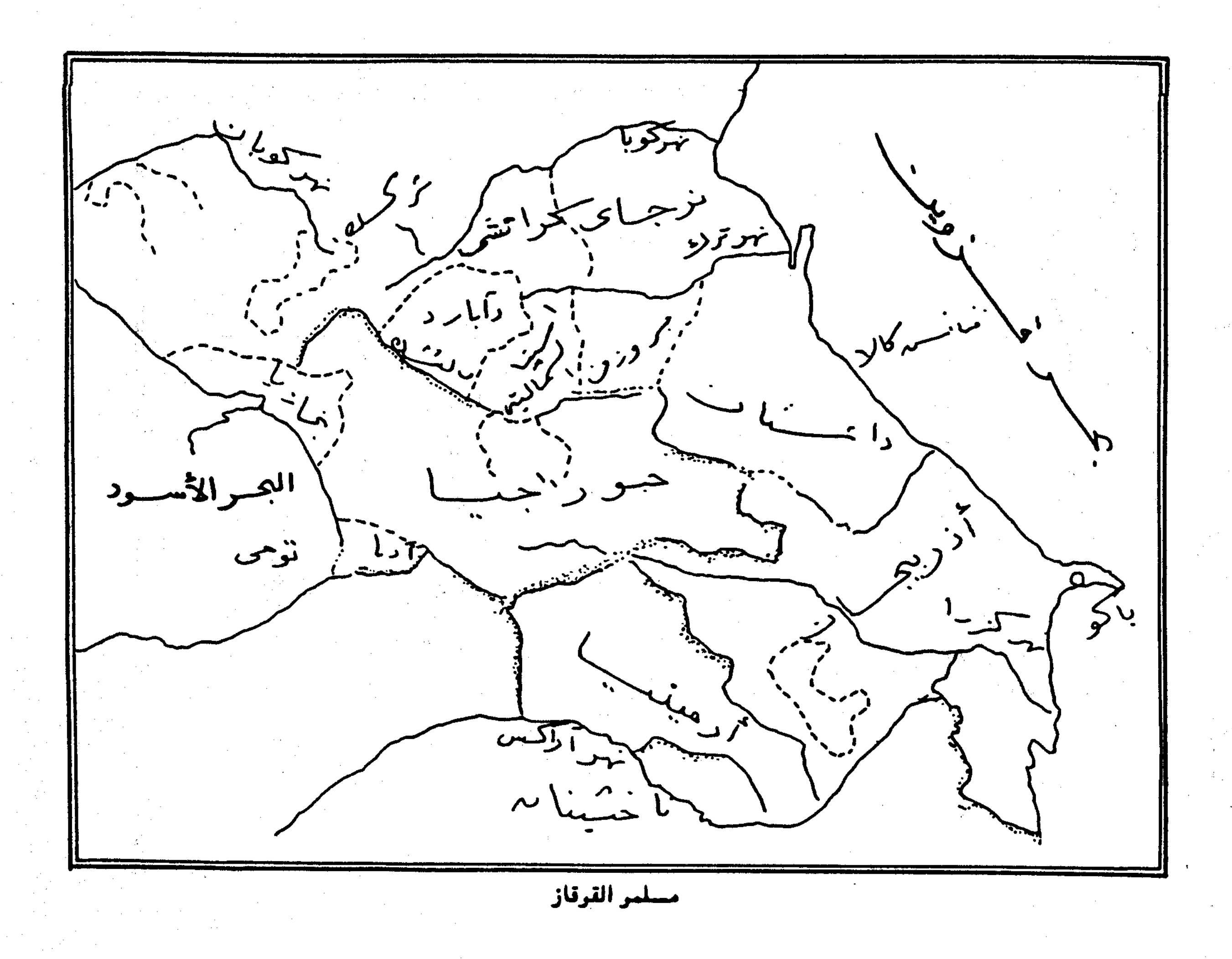

آسيا والشرق الأقصى
فى سنة ١٩٥٠
التبعيات :
ك : انكلترا
ف : فرنسا
هـ : هولندة
والامبراطورية
ب : البرتغال
و م : الولايات المتحدة
تركيا
الاتحاد السوفيتى
كازاخستان
منغوليا الخارجية
منغوليا الداخلية
منشوريا
سينكياج
إيران (فارس)
العربية السعودية
اليمن
حضرموت
عدن
العراق
سوريا
لبنان
الاتحاد الهندى
الجمهورية الشعبية الصينية
التبت
بورما
سيام (تايلاند)
بورنيو
اندونيسيا
جزائر الفلبين
سقطرة
مسقط
مكة
كابول
بكين
الصين
كاسون
هونغ كونغ
هاينان
ساجون
سنغافورة
جاوة
استراليا
سيلان
كولومبو
المحيط الهندى
بوشير
البصرة
الكويت
البحرين



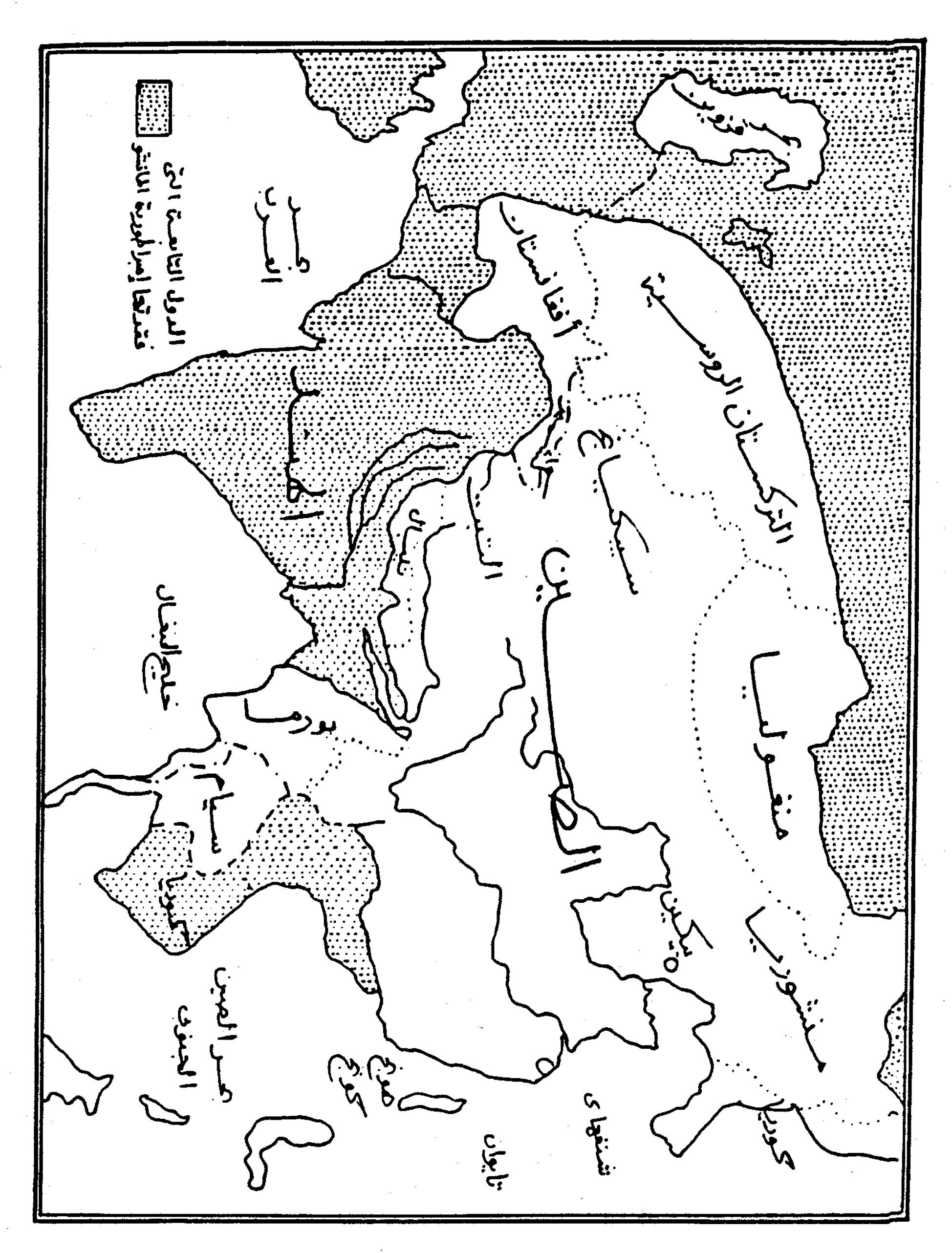
الجمهوريات الإسلامية
في آسيا الوسطى
بحر قزوين
تركيا
العراق
إيران
أفغانستان
باكستان
كشمير
الصين
إقليم سنكيانج
طاجكستان
بحيرة آرال
نهر أورال
استراخان
أمبا
قيزل اوردا
كاراجندا
الماآتا
فرونزي
سمرقند
بخارى
دوشنبه
عشق اباد
باكو
تبليسي



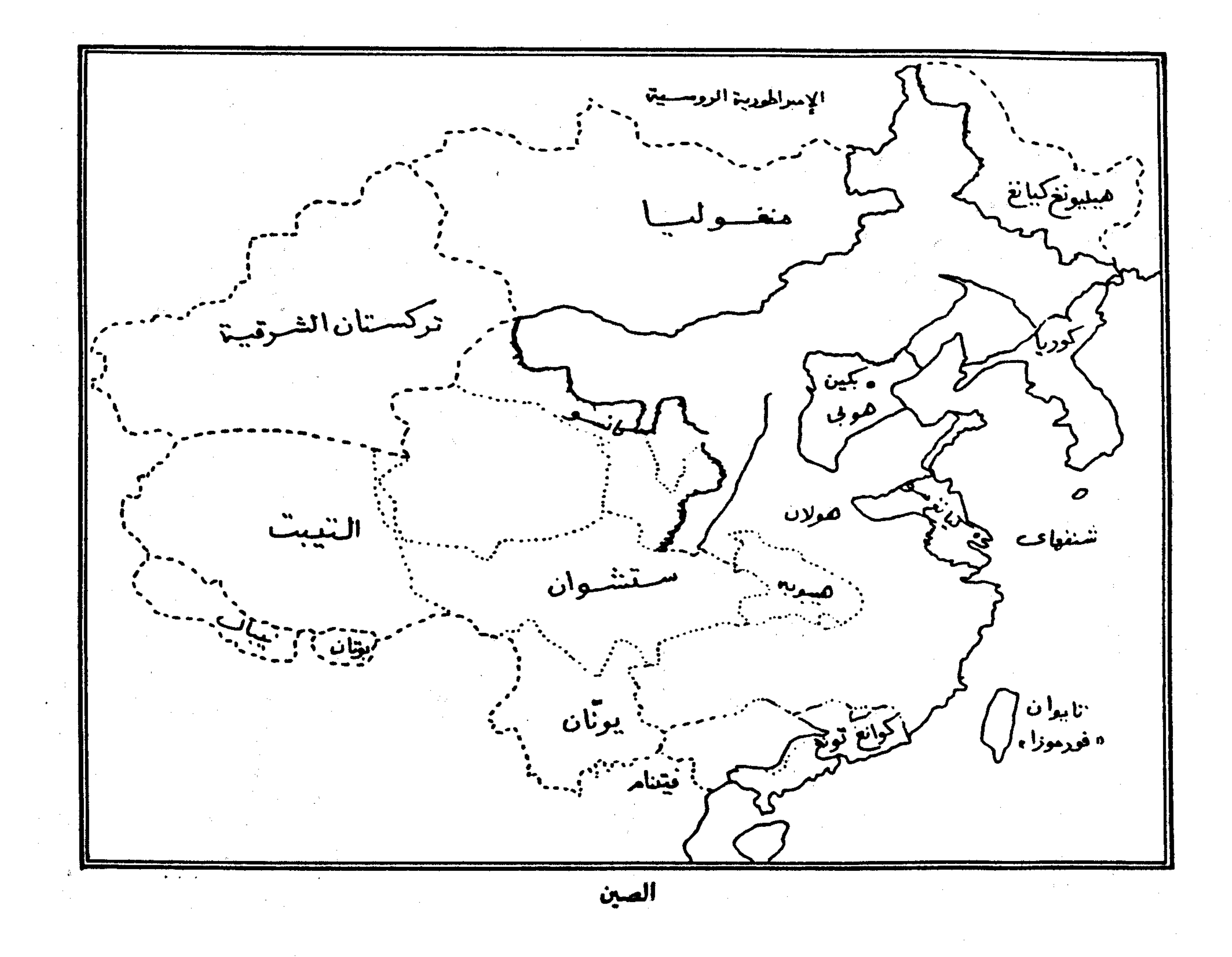
الجمهوريات والمناطق ذات الغالبية الإسلامية ضمن روسيا الاتحادية



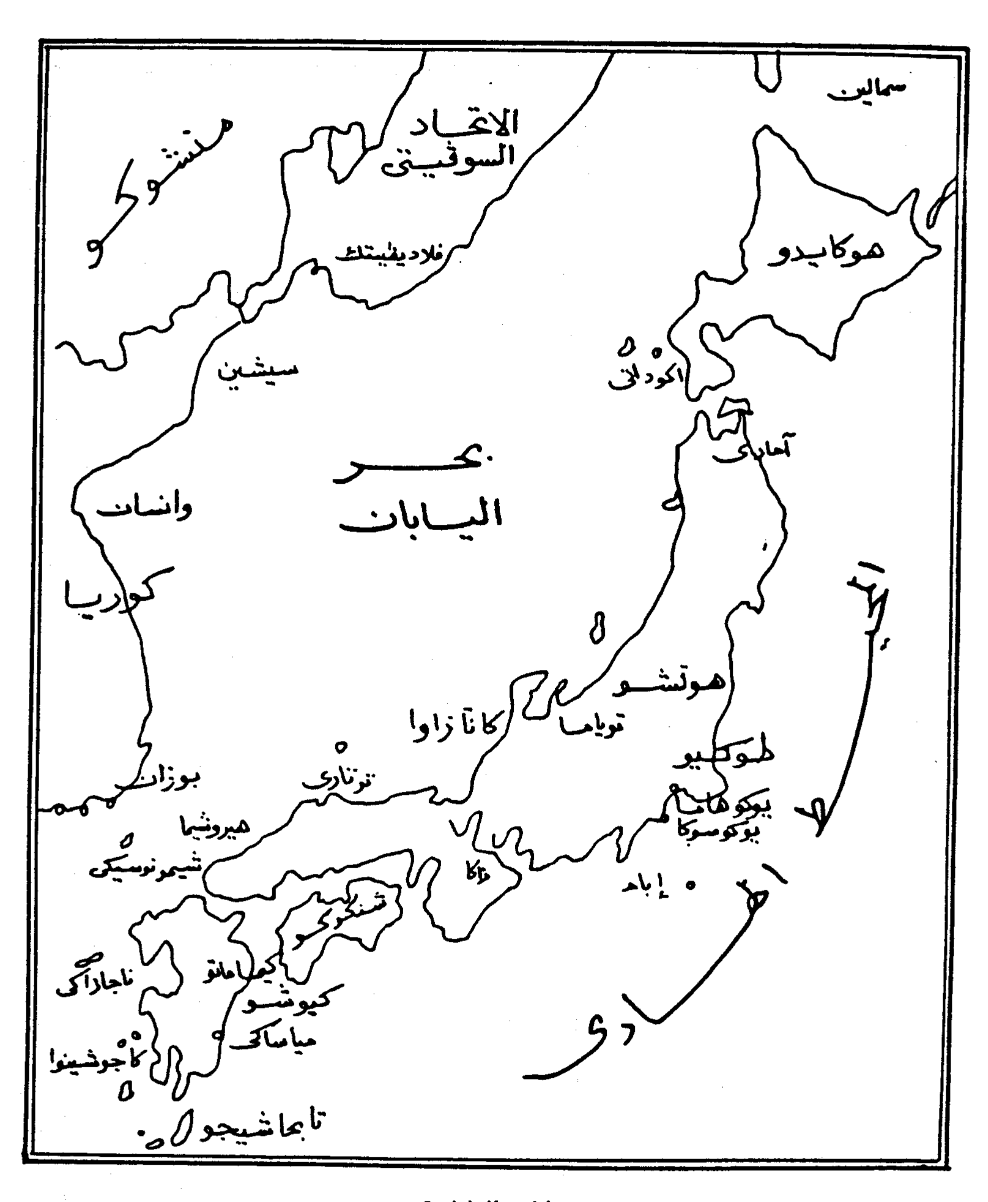
مسلمو القوقاز



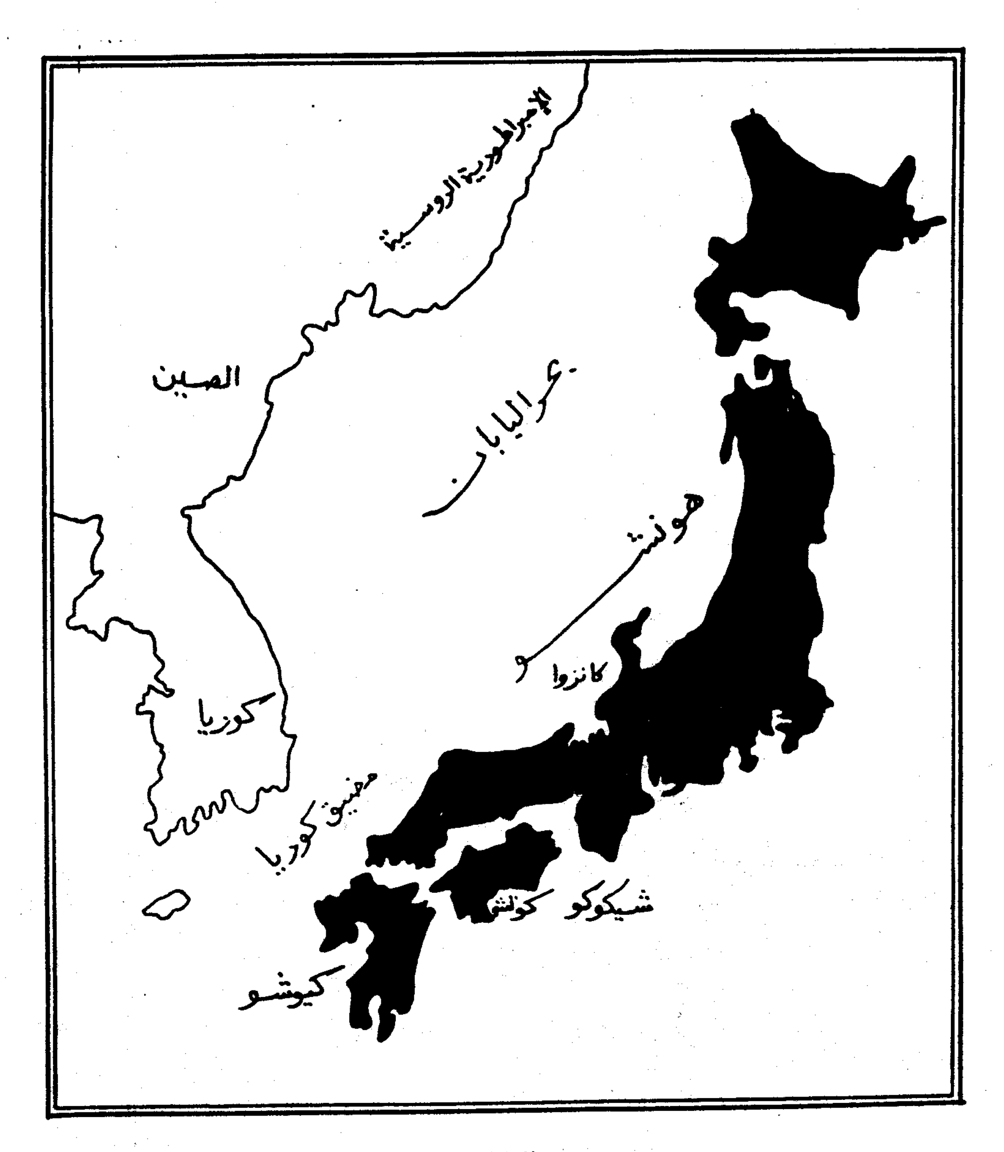
امبراطورية المناشو فى أقصى اتساعها


الإمبراطورية الروسية
منغوليا
هيلونغ كيانغ
تركستان الشرقية
كوريا
بكين
هوبى
التيبت
شنغهاى
ستشوان
نيبال
بوتان
يونان
كوانغ تونغ
تايوان
فورموزا
فيتنام

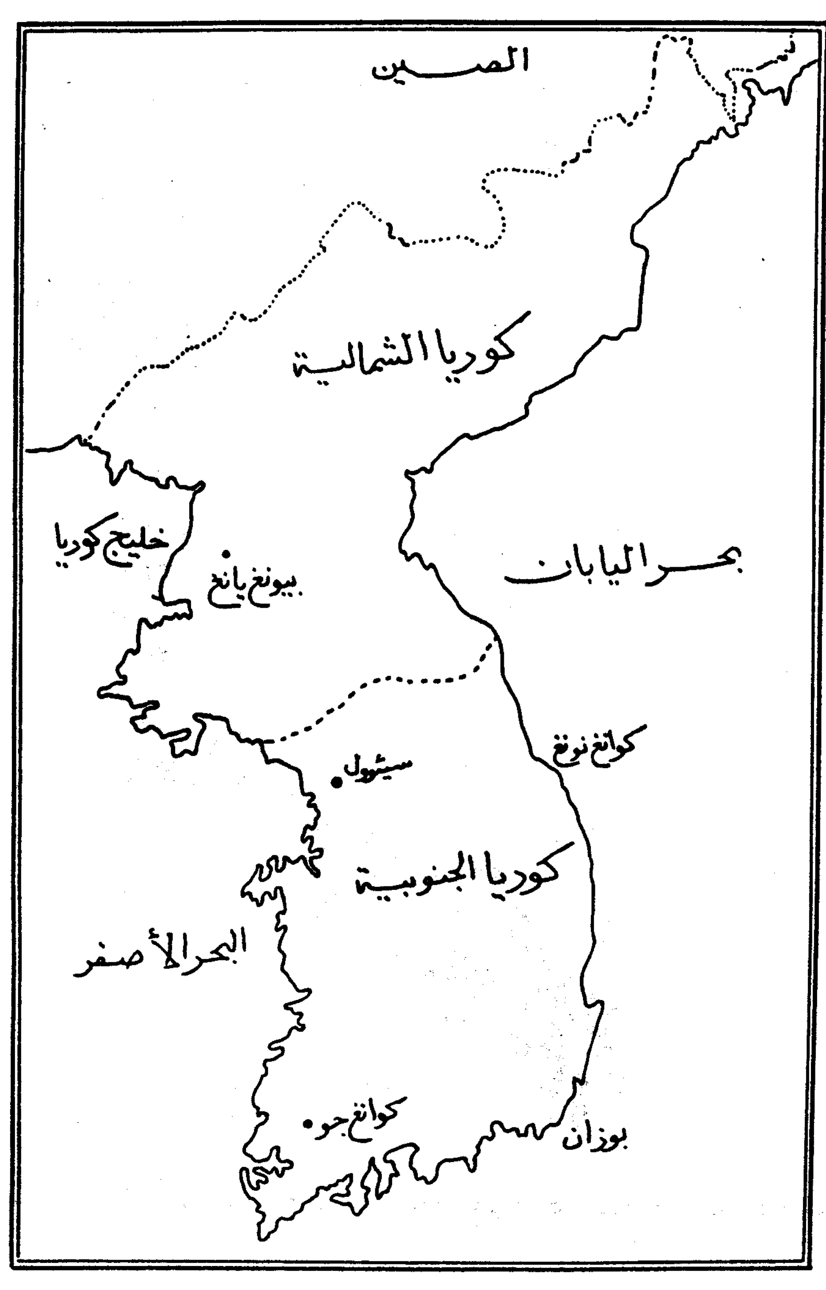
الصين



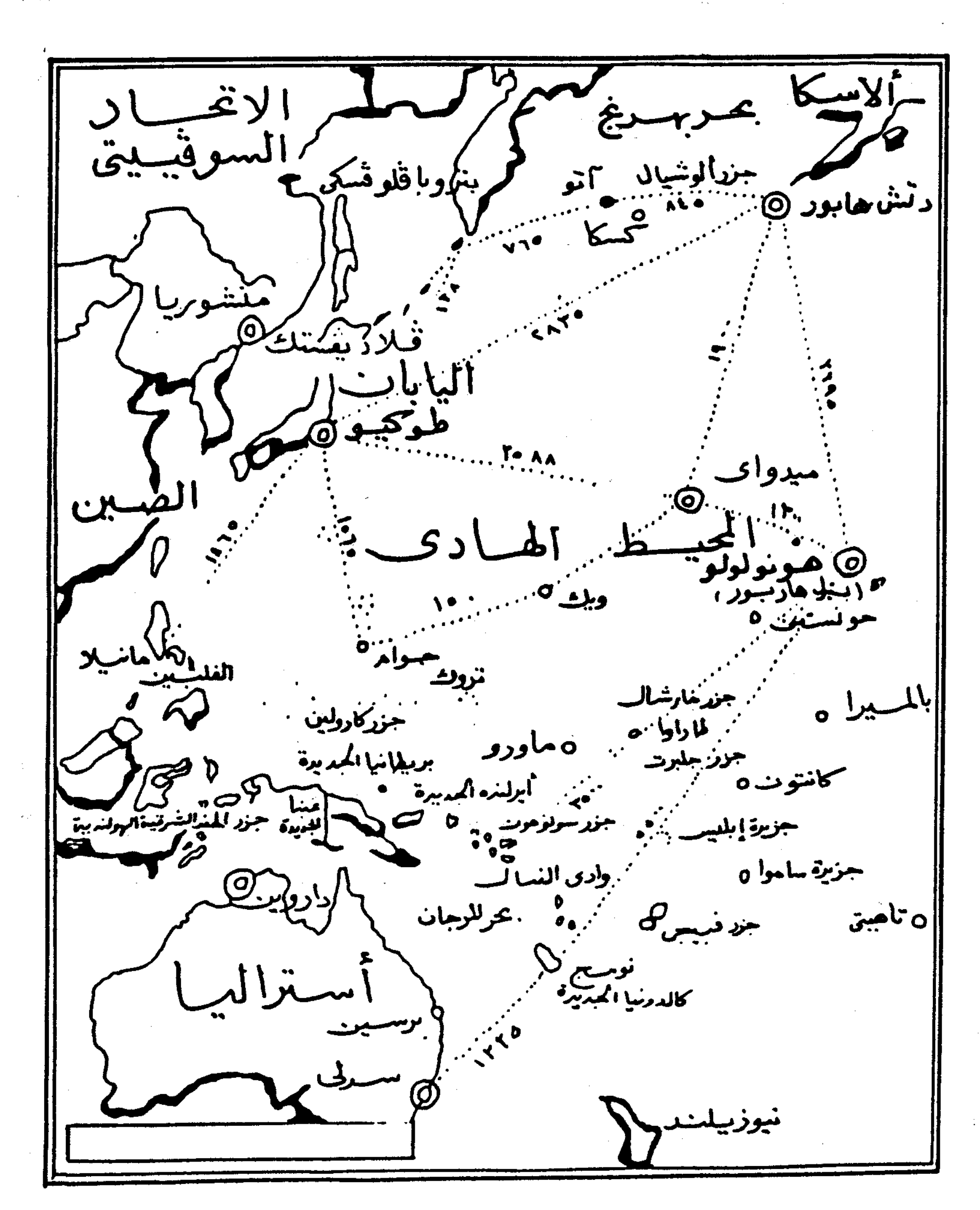
الجزر اليابانية


الإمبراطورية الروسية
الصين
بحر اليابان
هونشو
كانزوا
كوريا
مضيق كوريا
شيكوكو
كيوشو

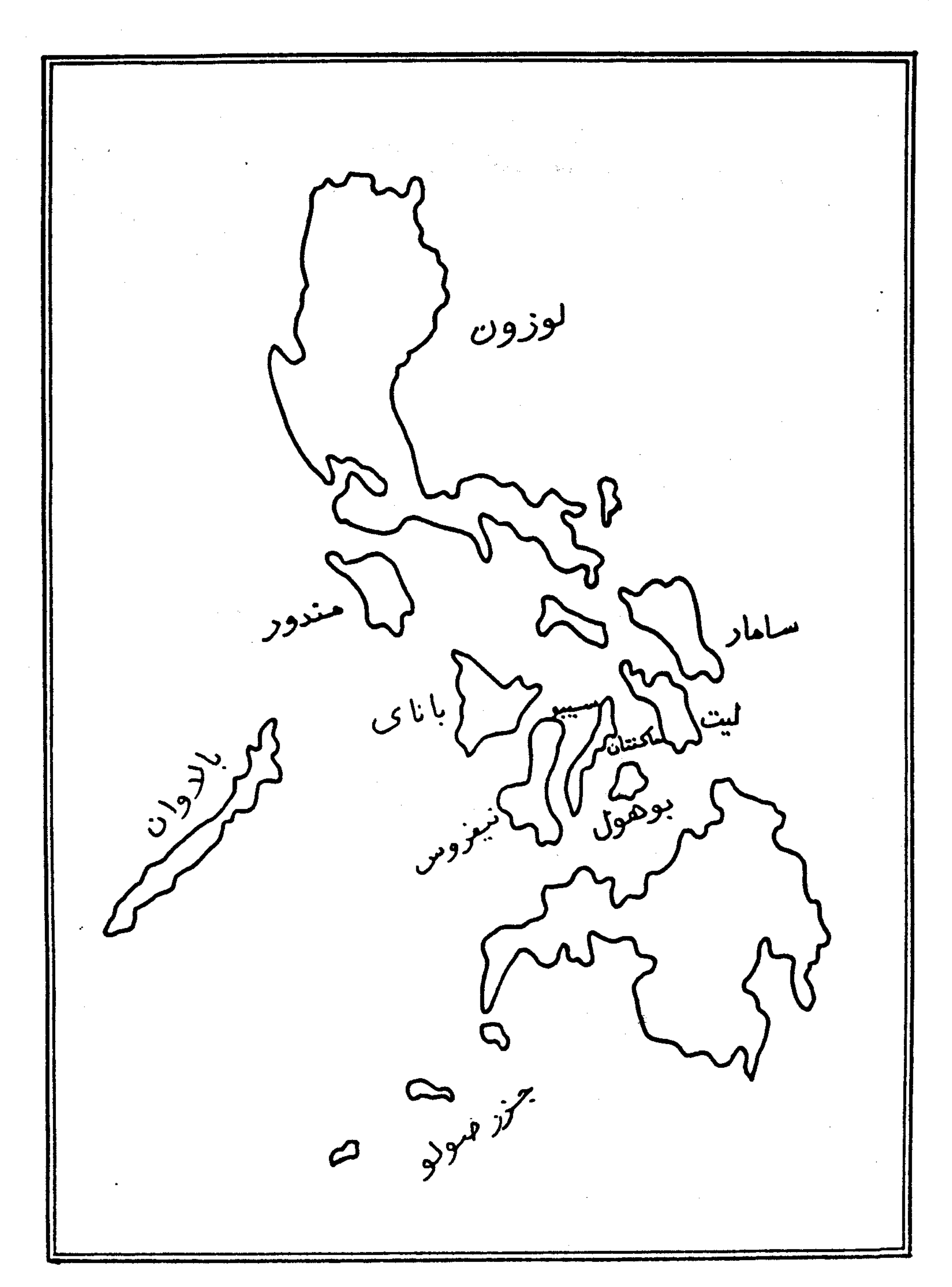
اليابان


الصين
كوريا الشمالية
خليج كوريا
بيونغ يانغ
بحر اليابان
كوانغ نونغ
سيئول
كوريا الجنوبية
البحر الأصفر
كوانغ جو
بوزان

كوريا



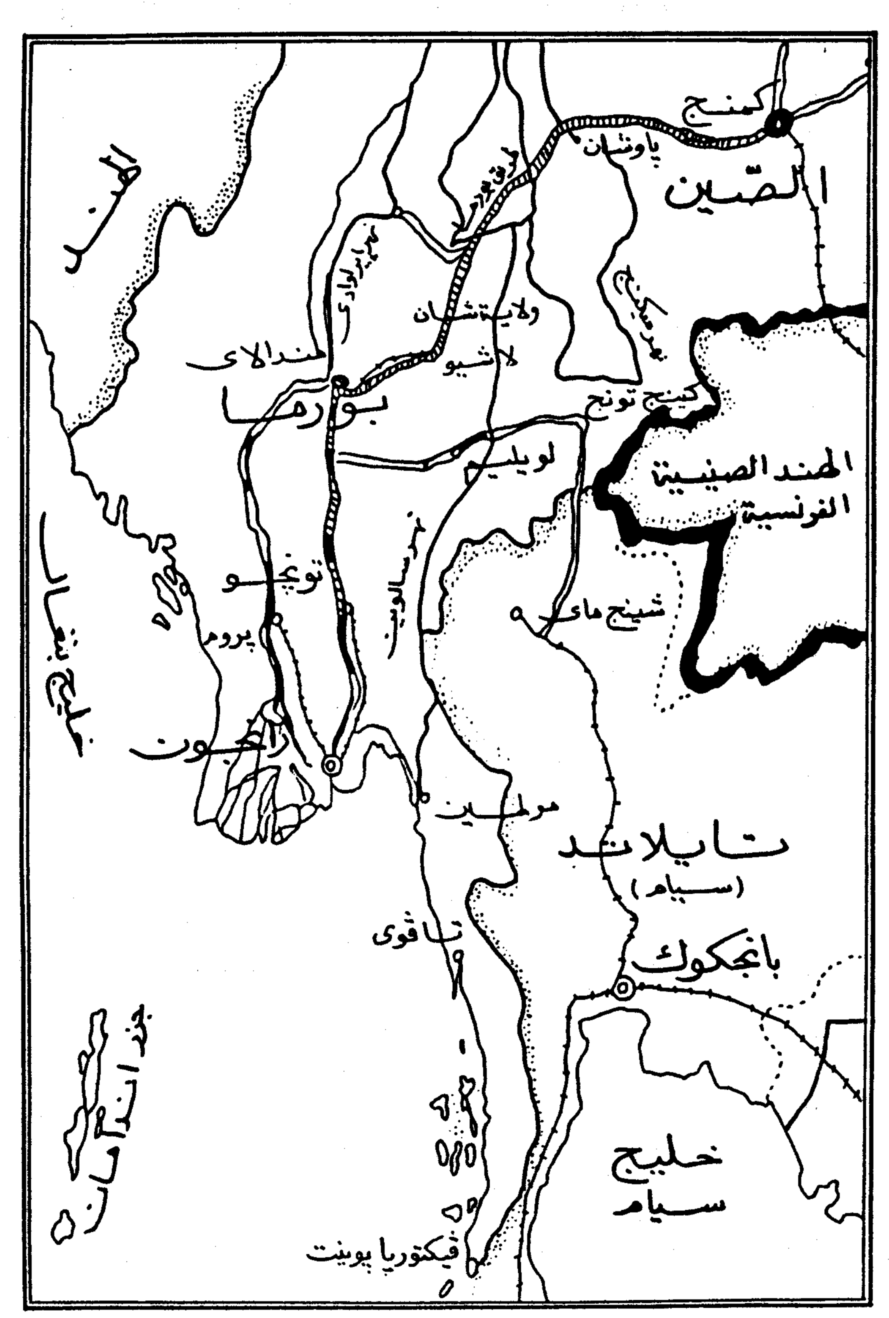
جزر المحيط الهادى



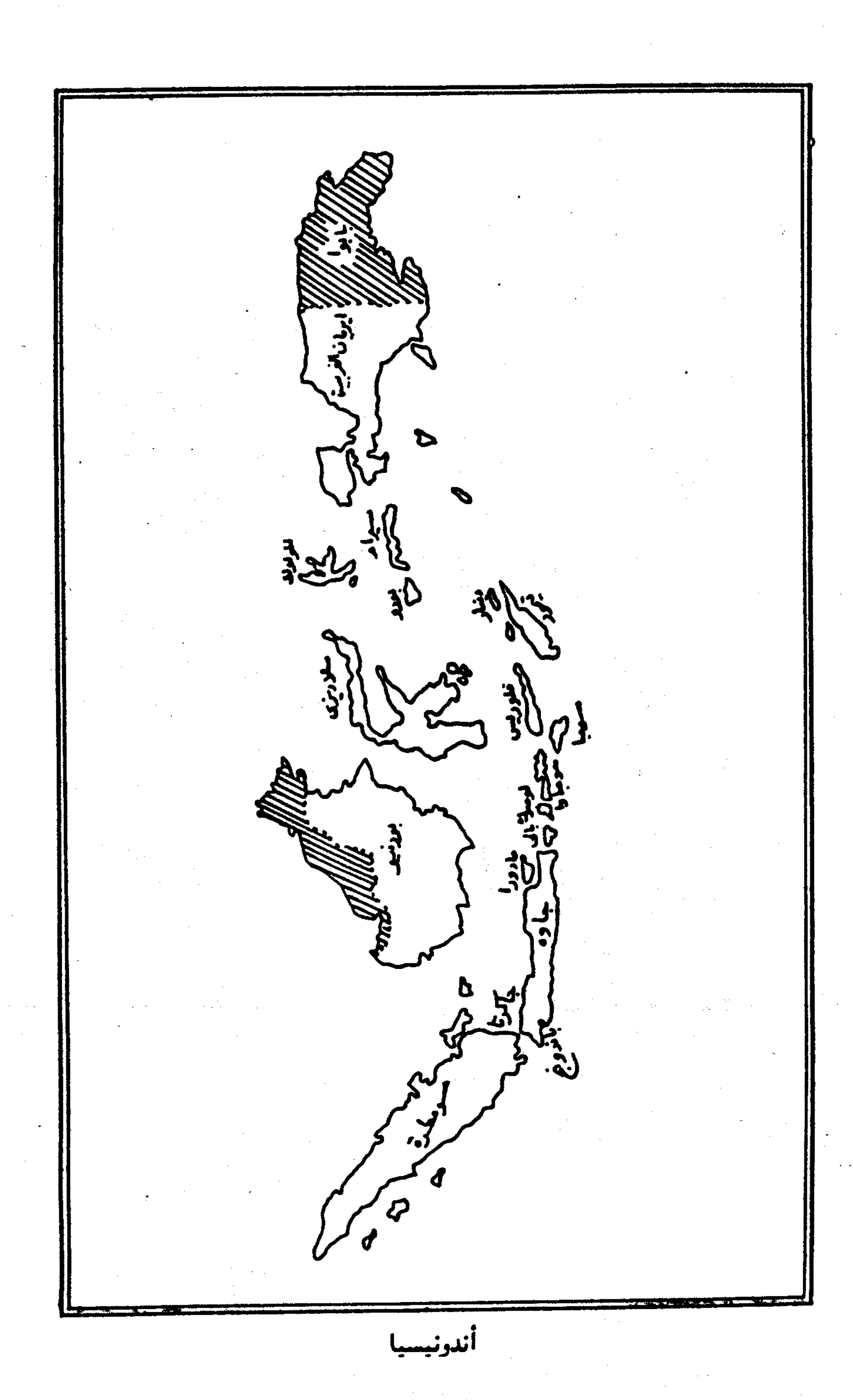
الفلبين



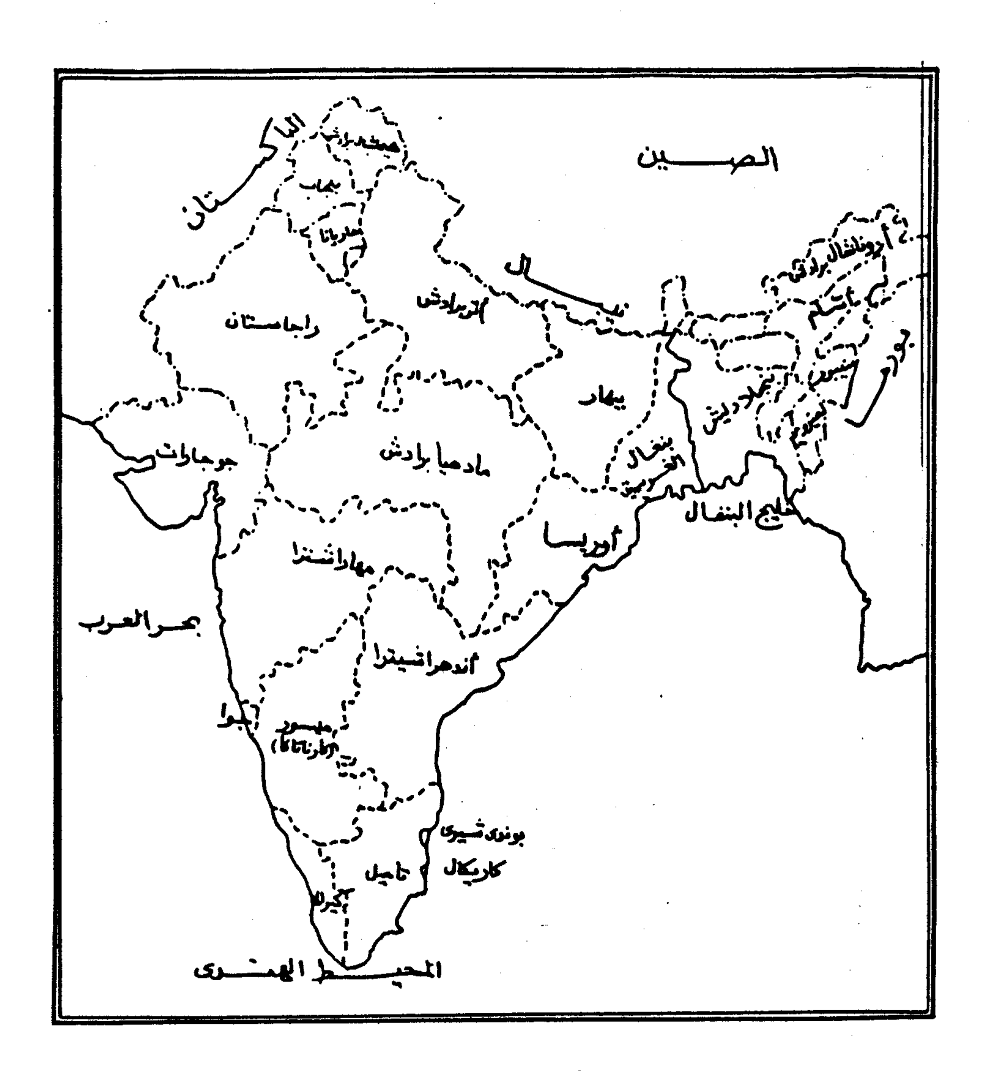
الهند الصينية



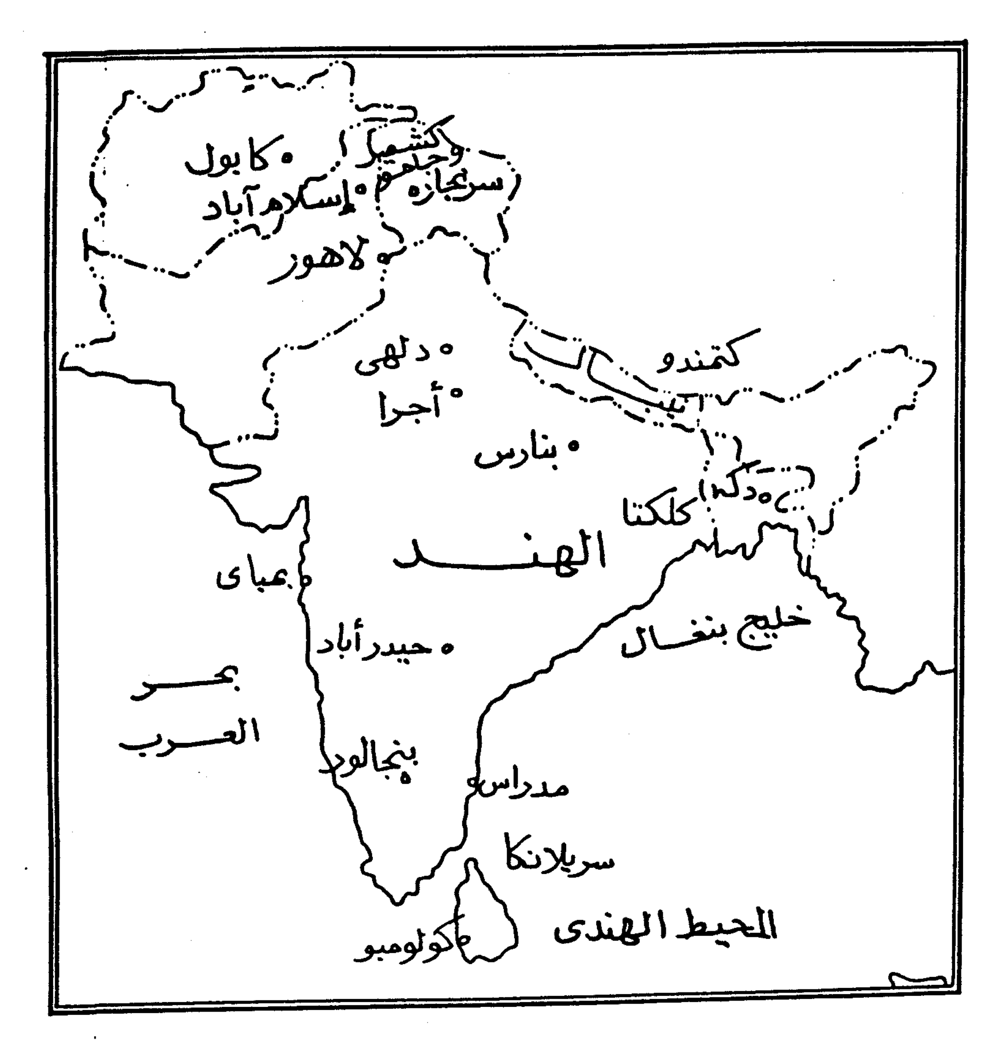
بورما وسيام وطريق بورما



أندونيسيا



الولايات الهندية



الأقليات المسلمة فى جنوب آسيا

المحتويات

رقم الإيداع ٤٧٩٣ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 133 - 4

مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق